من التكوين
إلى الرؤيا

1

أسفار موسى الخمسة

يوسف رياض

من التكوين إلى الرؤيا:

أسفار موسى الخمسة

من التكوين إلى الرؤيا

١

أسفار موسى الخمسة

جمع وتقديم

يوسف رياض

٢٠٠٧

من التكوين إلى الرؤيا: أسفار موسى الخمسة

From Genesis to Revelation: The Pentateuch

المؤلف : يوسف رياض

الناشر : دار الإخوة للنشر

يُطلب من : مكتبة الإخوة ٣ ش أنجه هانم - شبرا مصر ت: ٥٧٩٢٢٨٤

بريد الكتروني : brethren_pub@writeme.com

وفروعها : مصر الجديدة : ٦٥ ش نخلة المطيعي - تريومف ت: ٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية : ٦ ش الفسطاط - كليوباترا ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيـــــا : ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦

أسيـــوط : ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

Printed in Egypt

رقم الإيداع : ٢٩٣٦ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولي : I. S. B. N. 977-321-144-4

تقديم

من فترة ليست بقليلة ثَقَّل الرب على قلبي كتابة شرح شامل، يقدِّم للقارئ تفسيرًا مبسطًا لكل أصحاحات الكتاب. ولكن نظرًا لمشغولياتي العديدة في الخدمة، ونظرًا لاحتياج عمل كبير كهذا إلى التفرغ فترة طويلة لإنجازه، تأخَّر صدور هذا المؤلَّف سنوات. وأخيرًا هداني الرب إلى حل وسط، وهو الاستعانة بالكتاب القيِّم الذي كُتِب أولاً باللغة الفرنسية، ثم تُرجم إلى العديد من اللغات، بما فيها اللغة العربية، تحت اسم "يومًا فيومًا". وهو تأملات يومية، تشرح الكتاب المقدس كله على مدى خمس سنين، ولكن هذا الكتاب - للأسف - ونظرًا لعوامل معيَّنة، لم يُكتب له الانتشار الذي كان يستحقه. ففكَّرت أن أجعله نواة لعملي، فقمت بمراجعته، وأضفت إليه العديد من الإضافات، على اعتبار أن التأملات اليومية لا يُنتظر منها أن تخوض في كل جزء من الكتاب، ولا أن تتعرض لكل مشاكله. وأشكر الله الذي أعانني لإخراج المجلد الأول على هذه الصورة، وأرجوه أن يعينني لاستكمال الشرح، ليشمل الكتاب المقدس "من التكوين إلى الرؤيا".

وأود في بداية هذا العمل أن أقدِّم الشكر لكثيرين ساهموا معي في صدور الكتاب على هذه الصورة. ففي البداية ساهم الأخ الحبيب المهندس عاطف إبراهيم بجهد كبير في كتابة المسودات ثم مراجعتها، ثم تفضل الأخوان الحبيبان الأستاذ وليم وهبة والأستاذ عزرا هنري في مراجعة الأصول مراجعة دقيقة، ولا أنسى أن أقدِّم شكرًا

خاصًا للأخ العزيز المهندس عصام خليل على مساعدته في التنسيق والإخراج على الصورة التي بين يديك. وأن أقدِّم الشكر أيضًا لمكتب مورننج ستار لتصميم الغلاف الجميــل. هذا بالإضافة إلى آخرين تاعبين معي باســتمرار، هؤلاء جميعًا لهم مني شكري الجزيل، وأما مكافأتهم على تعبهم فســتكون من الرب الديان العادل، عندما نقف جميعًا أمام كرسيه، وينال كل واحد منا المدح من الله.

الإسكندرية

يناير ٢٠٠٧ **يوسف رياض**

العهد القديم

يحتوي الكتاب المقدس على قسمين أساسيين، هما: العهد القديم والعهد الجديد. أما العهد القديم فهو مجموعة الأسفار التي كُتبت قبل المسيح، وعددها ٣٩ سفرًا، ولقد سُمي بالوحي: "العهد العتيق"، أو العهد القديم (٢كو٣: ١٤)، وتبعًا لذلك، اصطُلح على تسمية الأسفار التي كُتبت بعد المسيح: "العهد الجديد".

ويمكن القول في عبارة موجزة إن القسم الأول "العهد القديم" يقود إلى المسيح، والثاني "العهد الجديد" يبدأ بالمسيح. وإن كنا في العهد القديم نجد العهد الجديد مظلَّلاً؛ فإننا في العهد الجديد نجد العهد القديم مُعلنًا.

والكتاب المقدس العجيب يتميَّز بأنه يُمَثِّل الوحدة مع التنوع. نعم نجد تنوعًا في الكُتَّاب، وفي الأزمنة التي كتبوا فيها، وفي الأسلوب الذي كتبوا به. فهذا الكتاب المقدس هو، في حقيقة أمره مكتبة تضمَّنت أسفارًا من شتى البلاد، ثم جُمعت معًا، فإذا هي كتاب واحد، كتاب الله. ونحن نجد فيه تاريخًا كما نجد فيه نبوة، نقرأ فيه قصة كما نقرأ فيه رسالة، نصغي فيه إلى الشعر كما إلى الشريعة، لكن النبوة فيه صادقة ودقيقة مثل التاريخ، والقصة تذخر بالتعاليم مثل الرسالة، والشعر يُعبِّر عن فكر الله مثل الشريعة.

والكتاب المقدس لم يتم تجميعه بصورة عشوائية خالية من المعنى، بل إنه مُجَمَّع في مجموعات. وبالنسبة للعهد القديم فإنه - بصفة مبدئية - ينقسم إلى قسمين رئيسيين: هما "موسى والأنبياء" (لو١٦: ٢٩-٣١)، أو "الناموس والأنبياء" (مت٧: ١٢).

أو قد يمكننا أن نقسّمه إلى ثلاثة أقسام، وهو ما اعتاد اليهود القدماء فعله، فقسَّموا كتابهم إلى أقســام ثلاثة (كعدد أقســام مســكن الله الذي بينهم) وكانوا يرمزون إليها بالحروف: (ت ن ك) كالآتي:

القســم الأول: الناموس (أو التــوراة) ويرمز له بالحــرف (ت) اختصار توراة، ويشمل أسفار موسى الخمسة.

القسم الثاني: الأنبياء (أو نبييم) وكان يرمز له بالحرف (ن)؛ ويتكوّن من كتابات الأنبياء الأولى، وهي الأســفار التاريخية كيشــوع والقضاة وصموئيل والملوك، ثم الأسفار النبوية وهي إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيآل وباقي النبوات.

والقسم الثالث: الكتابات المقدســة (أو كتبيم) ويرمز له بالحرف (ك)؛ وهي بقية الأسفار وأولها سفر المزامير، ولذلك استخدم للدلالة على كل القسم.

وهذا هو التقسيم الذي أشــار إليه الرب - له المجد - في حديثه مع تلاميذه بعد قيامته من الأموات، إذ قــال لهم: «هــذا هــو الكــلام الذي كلّمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لا بُدَّ أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤: ٤٤).

وهناك طريقة أخرى لتقسيم العهد القديم تقســيمًا ثلاثيًا، لكن على أساسٍ نوعي، على اعتبار أنه يحتوي على ثلاثة أنواع مختلفة من الأسفار، هي الأسفار التاريخية والاختبارية والنبوية كالآتي:

الأسفار التاريخية : من التكوين إلى أستير

الأسفار الاختبارية: من أيــوب إلى النشيد

الأسفار النبوية : من إشعياء إلى ملاخي

ومجموعة الأسفار الأولى تشــتمل على أخبار الماضي، والأسفار الثانية تشتمل على اختبارات الحاضر، والثالثة على تطلُّعات المستقبل.

وهذا تقسيم هندســي بديع، إذ يعطينا مجموعتين متساويتين كل منهما يتكوَّن من ١٧ ســفرًا، ويتوسطــها خمسة أســفار كالآتي: الكتب التاريخية، وهذه عددها ١٧، والأسفار الاختبارية وهذه عددها ٥، ثم النبوات وهذه أيضًا عددها ١٧.

والأسفار التاريخية تنقسم إلى قسمين رئيســيين: ٥ أسفار تاريخية أساسية، وهى تلك المعروفة بأســفار موسى الخمسة، ثم ١٢ ســفرًا تاريخيًا، تسعة منها كُتبت قبل السبي البابلي، وثلاثة بعد الرجوع من السبي.

والأسفار النبوية أيضًا عددها ١٧، وهي بدورها تنقسم إلى ٥ أسفار كبرى (هي أسفار الأنبياء الكبار ومعها ســفر المراثي)، ثم ١٢ نبوة تسمّى مجموعة الأنبياء الصغار (نظرًا لصغر حجمها)، تسعة منها كُتبت قبل السبي البابلي، وثلاثة بعد العودة من السبي.

وأما الأسفار الشعرية، والتي تمثِّل القلب بالنسبة للجسد، فهي تحتوي على الحكمة والمشورة والأناشيد، وهي تمتلئ بالتنهدات كما تذخر بالترنيمات، وفيها نلتقي الفكر المضطرب وحيرته، والقلب المحبّ ولوعته.

وإذا ركّزنا النظر الآن إلى مجموعة الأســفار التاريخية الكبرى، والتي تشــتمل أيضًا – كما ذكرنا – على أســفار موسى الخمســة، فإنه يمكن القول إنها تؤرِّخ لنا الزمان من قبل التاريخ الوضعي، وتســتمر في اتصال لتاريــخ ما بعد الرجوع من السبي البابلي، ويمكن تقسيمه كالآتي:

التاريخ الباكر	:	تكوين ١ إلى ١١: ٩
تاريخ البطــاركة	:	تكوين ١١: ١٠ إلى تكوين ٥٠
تاريخ الأمة الإسرائيلية	:	خروج ١ إلى أستير ١٠

وتاريخ الأمة، الذي يُمثِّل الفكر الأكبر في أسفار العهد القديم، ينقسم كالآتي:

الرحلة (من مصر إلى كنعان) : خروج١ إلى تثنية ٣٤

أرض الموعد : يشوع إلى راعوث

المملكة : ١صموئيل إلى ٢ أخبار

السبي : عزرا إلى أستير

* * * *

ولكن نظرًا لأن هذا التقسيم ليس متساويًا في الحجم، حيث أن المجموعة الأولى منها، والتي أسميناها "مجموعة الأسفار التاريخية"، تمثِّل أكثر من نصف العهد القديم، فقد رأى البعض أن يتم تقسيم العهد القديم إلى أربعة أقسام، بما يتمشى مع ما هو حادث في طبعات الكتاب المقدس التي بين أيدينا، وهو ما سنتبعه في شرحنا هذا "من التكوين إلى الرؤيا".

القسم الأول : التوراة، أي أسفار موسى الخمسة.

القسم الثاني : الأسفار التاريخية، من يشوع إلى أستير.

القسم الثالث : الأسفار الشعرية، وهي الأسفار الخمسة، من أيوب إلى نشيد الأنشاد.

القسم الرابع : الأسفار النبوية، من إشعياء إلى ملاخي.

في هذه الأقسام الأربعة نجد

في التوراة : البداءات والأساسيات

في الأسفار التاريخية : تطوّر تاريخ الأمة والأفراد.

في الأسفار الشعرية : نستمع إلى مشاعر وأحاسيس القديس

في الأسفار النبوية : نجد تطلعات وانتظار الأبرار.

أسفار موسى الخمسة

يبتدئ الكتاب المقدس بكنز لا يُقدَّر بمال، هو مجموعة الأسفار الخمسة لموسى. وكم هذا في تمام المناسبة، حيث إن هذه الأسفار تُقدِّم لنا مُجمَلاً لجميع الحقائق التي سنجدها بعد ذلك في "كل الكتاب"، بصورة تفصيلية. وهو أمر مدهش حقًا أن كل صور ورموز وطقوس هذه الأسفار، تتجاوب مع الشخص المحوري في العهد الجديد، ربنا يسوع المسيح، بصورة فائقة، لا يمكن أن تكون من صنع إنسان، كائنًا من كان.

وتُحدِّثنا هذه الأسفار الخمسة عن نشأة الأمة، وتواصل الحديث عن تاريخهم حتى بلوغهم مشارف أرض الميعاد كالآتي:

سفر التكوين	:	البداية؛ نشأة الأمة.
سفر الخروج	:	خروجها إلى البرية ودخولها في عهد مع الله.
سفر اللاويين وسفر العدد	:	جانبا العلاقة لشعب الله؛ في شركة مع الله (سفر اللاويين)، وغرباء في العالم (سفر العدد).
ثم سفر التثنية	:	وهو سفر تمهيدي يسبق امتلاكهم للأرض.

بعبارات أخرى نقول:

سفر التكوين	:	يحدِّثنا عن الخليقة والاختيار.
سفر الخروج	:	يحدِّثنا عن الفداء والعهد.
سفر اللاويين	:	يحدِّثنا عن القداسة والشركة.
سفر العدد	:	يحدِّثنا عن الرحلة والخدمة.

سفر التثنية : يحدِّثنا عن الطـــاعة والبركة.

إنها أسفار لها أهمية كبرى لنا كمسيحيين، كقول الرسول: «فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتِبَت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهورِ» (١كو١٠:١١). والواقع إنه لا غنى لمن يريد أن يفهم الكتاب المقدس أن يدرس هذه الأســفار الغنية جدًا بالحديث عن المسيح.

والسفر الأول في هذه المجموعة الخماسية، هو سفر التكوين، سفر الخليقة والاختيار. وحسن أن يكون هو الســفر رقم واحد، فالله فيه يتعامل مع الأفراد، ومبدأ سلطــان الله في الاختيار واضح فيه. ولأنه سفر الأنساب، فإننا فيه نتقابل مع الله الآب.

وأما السفر الثاني فهو سفر الخروج، وحسن أن يكون هو السفر رقم ٢، حيث إنه يحدثنا عن الخروج والانفصال كمدلول الرقم ٢، كما وعن الدخول في عهد مع الله، كمدلول الرقم ٢ أيضًا. وباعتباره ســفر الفداء فإننا نتقابــل فيه مع الابن، الذي هو الفادي، وهو حمل الله.

وأما السفر الثالث، سفر اللاويين، فمن المناسب أن يكون هو السفر رقم ٣ حيث إنه سفر مقادس الله، ونعلم أن أقسام مسكن الله عددها ٣؛ كما أنه السفر الوحيد الذي يحدِّثنا عن دخول رئيس الكهنة إلى "قدس الأقداس"، الجزء الثالث من المسكن، وهو مُكعَّب! وإن كنا في ســفر التكوين نتقابل مع الآب، وفي ســفر الخروج نتقابل مع الابن، فإننا في سفر اللاويين نتقابل مع روح القداسة، الروح القدس!

ثم يأتي السفر الرابع ســفر العدد، الســفر الذي يحدِّثنا عن الارتحال في البرية. وكم هو مناسب أن يكون هو السفر رقم ٤، الرقم الذي يحدِّثنا عن الأرض والعالــم. ونحن نعلم أن شعب إسرائيل ظل في رحلته في البرية ٤٠ سنة (٤×١٠). وإن كنا في الأسفار الثلاثة السابقة تقابلنا مع أقانيم اللاهوت الثلاثة، فإننا في هذا السفر نتقابل

مع الإنسان الضعيف الفاشل.

وأخيــرًا نصل إلى الســفر الخامس، ســفر التثنية. وكان من المناســب أن هذا السفر هو الســفر رقم ٥، الرقم الذي يساوي: ١ + ٤ حيث الواحد هو الله أو الخالق، والأربعة هو رقم العالم أو الخليقة، فيكون الخمســة معنــاه "الله معنا"، وهو ما نجده فعلاً في هذا السفر.

سفر التكوين

مقدمة

الكاتب: هو موسى. ومع أنه ليس لدينا نَصّ صريح على ذلك، لكنه أمر مسلَّم به منذ القديم؛ أن موسى هو صاحب الأسفار الخمسة الأولى المعروفة باسمه.

طابع السفر: سفر التكوين هو سفر البدايات. ويسمّى السفر في الأصل العبري: "في البدء"، من الكلمة الأولى التي وردت فيه، وهو ما يعطـــي الســـفر طـــابعه، ولكنه سُـــمّي في الترجمة السبعينية "سفر التكوين"، أو ســـفر الأنساب، نظرًا لكثرة ورود الأنساب فيه.

ويمكن اعتبار هذا السفر "مستودع بذار الكتاب المقدس". فكل الأفكار التي نبتت وأينعت فيما بعد في باقي أسفار الكتاب المقدس، نجد بذرتها في هذا السفر.

ويميّز هذا الســـفر توضيح ســـلطـــان الله في الاختيار. فالله هنا هو الله الجالس على العرش.

تواريخ السفر: حيث أن كاتبه هو موســـى، فيكون قد كُتب حوالـــي عام ١٤٤٠ ق.م. ويغطّـــي السفر فترة زمنية حوالي ٢٣٦٠ عام. من بداية الخليقة إلى موت يوسف.

موضوع السفر:

هذا الســـفر يحدّثنا عن بداية كل شـــيء، إلا الله، الذي لا بدايـــة له. فيحدثنا عن بداية الســـماء والأرض (١:١)؛ وبداية الإنســـان (١:٢٧)؛ وبداية الســـبت

(٢:٢،٣)؛ وبداية الزواج (٢:٢٢ -٢٤)؛ وبداية الخطية (٣:١ -٧)؛ وبداية الذبيحة (٣:١٥،٢١)، وبداية العائلة (٤:١ -١٥)؛ وبداية المدنية (٤:١٦ -٢١)؛ وبداية الحكومات (٩:١ -٦)؛ وبداية الأمم (١٠، ١١)؛ وبداية الأمة المختارة (١٢:١ -٣).

تقسيم السفر:

يمكن تقسيم السفر إلى جزءين رئيسيين: من ص١ إلى ١١ قسم البدايات، وهو يتحدَّث عن أربعة أحداث هامة؛ هي: خلق الإنسان، وسقوط آدم، وطوفان الماء، وبلبلة الألسنة. ثم من أصحاح ١٢ إلى ٥٠ قسم الآباء البطاركة، حيث يتحدث عن أربعة من الآباء هم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف.

التقسيم السابق هو التقسيم الموضوعي، ولو أن هناك تقسيمًا آخر يرتبط بتكرار كلمة "هذه مواليد†"، حيث تكرَّرَت في هذا السفر ١١ مرة، تُقسِّم السفر إلى ١٢ قسمًا. وهذه المرات الإحدى عشر هي: ٢:٤؛ ٥:١؛ ٦:٩؛ ١٠:١؛ ١١:١٠؛ ١١:٢٧؛ ٢٥:١٢؛ ٢٥:١٩؛ ٣٦:١؛ ٣٦:٩؛ ٣٧:٢.

ونلاحظ أن نحو خُمس السفر يغطي الحقبة الأكبر، حوالي ٢٠٠٠ عام، بينما أربعة أخماس السفر تغطِّي فترة نحو ٣٠٠ سنة، حيث يركِّز الوحي النظر على تلك الأمة المختارة، التي منها أتى المسيح حسب الجسد، الذي هو مشتهى كل الأمم، وموضوع انتظار كل الأجيال.

كلمات مفتاحية

"مواليد" ١٩ مرة، حيث أن قصد السفر الأساسي هو التمهيد لمَقدِم نسل المرأة.

† عبارة "مبادئ" الواردة في ص٢: ٤ هي بعينها "مواليد" في العبري.

١

أيام تجديد الخلق الستة

توضّح أول آية في الكتاب المقدس أنه قبل أي شـــيء من كل الأشياء التي نراها، كان الله موجودًا. فالله ليس له بدء. وهو في البدء خلق السماوات والأرض. واسم الجلالة في العدد الأول هو "إلوهيم"، من كلمة تعني "القوة". فالخليقة تُعلن لنا قدرة الله الســرمدية ولاهوته. وهو اســم جمع، رغم أن الفعل "بــرى" بالعبري، والذي يُترجَم "خلق" هو بالمفرد. وتُعتبر هذه أول إشارة إلى الوحدانية والثالوث في الكتاب المقدس، ولو أنه في الأصحاح نفســه توجد إشارة أوضح إلى الثالوث في العدد ٢٦ عندما قال الله: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (بالجمع).

وتوضّح لنا أجزاء أخرى من الوحي؛ مثل يوحنا ١: ٣؛ عبرانيين ١: ٢ أن أقنوم الابن هو الذي كان عاملاً في الخليقة.

وهذا الأصحاح يوضّح أن السماوات والأرض تكوَّنت أوَّلاً، (ربما من ملايين أو بلايين الســنين). والآية الأولى من هذا الأصحاح تنفي أزلية الكون، فهو له بداية. كما تنفي أيضًا ألوهيّة الكون، فهو ليس جزءًا من اللاهوت، بل إن الله خلقه.

والإنسان عندما يريد أن يعمل شــيئًا، يحتاج إلى مواد أولية ليبدأ العمل بها، لكن مع الله كان كافيًا أن يقول فقط، فيتكوَّن كل شيء من لا شيء (انظر مزمور ٣٣: ٦، ٩؛ عبرانيين ١١: ٣).

ثــم بدأت أيام تجديد الخليقة الســتة، فظــهــر النور في **اليــوم الأوَّل**؛ ثم البحر

والسحاب في **اليوم الثاني**؛ ثم السهول والجبال والأشجار والنباتات مع الأزهار والثمار في **اليوم الثالث**؛ ثم الشمس والقمر والنجوم في **اليوم الرابع**؛ ثم الأسماك والطيور في **اليوم الخامس**. ثم في **اليوم السادس** أوجد الله الحيوانات، وأخيرًا خلق الإنسان. «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا». «**على صورتنا**»: أي يمثّل الله في الخليقة باعتباره رأسها؛ «**كشبهنا**»: أي في توافق أدبي مع الله، ليمكنه التواصل والشركة معه. ثم كالفنّان عندما يتأمّل ما عمله، رأى الله أنّ كل ما عمله ليس حسنًا فقط، كما في الأيام الخمسة الأولى، لكنه «**حسنٌ جدًّا**».

يميّز الوحي بين السماوات والأرض، وبين جندها (تك ٢: ١). ولذا فإنه يمكن القول إن الأيام الثلاثة الأولى مشغولة بتجديد السماء والأرض، بينما الأيام الثلاثة التالية مشغولة بجندها أو المخلوقات التي ملأتها كالآتي:

اليوم الأول: النور	**اليوم الرابع: الشمس والقمر والنجوم**
اليوم الثاني: الفصل بين مياه ومياه	**اليوم الخامس: الحيوانات البحرية والطيور**
اليوم الثالث: تظهر اليابسة والعشب	**اليوم السادس: الحيوانات البرية والإنسان**

ألا تُدهشنا كل هذه الأعمال؟ الربّ يسوع مخلّصنا هو أيضًا الذي كوّن الجسم العجيب للحشرة الصغيرة، وهو الذي اختار لون الزهرة الجميل ورائحتها المنعشة. كيف يظل كثيرون في عدم إيمان في مواجهة خليقة الله المُدهشة هذه، بينما كل جزء منها يُكلّمنا عن «قدرته السرمدية ولاهوته» (رو ١: ٢٠)، فهي مثل كتاب ضخم مفتوح، يستطيع الإنسان الجاهل أن يقرأه، كما يستطيع ذلك الشخص المتعلّم أيضًا.

ربّما سمعت عن نظرية التطوُّر التي تدّعي أنّه على مدى ملايين السنين، تطوّرت

الحياة من الجرثومة إلى الحيوانات الأكثر تعقيدًا، وفي النهاية إلى الإنسان نفسه. ولا شك أن هذا التصوُّر لأصل الإنسان خطأ فاحش. على كل حال، فإن موضوع الخلق هذا يعجز العلم عن تفسيره، ولا يقدر الإنسان أن يفهمه. لكن «كلمة الله» هي التي تُعلِّم، و«الإيمان» هو الذي يُفهِّم (عب ١١: ٣). ويمكننا أن نقول بكل ثقة إن لنا في الأصحاح الأول من الكتاب المقدس كل ما نحتاج أن نعرفه ونؤمن به، بخصوص هذا الموضوع الكبير، موضوع الخليقة.

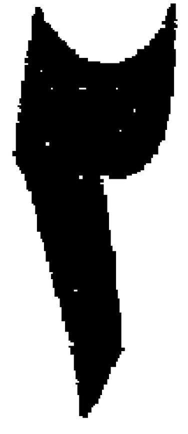
أيام تجديد الخليقة الستة، هل هي أيام حرفية، أم حقب جيولوجية؟

إننا نقف مع عدد كبير من المفسرين واللاهوتيين الذين يقولون إنها أيام حرفية من ٢٤ ساعة. ونحن الذين نؤمن بأن الله هو الخالق، نعلم أن الخلق كان بكلمة قدرة الله، ونوقن أن النُطق بكلمة لا يحتاج إلى حقب وعصور، ويؤكد ذلك ما يلي:

١- عبارة كان مساء وكان صباح: فهو لم يقل فقط إنها أيام، حتى نعتبرها فترة طويلة، كما في بعض أجزاء الوحي (٢كو ٦: ٢)، بل يضيف قائلاً: «كان مساء وكان صباح يومًا واحدًا».

٢- المشابهة الواردة في الشريعة: فقول الرب «ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك... لأن في ستة أيام صنع الرب السماء...» (خر ٢٠: ٩-١١)، تدعم فكرة أنها أيام حرفية وليست حقبًا.

٣- آدم عاش ٩٣٠ سنة، مثل معدل الأعمار العادي قبل الطوفان. رغم أنه عاش كل اليوم السابع وجزء من اليوم السادس. فلو كانت تلك الأيام حقبًا، لكان آدم قد عاش آلافًا كثيرة من السنين.



ع١-٣: السبت

يبدأ الفصل بالقول: «فأُكمَلت السماوات والأرض وكل جندها». ونحن في الخليقة نُعجَب **بقدرة** الله الذي رتَّب ونظَّم البلايين من النجوم في هذا الفضاء غير المحدود للسماوات، ووضع حدودًا للبحر، وأمسك بزمام البرق والريح، كما خلق الإنسان من التراب.

ونُعجَب أيضًا **بحكمته** التي رتّبت الأزمنة والأوقات، وأنشأت توازنًا في كل قوى الطبيعة، وعملت قوانين للنباتات وغرائز للحيوانات (مزمور ١٠٤: ٢٤).

لكننا نُعجب أيضًا **بصلاحه** كما يتضح لنا من الأعداد التالية.

وبعد أن أتمَّ الله كل عمله، بارك يوم السبت وقدّسه، فصار يوم **راحته** يومًا مباركًا ومقدَّسًا.

ع٤-١٤ : خلق الإنسان

بعد أن تحدّث الوحي إجمالاً عن خلق الله للإنسان في اليوم السادس، يعود في هذا الجزء ليُحدِّثنا عن الموضوع ذاته بشيء من التفصيل، نظرًا لأهمية هذا الموضوع على قلب الله، الذي يجد لذة خاصة في الإنسان!

لقد صنع الله السماوات، وأبرز اليابسة من وسط المياه، وعمل أنوارًا عظيمة «لأن إلى الأبد رحمته» كما يُخبرنا مزمور ١٣٦. وهذا اللطف يُذكِّرنا بالأم التي تهتم بتجهيز كل ما يلزم لطفلها قبل ولادته. هذا ما عمله الله قبل أن يخلق الإنسان ويضعه

في الجنة. لقد وضع الله الإنسان في جنة الملذات (معنى الكلمة العبرية "عدن"). حيث لن يلزمه شيئًا ليعمله، سوى أن يتمتَّع براحة خالقه.

لكن فوق الكل متَّعه الخالق بنسمة حياة مِن فيه، ليكون في توافق وشركة معه، بها تميَّز الإنسان عن باقي الخلائق التي لا تتمتع بهذا الامتياز.

ويلفت النظر أننا في هذا الجزء نقرأ عن اسم للجلالة لم يرد في الأصحاح الأول، وهو "يهوه إيلوهيم"، والذي تُرجم بالعربي "الرب الإله". وإن كان الاسم "إيلوهيم" المُترجم "الله" هو اسم الجلالة في ارتباطه بالخليقة بصفة عامة، فإن الاسم "يهوه" والمترجَم "الرب" هو اسمه في علاقته مع الإنسان، الذي أراد الله أن يكون له معه علاقة خاصة. وفي ما بعد صار هو اسم إله العهد، مع شعبه.

الشجرة والنهر (ع٩، ١٠)

نقرأ عن الشجرة والنهر في أول الكتاب المقدس (في جنة عدن – تك ٢)، وفي آخره (في فردوس الله – رؤ ٢٢: ١، ٢). وهما يشيران إلى المسيح (شجرة الحياة)، والروح القدس (نهر الحياة).

ورؤوس النهر الرباعية تذكِّرنا بالأناجيل الأربعة التي تحدثنا عن نعمة الله المنسابة إلى كل الخليقة:

النهر الأول **فيشون**، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب، يكلِّمنا عن المسيح الملك كما في إنجيل متى،

والثاني **جيحون**، وهو المحيط بجميع أرض كوش؛ يشير إلى المسيح الذي أخذ صورة عبد، كما يحدِّثنا عنه إنجيل مرقس،

والثالث **حداقل**، وهو الجاري شرقي أشور؛ يُحدِّثنا عن النعمة المتجهة حتى للأعداء، كما نرى في إنجيل لوقا.

والرابع هو **الفرات**، أي الغزير؛ صورة للمسيح الكلمة ابن الله، كما نجده في إنجيل يوحنا.

آدم رمز للمسيح

بعض المشابهات:

- آدم نـام فحصل على حواء. والنوم هـو أقرب الصور للموت في عالم لم يكن قد دخله الموت بعد، وأما المسيح فقد مات لكي يحصل على الكنيسة.
- فتح الرب الإله جنب آدم، والأشـرار فتحوا جنب المسـيح (يـو ١٩ : ٣٤)، قبل أن تتكوّن الكنيسة.
- كانـت حواء عظمًا من عظام آدم ولحمًا من لحمه، وهكذا نحن الآن «أعضاء جسـمه، من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠).
- أخذت المرأة ذات اسـم الرجل: هو امرء، وهي امرأة. وهكذا نحن أخذنا اسم المسيح (أع ١١ : ٢٦؛ يع ٢: ٧).

بعض المفارقات:

- الرب الإله أوقع السبات على آدم، أما المسيح فقد مات بإرادته واختياره (يو ١٠ : ١٧).
- آدم لم يكن يعرف حواء قبل أن ينام ويحضرها الرب له، وأما المسيح فقد أحب الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها (أف ٥: ٢٥).
- الرب الإله هو الذي بنى الضلعة امرأة لآدم، وهو الذي أحضرها له، وأما المسـيح فهو الذي يبني كنيسته وهو الذي سيحضرها لنفسه (مت ١٦ : ١٨؛ أف ٥: ٢٧).

ونلاحظ أنه في الماضي: المسيح مات بإرادته حبًّا في كنيسته.

في الحاضر: هو الذي يبني كنيسته بنفسه.

في المستقبل: هو الذي سيحضرها لنفسه.

ع١٥-٢٥ : آدم وحواء

هكذا يقول الربّ «أنا صنعت الأرض **وخلقت الإنسان عليها.** يداي أنا نشرتا السـماوات وكل جُندها. أنا أمرت» (إش ٤٥: ١٢). هكذا وُضع الإنسان في مركز الخليقة. ودعا آدم جميع الحيوانات بأسـماء، مُظـهرًا **سـلطـانه** عليها. الظروف التي وُضع فيها كانت أفضل ما يمكن. زوَّده الله بكل شـيء، فلم يكن ينقصه شـيء. وصيَّة واحدة فقط أُعطيت له، ليمتحن الله بها طـاعته له، وهي ألاّ يأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وأخيرًا أراد الله أن يُعطـي لآدم ذُروة علامـات محبته له، **فعمل حـواء** زوجته بالطريقة المُبيَّنة هنـا (انظر ص٢٤)، لتكون مُعينَة له.



ع١-١٠ : التجربة والسقوط

يبـدو أن أيام الجنة كانت قليلة، وسـرعان مـا دخلت الحيَّـة، أو بعبارة أخرى "الشـيطـان" (رؤ ٢٠: ٢)، إلى الجنَّة. وحواء، بدلاً مـن أن تُغلق أذنيها وتهرب من المُجَرِّب، أصغت إليه. لنحترس ونحفظ أنفسـنا مـن الإصغاء للعدو. خراف الراعي الصالح لا تعرف صوت الغرباء (يو ١٠: ٥). وإذ وجدت الحيَّة في المرأة أُذنًا صاغية، دلفت إلى الداخل، بين قلبها والله، وهَمَسـت كأنَّها تقول: "الله لا يحبكما إذا كان قد منع عنكما شـيئًا". وبذلك زرع الشـيطـان **الكبرياء والطمع** في القلب البشري المسكين، واعدًا إياه بالقول: «تكونان كالله».

بالمُباينة مع هذا، نرى المسيح يسوع، الذي «لم يَحسِب خلسة أن يكون مُعادلاً لله، لكنَّه أخلى نفسه» (في ٢: ٦). وتجربة الربّ في البريَّة، تُرينا إياه رافضًا اقتراحات العدو نفسه، مُنتصرًا عليه عن طريق **المكتوب**.

ولقد أخطـأت حواء خطـأً ثلاثيًا في اقتباسها لأقوال الله (ع٢، ٣)

١ - قالت: «من ثمر شـجر الجنة نأكل»، مـع أن الرب قال: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً»، وبهذا فقد **اختزلت** المرأة أقوال الرب فقلّلت من جوده.

٢ - المرأة قالت: «وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة» (قارن ٢: ٩)، فلا تأكلا منه ولا تمسـاه»، وبهذا فقد **أضافت** إلى كلام الرب القول "ولا تمساه"، مصوِّرة الله بأنه قاسٍ ومستبد في أحكامه.

٣ - المرأة قالت: «لئلا تموتا»، وهنا **حوَّرت** المرأة في العقاب المؤكد الذي قاله الرب الإله «موتًا تموت».

المرأة إذًا حذفت وأضافت وغيَّرت في كلام الله. على العكس من ذلك فإن الرب يسوع تمسَّـك في التجربة بالمكتوب، وردّ على المجرِّب من المكتوب ثلاث مرات، وكأنه يقول في هذه المرات الثلاث: هذه كلمة الله فلا أضيف شيئًا عليها، ولا أحذف شيئًا منها، ولا أغيِّر شيئًا فيها.

«ثمَّ الشـهوة إذا حبلت تلد خطية» (يع ١: ١٥). ولقد خُدِع الإنسان، فإن معرفته لكل من الخير والشـر لم تُعطِـه أيّة قوة ليعمل الخير أو ليتجنب الشر. كل ما في الأمر أن الضمير أشـعره بعريه وعاره، فخجل من حاله بحسب الطبيعة. وأوراق التين التي خاطـها كل من آدم وامرأته لنفسيهما، إنما تمثل محاولات الإنسان اليائسة لعلاج وتغطية بؤسهما الأدبي، لكن بلا طـائل. قد نستطيع أن نخدع بعضنا بعضًا

بالمظــاهر الحســنة، لكن هذه لا قيمة حقيقيّة لها أمام الله، فلــم **تكن أوراق التين، ولا أشــجار الجنَّة، ولا أي اعتذارات تنفع.** فالله يعلم كل شــيء «كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب ٤: ١٣).

إذا كان الشــيطــان قد هزم الإنسان في جنّة عدن، وأسقطــه في الخطية، فلقد جاء المســيح، الإنسان الثاني، الذي أمكنه أن يهزم الشــيطــان في كل من البرية وبستان جثسيمان، ثم أشهره جهارًا، ظــافرًا به في الصليب.

ع ١١-١٩ : الحساب والعقاب

آدم ألقــى باللوم على حواء، وحواء على الحيَّة، فأضافــا الجُبن إلى الخطيَّة التي ارتكباهــا. لكن هذا لم يخدع الله الذي أصدر حُكمه مباشــرة، ومــا زلنا إلى اليوم نحمله، وهو **الموت**. وفــوق ذلك حكم على الرجل بالتعب والمشــقَّة، وعلى المرأة بالألم والوجع، وطُردا من الجنَّة التي حُرست بالكروبيم.

وبالنسبة للحيَّة ــ أي الشيطــان، ارتبط حُكم الله عليه **بالصليب**، حيث نسل المرأة ــ الربّ يســوع ــ كان سيسحق رأس الحية (الشــيطــان)، وكان هذا هو الجواب العجيب على دخول الخطيَّة إلى العالم. لم يكن ذلك مفاجأة لله، لكن حالما وُجد الشر، أعلن الله العلاج الذي سبق فأعدَّه في الأزل. لكنَّنا نعلم الكُلفة التي تكلَّفها الربّ يسوع ليوفِّر هذا العلاج. «وأنتِ تسحقين عقبه» وبعبارة أخرى: لكي يسحق المسيح رأس الحيَّة، كان عليه أن يجتاز الآلام والموت، التي اعترضت طريقه على الأرض.

ع ٢٠-٢٤ : نعمة الله وحكومته

«أجــرة الخطيَّة هي مــوت» (رو ٦: ٢٣). وكان على الإنســان أن يبدأ رحلة المعاناة في هذا العالم الــذي لُعِن بالخطية. ومع أن الرب نطق بالحكم، لكن الإيمان

بالفادي ظـــهر في آدم الذي دعا اسم زوجته "حواء"، أي "أم كل حي". والله تجاوب مع هذا الإيمان، إذ صنع لآدم وامرأته أقمصة مـــن جلد، عوض مآزر أوراق التين التي لا تســـتر. وواضح أن **أقمصة الجلد هذه عُملت مـــن ذبيحة قدّمها الرب الإله بنفســـه في الجنة، ولكنه في ملء الزمان قدّم نفســـه فوق صليـــب الجلجثة لعلاج الخطية.**

والجميل أن الله لم يطرد الإنســـان إلى خـــارج الجنة، إلا بعـــد أن أعلن له تلك الملامح المبدئية عن خلاصه بالنعمة، الأمر الذي تمّ في وقته في صليب الجلجثة.

في هذا الأصحاح نرى النهاية السريعة لتدبير البراءة في الجنة، مؤكّدًا أن أفضل الظروف لا تمنع من السقوط في الخطية.

التدابير السبعة

١ـ تدبير البراءة: وانتهى بالطرد من الجنة.

٢ـ تدبير الضمير خارج الجنة: وانتهى بالطوفان، الطرد من الأرض ومن الحياة.

٣ـ تدبير الحكومات: وانتهى ببلبلة الألسنة والتشتت في الأرض.

٤ـ تدبـــير الوعد لإبراهيم: وانتهى برقص الشـــعب الخارج مـــن مصر حول العجل الذهبي أسفل جبل سيناء.

٥ـ تدبير الناموس: وانتهى بصلب ابن الله في الجلجثة.

٦ـ تدبير نعمة الله: وســـينتهي بتقيّؤ المســـيحية المرتدة من فمه، ثم تجمع العالم كله ليحارب المسيح الخارج من السماء (رؤ ١٩).

٧ـ تدبير ملء الأزمنة، أو الملك الألفي: وسينتهي بالتمرّد الأرعن والجاهل المذكور في رؤيا ٢٠: ٧-٩.



ع١-١٦ : **قايين وهابيل**

من بداية التاريخ البشـــري ظـــهر طريقان للاقتراب إلى الله، ممثلان هنا بتقدمة كل من قايين وهابيل. قايين يمثّل أولئك الأبرار في أعين أنفسهم. ولذلك فإنه رفض مبدأ الذبيحة، وبجسارة قدَّم من ثمر تعبه؛ **ثمرًا من أرض ملعونة**. بينما هابيل يمثل أول خط الإيمـــان (ارجع إلى عبرانيين ١١: ٤)، ولقد قـــدَّم، بتواضع وبفهم، **ذبيحة** ترمز إلى ذبيحة الربّ يسوع.

قد يظن البعض أن الله بدا قاسـيًا على قايين الذي تعب أكثر من هابيل، لكن الله أعلن بكل وضوح أنه لا يقبل إلا ما يكلمه عن ابنه الحبيب.

ونحن إن كنا في تكوين ٣ نقرأ عن خطية الإنســان ضد الله، فإننا في تكوين ٤ نقرأ عن خطية الإنسان ضد أخيه الإنسان، أو في تكوين ٣ نجد الشيطـــان **الكذاب**، وفي تكوين ٤ نجد الشيطـــان **القتَّال** (قارن مع يوحنا ٨: ٤٤). ونتيجة للحسد، صار قايين قاتلاً لأخيه. «ولماذا ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة» (١يو ٣: ١٢). وعندما جاء الربّ يســـوع أخيرًا إلى الأرض، قتله اليهود حسدًا من أجل كماله، الذي أظـــهر شر أعمالهم. وما حدث لقايين من عقاب بالتيهان في الأرض، صار أيضًا من نصيب اليهود الذين قتلوا ربنا يسوع.

لقد قال قايين للرب: «ذنبي أعظم مـــن أن يُحتمل» (ع١٣). وعبارة "ذنبي" هنا تترجم أيضًا "عقوبتي". لقد اشتكى قايين من عقوبة الخطية، ولكن لم تزعجه الخطية

ذاتها. فالإنسان الشرير مشــكلته الوحيدة مع الخطية هي في القضاء الإلهي عليها، بعكس النقي الذي يحب الرب، ولذلك فإنه يُبغض الشر (مز ٩٧: ١٠).

ع١٧-٢٤: عالم قايين

بدل أن يندم قايين على جريمته، أراد أن يسرّي عن نفسه، **فبنى مدينة**، وهناك وجد كل فرد لنفسـه حِرفة اكتفى بها، ونسـوا هابيل. لكن الله لم ينـس، ولو أنه سـمح أن تمرّ عدَّة أجيال ليتضح مـا إذا كان يوجد ندم أم لا. علـى العكس لم يُرَ سـوى عُنف قايين وقسـوته، وأضيـف إليها روح التحدِّي التي وُجدت في لامـك، بالإضافة إلى الشـهوانية، فكان هو أول من أدخل تعـدد الزوجات (ع٢٣). فكان لا بد أن يأتي عليهم جميعًا الطوفان.

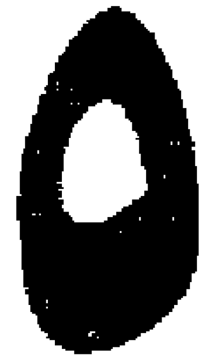
> **مدرسة الإنسان الأول ومدرسة المسيح**
>
> لامك المفتري، مؤسّس ومدير مدرسة الانتقام، كان ينتقم لنفسه لا سبعة أضعاف (كما قال الله لجده قايين – ع١٥)، بل سبعة وسبعين. على العكس منه نجد المسيح الذي قال: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)، وقد علّم أتباعه لا الانتقام بل الغفران، لا سـبع مرات، ولا سـبعة وسبعين، بل سبعة في سبعين (مت ١٨: ٢١، ٢٢).

إنَّه الشـيء ذاته اليوم مع العالم الذي صلب الربّ يسـوع. كل شيء يسير كما لو أنَّ الصليب لم يكن، والناس قد رتَّبوا أنفسهم للعيشة المُريحة على الأرض. كل شيء موجود: التجارة والفن والموسـيقى والعلم، وحتَّى الديانة، وكأنَّ لا شـيء ينقصه. لكن بالأسـف «الربّ يسوع» ليس موجودًا، «وما أحد ذكر ذلك الرجل المسكين» (جا ٩: ١٥).

ع٢٥-٢٦: شيث عِوَض هابيل

بعد هـذا الوصف المُحزن لأسـرة قايين، يُرينا الله في شـيث ونسـله، صورة "للإيمـان". بدأ الناس يدعون باسـم الربّ. وكأن الله يريـد أن يقول إن هذا الذي مات، قد قُطـع من أرض الأحياء، ووُجد نسل عوضًا عنه في عائلة شيث. ونحن لا نعلم من العالم القديم سوى هاتين العائلتين: عائلة قايين، وعائلة شيث. وهكذا اليوم لا يوجد في العالم سوى عائلتين: أولاد الله، وأولاد إبليس (١يو ٣: ١٠).

في تفسـير قايين لعقوبة الخطية قال للرب: «فيكون كل من وجدني يقتلني» (ع٤: ١). والبعض لا يستطيع أن يفهم هذه العبارة. لكننا نقول إنه من الخطـإ أن نظن أن العالم في ذلك الوقت لم يكن فيه سوى أربعة أشـخاص، وأنه بقتل قايين لهابيل يكون قد قُتل ربع سـكان الأرض. فلا يوجد سبب يدعو للاعتقاد بعدم وجود الكثيرين من بني آدم (٥: ٤)، وبني بنيهم أيضًا، وإن كان الكتاب لم يسجل شيئًا عنهم.



سلسلة أنساب شيث

رأينا في الأصحاح السابق سلسلة نسب قايين (٤: ١٧-٢٢)، وفي هذا الأصحاح نجد سلسـلة نسـب شـيث. وهذا يذكرنا بقول الكتاب: «ليس الروحاني أولاً بل الحيواني، وبعـد ذلك الروحاني» (١كو ١٥: ٤٦). هنا نجد أول سلسـلة نسـب ستقود إلى المسيا، "نسـل المرأة" المتنبأ عنه في الجنة. وفي هذه العائلة، لا ذكر لنشاط كثير مثل عائلة قايين. طبعًا كل واحد في عائلة الإيمان كان له عمله، لكن لا شـيء يُذكر عنه. إن خطوات إنسان الله على الأرض لا تكاد تترك أي أثر، وهو لا يسهم كثيرًا في تقدّم العالم، والتاريخ لا يقول عنه شيئًا ذا بال؛ فهو يولد، ويعيش،

ويصير له أولاد، ويموت. نعم، الموت نتيجة الخطيَّة. والخُلاصة القصيرة للحياة الطويلة لكل من هؤلاء الآباء، تنتهي حتمًا بهذه الكلمة "ومات". الشيطــان الكذّاب كان قد قال: «لن تموتا» (٣: ٤) لكن الله قال: «وإلى تراب تعود» (٣: ١٩). وهذا الأصحاح يُعطــي تأكيدًا خطيرًا لهذا. وبنعمة الله نعرف أنَّ الربّ يسوع نزل إلى "تراب الموت" (مز ٢٢: ١٥)، ليعطــي قيامة وحياة لكل الذين ماتوا في الإيمان.

ولقد كان قصد الله من الأعمار الطويلة، أن يدعّم الشــهادة الشفوية التي تنتقل من الســلف إلى الخلف، لتكون في أضيق الحدود. حتى إنه من آدم إلى موســى، وهي فترة تربو على ٢٥٠٠ سنة، يمكن أن تغطيها خمسة أجيال فقط.

خمسة أجيال

من آدم رأس البشرية، إلى موسى أول من كتب للبشر وحي الله

متوشالح عاصر آدم لمدة ١٤٣ سنة؛ وسام عاصر متوشالح ٩٨ سنة؛ وإسحاق عاصر سام ٥٠ سنة؛ ولاوي عاصر إسحاق ٣٤ سنة؛ ولاوي هو جد موسى مباشرة!

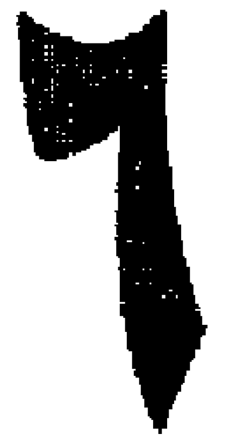
في هذا الأصحاح يوجد اســتثناء غريب لناموس الموت العام، هو "أخنوخ". عاش أخنوخ ٦٥ سنة، وسار مع الله ٣٠٠ سنة، **والله أخذه**. ولم يُذكر أي تفصيل عن سيره مع الله، أو انتقاله، الذي كان بمثابة الخطوة الأخيرة لهذه الرحلة الممتعة مع الله.

عزيزي: هل تعرف ماذا يعني السير مع الله حتَّى ليوم واحد من سنة واحدة؟

بســير أخنوخ **بالإيمان**، وُضع في قائمة الشــهود اللاَّمعين في عبرانيين ١١: ٥، ونظيرهم، رأى المستقبل المجيد؛ ما وراء الأشياء الحاضرة، ورأى الربّ آتيًا ليملك «مع ربوات قدِّيســيه» (يهوذا ١٤). هذه الرؤية حفظته منفصــلاً عن أولئك الذين

كانوا على وشك أن تقع عليهم الدينونة. **فما أبعد الفارق بين أخنوخ السابع من آدم عن طريق شيث، ولامك الســابع من آدم عن طريق قايين، الذي تميَّز بالشهوانية والافتراء (٤: ١٩-٢٤)!** ونظير أخنوخ، فإنَّ كل المؤمنين الأحياء على الأرض سيُختطفون دون أن يروا الموت، لأنَّ الربّ يســوع آتٍ سريعًا لأجل قدِّيسيه. فهل ستُخطف لمُلاقاته؟ وهل أنت مُنتظر مجيئه؟

كما خُتمت سلســلة قايين بلامك وبنيه الثلاثة، تُختم سلسلة شيث بنوح وبنيه الثلاثة. وكم هو جميــل أن يُختم هذا الفصل بذكر نــوح الذي معنى اســمه "تعزية وراحة". وجميل أن نــرى الله لا يُنزل دينونته علــى العالم، بدون أن يُعطـــي أولاً مواعيده بالتعزية والراحة.



ع١-١٢: القضاء والنعمة

كثر الناس† على الأرض، وفي الوقت نفســه **كثر الشــر**. وكانت صفتا الشر: **الفســاد والظلم** (ع١١)، وهما نتيجة قلب شــرير. هل الإنسان اليوم أفضل؟ يكفي أن تفتح أيَّة جريدة لتجد أنَّ الإنســان لم يتغيَّر. وكلمة الله تُعلن أن الناس الأشــرار ســيتقدمون إلى أردأ (٢تي ٣: ١٣). لذلك فكم من قادة عسكريين ضُبطوا متلبسين بالنجاســة، وقادة سياسيين بالفســاد، وأبطــال رياضيين بالقســوة والإجرام. والله لا ينظر إلى إنجازات الإنســان، بل إلى قلبه (١صم ١٦:٧). وتقرير الله عن القلب هو تقرير مفزع (ع٥)، ليس فقط قبل الطوفان، بل على مدى التاريخ البشــري كله (إر ١٧: ٩؛ مر ٧: ٢١-٢٣).

«فحزن الربّ أنّه عمل الإنسان.. وتأسف في قلبه». ربّما هذه الكلمات تُحيِّرك لأنّها قد لا تتّفق مع كون الله لا يُخطئ، لكن رداءة الإنسان تضطرّه لتغيير التدبير، كالوالدين اللذين، بسبب عصيان الابن، يتوقفان عن معاملته بالطريقة التي كانا يعاملانه بها قبلاً. لذلك قرَّر الله أن يمحو الإنسان عن وجه الأرض ما عدا نوح، الرجل الوحيد في جيله الذي سار مع الله. ويمكن القول إن نوحًا، بخلاف إيليا، كان يمكنه أن يقول بحق: «وبقيت أنا وحدي» (١مل ١٩: ١٠)، فلم يكن في زمانه سبعة آلاف من الأتقياء المختبئين، كما كان الأمر أيام إيليا.

بنو الله من هم؟

يرى البعض أن "أبناء الله" (ع٢) هم نسل شيث، النسل التقي الذي ظهر في ص٥، بينما "بنات الناس" هن نسل قايين الشرير الذي ظهر في ص٤، وأنه نتيجة هذا الخلط، نتج نسل شرير، فأراد الله لذلك محو الجنس البشري. بينما البعض الآخر – ومن بينهم كاتب هذه السطور – يعتقدون أن أبناء الله هم الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم (أو حالتهم الأولى)، بل تركوا مسكنهم (أي هجروا السماء نهائيًا) (راجع يهوذا ٦؛ ٢بطرس ٢: ٤)، ومن هذا التزاوج الآثم نتج نسل غريب، هم العمالقة والطغاة، وأراد الله إبادة كل حياة على الأرض، نتيجة هذه الغزوة السماوية للملائكة في عالم البشر.

ولقد سبق أن ذكر الوحي أيضًا عن أخنوخ أنه سار مع الله. وهذان الشخصان فقط (أخنوخ ونوح) في كل العهد القديم، هما اللذان قيل عنهما هذا. ونلاحظ أن الأول تنبأ (يه١٤)، والآخر كرز (١بط ٣: ١٩؛ ٢بط ٢: ٥). الأول توعّد الأشرار، والثاني كرز لهم. الأول قال ما قال ليشجع الأبرار، والثاني ليحذر الأشرار.

ومع أنَّ نوحًا كان رجلاً بارًا وكاملاً بالمقارنة بالناس في وقته (ع٩)، لكن لم يكن

يقدر أن يخلص من الدينونة باستحقاقه، بل بالنعمة وحدها (ع٨). وهنا نجد أول ذكر لهذه الكلمة الشجية "النعمة"، والتي سنتقابل معها كثيرًا على صفحات الوحي. وحسن أن يرتبط أول ذكر لكلمة "النعمة" مع الشخص الذي ارتبط به أول ذكر لكلمة "الخلاص" (عب ١١: ٧). والواقع أنه لولا النعمة لما خلص أحد على الإطلاق (أف ٢: ٨).

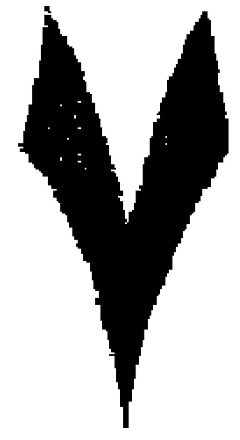
ع١٣-٢٢ : **فلك الخلاص**

أتى الوقت الذي فيه يُعلن الله أفكاره لنوح، ويُعطيه تعليماته. من السهل أن تكون مفهومًا لشخص سائر معك. ولقد استجاب نوح **بالإيمان** لهذه التعليمات المُعطاة له من الله. «بالإيمان نوح لما أُوحيَ إليه عن أمور لم تُرَ بعد، خاف فبنى فُلكًا لخلاص بيته» (عب ١١: ٧). لم يكن لديه سوى كلمة الله، تُخطره بقرب وقوع الدينونة. وكانت "**الكلمة**" كافية له، فبنى نوح الفُلك، وبه «دان العالم» (عب ١١: ٧). كل ضربة من مطرقته وهو يبني الفلك، كانت تُعلن أنَّ الدينونة تقترب. «وكانت أناة الله تنتظر» (١بط ٣: ٢٠)، إذ كان الفلك يُبنى "شيئًا فشيئًا". لكن كم شخص استفاد من أناة الله؟ لا أحد. بل كان جواب الناس على تحذيرات "كارز البر" هو اللامبالاة والاستهزاء. يوجد الآن في هذه الأيام **مُستهزئون**، لا يؤمنون بمجيء الربّ الثاني، ولا بالدينونة الآتية (انظر ٢بط ٢: ٥؛ ٣: ٣ - ٥). إنهم

> **أبعاد الفلك**
>
> **نسبة طول الفلك إلى عرضه هو نسبة ٦: ١. ولقد قال أحد خبراء بناء السفن من كوبنهاجن: إن الأمر اللافت للنظر، أنه بعد آلاف السنين من الخبرة في بناء السفن، علينا أن نعترف أن النسبة المثالية لسفينة كبيرة هي نفس نسب فلك نوح في تكوين ٦. كما قال العالم المسيحي "هنري موريس": إن الفلك بأبعاده الواردة في سفر التكوين لا يمكن أن ينقلب، إلا إذا وقف رأسيًا.**

يجهلون بإرادتهم ما يقوله الربّ عن الطوفان، ويعتبرون هذا الحادث أسطورة.

† أعطت بعض الموسوعات تقديرًا تقريبيًا لعدد البشر في السنة ١٦٥٦ من آدم، وهي سنة الطوفان، على اعتبار أن البشر كان لديهم قدرة على الإنجاب طوال فترة ٢٠٠ سنة فقط من حياتهم التي كانت تصل إلى قرابة ألف عام، وعلى اعتبار أن الشخص كان ينجب ولدًا واحدًا كل أربع سنين، وأن نصف المواليد كانت تموت في الطفولة، فوجد أن التعداد يصل إلى حوالي ٨٠٠ مليون.



الطوفان، وهلاك كل ذي جسد

خُتم الفصل السابق بأن نوحًا أطاع، ليس فقط بأن بنى الفلك، بل بأن بناه حسب كل ما أمره به الله (٦: ٢٢). وهنا نجده يطيع في الدخول إلى الفُلك فور أن أعطى الله الأمر (ع٥). **إنَّه في طاعة الله يكمن سرّ أماننا.** ونوح رجل الإيمان، اختبر ما سجّله داود في المزمور «عند غمارة المياه الكثيرة، إياه لا تصيب» (مز ٣٢: ٦).

وعدد١٦ يذكِّرنا بباب آخر هو باب النعمة، وهو ما زال إلى اليوم مفتوحًا. لكن تُرى إلى كم من الزمن سيظل مفتوحًا؟ نقرأ في متَّى ٢٥: ١٠ **«وأُغلق الباب»**. أخي العزيز، عندما يُغلق الباب، فعلى أي جانبيه سوف تكون؟ هل في الداخل مع العريس السماوي، أم في الخارج ضمن الذين سيقرعون، فيأتيهم جواب الربّ: «لا أعرفكم من أين أنتم؟» (لو ١٣: ٢٧). ودعنا نلاحظ أن الربّ نفسه هو الذي أغلق الباب على نوح ومَنْ معه. والرب يغلق ولا أحد يفتح (رؤ ٣: ٧). وهذا يعني الأمان لنوح ولكل من معه في داخل الفلك، كما يعني الهلاك وضياع الرجاء لكل من هم خارج الفلك.

ومن الجانب النبوي يمثّل نوح البقية التقية من الشعب الأرضي، الذين بعد اختطاف

الكنيسة (الممثلة في أخنوخ)، ســيعبرون بأمان خلال الضيقة العظيمة الآتية على العالم كله لتجرّب الساكنين على الأرض، تمهيدًا لتأسيس عالم جديد تحت مُلك المسيا.

أخيرًا وصل صبر الله إلى نهايته، وأمواج الدينونة المرعبة نزلت على الأرض. لم يكن يُنبئ عن الدينونة ســوى الفُلك الذي بُنيَ. كل شيء كان يسير إلى الأحسن. كان العالم مستمرًا في مجراه الطبيعي الســعيد، فكانوا يأكلون ويشربون، يزوّجون ويتزوّجون، ولم يعلموا حتّى جاء الطوفان وأخذ الجميع (مت ٢٤: ٣٧ - ٣٩). يا له من مصير مرعب لأولئك الذين أعطوا آذانًا صماء لإنذارات النعمة!

والــكارز الحقيقي بالخلاص العظيم هو الروح القــدس، وهو خلاص ابتدأ الرب بالتكلم به، «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره؟» (عب ٢: ٣). والواقع إننا لن نأخذ مكاننا في فلك الخلاص، بل في المسيح شخصيًا الذي تحمل بالنيابة عنا كل تيارات الله ولججه التي طمت عليه وهو في الجلجثة (مز ٤٢: ٧).

وفي وســط هذا الطوفان الذي لم يحدث مثله، كان نوح وعائلته في أمان تام في حفظ الله نفسه. فكان يستحيل على الفلك أن يغرق، وهكذا يستحيل على كل من هو في المسيح أن يهلك.

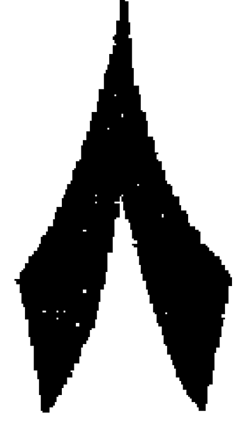
لم يكن الطوفان فيضانًا محليًا، بل كان طوفانًا عالميًا

١ـ لأن الله أمر بإدخال عددًا من كل الحيوانات إلى الفلك. وكان بوسعه، لو كان هذا الطوفان محليًا فقط، أن يجعل ولو بعضهم يتجهون إلى حيث لا يوجد طوفان لحفظ نوعهم من الانقراض.

٢ـ لأن كلمات الوحي تقول صراحة إن جميع الجبال الشامخة تغطّت (٧: ١٩).

٣ـ الله وعد ألا يأتي بطوفان آخر (٩: ١١)، رغم حدوث طوفانات محلية عديدة.

٤ـ لأن بطــرس اتخذ من هلاك العالم بطوفان الماء تصويرًا لما ســيحدث في النهاية من هلاك العالم بالنار (٢بط ٣: ٦).



ع١-١٤ : **توقف المياه واستقرار الفلك**

بدون بوصلة ولا أدوات ملاحية، فإن الفلك الذي كان الرب بنفسه ربانه، استقر على قمة جبالٍ أرارط. كان يبدو أنَّه في إمكان نوح أن يخرج من الفلك، لكنَّه انتظر. لقد كانت سمة العالم القديم هي العصيان (١بط ٣: ٢٠)، أما نوح ففعل كما أمرة الله. كان نوح قد دخل الفلك بأمر من الله، فلم يشأ أن يخرج منه إلاَّ بأمر الله، وانتظر ذلك بصبر.

والحمامة التي لم تجد مقرًّا لرجلها في أي مكان، ورجعت إلى الفلك، نرى فيها رمزًا للروح القدس؛ الذي لم يكن له مكان في عالم فاسد صدر حكم الله عليه. لكن عندما جاء الربّ يسوع، أمكن أخيرًا أن يستقر عليه الروح القدس بهيئة حمامة (مت ٣: ١٦). والمؤمن اليوم، إذ له الروح القدس، لا يجد في هذا العالم غذاءً أو شيئًا يُشبع القلب. ولكن الإنسان الطبيعي يجد راحته فيه؛ مثل الغراب، الطائر النجس بحسب لاويين ١١: ١٥، الذي يتغذَّى على الأشياء العفنة فيه.

ع١٥-٢٢ : **خروج نوح من الفلك**

أخيرًا خرج نوح من الفلك بأمر الله. وأول شيء عمله، هو أن بني مذبحًا، **وقدَّم ذبيحة**، لأنَّ الله له الحق الأوَّل على تلك الأرض المُطهَّرة من أدناسها. ولقد تمجّد الله في القضاء (دينونة الطوفان)، ولكنه تنسم رائحة الرضا في المحرقة (ع٢١)، وعلى أساسها نسمع «لا أعود ألعن»، وأيضًا «بارك الله» (٩: ١).

ليتنا نحن أيضًا نتمثل بنوح! ألم نختبر في حياتنا خلاصًا، كبيرًا أو صغيرًا؟ دعنا لا ننسى أن نقدّم الشكر لله، ولا سيما على الخلاص العظيم الذي نتمتع به (عب ٢: ٣).

أول مبنى في العالم الحاضر!

بينما قايين، بمجرد أن خرج من محضر الرب، بنى مدينة، فإن نوحًا بمجرد أن خرج من الفلك إلى الأرض المطهّرة، فقد بنى مذبحًا. هذا هو أول مبنى في هذا العالم الحاضر، وهنا نجد أول ذكر لكلمة "مذبح" في الكتاب المقدس. لكن بالأسف سرعان ما انحرف الإنسان عن بساطة الإيمان، وبنى برجًا (١١: ٤)! في المذبح نجد العبادة لله، وفي البرج - حيث بذرة العبادة الوثنية - نجد العبادة للشياطين!!

٩

ع ١ - ٧ : بركة جديدة وتدبير جديد

قرَّر الله أنَّ قلب الإنسان شرير منذ حداثته (٨: ٢١). آثار الخطيَّة في الأرض قد أُزيلت واكتسحتها مياه الطوفان، لكن **منبع الشر** ما زال موجودًا في القلب البشري، الذي كل مياه الطوفان لم تقدر أن تطهِّره.

أمكن لله أن يبارك نوحًا وعائلته على أساس الذبيحة التي قُدمت، والتي تُشير إلى ذبيحة الربّ يسوع. كما أن الرب أعطاهم تدبيرًا جديدًا، هو تدبير الحكومات على الأرض (انظر صفحة ٢٨ عن التدابير السبعة).

كيف تجاوب نسل نوح مع هذا الصلاح الإلهي؟ بنفس الطريقة مثل قايين

في أصحاح٤، بسفك الدم! سبق أن أنبأ الله بذلك، وعرف أن الظلم سيعود إلى الظهور، وسيوجد مجرمون وستُسفك دماء. نعم، ودم ابن الله نفسه كان سيُسفك، وهذا هو الدم الذي وحده يقدر أن يطهِّر من كل خطية (١يو ١: ٧).

أُعطيت الأرض للإنسان الذي حكمها منذ ذلك الوقت بقسوة، وتحت نيره «كل الخليقة تئن وتتمخض معًا إلى الآن» (رو ٨: ٢٢).

ع٨ـ١٧ : العهد مع نوح وعلامته

كعلامة لعهد الله مع نوح، أعطى الله قوس قزح. وأنت تراه عندما تمطر الدنيا، وهو علامة لرحمته ومُذكِّر لوعده أن لا يكون طوفان مرَّة أخرى (ع١٥). والمعنى الروحي لذلك بالنسبة لنا، أنه عندما تهب أعاصير الحياة، وتظلم السماء بالسحب السوداء، يمكننا أن نرفع عيوننا نحو السماء ونتذكر الله الصادق في مواعيده. إن وجود المسيح الآن عن يمين الله في الأعالي، لهو أعظم جدًا بالنسبة لنا من قوس القزح في السماء. وهو يؤكد لنا أنه قد عبرت عنا دينونة أكثر رُعبًا.

العهود السبعة في الكتاب المقدس

في هذا الأصحاح ترد لأول مرة كلمة "ميثاق" وترد سبع مرات. وهناك سبعة عهود في الكتاب المقدس كالآتي:

١ـ العهد مع آدم (هو ٦: ٧).

٢ـ العهد مع نوح (تك٩).

٣ـ العهد مع أبرام (تك١٥؛ ١٧).

٤ـ العهد مع إسرائيل، وهو المسمَّى أيضًا بالعهد القديم (إر٣١).

٥ـ العهد مع فينحاس (عد٢٥).

٦ـ العهد مع داود (٢صم٧؛ مز٨٩).

٧ـ العهد الجديد، أو العهد الأبدي (إر٣١؛ عب٨).

ع١٨-٢٩ : خطية نوح، ودخول اللعنة مجددًا

نرى هنا حادثة مُحزنة، تُثبت لنا أنَّ أعجب الاختبارات لقدرة الله ومحبته، لا تجعل الإنسان أفضل (٨: ٢١). ومع أن نوحًا أُقيم من الله باعتباره أول حاكم على الأرض، ولكنه لم يستطع أن يحكم نفسه، فنقرأ أنه سَكر، ولم يعلم ماذا كان يفعل.

أول إشارة إلى الخمر

ترد هنا أول إشارة إلى الخمر في الكتاب المقدس، ولقد ارتبطت بالسكر والعري وفقد الوعي والكرامة. ويمتلئ سفر الأمثال (سفر الحكمة الإلهية) بالحديث عن خطر الخمر ومضار المسكر (أم ٢٠: ١؛ ٢٣: ٢٠،٢١،٢٩-٣٥؛ ٣١: ٤-٦).

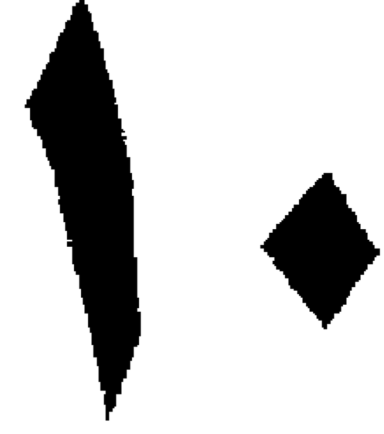
"حام" ابن نوح، صاحب العين المستهزئة بأبيها (أم ٣٠: ١٧)، وجد استمتاعًا بمشاهدة خزي الخطية، كما يفعل العالم اليوم، فجلب اللعنة على ذريته. كثيرون يضحكون على السكارى، بدلاً من الشعور بالحزن لأجلهم. أمَّا سام ويافث، فقد أكرما أباهما، فنالا البركة من الرب (أف ٦: ٢،٣).

سام وحام ويافث (ع١٨)

هؤلاء الثلاثة يمثّلون كل الجنس البشري اليوم. وفي العهد الجديد نرى كيف وصلت النعمة إلى نسل حام (أع٨)؛ ونسل سام (أع٩)؛ ونسل يافث (أع١٠).

تُرى هل نحن نستر كثرة من الخطايا، أم أننا نردد شرور الآخرين وفضائحهم (أم ١٠: ١٢؛ ١٧: ٩)؟ تذكَّر أن يوسف لم يذكر في مسامع الآخرين ما فعله إخوته به.

نقرأ أن نوحًا قال: «ملعون كنعان». لم يلعن حامًا لأن الله كان قد سبق وباركه (ع١). لكن اللعنة وصلت إلى كنعان الذي كان شريكًا في خطية أبيه، كما نستنتج من ع٢٢، وكما ظهر بعد ذلك في الذرية الشريرة الذين تميَّزوا بهذا النوع من الفجور (لا١٨؛ ٢٠).



تفرّق الشعوب

يرينا هذا الأصحاح تفرّق شـعوب العالم من بني نوح الثلاثة، سام وحام ويافث (ارجع إلى تثنية ٣٢: ٨). ويؤكّد أن الشعوب تفرّقت كل شعب كلسانه (ع٥، ٢٠، ٣١)، مما يدلّ على أن هذا الفصل تاريخيًا يأتي بعد ص١١، أصحاح بلبلة الألسنة.

إنَّه أقدم صفحة في تاريخ شـعوب العالم، وفيه نقرأ عن بداية مملكة بابل ومملكة أشـور المعاديتين لله. **وفي نمرود** (ومعنى اسـمه متمرد)، الأمـر الذي تأكد من تصرفاته وأفعاله (ع٨ -١٣)، نرى الإنسـان الذي يغزو الأرض لنفسـه، ويسـبِّب الخوف والفزع، ليمكنه أن يملك عليها.

ونحن في الأصحاحات ٩؛١٠؛١١ نرى الفشـل الثلاثي بعد الطوفان؛ وبالأسف كانت **بداية الفشل في رجل الله نوح في أصحاح٩. أما في أصحاح ١٠ فنجد تطور الشر في نمرود الشرير، وأخيرًا قمة الشـر نجدها في بابل في أصحاح١١.** نوح أساء اسـتخدام البركات لضرره، ونمرود أساء اسـتخدام الإمكانيات لضرر الغير. الأول سَـكَر، والثاني أخذ يضرب العبيد رفقاءه (مـت ٢٤: ٤٩)، أما ثالثة الأثافي فنجدها في بابل الذي هو نظـام مرتد معادٍ لله.

لقد سُرّ الله أن يربط نفسه بـ"سام" (٩: ٢٦). **وما أشد المباينة بين "حام أبو كنعان" (٩: ٢٢) و "سـام أبو كل بني عابر"** (ع٢١)؛ الأول جلـب اللعنة على ذريته، والثاني جلب البركة على إلهه. في الأول نجد التاجر الفاجر، وفي الثاني نجد الغريب العابر.

(ع٣٢) «هؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأممهم». نسل يافث (١٤ شخصًا)، ثم نسل حام (٣٠ شخصًا) *وأخيرًا* نسل سام (٢٦ شخصًا). المجموع ٧٠ شخصًا. وعندما نقارن ما ورد في تكوين ٤٦: ٢٧ ونعرف أن بني إسرائيل الذين نزلوا إلى أرض مصر كانوا ٧٠ شخصًا، فإن هذا يلقى ضوءًا على ما قاله الرب في تثنية ٣٢: ٨ «حين قسم *العلي* للأمم (في تكوين ١٠)، حين فرق بني آدم (كما سنرى في تكوين ١١)، نصب تخومًا لشعوب حسب **عدد بني إسرائيل**».



١١

ع١ـ٩ : برج بابل وبلبلة الألسنة

تُذكَر بابل لأوّل مرة في أصحاح ١٠: ١٠ كبداية مملكة نمرود. ثم في باقي الكتاب المقدس نجدها صورة للعالم في شهوته وكبريائه، الذي يتظاهر بالاكتفاء الذاتي بدون الله.

بنى نوح فُلكًا في طريق "الطاعة"، وبنى نسله بُرجًا ليتحدُّوا الله، الذي كان قد طلب مُجددًا من نوح ونسله أن يملأوا الأرض (٩: ١)، وأما هم فقد أرادوا بناء مدينة وبرج، لئلا يتبددوا على وجه كل الأرض! **لكن الذين لم ينتشروا في الأرض تتميمًا لأمر الرب وبركته (٩: ١)، تبدّدوا عليها قضاءً من الرب عليهم.**

ونحن في هذا نرى روح العالم اليوم، الذي يقول: "الاتحاد قوة". حتى في العالم الديني، يسير العالم بكل سرعة نحو الاتحاد، الذي سينتهي ببابل الزانية العظيمة، الوارد ذكرها في سفر الرؤيا ١٧؛ ١٨.

والقصد الحقيقي وراء هذا: "نبني لأنفسنا اسمًا". فالإنسان يسعى لتعظيم الذات. لكن في مواجهة هذا التحدِّي المُضحك، نستمع إلى كلمات الوحي عن تحدٍ آخر في مناسبة أخرى: «الجالس في السماوات يضحك. الربّ يستهزئ بهم» (مز ٢: ٤ قارن مع إشعياء ٨: ٩).

هذا الأصحاح الذي نقرأ فيه لأول مرة عن الألسنة (أي اللغات)، يُذكّرنا بفصلين آخرين هما أعمال ٢؛ رؤيا ٥. ففي مقابلة مع كبرياء بابل وتحديها لله، نقرأ عن كنيسة الله في العهد الجديد، التي تأسست على المسيح المتضع، المتألم، المُقام من الأموات، والتي كوَّنها روح الله النازل من السماء (اتي ٣: ١٥؛ مت ١٦: ١٨). عندما تكوّنت هذه الكنيسة يوم الخمسين، فإننا نقرأ

برج بابل، وبداية الوثنية

تقول الميثولوجيا القديمة إن نمرود مؤسس مملكة بابل، الذي كان جبار صيد (ضد) الرب (تك ١٠: ٨)، وزوجته الشريرة سميراميس، هما أول من أسس الديانة الوثنية، وممارسة السحر. وأن رغبتهم في بناء البرج كان لاستخدامه في الاتصال بالأرواح الشريرة. فليس سماء الطيور هي التي أرادوا الوصول إليها، ولا إلى سماء السماوات، بل كان قصدهم عبادة النجوم (قارن مع إشعياء ٤٧: ١٢، ١٣). كأننا في تكوين ٦ نجد عالم الأرواح وصل إلى الأرض، وأراد أن يفسد حياة البشر؛ وفي تكوين ١١ البشر هم الذين أرادوا الاتصال بعالم الأرواح وعبادة الشياطين. ويا لها من دلالة، أنه عندما كان الإنسان هو الضحية، فإن الله تدخّل فورًا لكي يحفظ حياة الإنسان من التلوث، وقرّر إبادة كل البشر، باستثناء نوح وعائلته. ولكن في تكوين ١١ عندما اختار الإنسان بمحض إرادته أن يعبد الأرواح الشريرة (العبادة الوثنية)، فإن الرب صبر عليه، معطيًا إياه فرصة للتوبة والرجوع، حيث إنه «ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم، مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد» (أع ١٤: ١٦، ١٧).

أن الألســنة أُعطيت لمن حصلوا على عطية الروح القدس، حتى يسمع جميع الأمم الذين فرقتهم خطية بابل، "عظــائم الله" بلغتهم (أع٢). ثم في رؤيا ٥ نجد المفديين في الســماء يحيطون بالخروف المذبوح، من كل قبيلة ولســان وشــعب وأمة، وهم يردّدون سُبح الحمل الذي ذُبح واشتراهم.

ع ١ - ٣٢: مواليد سام وتارح ودعوة أبرام

إبراهيم

إبراهيم هو العاشر من نوح، كما كان نوح هو العاشر من آدم.

في آدم نرى بداية الجنس البشري، وفي نــوح نـرى بدايــة الأمم، وفي إبراهيم نرى بداية الأمة.

ورد اســم إبراهيم في ٢٧ سفرًا من أســفار الكتاب المقدس: ١٦ في العهــد القديم + ١١ في العهد الجديد.

قيــل إن اســم إبراهيــم ورد في الوحي ٣٠٨ مرة أي ٤٤ × ٧.

إن ســر اهتمام الوحي بسلسلة سام، أنه هو الجد الأكبــر لإبراهيم، والذي منه، حسب الجسد، أتى المسيح مخلص العالم (قارن لوقا ٣: ٣٦).

ملأ الشــرّ الأرض مرَّة أخرى. ومن يشــوع ٢٤: ٢ نتعلَّم أنَّ النــاس أصبحوا عَبَدة أوثان. لم يتعلَّموا من الطوفان شيئًا. والله ترك الأمم يســلكون في طريقهم الذي اختاروه لأنفسهم، لكنه دعا إنسانًا، "أبرام"، أن يخــرج من أرضــه ومن عشــيرته. ويُحتمل أنَّه تــرك حياة مُريحــة في أور الكلدانيين، وذهــب دون أن يعلم أين يريد الله أن يقــوده. **إذًا فإن كان هذا الأصحاح يُفتتح برغبة أشــخاص أن يبنــوا مدينة عظيمة، فإنه يُختم بإنســان ترك تلك المدينة وأعطــاها ظــهره. يُفتتح بمســلك "الساكنين على الأرض"، ويُختم بتصرف العابرين الغرباء (في٣).**

١٢

ع١ـ٨ : طاعة أبرام وخروجه

«بالإيمـان إبراهيم لمـا دُعيَ أطـاع» (عـب ١١: ٨). وكان أمـر الرب له مصحوبًا بوعد بركة سـباعي (ع٢، ٣). وكان هذا كافيًا بالنسبة لأبرام. يا له من مثال! ونحن نعلم أن الطـاعة شـيء غريب على طبيعتنا، حتى عندما نعرف سببًا قويًا لهـذه الطـاعة، فكم بالحري كانت طـاعة أبرام الـذي لم يكن يعرف، والذي خرج دون أن يعلم إلى أين هـو ذاهب. هذه هي طـاعة الإيمان حقًا، أي أن تكون واثقًا تمامًا في الشخص الذي أعطـاك الأمر.

إبراهيم أبو المؤمنين

تنقسم حياة إبراهيم إلى ثلاثة أقسام، تفصل بينها عبارة "بعد هذه الأمور"، كالآتي:

- القسم الأول (ص١١ـ١٤): الدعوة والإيمان — خرج وهو لا يعلم إلى "أين".
- القسم الثاني (ص١٥ـ٢١): الوعد والرجاء — آمن وهو لا يعلم "كيف".
- القسم الثالث (ص٢٢ـ٢٥): التجربة والمحبة — قدّم ابنه وهو لا يعلم "لماذا".

إبراهيم، فـي كل الكتاب، يعطينا **المثال للإيمان**. والـذي ميَّز إيمانه هو التخلي عن الأشياء التي تُرى، من أجل غرض لا يُرى. وفي مباينة مع الذين اهتموا ببناء المدن الأرضية (قايين، ونمرود، وغيرهما). كان نـظر أبرام مرفوعًا إلى المدينة

السـماوية، التي صانعها وباريها الله (عب ١١: ١٠)، وهذا الانتظـار مكّنه من أن يعيش غريبًا ونزيلاً، ولذلك نـراه دائمًا باعتباره رجل الخيمة والمذبح (ع٨)، اللذين شهدا عن طـابعه المزدوج باعتباره الغريب الساجد. غريب في العالم، وعابد للإله الحقيقي. وهو الطـابع الذي يميِّز رجال الإيمان في كل مكان وزمان.

ع٩ ـ ٢٠ : المجاعة وانحدار أبرام إلى مصر.

حدث جوع فـي الأرض، وبدون أن ينتـظر أبرام التعليمـات الإلهيَّة، **نزل إلى مصر**. لقد قال الرب له: «لنسـلك أعطـي هذه الأرض» (ع٧). لو تمسك بالجزء الأخير من هذه العبارة لما ترك "هذه الأرض" إلى غيرها، ولو تمسك بالجزء الأول منها، لما خاف أن يقتله فرعون ويستحيي سارة.

انظر إلى أين قاده عدم الاتّكال على الله: لقد أنكر زوجته، وبكذبه وضع نفسـه في أخطر وأعقد وضع. فهو بقوله عن سـارة إنها أخته، أصبـح عاجزًا عن أن يفعل أو يقول أي شيء. ولكن الرب لم يتخلَّ عنه. وتحقق أبرام مما نتحققه نحن جميعًا مرات كثيرة: «إن كنا غير أمناء، فهو يبقى أمينًا لن يقدر أن يُنكر نفسه» (٢تي ٢: ١٣).

ونحن من هـذه الصفحة المُحزنة في تاريخه، نتعلَّم ما يمكن أن يفعله أعظم مؤمن تقي، عندما يترك المـكان الذي وضعه الله فيه. قد يذهب إلـى حد أن يُنكر علاقته بالربّ، كما حدث مع بطرس عندما جلس بين الخدم يستدفئ (مت ٢٦: ٦٩).

وهذا الوضع الخطـأ الذي أخذه أبرام، هل كان يمكن أن ينتج منه بركة بالنسـبة للمصريين؟ العكس هو الصحيح؛ فسـاراي في قصر فرعون تسـبّبت في ضربات عظيمة على مـن في القصر. وانتهت بـأن قال فرعون لأبـرام: «هوذا امرأتك، خذها واذهـب» (ع١٩). لكن بطريقة تختلف تمامًا عن الكلمـة التي يفتتح بها هذا الأصحاح، والتي قالها الرب لأبرام: "اذهب" (ع١).

وكما ضرب الرب فرعون هنا ليُجبره علــى أن يُطْلِق زوجة أبرام، فإنه ضرب فرعون آخر وكل مملكته ليطلق نسل أبرام (خروج ٧-١٤)!

١٣

رجع أبرام إلى كنعــان، إلى النقطــة ذاتها التي خرج منهــا، إلى مكان المذبح. بعبارة أخرى استرد أبرام شركته مع إلهه، التي ما كان بقادر أن يتمتع بها وهو في مصر (قارن مع رؤيا ٢: ٤، ٥).

ع٥-١٣ : المخاصمة، والانفصال بين أبرام ولوط

الوقت الذي قضاه أبرام في مصر، كان وقتًا ضائعًــا، والغنى الذي حصل عليه هناك، كان مصدر تعب له. كان هذا الغنى سببًا في اعتزاله عن لوط. لا يجوز أن تحدث مُخاصمة بين الإخوة في حضور سُكَّان الأرض (ع٧)، فهذا يمثل إهانة شديدة لله، كما ويمثل ضررًا بالغًا للشهادة (١كو ٦: ٦؛ يو ١٣: ٣٥).

> **فكرة:**
> أكان يمكن أن خليل الله يسير في توافق مع لوط صديق ومحب العالم؟

ترك أبرام للــوط اختيار المكان الذي يذهب إليــه، وأظــهر بعمله هذا روح الوداعة وإنــكار الذات. لنتذكَّر هذا المثال عندما نجرَّب بأننا يجب أن ندافــع عن حقوقنا. اختار لوط ما جذب قلبه العالمي لمسرَّة نفسه. فلقد ذكَّرته كل دائرة الأردن بأرض مصر (ع١٠)، بينما تــرك أبرام لله أن يختار له (مــز ٤٧: ٤). والله لا يخيِّب قط الذين

يتقون فيه «عليك اتَّكل آباؤنا ... فلم يخزوا» (مز ٢٢: ٤، ٥).

ثلاث نظرات إلى سدوم*

لوط رفع عينيه إلى سدوم	(١٠:١٣)	الخطية مشتهاه
ضيوف السماء يتطلعون نحو سدوم	(١٦:١٨)	الخطية في نظر الله
إبراهيم يتطلع نحو سدوم	(٢٨:١٩)	الخطية مدانة

*يقال إن سدوم معناها احتراق!

ع١٤-١٨: تأكيد الوعد لأبرام

بعد اعتزال لوط عن أبرام أكَّد الرب له امتلاكه لأرض الموعد. وما أبعد الفارق بين لوط الذي "رفع عينيه" (ع١٠)، وأبرام الذي قال الله له: «ارفع عينيك وانظر» (ع١٤)، ثم «قُم امشِ في الأرض، طولها وعرضها، لأني لك أعطيها» (ع١٧). وكنعان لنا، هي رمز للسماء التي يجب أن نرفع عيوننا إليها، حيث يدعونا الله لأن نكتشفها بالإيمان. وبالمثل يدعونا الرسول بولس أن نفعل الشيء نفسه مع ميراثنا السماوي وبركاتنا الروحية «حتى تستطيعوا أن تدركوا... ما هو العرض والطول والعمق والعلو» (أف ٣: ١٨).

ثم يُختم الفصل بأن أبرام «بنى مذبحًا للرب». وهو المذبح الثالث في حياة أبرام.

مذابح أبرام الأربعة

❋ مذبح الشكر	(تك ١٢: ٧).
❋ مذبح الشهادة	(تك ١٢: ٨).
❋ مذبح الشركة في حبرون	(تك ١٣: ١٨).
❋ مذبح السجود	(تك ٢٢: ٩).

١٤

ع١ - ١٦ : سبي لوط وإنقاذ أبرام له

فـــي مفارقة مع أبرام، رجل الإيمـــان، فإن لوطًـــا يمثل المؤمـــن العالمي، الذي يسلك بالعيان. فلفترة طويلة كان لوط يتبع عمه ويتصرف نظيره، مثل الكثيرين من الشباب الذين يتبعون مثال والديهم طـــالما كانوا معهم. ولكن ما أن وُضِع لوط في الامتحان حتى اتضحت حقيقة حاله.

نقرأ في تكوين ١٣: ١٢ أن لوطًـــا "نقل خيامه إلى ســـدوم". لكن هنا يقول إنَّه "كان ساكنًا في ســـدوم" (ع١٢). وفي أصحاح ١٩: ١، ٩ سنراه يؤدِّي وظيفة مَنْ يحكم حُكمًا. فما أن يختار المؤمن طريقًا زلقًا، حتى لا يعود يملك أن يوقف انحداره. ونتيجة أخذه هذا المركز الخطـــأ، وجد نفسه مشتركًا في معركة لا تخصّه. وعندما تحارَب الأربعة ملوك مع الخمســـة، أُخذ لوط أسيرًا مع سكان سدوم. إذا كنَّا نختلط بإرادتنا مع أولئك الذين لا يخافون الله، فسنفقد حريتنا. وفوق ذلك، فإن شركة كهذه دائمًا تكون سبب عذاب للمؤمن، إذ كان لوط يعذّب نفسه البارة يومًا فيومًا (٢بط ٢: ٨)! واليوم العالم لا يهدأ، بل توجد حروب في كل مكان تقريبًا. لنحفظ أنفســـنا من التحيُّز لجانـــب، ولنكن مثل أبرام غرباء، بل مثل مَنْ هو أعظم من إبراهيم ــ الربّ يسوع ــ الذي لمَّا كان هنا على الأرض، لم ينسَ مُطلقًا أنَّه من السماء.

من الجانـــب الآخر فإن أبرام، وهـــو على الجبل، لم تكن عنده مشـــكلات لوط. خيمته ومذبحه كانا كافيين له. لكن لمَّا سمع أن ابن أخيه أُخذ أسيرًا، لم يمنعه شيء

عن الذهاب لمساعدته. كان ممكنًا أن يقول: "أنا لا أريد أن أُدخل نفسي في ورطـــة (قارن أمثال ٢٦: ١٧)، ولوط يســـتحق ما حدث له". أو أن يقول: "أنا رجل مسالم، وأنا لست ندًّا لتحالف ملوك انتصروا على خمســـة ملوك دفعة واحدة". لكن محبَّته لأخيه (ع١٤)، وإيمانه ومثابرته، جعلته يُحارب وينتصر، ويخلِّص الأسير!

ونلاحظ أنَّ أبرام لم يتوقَّف عند دان (ع١٥)، أي حدود الأرض، قائلاً: لقد فعلت كل ما أستطيع. لكنَّه تبعهم حتَّى شمال دمشق وانتصر عليهم، واسترجع كل الأملاك ولوطًـــا وكل ما له.

ع١٧ ـ٢٤ : انتصار أبرام في معركة أخرى

بعد نصرة أبرام الحربيـــة، جاء إليه عدو أخطر من الأربعة الملوك الذين هزمهم أبرام، وهو "ملك ســـدوم" الذي ظنّ أنَّه بعطـــاياه يجعل إبراهيم مديونًا له. كان الله يُراقب ما يحدث، وليقوِّي عبده، أرسل له مُسبقًا زائرًا هو "ملكي صادق"، الذي كان ملكًا وكاهنًا، كما توضِّح لنا الرســـالة إلى العبرانيين ٧: ١ - ١٠؛ كما أنَّه كان رمزًا للربّ يسوع نفسه. وإذ تقوّى أبرام وانتعش بهذه الزيارة، وتبارك ببركة الله العلي، أمكنه أن ينتصر على عروض ملك ســـدوم. لقد قال ملكي صادق لأبرام إعلانين: الأول أن الله هو مالك الســـماوات والأرض (ع١٩)؛ والثاني أن الله أسلم أعدء أبرام في يـــده (ع٢٠). وهذا أعد أبرام للتجربة، **فطـــالما أن أبرام يعرف مالك الســـماء والأرض، فإنه لن يأخذ شـــيئًا من ملك ســـدوم. ثم طـــالما أن الرب هو الذي دفع أعداءه ليده، فإن أبرام لا يستحق أن يأخذ شيئًا.**

إن القلب الشبعان بالمسيح هو الذي يستطيع أن يواجه كل عروض الشيطـــان بثبـــات. وكما رفض أبرام عطـــايا ملك ســـدوم، وعرف أن يقـــول "لا"، ليتنا

نعرف أن نقــول "لا" عندما يريد الشــيطــان أن يعطينا شــيئًا. هذا ما فعلــه الربّ يسوع في البريَّة، عندما أتى الشيطـــان ليجرِّبه، وأراه كل ممالك العالم (مــت ٤: ٨ - ١٠؛ لو ٤: ٥ -٨).

فكرة:
تعلّم أبرام في مصر أن العالم لا يُعطي دون أن يعيِّر. لذلك فإنه رفض عروض ملك سدوم. ونحن نجده في آخر الأصحاح يُعطي بسرور، ويرفض أن يأخذ بإباء. لقد أعطى لملك ساليم الذي يُبارك، ورفض الأخذ من ملك سدوم الذي يعيِّر.

١٥

الله يعطي الوعد لأبرام ويثبّته

في بداية هذا الفصل الجديــد أعلن الرب لأبرام قائلاً: «أنــا ترس لك، (أنا) أجرك (الكثير) جدًا». كان أبرام يحتــاج إلى هذه التأكيدات المباركة، **وطـــالما أن الرب تُرسه، فإنه لن يخشـــى بأس "كدر لعومر" الملك، وطـــالما أن الرب هو أجره الكثير جدًا، فإنه لن يندم على عطـــايا "بارع" ملك سدوم التي سبق له أن رفضها (١٤: ٢، ٢١).**

الرب لم يُخبِر أبرام ماذا ســيعطيه، بل أخبره من هو بالنســبة لـــه. ليتنا نكتفي بالربّ يســوع، والذي له العاطـــي، أفضل جدًا من الذي اكتفى بالعطية. فالذي له الربّ، له كل شيء (رو ٨: ٣٢).

عرف أبرام ذلك، وتمتَّع برضـــا الله، فأمكنه أن يحصل منه علـــى أعظم أُمنية له:

ابــن وارث. وعده الــربّ بذلك، وقد آمــن أبرام، وصــار بذلك "أبًــا" لكل الذين يؤمنــون (رو ٤: ١١). ويقول الرســول: «ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوّى بالإيمان مُعطيًا مجدًا لله، وتيقّن أنَّ مــا وعد به، هو قادر أن يفعله أيضًا» (رو ٤: ٢٠، ٢١).

العدد الســادس من هذا الأصحاح يعلّمنا أنَّه لكي نُحسَــب أبرارًا، يكفي أن نؤمن بالله (أي نثق فيه، وليس فقط نؤمن بوجــوده). ولأهمية هذا العدد، اقتُبس ثلاث مرات في العهد الجديد (رو ٤: ٣؛ غلا ٣: ٦؛ يع ٢: ٢٣).

«لا تخف»

تــرد هذه الكلمة الهامــة لأول مرة هنا في (ع١)، **وترتبــط بالإيمان**، الذي يرد أيضًا لأول مرة في هذا الأصحاح (ع٦). فالإيمــان الحقيقي ينهي الخوف. وأما آخر مرة ترد فيها كلمة "لا تخف" فهي في رؤيا ٢: ١٠ **وترتبــط هنــاك بالأمانة.** فالخــوف يجعلنا نجبن في الشــهادة، ولكن الرب يحرضنا أن نكون أمناء إلى الموت.

كان ينبغي أن العهد† الذي قطــعه الرب مع أبرام يُختَم بالذبيحة (ع٩، ١٠). إن موت المسيح هو الذي يجعل مواعيد الله قابلة للتنفيذ. والجوارح (ع١١) تحاول أن تنال من الذبائح، صورة لمحاولات أجناد الشر الروحية في السماويات مهاجمة الحق الخاص بموت المسيح الكفاري. ولكن إيماننا يعمل مثل أبرام، يزجر تلك الجوارح.

ويختم الفصل (ع١٢ -٢١) بما يوضح أن "أبرام" رجل الإيمان نال معرفة واسعة عن الوعد المعطــى له من الله، وهذا دائمًا يحدث عندما يســمح الله أن يضع إيمان الواحد منا في الامتحان.

وتُعتَبر هذه النبوة هي أول نبوة صريحة في الوحي، وقد تمت حرفيًا، شأن كل نبــوات الكتاب التي لا بد أن تتم حرفيًا. والدرس الذي نتعلمه منها أن المجد يمرّ

عبر دروب الآلام (حيث نقرأ عــن الرُعبة المظلمة - ع١٢؛ وعن العتمة، وأيضًا عن تنور الدخان – ع١٧).

† انظر العهود السبعة ص ٤٠.

شـــق الذبائح كان بقصد إبرام العهد. والأرجح أنه بســبب قطـــع الذبيحة الذي كان يرتبط بإبرام العهد جاء التعبير: "قطـــع العهد" (قارن إر ٣٤: ١٨، ١٩).

١٦

هاجر، وولادة إسماعيل

من المؤسف أنه بعد هذه البراهين الجميلة على إيمان أبرام، يُقابلنا فشل جديد في حياته. فلقد أراد، بطريقة ما، أن يســاعد الله في إتمام وعـــده، فبدلاً من أن ينتظر بصبر حتَّى يُعطـــى الابن الموعود، سمع لســاراي امرأته، وهاجر - الجارية التي يُحتمل أن يكون قد أحضرها من مصر عقب سقطته الأولى (ص١٢) - نراها على وشك أن تصبح أمًّا لإسماعيل منه.

وكما وافق أبرام، في ضعف إيمانه، أن يشـــاركه أحد في ســـارة، لينجّي حياته (ص١٢)؛ وافقت سارة هنا أن تشـــاركها أخرى في إبراهيم لتنجّي سُمعتها. ولقد نتج عن هـــذا صراع مُحزن في بيت الإيمان. ولما أذلّتها ســـارة، هربت هاجر من وجه سيدتها.

لكن الرب الرحيم اعتنى بهاجر الجارية المسكينة، وتقابل معها وهي في طريقها. ونلاحظ قول ملاك الرب لهاجر: «ارجعـــي لمولاتك واخضعي تحت يديها» (ع٩).

نحن لا نحب أن نخضع، ومن العسير علينا أن نعترف بخطئنا، لكن هذا ما يطلبه منَّا الربّ، بمجرد أن يُظـــهر ذاته لنا ونحن في طريق التيه والضياع.

ولقد دعت هاجر اسم الربّ الذي تكلَّم معها «أنت إيل رئي» (ع١٣) ــ أي أنت الله الذي تراني، أو الذي يُعلن نفســه. وملاك الرب (الذي يَرِد هنا في الوحي لأول مرة) هو بلا شك الربّ يسوع نفســه. يريد الله من وقت لآخر أن يُعلن نفسه لكل منَّا. فهل تمتعت أيها القارئ العزيز بهذا الإعلان الشخصي من رب المجد وهو يبحث عنك؟

وبالقرب من المخلِّص الحي ســنجد حتمًا أنهار ماء حي، يحدثنا عنها "بئر لحي رُئي" (ع١٤ قارن مع يوحنا ٤: ١٤).

أن يدخل الرجل على جارية امرأته ليرُزق منها بنين، في حالة عقم الزوجة، كان جائزًا بحســب عوائد ذلك الزمان. لكنه ما كان يليق ببطل الإيمان، الذي آمن بوعد الله له (١٥: ٦).



علامة الختان والوعد بإسحاق

ظـــهر الربّ من جديد لأبرام، وجدَّد وعده بإكثار نسله، وغيَّر اسمه إلى إبراهيم. وتغيير الاســم في كلمة الله، دائمًا علامة على علاقة جديدة مع الشــخص الذي مُنح الاســم الجديد. فهنا إبراهيم، ليس فيما بعد رجل الإيمان فقط، لكنه أبو كل المؤمنين (رو ٤: ١١). وبإعطــائه هذا الاسم "أبًا لجمهور من الأمم"، كان الله مفكِّرًا بمحبة ولذَّة في جمهور المؤمنين الذين ســيُعتبر إبراهيم الســلف أو الجد لهم. ويُسعدنا أن

يكــون كلّ قرَّائنا ضمن هذا الجمهــور. وعلاوة على الملــوك الذين يخرجون من إبراهيم (ع٦) رأى الله مســبقًا «ابــن داود»، الملك الذي كان في فكره لإســرائيل والعالم. ويبدأ العهد الجديد بنسب يسوع المسيح كابن داود ابن إبراهيم.

وأعطـــى الله لإبراهيم، مع الاســم، علامة العهد الــذي بينه وبين إبراهيم، وهي **الختان**، الذي يُشــير بدرجة ما إلى المعمودية (كو٢: ١١، ١٢)، وتعني عدم الاتكال على الجسد، وفي الوقت ذاته **الانفصال لله**.

وفي هذا الجزء أخذت سارة أيضًا اسمًا جديدًا (ع١٥)، وأتى الوعد بمولد إسحاق (ع١٦، ١٩)، ونجد إبراهيم يطيع وصيَّة الله المُعطـــاة له (ع٢٣، ٢٧).

وفي ع١٨ نجد إبراهيم يصلّي لأجل إسماعيل، والرب استجاب الصلاة (ع٢٠). في الأصحاح التالي نجد إبراهيم يتوسل لأجل سدوم، ولكنَّه هنا يصلي لأجل ابنه. وكم هو جميل أن يصلي الآباء المؤمنين لأجل أولادهم، ولا سيما لأجل حالتهم الروحية!



ع١-١٥ : ظهور الرب لإبراهيم، والوعد بمولد إسحاق

لقد أكرم الله إبراهيم بأن دعاه فـــي الكتاب المقدس ثلاث مرات "خليل الله" (٢أخ ٢٠: ٧؛ إش ٤١: ٨؛ يع ٢: ٢٣)، وبالنظر لهذا اللقب فإن الرب عمل زيارة خاصة لإبراهيــم في خيمته، وأكل معه! وليس ذلك فقط، بل أخبره عما هو مزمع أن يعمل بخصوص بيت إبراهيم نفســه (ع٩-١٥)، وبالنسبة للعالم (ع٢٠، ٢١). ولقد كانت هذه الزيارة سبب بركة لكل من سارة ولوط.

ولقد تصرف إبراهيم مع الضيوف السماويين بطريقة بسيطة دلّت على سخاء قلبه، ولكن هذه البساطة لم تكن لترفع واجب الاحترام والتقدير، بالإضافة إلى نغمة السرور والفرح التي كانت بادية على تصرفاته طوال الزيارة.

وفي الأناجيل، نرى أشخاصًا قبلوا الربّ يسوع في بيوتهم: لاوي، مرثا، زكا (لو ٥: ٢٩؛ ١٠: ٣٨؛ ١٩: ٦)، وكان ذلك شرفًا عظيمًا لهم. لكن، هل تعرف أنَّك أنت أيضًا يمكن أن تستقبل مثل هذه الزيارات؟ نعم، تحت شرط واحد. قال الربّ يسوع: «إن أحبَّني أحد يحفظ كلامي، ويحبّه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣). ولكن إبراهيم ليس فقط نموذجًا نحتذيه في الشركة مع الرب، بل وأيضًا في إضافة الغرباء، كما أشار كاتب العبرانيين في ص١٣: ٢. فيجب علينا أن نكون مضيفين بعضنا بعضًا بلا دمدمة (١بط ٤: ٩؛ رو ١٢: ١٣).

ما أعظم الخبر الذي تنازل الرب بنفسه ليعلنه لكل من إبراهيم وسارة، بقرب وصول الابن الوارث، الذي طال انتظاره! ولقد شكّت سارة في الوعد، وضحكت، إذ كان إبراهيم وسارة متقدِّمين في الأيام، لكن إجابة الله على عدم إيمانها في ع١٤، يجب أن تلمّع في فكرنا دائمًا تلك الحقيقة المجيدة: **«هل يستحيل على الربّ شيء؟»**

ع١٦–٣٣: إعلان الدينونة على سدوم وتشفُّع إبراهيم لأجلها

يقول المرنم: «سر الرب لخائفيه» (مز ٢٥: ١٤؛ اقرأ أيضًا عاموس ٣: ٧). كان إبراهيم واحدًا ممن أمكن أن يقول الرب عنهم: «هل أُخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله» (ع١٧). وهذا يذكرنا بأن الرب لم يُرِد أن يسمِّي تلاميذه عبيدًا، بل سمَّاهم أحباء (يو ١٥: ١٥)، لأنَّه سُرّ بأن يُعرّفهم بأفكار أبيه. ومعرفة مقاصد الله لا يمكن أن تكون بالانفصال عن السلوك بالأمانة. ثم إن الرب كان يعرف أن إعلان

هـــذا الخبر لإبراهيم لن يُنتج عنه ســـوى تعاطفه مع الهالكيـــن، والرغبة المخلصة لإنقاذهـــم من الغضب الرهيب الآتـــي. أخي العزيز: نحن نعـــرف أفكار الله تجاه العالم. وكلمته النبوية تعلن الدينونة الرهيبة الوشـــيكة الوقوع على هذا العالم، فهل تُحرّكنا عواطف الشـــفقة كما حدث من إبراهيم في ذلك اليوم؟ إننا نعرف عن يقين أن الملايين ينتظرهم مصير أكثر رعبًا من مصير ســـدوم وعمورة يومها، بل ربما وســـط بيوتنا وعائلاتنا هناك أشـــخاص لم يخلصوا بعد. هل نصلي من أجلهم كما فعل إبراهيم هنا؟

قبل هلاك ســـدوم وعمورة، أراد الله أن يتحقّق من أنّهم استحقوا القضاء، وقال: «وإلاَّ فأعلم». لو وُجد أي أمل في التوبة كما حـــدث بعد ذلك في نينوى، في زمن يونان (يون ٣: ٥ - ١٠) لسُرّ الله بأن يغفر ويعفو بروح النعمة ذاتها.

يدعونا ١تيموثاوس ٢: ١ -٤ أن نصلّي لأجل جميع الناس، «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله، الذي يُريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون».

١٩

هلاك سدوم وإنقاذ لوط وابنتيه

ما أشـــد المباينة بين زيارة الرب ومعه الملاكيـــن لإبراهيم، وهو جالس في باب خيمته؛ وزيارة الملاكين وحدهما للوط، وهو جالس في باب سدوم[†]. والجدول الآتي يبين لنا أهم هذه المباينات:

تك ١٩	تك ١٨
الملاكان فقط يذهبان إلى سدوم	الرب يزور إبراهيم ومعه الملاكان
الملاكان ترددا كثيرًا في قبول دعوة لوط	الرب لم يتردد في قبول دعوة إبراهيم
تمت الزيارة عند المساء	تمت الزيارة ظـــهرًا
الملاكان معهما خبر مفزع للوط وامرأته	الرب معه أخبار سارة لإبراهيم وسارة
لوط هو الذي خبز الفطير للملاكين	كل من في بيت إبراهيم شارك بفرح في إعداد الوليمة
الرعاع لم يستمعوا إلى توسلات لوط	الرب استمع إلى توسلات إبراهيم
أُمر لوط ومن معه بعدم النظر إلى سدوم	إبراهيم تطلع إلى سدوم وهي تحترق
نتج عن ذلك مجيء الموآبيين والعمونيين	نتج عن ذلك مجيء إسحاق والبركة

لم يكن القصد من زيارة الملاكين لبيت لوط أن يستمتعا بالشركة معه، فأيّة شركة يمكن أن تكون مع مؤمن هــذا وضعه؟ إنهما دخلا بيته فقط ليحمياه ويُنقذاه. ولوط نفســه لم يكن مستريحًا في تلك المدينة الفاســدة. من الخارج كانت للمدينة جاذبية، لكن ما كان يجري في الداخل، آلمه بشــدة. ليتنا لا نغترّ بمظــهر العالم الخارجي الخادع، بل ننظر إلى ما يخفيه تحته. ليس ســوى الله يعرف القلوب، واهتم الوحي بأن يخبرنا بأن لوطًــا كان بارًا، وأنه لم يشــترك مع أهل سدوم في شرهم، بل على العكس، كان كل ما يصل إلى ناظريه وإلى سمعه يسبّب له العذاب (٢بط ٢: ٧، ٨). وشرّ رجال ســدوم الرهيب والمعيب لم يحاول هؤلاء الأشرار أن يخفوه (قارن مع إشــعياء ٣: ٩)، بل أظــهروه ضدَّ الملاكين نفسيهما، لذلك، فإن الله الذي قال «وإلاّ فأعلم»، لم يكن في حاجة إلى برهان أوضح من هذا على شرِّهم.

لم يؤخذ كلام لوط، حتَّى من أصهاره، مأخذ الجد (ع١٤). فعندما يسير المؤمن فترة مع العالم، لا يعود صالحًا أن يُكلِّم العالميِّين عن الدينونة، لأنَّهم سوف لا يصغون إليه.

كانت نجاة لوط نتيجة استجابة صلاة إبراهيم في الأصحاح السابق. افتكر إبراهيم أنَّه لكي ينجو لوط، كان من الضروري أنَّ المدينة لا تهلك. ليس دائمًا يستجيب الله بالطريقة التي نتوقَّعها؛ لكنَّه يستجيب.

بالأسف، كان قلب لوط متعلِّقًا بما سيتركه خلفه، لذلك توانى، فاضطر الملاكان أن يُمسكا بيده وبيد امرأته، وبيد ابنتيه ويُخرجاهم بالقوة. لنسأل أنفسنا هذا السؤال: إذا كان علينا أن نترك العالم اليوم، هل نفعل ذلك بســرور؟ أم نكون مثل لوط، أو مثل زوجته التي دانها الله، إذ نشعر بأسف على ترك أشياء معيَّنة تعلَّقت بها قلوبنا؟

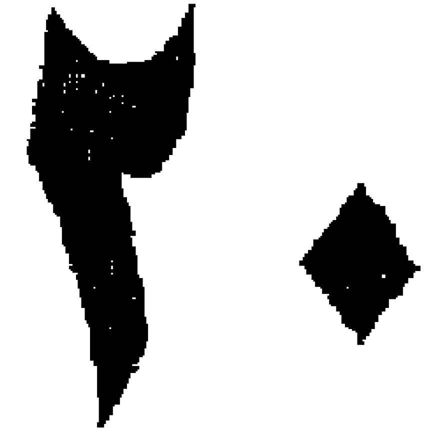
امرأة لوط تحولت إلى عمــود ملح (ع٢٦)، عِبرة لمن يعتبـر. وهي تُمثِّل من عاشــر المؤمنين طويلاً، ولكن الرب لم يكن نصيبه، بل كان العالم يملأ قلبه، فلا بُدَّ أن يهلك معه. قال المسيح: «اذكروا امرأة لوط» (لو ١٧: ٣٢).

ســدوم وعمورة تحوَّلتا إلى رماد، ونجدهما في كل الكتاب مثــالاً خطيرًا لما ينتظر الذين يعيشون في الفجور (٢بط ٢: ٦؛ يه ٧). ومع ذلك، فإنه في يوم الدينونة، سيكون قصاصها أكثر احتمالاً من الذين رفضوا ابن الله الذي أتى إليهم بالنعمة (مت ١١: ٢٤).

ويختم هذا الفصل (ع٣٠-٣٨) بمشهد مؤســف، فلوط الذي استطــاع أن يمتنع عن الشر في المدينة الفاسدة "سدوم"، ســقط في أبشع الخطــايا وهو في الجبل! ويا للأسف أن البنتين اللتين نجتا من حريق سدوم وعمورة، أنجبتا للوط موآب وعمون، ونهايتهما ستكون مثل سدوم وعمورة (صف ٢: ٩)!

---

† الجلــوس في الباب حيث كانت تجرى الأحكام (را ٤)، يدل على أن لوط صار له مركز رئاسي في مدينة سدوم (قارن مع ع٩).



إبراهيم في جرار وسارة في قصر الملك

مرة ثانية يتنكّر إبراهيم لزوجته، ويستحق التوبيخ من الوثنيين (قارن أصحاح١٢). كانت خطية إبراهيم نصف كذبة (ع١٢، ١٣). كم هو أمر خطير أن نجد رجلاً عظيمًا مثل إبراهيم، ويحدث منه خطأ مشين كهذا، ويحدث منه بتكرار وإصرار! وللأسف، عندما تنقطع الشركة لا يعرف المؤمن ماذا يفعل، ولا ماذا يقول. اسمع كلماته لأبيمالك: «وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي» (ع١٣). أهذا هو تقديرك يا إبراهيم لدعوة الله العجيبة، وظهور إله المجد، وكيف أعلن لك المدينة السماوية؟! بل إنها بالأسف لغة إبراهيم وهو مقطوع الشركة. وهو عين ما يحدث معنا عندما تنقطع شركتنا مع إلهنا، ونشارك أهل العالم نظرتهم للأمور. لكن الشيء المعزي أنه حتى وإبراهيم في هذه

> **آية عسرة**
>
> «إني قد أعطيت أخاك ألفًا من الفضة. ها هو لك غطاء عين من جهة كل ما عندك وعند كل واحد، فأنصفت» (ع١٦).
>
> * * *
>
> عندما يقول أبيمالك "أعطيت أخاك" فهذا توبيخ مستتر لكل من إبراهيم وسارة الذي قال عنها إنها أخته (ع٥). كما يوبّخها أبيمالك أيضًا بأن رجلها إبراهيم هو غطاء عين لها، أي كان الأليق ألا تكشف جمالها لأحد. ولكن البعض يعتبر أن تعبير "غطاء عين" تعني ببساطة تعويضًا على ما حدث. فكانت الألف من الفضة التي أعطاها أبيمالك لإبراهيم تعويضًا منه على الإساءة التي لحقت بهما. وبذلك تمت تسوية الأمر وتم إنصاف سارة.

الحالة، فقد أكرمه الرب أمام الغرباء «فلم يَدَع إنسانًا يظلمهم، بل وبَّخ ملوكًا من أجلهم قائلاً: لا تمسُّــوا مُسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي» (مز ١٠٥: ١٤، ١٥). لقد اعتبر الرب إبراهيم نبيًا يتكلم نيابة عن الله (ع٧)، ومتشفّعًا يستجيب الله لدعائه (ع١٧)!

ع٧) هنــا نجد أول إشــارة إلى كلمة نبــي في الكتاب المقدس، ومنهــا نتعلم أن النبي ليس بالضرورة من يخبر بما سيأتي به المستقبل، بل هو شخص يتكلم نيابة عن الله.

٢١

ع١ـ٨ : ولادة إسحاق

أتــمَّ الله وعده، ووُلد إســحاق الابن الوارث لإبراهيم «في الوقــت الذي تكلم الله عنه». وكان إسحاق رمزًا للربّ يسوع، الابن، «الذي جعله (الله) وارثًا لكل شيء» (عب ١: ٢). وبعد ضحك عدم الإيمان في إبراهيم (١٧: ١٧)، وفي ســارة (١٨: ١٢)، جاء ضحك الفرح والعرفان كمعنى الاسم "إسحاق" (ع٣، ٦).

ومن وراء إســحاق الابن المحبوب، كان إبراهيــم بالإيمان يتطلع إلى من هو أعظم، كقول المسيح: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح» (يو ٨: ٥٦). إنَّها رؤية سعيدة للإيمان.

ع٩ـ٢١ : طرد الجارية وابنها

فــي ع٩ نقرأ عن ضحك مختلف عن الضحك الســابق، هو ضحك الاســتهزاء والسخرية الذي صدر من إســماعيل. إنه صورة للإنسان "بحسب الجسد"، الذي لا

يفهم شيئًا عن مقاصد الله الصالحة بالنعمة، وإتمامها في المسيح. إنه ابن "الجارية"، صورة للإنسان تحت عبودية الناموس، وبالتالي لا حق له لا في الوعد ولا في الميراث (غل٣).

ما فعلته سارة يبدو لنا قاسيًا، وإبراهيم أيضًا افتكر أنَّه خطأ، لكن الله صَادَق عليه إذ أراد أن يُبيِّن في الرمز أنَّ الميراث خاص بالمسيح وحده، وأنَّ الإنسان بأعماله ليس له نصيب فيه. وتوضّح لنا رسالة غلاطية أن المؤمنين هم أيضًا "أولاد الموعد"، وأنهم نالوا امتياز التبني، وما عادوا عبيدًا، بل أبناء وارثين (غل٤: ٦، ٧، ٢١-٣١).

ومع ذلك عامل الله هاجر وابنها بالنعمة. ولما فرغ الماء من القربة (وهي تمثل المصادر البشرية المحدودة، التي لا بُدَّ أن تفرغ إن عاجلاً أو آجلاً)، فإن الله الحي الذي ظهر لها سابقًا في أصحاح١٦ جدَّد عطفه لها، وأعطى ماء في البريَّة (ع١٩)، وفي رقّة قلبه سمع حتى لصوت الغلام (ع١٧)!

هل اختبرت شخصيًّا أمانة الله نحوك في الظروف الصعبة؟

ومن الناحية النبوية فإن هاجر تمثّل الناموس (غل ٤: ٢٤، ٢٥)؛ وإسماعيل يمثّل إسرائيل حسب الجسد (رو ٩: ٧، ٨). واليهود اليوم بجانب آبار كلمة الله، فالشريعة ما زالت بين أيديهم، ولكن عيونهم مطموسة فلا يستطيعون رؤيتها ولا التمتع بمحتوياتها (٢كو ٣: ١٤، ١٥). لكن في يوم قادم، سيفتح الرب عيونهم (ع١٩)، وذلك بعد رجوعهم إليه بالتوبة (٢كو ٣: ١٦).

ع٢٢-٣٤: العهد بين إبراهيم وأبيمالك

في أصحاح٢٠ كانت علاقة إبراهيم بأبيمالك سيئة. وتلقّى إبراهيم توبيخًا قاسيًا من الملك الوثني، أما هنا فقد عادت العلاقة إلى وضعها الطبيعي. ولنا هنا صورة

نبوية لما سيحدث في المســتقبل عندما يكون لشـعب الله المكانة الأولى في العالم، وتقول شعوب العالم: «إننا سمعنا أن الله معكم» (زك ٨: ٢٣). هكذا هنا قال الملك ورئيس جيشــه لإبراهيم: «الله معك في كل ما أنت صانع» (ع٢٢). وســعيا لعمل معاهدة معه. وهذه المرة نجد أن إبراهيم هو الذي يوبِّخ أبيمالك بكل الكرامة الأدبية التي تضفيها عليه معرفته بالله الســرمدي (ع٣٣). وأراه إبراهيم كم هو يُقدِّر تمامًا بئــر الماء في البرية، تلك البئــر التي اغتصبها عبيد أبيمالك مــن إبراهيم. نعم ما أحوجنا، طــالما نحن في البرية، إلى المياه المنعشة والمنظفة، أي إلى كلمة الله (يو ١٥: ٣؛ أف ٥: ٢٦). **هل نُظــهر للذين يريدون مصادقتنا، كم تعني بالنســبة لنا الكلمة التي أعطــانا إياها الله؟** إن الذين يعطشون للحق والسلام والفرح سينقادون للبحث عنها لأنفســهم في هذا الكتاب الثمين، إذا كانوا يــرون أنَّنا منه نحصل على جميع هذه البركات.

٢٢

تقديم إبراهيم لإسحاق، وافتداء الله له

يُعتَبر هذا المشهد صورة مُسْبَقة للصليب. فالابن الوحيد، موضوع محبة أبيه، يشير إلى الرب يسوع، الذي كان يجب أن يُقدَّم مُحرقة. ومكان الذبيحة هذا، كان في الوقت ذاته، مكانًا للسجود (ع٥). ويقول لنا ع٤ «رفع إبراهيم عينيه، وأبصر الموضع **من بعيــد**». كان الموضع معروفًا من قَبل عنــد الله، وهذا الموضع هو جبل المُريا، حيث قدَّم داود، في ما بعد، ذبيحــة كفارية، وحيث بُنيَ الهيكل أيضًا

(٢أخ ٣: ١)، فأصبح مكان الذبائح هو مكان السجود!

كم هي الأسباب التي نجدها هنا، التي تدعونا أن نُقدِّم السجود للآب وللابن اللذين «**ذهبا كلاهما معًا**» (ع٦، ٨)؛ أو بكلمات أخرى كان لهما الفكر الواحد، في شركة تامة لإتمام عمل الخلاص!

تُذكِّرنا طاعة إسحاق بطاعة الربّ في جثسيماني: «ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت» (مر ١٤: ٣٦). ونلاحظ أن إبراهيم لم يذبح ابنه فعلاً، وإسحاق لم يمُت فعلاً، ولا كانت هذه الذبيحة في واقع الأمر تفيد شيئًا، لكن ما أرضى قلب الله هو الطاعة له. واتضح هنا ما قاله صموئيل النبي في ما بعد: «هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش» (اصم ١٥: ٢٢).

لكن في مفارقة مع إسحاق الذي خضع فقط، فإن المسيح وضع نفسه فعلاً ومات (في ٢: ٨). ومفارقة أخرى هي أن إسحاق لم يكن يعلم ماذا سيفعل أبوه، وأما المسيح فنقرأ عنه: «خرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه» (يو ١٨: ٤). وأخيرًا، بالمُباينة مع مُناداة الملاك لإبراهيم «لا تمدّ يدك»، لم يُسمع صوت عند الجلجثة ينقذ «الابن» من قضاء الله ضدّ الخطيَّة، بل بالحري قال الرب: «**استيقظ يا سيف** على راعيَّ وعلى رجل رفقتي» (زك ١٣: ٧).

وقد ظهر إيمان إبراهيم بهذا العمل (يع ٢: ٢١). كان الرب يعرف قلب إبراهيم، وأن له هذا الإيمان، لكن امتحنه ليُظهر هذا الإيمان للجميع. والشيء نفسه يحدث معنا. إذا كنت أقول إنّي أومن بالربّ يسوع، فعليَّ أن أُظهر ذلك. إنَّ تجارب المؤمنين، غالبًا تأتي لهم لتُظهر حقيقة إيمانهم، لكي يراه الجميع.

ولقد أدرك إبراهيم، بروح النبوة، أن الله جهَّز لنفسه خروفًا للمُحرقة. وعندما ظهر الربّ يسوع في وسط الشعب، على شاطئ الأردن، قال يوحنا المعمدان:

«هوَّذا حَمَل الله» (يو ١: ٢٩)، وكان هذا الحمل هو الجواب الإلهي لجميع الخطايا التي تمَّ الاعتراف بها، ولم تغسلها مياه الأردن. وبذلك أُعلن السرّ العظيم، الذي نجد ظلّه في أصحاحنا هذا.

«فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه، حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى» (ع١٤). وفي التطبيق الروحي نقول: علينا أن نأخذ من الجلجثة بُرهانًا على أن الرب قادر أن يمدّنا بكل ما يلزمنا، في حينه «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء» (رو٨: ٣١).

"الخروف للمحرقة" (ع٧، ٨)

في هذا الفصل نجد أول إشارة "للخروف" في الكتاب المقدس، ولكننا سنقرأ بعد هذا عن الخروف أو الحمل كثيرًا (خر ١٢: ٢٩؛ لا ١٤.. إش ٥٣: ٦؛ يو ١: ٢٩، ٣٦؛ ١بط ١: ١٨). وعندما نصل إلى سفر الرؤيا نجده سفر "الحمل" حيث يتردد فيه اسم الخروف (أو بالحري الحمل) ٢٨ مرة.

وأما **المحرقة** فإنها ترد في هذا الفصل ٦ مرات. وهي تذكّرنا بتشفعات إبراهيم الستة من جهة سدوم في ص ١٨. ورقم ٦ هو رقم النقص، فلا شفاعة إبراهيم هي الشفاعة الكاملة، ولا محرقته؛ إنما هما فقط رمز لشفاعة المسيح الأعظم ومحرقته الأسمى.

أُخذ إسحاق من على المذبح، وكأنّه أُقيم من الأموات في مثال (عب ١١: ١٩)، رمزًا لقيامة الربّ يسوع الحقيقيّة من الأموات، بنتائجها المباركة لنفسه ولنا. فله، قد أُعطيت عروس، هي الكنيسة؛ ولأجل هذا، ذُكرت رفقة في ع٢٣. ولنا، فقد تمتعنا بالبركات السماوية التي نجد صورة لها في عددي١٧، ١٨.

٢٣

موت سارة ودفنها

بعد قيامة الربّ يسوع من الأموات، وَضَع الله إسرائيل - الشعب الذي أتى منه المخلِّص حسب الجسد - جانبًا. ونرى ذلك في موت سارة بعد قيامة إسحاق الرمزيَّة.

بخلاف المقبرة التي اشتراها إبراهيم، لم يكن له شيء في أرض كنعان هذه، مع أنَّه وُعِد بها. بنفس الطريقة، المؤمن لا يمتلك شيئًا في الأرض. إنَّها مكان موت بالنسبة له، منذ أن صُلب سيِّده فيها. الأرض للمؤمن إنَّما تذكِّره بآلام ابن الله وموته، وهي المكان الذي ليس له فيه شيء دائم.

بشراء إبراهيم لحقل المكفيلة، أظهر إيمانه بالقيامة. بالنسبة له، كان يعلم أن سارة تحيا في حالة أسمى ومكان أسعد. لكنه أراد أن يمتلك المكان الذي كان سيضع فيه جسدها، حيث أن هذا الجسد سيقوم. بخلاف بعض الفلسفات القديمة والحديثة التي تقول إن الجسد يتلاشى، ولا توجد قيامة أموات! والثمن الكامل المدفوع في المغارة والحقل، يذكّرنا بالثمن الكامل المدفوع في الصليب، ليعتقنا المسيح من الموت (عب ٢: ١٤)، وبذلك فقد أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢تي ١: ١٠).

لم يشأ إبراهيم أن يكون مديونًا للعالم، تمامًا كما رفض في أصحاح١٤ عطايا ملك سدوم، لذلك دفع الثمن كاملًا للمغارة والحقل بدون مساومة. وهكذا ينبغي للمسيحي أن يكون معروفًا بين جميع الذين يتعامل معهم في العالم **باستقامته وأمانته التامة**. ويحرّضنا الرسول بأن لا نكون مديونين لأحد بشيء (رو١٣:٨). وأن

نســلك بلياقة عند الذين هم مــن خارج (١تس ٤: ١٢). وأن نكــون معتنين بأمور حسنة ليس قُدّام الرب فقط، بل قدام الناس أيضًا (٢كو ٨: ٢١).

٢٤

زواج إسحاق برفقة

في موت سارة (التي تشير إلى الأمة التي منها جاء المسيح بحسب الجسد – ص ٢٣)، وقيامــة إســحاق الرمزية (صــورة لقيامــة المســيح من الأموات - ص ٢٢)، نجد بداية حالة جديدة للأمــور. وليضمن الأب أن يــأتي النســل الموعود به، كان عند الأب خطــة، تشرح لنا تفصيلاتها في هــذا الفصل، وهو أن يأخذ لابنه عروسًا. لكن هنــا يدخل شــخص ثالث، وهو **كبير بيت إبراهيم ووكيله**، والذي يعطينــا صورة ورمــزًا **للروح القــدس**، الذي أُرســل للأرض بعد صعود المسيح، ليجمع الذين

> ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام:
>
> ع١ـ ٩ الشخص البارز فيه هو إبراهيم، رمز لله الآب.
>
> ع١٠ـ٦١ الشــخصية البارزة فيه هو العبد، صورة للروح القدس.
>
> ع٦٢ـ٦٧ الشخصية البارزة فيه هو إسحاق، رمز للمسيح ابن الله.
>
> وفي هذه الأقســام الثلاثة نجد – وبنفس الترتيب ـ ما يتجاوب مع قول الرســول في ١بطرس ١: ١، ٢: «مختارين بمقتضى علم الله **الآب** السابق (ع١-٩)، في تقديس **الــروح** (ع١٠-٦١)، لطاعة **يسوع المسيح** (ع٦٢-٦٧)».

يكوّنون الكنيسة؛ عروس المسيح. وبذلك نرى الأقانيم الثلاثة: الآب، والابن والروح القدس، كما سبق أن رأيناهم متَّحدين في عمل الخليقة. ونراهم هنا لهم مسرَّة مشتركة في اختيار ودعوة وجمع المفديِّين، واتِّحادهم بالمسيح المُقام. وهذه العروس كان يجب أن يؤتى بها من **مكان بعيد**. إنَّها من بين الذين كانوا "بعيدين" عن الله، فاختارهم رفقاء لابنه! ويذكِّر الرسول بولس الأفسسيين قائلاً: «أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين» (أف ٢: ١٣). بالنسبة للمسيح، لا يمكن أن يرجع إلى العالم كما هو الآن، لكن الكنيسة هي التي ستترك العالم لتقترن بعريسها في السماء.

ومن الناحية العملية، يا لها من صورة رائعة للاتِّكال على الله نراها في عبد إبراهيم! في بيت سيده تعلَّم أن يعرف الربّ، والآن يتعامل معه شخصيًّا، فقدَّم طلبة لله في ع١٢. ليتنا لا ننسى، عندما نُكلَّف بأمر ما، أن نتكلَّم عنه أوَّلاً مع الربّ. وفي الحال أتى الجواب الإلهي على صلاة العبد، فلقد أتت رفقة قبل أن ينتهي من صلاته. ونجد في إشعياء ٦٥: ٢٤ وعدًا مُماثلاً: «ويكون أنِّي قبلما يدعون أنا أُجيب، وفيما هم يتكلَّمون بعد أنا أسمع». كانت رفقة من ناحيتها مثالاً "للتكريس" والاستعداد. لقد فعلت **أكثر** ممَّا طُلب منها، حيث استقت لجماله أيضًا، وفعلت ذلك **بسرعة** «فأسرعت وركضت» (ع١٨، ٢٠). هذان أمران يجب أن نلاحظهما وننفِّذهما في واجباتنا الصغيرة، وفي حياتنا المنزلية اليومية. واستقاء الماء له دلالة أدبية، هو أن نجلب الانتعاش للنفوس التي تحيط بنا. ونحن يمكننا أن نفعل ذلك لو كنا قريبين من مجاري كلمة الله، ونتمثل بذاك الذي كان يعرف أن يغيث المعيى بكلمة (إش ٥٠: ٤).

وكما أن العبد كان يلاحظ رفقة، يجب أن نتذكَّر أن هناك مَنْ يلاحظنا ويُكتب أمامه سفر تَذكِرة لِما نفعله. من الطريقة التي بها عَملت رفقة هذا العمل البسيط، تأكَّد عبد إبراهيم أنَّها ستكون زوجة نشيطة وامرأة فاضلة لإسحاق كالتي يصفها

الحكيم في أمثال ٣١. وقبـل أن يتقدّم العبد أكثر، فإن ذاك الـذي صلى للرب أولاً (ع١٢)، انحنى وشكر الربّ (ع٢٦، ٢٧ انظر أيضًا ع٥٢).

وهكذا قاد الربّ عبد إبراهيم إلى أقرباء سـيِّده. كان قد قال له سـيِّده «لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيِّين الذين أنا سـاكن بينهم» (ع٣). أيها الأعزاء يجب أن تضعوا هذا الأمر بعمق في قلوبكم: ألا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين (٢كو ٦: ١٤، ١٥). إن الشـاب المؤمن، والشابة المؤمنة، **يجب أن يتزوج كل منهما من عائلة الله فقط**؛ أي بشخص مؤمن.

ويا لها من شهادة أدَّاها عبد إبراهيم عن سـيِّده، الذي كان يفتخر بأن يكون عبده (ع٣٤ - ٣٦)! فيقول عنه: صار عظيمًـا، وغنيًا، وله ابن وارث لكل ما لإبراهيم. وهذا مـا يعمله الروح القدس الآن، الذي يُعلن لنا عـن عظمة الله الآب وعن أمجاد الابن. وهذا ما يجب علينا نحن عبيد الربّ أن نفعله، ونعرف كيف نتكلّم عن إلهنا.

الطريقة التي تكلَّم بها عبد إبراهيم عن سيِّده، والغنى الذي ظـهرت علاماته في الهدايا التي قدَّمها، أثَّرت بشدة في قلب رفقة، فقرَّرت قائلة: «**أذهب**» (ع٥٨). وأنت يا من سـمعت كثيرًا عن الربّ، وكان لك فرصة التمتع بغنى نعمته في بيت أبويك، هل قـرّرت في قلبك أن تذهب وتكون له؟ إنَّه ليس بعد عشـرة أيام كما قال أخوها وأمها، **ولا في الغد**. بل يحرّضك روح الله أن تفعل هذا «**اليوم**»، بل "الآن".

ثم بدأت الرحلـة الطويلة لرفقة عبـر البريَّة (ع٦١). لقد تركت كل شـيء خلف ظـهرهـا، وتبعت الرجل الذي قادهـا. إن طريق رفقة ميَّزه فـي البداية **الإيمان**، إذ اتخذت القرار؛ واستمر **بالرجاء** عبر كل المشـوار؛ وخُتم **بالمحبة** في أحلى الديار، إذ أن إسحاق «أخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها». هكذا الكنيسة عروس المسيح تَعبُر الآن طريقها المُتعِب والممتلـئ بالآلام في هذا العالم الذي هو بريَّـة لها، بينما الروح

القدس يشغل قلبها بالمحبوب الذي لم تَرَه، لكن تؤمن به، وهو آتٍ لمُلاقاتها. ويا لها من لحظــة سعيدة ستكون للكنيسة، عندما يُدخلها الربّ يسوع كعروسه إلى بيت الآب!

صارت رفقة زوجة لإسحاق وأحبَّها من ذلك الوقت فصاعدًا. لكن بالنسبة للربّ، فهو أحــبَّ خاصَّته بالفعل، وقلبه ينتظر أكثر منَّا اللحظــة السـعيدة للشــبع الأبدي لمحبَّته الإلهيَّة.

٢٥

ع١-٦ : زواج إبراهيم من قطورة

إن الأصحاحات الختامية لحياة إبراهيم تقدّم لنا العديد من الصور النبوية:

ص٢١ ميلاد الابن "لما جاء ملء الزمان".

ص٢٢ الصليب وقيامة الابن.

ص٢٣ تنحية إســرائيل، الأمة التي منها أتى المســيح حسب الجســد (مرموزًا إليه بموت سارة).

ص٢٤ دعوة الكنيسة لتشارك المسيح في مجده السماوي.

وهكذا فإنه بعد "**عرس الخروف**" يأتي نســل كبير لله، هــم أولاد الإيمان: الأمم الكثيرة في الملك الألفي (رؤ ٧: ٩)، ونرى صورة لهم في أولاد قطورة، لكن إسحاق وحده (الذي يرمز للمسيح) هو الوارث لكل شيء (عب ١: ٢؛ أف ١: ١٠).

ع٧_١١ : موت إبراهيم

أخيرًا، مــات رجل الإيمان العظيم إبراهيــم، ودُفن في مغــارة المكفيلة، مُنتظرًا القيامة. والأصحاح الحادي عشر من رسالة العبرانيين، الذي تحدث كثيرًا عن حياة الإيمان في إبراهيم، أشار أيضًا إلى موته، إذ يقول إنه مات "في الإيمان"، ومع أنه لم ينَل المواعيد، لكنه نظرها من بعيــد، وصدّقها وحيّاها، وأقرّ بأنه غريب ونزيل على الأرض. ولهذا فإن الله يتكلّم عنه على رأس أولئك الذين لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم. ولا عجب أن يُعلن الله في الكتاب عن نفسه عدّة مرّات أنّه "**إله إبراهيم**".

ع١٢_١٨ : مواليد إسماعيل

يرد ذكر مواليد إسماعيل ليس لأنه هو الأكبر، بل لأن الوحي يريد التركيز على السلسلة التي منها كان سيأتي المســيح، ولهذا فإنه بعد الإشارة إلى مواليد إسماعيل، يُفسح المجال على اتساعه للحديث عن إسحاق ونسله. ومن الجانب الآخر فإننا نرى هنا أن أولاد إســماعيل كثيرون وناجحون وأقوياء (ع١٦)؛ أما إســحاق فسنرى أن ظروفه في البداية كانت غير موفقة، وذلك لأن الإيمان لا بد أن يُمتحَن.

ع١٩_٣٤ : ولادة كل من عيسو ويعقوب ومسلك كل منهما

كما امتحن الله إيمان إبراهيم وســارة، كذلك امتحن إيمان إسحاق ورفقة. ونقرأ في ع٢١ أن إســحاق **صلّى** إلى الربّ لأجل امرأته لأنّها كانت عاقرًا، فاستجاب له الربّ. وولدت رفقة ولدين، يختلف الواحد عن الآخر تمامًا، ليس فقط في المظــهر الخارجي (أشــعر وأملس)؛ أو في مهنــة كل منهما (صيــاد وراعٍ)؛ أو في طريقة عيشتهما (رجل البرية، وإنســان كامل - أو بحســب ترجمة داربي: "إنسان بيتي" - يسكن الخيام)؛ لكن فوق الكل بالنسبة لحالة قلبيهما.

يعقوب رغم الطريق الخاطــئ الذي ســلكه، أظــهر أنَّه قدَّر مركز الكرامة في العائلة للبكر، بما يتبع ذلك من الميراث الثمين الذي من نصيبه. وأما عيســو فكان شهوانيًا وأمور الله لا تمثل بالنسبة له شيئًا ذا قيمة. وبكل حماقة، لأجل شهوة وقتيَّة، باع بكوريَّته المُعطـــاة له من الله. وبدون أدنى اكتراث يقول الوحي: «فأكل وشرب ومضى. فاحتقر عيسو البكورية» (ع٣٤).

ولم يكن هذا مجرد قرار أهوج من شـــخص أحمق، بل إنــه يتضمن احتقارًا لله نفسه، وكأنه يقول له: إن أعظم عطـــاياك في نظري لا تساوي طبق عدس، أُشبع به نهمي. لذلك فلا عجـــب أنَّ الله أعلن في نهاية العهد القديم عن هذين الأخوين قائلاً: «أحببت يعقوب وأبغضت عيســو» (ملا ١: ٢، ٣). ثم يعلن الله في عبرانيين ١٢: ١٦، ١٧ أن عيسو كان مستبيحًا.

قارئي العزيز: البكوريَّة صورة لامتيازك أنت يا من رُبيت في عائلة مســيحيَّة. هل تُقدِّر هذا الامتياز؟

ثلاثة أولاد، وثلاثة دروس

قال الكتاب: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل» (يو١ : ١٢، ١٣).

⌘ **قايين** كان مرفوضًا، وهو يمثل الذين وُلدوا **من دم** (أي بالتناسل الطبيعي).

⌘ **إســماعيل** كان مرفوضًا، وهو يمثِّل الذين وُلدوا **من مشــيئة جسد** (رغبة سارة في الحصول على الولد).

⌘ **عيســو** كان مرفوضًا، ولم يحصل على البركة رغم رغبة إســحاق في إعطائها له، وهو يمثل **مشيئة رجل**.

٢٦

ع١-١١ : إسحاق عند أبيمالك ملك جرار

لم يَستَفِد إسحاق من اختبار أبيه المُحزن في أصحاحي١٢؛٢٠؛ فبسبب الجوع في الأرض ذهب إسحاق ليتغرّب في جرار، وإذ كان يخاف، فقد أنكر هو أيضًا زوجته، وخدع أبيمالك. مع الفارق أن سـارة كانت فعلاً أخت إبراهيم من أبيه (٢٠: ١٢)، ولكن ليسـت من أمه، فصارت له زوجة (كعادة تلك الأيـام). ولكن لم يكن كذلك الحال مع إسحاق ورفقة.

ونحن أيضًا كم من المرّات، لنقص الشـجاعة، أنكرنا المسيح، إن لم يكن بكلامنا فبتصرفاتنا.

ع١٢-٣٣ : غنى إسحاق ووداعته

بعد فشل إسحاق السـابق، نجد صفحة جميلة من حياته. فلكي يحفظ نفسه وبيته من المجاعة زرع، والرب باركه، فأصاب مئة ضعف. لكن الفلسـطينيين حسدوه، فطمّوا آبار أبيه إبراهيم، **فحفرها إسـحاق ثانية**. أراد أعداء آخرون أن يمنعوه من امتلاك الآبار، لكنّه لم يفشل، وحفر آبارًا أخرى.

والآبـار هي صورة **للكلمة الإلهيـة** وحقائقها الثمينة، تلك الحقائـق التي تمتع بها الجيل السـابق لنا، ولكن علينا أن نحفرها **لأنفسـنا**، أي أن نقـرأ الكلمة بمثابرة حتّى تُصبح ملكًا لنا. الحفر عمل مُتعب، ويتقدَّم ببطء، ولأجل ذلك نحتاج إلى صبر ونشاط. فليتنا نُثابر على دراسـة كلمة الله، متذكِّرين أنَّ لنا عـدوًا يريد أن يطمّ آبارنا ويملأها

ترابًا (ع١٥)، وبعبارة أخرى يملأ حياتنا "بأمور الأرض"، ليحرمنا من الكلمة الحيَّة.

ليتنا أيضًا نتعلَّم روح **الوداعة** التي كانت لإسحاق، فإنه لم يخاصم، كقول الوحي في ٢تيموثاوس ٢: ٢٤، وكان حلمه معروفًا عند جميع الناس (في ٤: ٥)، واحتمل الأخطاء التي صُنعت معه، دون أن يَرُدّ على الشرِّ بمثله (١بط ٢: ٢٣). ولقد ظهر له الرب ليشجِّعه ويؤكد له المواعيد (ع٢٤)، وهذا أعظم بما لا يقاس من كل مضايقات الفلسطينيين.

> **الآباء الأربعة**
>
> ☆ كان إبراهيم رجل **المذابح**، فقد بنى أربعة مذابح (١٢: ٧، ٨؛ ١٣: ١٨؛ ٢٢: ٩).
>
> ☆ وكان إسحاق رجل **الآبار**، فقد حفر أربع آبار (٢٦: ١٩، ٢٠؛ ٢١؛ ٢٢؛ ٢٥).
>
> ☆ وكان يعقوب رجل **الأعمدة**، فأقام أربعة أعمدة (٢٨: ١٨؛ ٣١: ٤٥؛ ٣٥: ١٤؛ ٣٥: ٢٠).
>
> ☆ وأما يوسف فكان رجل **الثياب** الأربعة (كما سنذكر في أصحاح ٣٩)

ونلاحظ أن هذا الأصحاح وإن بدأ بمجاعة (ع١)، فإنه خُتم بشبعة (أي الشبع - ع٣٣)، لأن الرب ظهر (ع٢)، والمذبح بُني (ع٢٥). بعد ذلك ذهب إليه أبيمالك وأحد أصحابه ورئيس جيشه، وطلبوا أن يعملوا عهدًا معه. وهذا يذكِّرنا بما قاله الحكيم: «إذا أرضت الرب طرق إنسان، جعل أعداءه أيضًا يسالمونه» (أم ١٦: ٧).

ع٣٤، ٣٥: زواج عيسو

كانت لعيسو فرصة سماع القصَّة الجميلة لزواج أبيه وأمه بحسب فكر الله. لكنَّه أظهر من جديد احتقاره لمشيئة الله في اختيار زوجتيه من بنات الكنعانيين الذين منهم فصل الله عائلته. وبذلك سبَّب مرارة شديدة لإسحاق ورفقة.

٢٧

إسحاق يبارك كلاً من يعقوب وعيسو

المنظر هنا مؤلم جدًّا. عائلة معروف فيها الله، ومع ذلك ظهر وسطها الغش والطمع والكذب. إسحاق صار أعمى جسديًا، كما أنه روحيًا فقد التمييز، لدرجة أنَّ أكلة طيِّبة له كانت أهم من الحالة الروحية لأولاده. وبدون أن يطلب معرفة فكر الله، قرّر أن يعطي البركة للابن الذي فضَّله. وأما رفقة فإنها من جانبها نصحت يعقوب أن **يسرق أخاه ويغش أباه!** وبدا أن عيسو هو المستقيم الوحيد في هذه العائلة! لكن الله عرف قلبه النَّجس، **وتمَّت مشيئة الله** بالرغم من (ولا نقول عن طريق) هذه المؤامرة.

> **ثلاثة أخطاء في هذا الفصل**
>
> في البداية، **من إسحاق**: قرار خاطئ.
>
> ونتيجة لذلك، **من رفقة ويعقوب**: حل خاطئ.
>
> وفي النهاية، **من عيسو**: تَوَجُّه خاطئ، أن يقتل أخاه يعقوب.

بالنسبة ليعقوب، حصل على مرغوبه. وبمساعدة أمه نال البركة التي كان يشتهيها. لكن أمَا كان أفضل له ألف مرة أن يثق في الله، بدل أن يتصرف هذا التصرف المعيب؟ لقد أعلن الرب عن قصده من جهة يعقوب وهو بعد في البطن، ولم يفعل شرًا أو خيرًا، وقال صراحة إن "الكبير يُستَعبَد للصغير" (٢٣:٢٥). والله لا ينسى كلامه ولا يغيِّره. يقينًا كان يعقوب سيوفِّر الكثير من الأتعاب التي تحتَّم عليه أن يحصدها نتيجة فعلته هنا. ما

أجمل قول المرنم: «انتظر الرب واصبر له» (مز ٣٧: ٧).

وبالنسبة لموقف إسحاق من عيسو (ع٣٠-٤٠)، فإن الوحي في عبرانيين ١٢: ١٦، ١٧ يربط هذه الأعداد بما جاء في تكوين ٢٥: ٢٩-٣٤. هناك رأينا عيسو المسكين، وقد اشترى أكلة عدس بثمن باهظ، مقابل كل المواعيد الإلهيَّة. وهنا لما أراد أن يرث البركة رُفض، مع أنه طلب البركة بدموع. أولاً احتقر عطايا الله، والآن أدرك - ولكن متأخرًا - الخطأ الذي وقع فيه، «وصرخ صرخة عظيمة ومُرَّة جدًّا» (ع٣٤). **يا له من مثال خطير!**

وبالأسف، العالم اليوم مليء بالناس الذين مثل عيسو، يبيعون نفوسهم الثمينة مُقابل متعة عابرة. برنامج حياتهم أن يأكلوا حسنًا، ويشربوا حسنًا، ويلعبوا ويستمتعوا بالحياة بكل وسيلة مُمكنة (انظر مزمور ١٧: ١٤؛ فيلبي ٣: ١٩). هؤلاء سيستيقظون متأخرين يقظة مُخيفة، ليكتشفوا جهلهم وحُمقهم، وستُذرف كل الدموع في ذلك المكان المُخيف، حيث "البكاء وصرير الأسنان"، ولكن بلا فائدة، مثل دموع عيسو!

بدءًا من ع٤١ نجد أن متاعب يعقوب على وشك أن تبدأ. وكانت أوّل نتيجة للمؤامرة التي رتبتها رفقة مع يعقوب: كراهية أخيه عيسو له، لدرجة أنَّه أراد أن يقتله. فاضطر يعقوب أن يترك بيت أبيه، ويقطع رحلة طويلة، ويقضي ٢٠ عامًا في المنفى، مليئة بالحزن والتعب، بعيدًا عن أرض الموعد، ولم يرَ أمّه ثانية، رغم أنها ظنت أن غربة يعقوب ستكون "أيامًا قليلة" (ع٤٤). لقد أخذت هي أيضًا جزاءها.

قد نُعجب للأهمية المُعطاة لقصَّة حياة يعقوب في كلمة الله.

حياة يعقوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام واضحة

١- إعوجاجه: يعقوب في أرض كنعان.

٢- تأديبه: يعقوب في فدان أرام.

٣- رد نفسه: يعقوب في كنعان وفي مصر.

لكن السبب أنها مُشابهة لحياتنا، قصة تتميَّز بسقطـــات وتقصيرات، لكن أيضًا تتميَّز بعمل نعمة الله المُقترن بالصبر وطول الأناة.

«متسلٍّ من جهتك بأنه يقتلك» (ع٤٢) تعني أنه يعزي نفسه بأنه سيقتلك، والمراد بأنه يخطط لقتلك.



الظهور الأول من الرب ليعقوب

سبق أن أشـــارت ســـارة على إبراهيم مشـــورة صائبة بإخراج **ابن الجارية** من البيت، ولكن في آخر الأصحاح الســـابق نجد رفقة تشـــير على إسحاق مشورة غير صائبة بإخراج ابنها، **ابن البركة**، من البيت! ولقد كان هذا جزءًا من الحصاد الذي تعيَّن على هذه العائلة أن تحصده (غل ٦: ٧)، نتيجة شرّ الأصحاح السابق.

وفي الأعداد الأولى من هذا الفصل نجد إســـحاق يؤكّد البركة ليعقوب، ويوصيه بأن يأخـــذ زوجة له من بيت بتوئيل، من بنات لابان أخي رفقة. ثم نجد أن عيســـو يحاول تحسين صورته في عيني والديه، بأخذه زوجة ثالثة له من بنات إسماعيل.

وبدءًا من ع١٠ نجد يعقوب يشرع في الرحلة، ويترك بيت أبيه. كان الله مُزمعًا أن يُعرِّفه "بيت إيل"، أي "بيت الله". مـــن الأفضل ألا ننتظر حتَّى نترك بيوت آبائنا مثل يعقوب، لنقابل الربّ. قد يكون الله إله والدينا، لكنه يجب أن يصير إلهنا نحن أيضًا.

كان الله يُعرِّف نفسه لرجال العهد القديم، الذين لم يكن عندهم الكتاب المقدس بعد، بالأحلام والرؤى (أي ٣٣: ١٥).

٧ ظهورات أو إعلانات إلهية ليعقوب

١- في بئر سبع	تكوين ٢٨: ١٢-١٥
٢- في فدان أرام	تكوين ٣١: ٣؛ ١١-١٣
٣- في محنايم	تكوين ٣٢: ١، ٢
٤- في فنيئيل	تكوين ٣٢: ٢٤-٣٠
٥- في شكيم	تكوين ٣٥: ١
٦- في بيت إيل	تكوين ٣٥: ٩-١٣
٧- في بئر سبع	تكوين ٤٦: ١-٤

ابتعد يعقوب عن بيته نحو ٨٠ كيلومترًا، ولكن السماء كانت دانية له جدًا. ولقد رأى يعقوب هنا حلمًا غريبًا. ماذا يعني ذلك السُلَّم الذي كانت تصعد عليه الملائكة وتنزل؟ إنَّه رمز العلاقة بين السماء والأرض. كيف تأسَّست هذه العلاقة؟ ليس بواسطة الملائكة، بل بواسطة ابن الله نفسه، الذي وهو من "السماء"، نزل إلى الأرض، وإذ أكمل عمله، رجع ثانية إلى المجد. بالنعمة أظهر الله القدوس للإنسان الهارب "باب السماء" (ع١٧).

قال يعقوب عندما استيقظ: "ما أرهب هذا المكان!" وهكذا فإن الضمير الملوم لا يمكن أن يجد الراحة، حتى في محضر إله النعمة (لو ٥: ٨).

لكن الفصل يُختم بمساومة غريبة من يعقوب مع الرب. فمع أن الله أعطى المواعيد ليعقوب من مطلق النعمة، وأعطاها له غير مشروطة، لكن يعقوب أراد أن يجعلها مشروطة: يقدّم عبادته للرب مقابل أن يقدّم الرب له المأكل والملبس! وماذا يُمكننا أن نُعطي الله إلاَّ ما يأتينا من يده (١أخ ٢٩: ١٤). لما تساءل المرنم: «ماذا أرُدّ للرب من أجل كل حسناته؟». اكتشف أن لا شيء ليعطيه للرب، بل المزيد من البركات يحصل عليها هو، فكانت إجابته: «كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو» (مز ١١٦: ١٢).

وكثيــرون، حتى اليوم، لا يمكنهم فهم نعمة الله، ويظنون أن عطــايا الله للإنســان تحتاج إلى ما هو أكثر من الإيمان لنمسك بها، ويظنون أنه بمجهوداتهم يصبحون أكثر استحقاقًا لتلك العطــايا، ولكن هذا تشويه لنعمة الله الغنية والمطلقة (رو ١١: ٦).

٢٩

يعقوب عند خاله لابان، واقترانه بليئة وراحيل

في هــذا الأصحاح نرى عنايــة الله بيعقوب التي وعده بهــا (٢٨: ١٥)، والتي قادته إلى أقارب أُمِّه، خاله لابان، الذي معه ســكن عدَّة سنوات. مرَّة أخرى نشهد لقاءً بقرب بئر، ربما هو نفســه البئر الذي قرأنا عنه في تكوين ٢٤ حيث التقى العبد برفقة. لكننا هنا لا نســمع صلاة من المســافر، مثل المرة الأولى؛ ولا نقرأ أنه قدّم الســجود لمّا شعر بيد الرب القائدة له. وفي بيت لابان، نقرأ أن يعقوب حدّثه بجميع هذه الأمور (ع١٣)، لكننا لا نقرأ عن اسم الله يُذكر ولو مرة واحدة في الجلسة، ولا كيف بارك الله العائلة (قارن ٢٤: ٣٥)! بل لا نقرأ أنه حدّثه عن الحلم في بئر سبع، حيث ظــهر له الرب وأعطـــاه المواعيد. تُرى هل نحن نذكر اســم إلهنا عندما نتحدث مع أقربائنا ومعارفنا؟

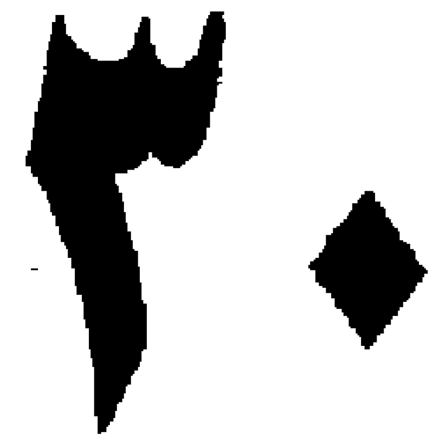
ونحن في هذا الفصل نرى يعقوب يتصرف عكس إبراهيم، إذ "بالعيان تغرَّب في غيــر أرض الموعد" (قارن عبرانيين ١١: ٩). ثم إنه، بحســب بركة أبيه له، كان المفروض أن يكون ســيدًا لإخوته، وأن يُخدم، لكننا نراه هنا يَخدِم! وتتكرر الخدمة ومترادفاتها في هذا الفصل سبع مرات (ع١٥، ١٨، ٢٠، ٢٥، ٢٧، ٢٧، ٣٠)! إننا نرى

يعقوب هنا تحت ما يُســمَّى "حكومة الله"، وقد أُدخل إلى "مدرسة الله". ومعاملات الرب معنا في هذه المدرســة لا تُرى في الحاضر أنها للفرح بل للحزن، لكنها أخيرًا تؤول للخير للذين يتدربون بها؛ فإن قصد الله من معاملاته التأديبية هو أن نشــترك في قداسته (عب ١٢: ١١). والفصل الذي دخله يعقوب سيستمر عشرين سنة، فيها سيجتاز في ظروف مُذِلَّة قريبة الشــبه بخدمة العبيد. وكيف علَّمه الله الدروس التي أراد أن يعلِّمه إياها؟ بأن سمح أن ما يُعمل معه ما عمله هو مع الآخرين، فأمكنه أن يدرك شيئًا عن بشــاعة الخطية. لقد خدع أباه، ومع أنه هو الأصغر، تظــاهر بأنَّه الأكبــر. والآن جاء دوره ليتعامل مع أب، فيخدعه ذلك الأب، ويعطيه ابنته الكُبرى عوضًا عن الصُغرى! وكثيرًا ما جَعَلنا الله فــي حياتنا نقول، كما قال الملك أدوني بازق: «كما فعلت كذلك جازاني الله» (قض ١: ٧).

ورغم كل الفشــل البشــري كان الرب يتمــم قصده، ومن ليئــة أتى "لاوى" و"يهوذا" (ع٣٤، ٣٥)، ومنهما كان ســيأتي الكهنة والملــوك، ومن راحيل أتى "يوســف" (٣٠:٢٢-٢٤)، البكر. فما أعــظم حكمة إلهنا التي لا يعوقها شــرّ الإنسان أو الشــيطــان، بل يجعل الكل يخدم مقاصده! ونحن نعرف أن كلاً من البكر والملك والكاهن تجمّعوا معًا في شــخص واحد، هو رجل مشــورات الله، الرب يسوع المسيح.

من الناحية الرمزية فإننا نقرأ: «خدم إســرائيل لأجل امرأة، ولأجل امرأة رعى» (هو ١٢: ١٢). ويعطينا يعقوب هنا صورة لمن هو أعظم منه، شخص الربّ يسوع، الذي قطـــع رحلة طويلة وأتمّ عملاً صعبًا لكي يجذب لنفســه قلب الكنيســة، وكل قلب من قلوبنا. كان عمل عبــد إبراهيم (في ص٢٤) رمزًا للروح القدس، باحثًا عن العروس. أما هنا فنرى المسيح كالمخلِّص آتيًا شــخصيًا ليربح ثقة ومحبة مَنْ قصد

أن تشاركه في الأبديَّة. ما الدافع الذي جعله يتَّضع هكذا؟ إنَّه **المحبة**. **فالرب** أحبّ شعب إسرائيل (إر ٣١: ٣)، **والمسيح** أحبّ الكنيسة (أف ٥: ٢٥)، وأحبّ كل واحد منًّا (غل ٢: ٢٠)، ومحبته العجيبة شدَّدته في طريق الخدمة التي وصلت إلى موت الصليب. ولقد مات المسيح وقام. ويقول للكنيسة التي تنتظره «ها أنا آتٍ سريعًا» (رؤ ٣: ١١). ووقت الانتظار هذا «في عينيه كأيام قليلة بسبب محبّته لها» (ع٢٠). ونحن بدورنا ينبغي أنَّ محبَّتنا له تجعلنا نخدمه باجتهاد وننتظره بشوق.



ع١-٢٤: أولاد يعقوب من نسائه الأربع

تُقدِّم لنا هذه الأعداد بقية أولاد يعقوب (انظر ٢٩: ٣١-٣٥)، باستثناء بنيامين، الابن الوحيد ليعقوب الذي وُلد في أرض الموعد (٣٥: ١٦-١٨). وهذه صفحة مهمة في العهد القديم، حيث أنَّ أولاد يعقوب الاثني عشر، سيصيرون بدورهم رؤساء الآباء الاثني عشر (أع ٧: ٨)، وفيهم تمَّت المواعيد المُعطاة لإبراهيم وإسحاق، وكذلك ليعقوب نفسه. وبالرغم من وجود أشياء كثيرة مُحزنة في هذه العائلة، لكن كانت عين الله عليها، وأراد أن يُباركها، فقال فيما بعد: «ما أحسن خيامك يا يعقوب، مساكنك يا إسرائيل!» (عد ٢٤: ٥). بنفس الطريقة، عائلات المؤمنين اليوم غالية على قلب الربّ. ويُريد الربّ أن يبارك كل أفرادها. إنَّ الرب يعرفك بالاسم، ويعرف ماذا يريد أن يصنع منك، وهو الآن يُعدّك للخدمة التي اختارها لك.

ع٢٥-٤٣ : الرب يبارك يعقوب

الجميل أن مولد يوسف (الذي يرمز للمسيح)، وضع حدًّا لخدمة العبيد في حياة يعقوب، وأثار فيه الأشواق للعودة إلى أرض الموعد. ومن الناحية الروحية نجد أنه من اللحظة التي يأخذ المسيح فيها مكانه في قلوبنا وبيوتنا، يمكننا أن نتذوق معنى الحرية الحقيقية والأشواق الروحية.

لكن لابان حاول تعطيل يعقوب في تنفيذ عزمه، ونجح في ذلك لعدة سنوات أخرى. ويعقوب في هذا المكان، بدا وكأنَّه نسي الله، لكن الله، إله بيت إيل، لم ينسَه. انظر إليه وهو مشغول ويدبِّر الحيل بمكر ضدَّ لابان ليغتني، مُستخدِّمًا ذكاءه ومجهوداته الخاصَّة! وكم هو منظر محزن أن نشاهد مؤمنًا في صراع مع أهل العالم لأجل الممتلكات الأرضية. كان إسحاق في هذه النقطة أفضل جدًّا من ابنه يعقوب (ص٢٦: ١٥-٢٢). وفي ١تيموثاوس٦: ٦-١٠ يعقد الرسول بولس مقارنة بين التقوى والرغبة في الغنى، فيقول: وأمَّا «التقوى مع القناعة فهي تجارة (ربح) عظيمة». وعليه فإن التقوى ربح أعظم من أي ربح مادي. لكن أين علامات التقوى في حياة يعقوب، وهو هنا بعيد عن بيت أبيه، ليس له مذبح، وبالتالي لا اتصال بينه وبين الله؟ ثم أين حياة القناعة (التي تكلَّمنا عنها خيام الآباء)، تلك الخيام التي كان ليعقوب نفسه سابق علاقة بها (٢٥: ٢٧)؟

والرسول بولس الذي كتب هذا لابنه تيموثاوس، كان قد تعلَّم شخصيًّا أن يكون مكتفيًا في أيَّة حالة كانت (في ٤: ١١). ليس من السهل أن يكون الواحد مكتفيًا دائمًا بما هو فيه، لكن أليس هذا أفضل شهادة للذين حولنا، بأنَّنا مكتفون بما يعطينا الله؟ لقد أعطانا الله ابنه الوحيد، ومعه كل شيء (رو ٨: ٣٢) وهذا كافٍ.

٣١

هروب يعقوب من حاران، وتعقب لابان له

مأســـاة أن يعقوب وصل بيت خاله لابان هاربًا من أخيه عيســـو، وها هو يترك بيت خاله، هاربًا من خاله! ولكن رغم كل طرق يعقوب المؤســـفة، يجب أن نذكر صبره. لقد احتمل، بدون تذمّر، المشـــقّة والحرمان، وكذلك الأخطـــاء الصادرة من لابان. ونجده يعدِّدها في الأعداد ٣٩ -٤١. لكن ما شـــدَّده وعضَّده، تَذَكُّره للأرض التي أعطـــاها الله لإبراهيم ونســـله، ولم ينسَ أيضًـــا الوعد الذي أعطـــاه له الله في بيت إيل، أن يُرجعه إلـــى أرض كنعان. لقد حفظ ذكرى هذا الرجاء في قلبه، وجاء الوقت أخيرًا لإتمامه.

أليس لنا نحن المؤمنين أيضًا، وعد لا يخيب من الله بخصوص وطن ســـماوي ســـيُدخلنا إليه عن قريـــب؟ هذا الفكر، وهـــذا الرجاء، يعطياننـــا كل الصبر، وكل الشـــجاعة اللاَّزمة لمواجهة الصعاب، واحتمال حتَّى الأخطـــاء الصَّادرة ضدنا من الآخرين (يع ٥: ٧، ٨).

حســـن أن أطـــاع يعقوب كلام الرب له (ع٣)، ولكن أليـــس هروبه دون إخبار خاله بعزمه، دليلاً على تزعزع ثقته فـــي الله. إن الله الذي أعطـــى الأمر ليعقوب بالرجوع، ما كان سيســـمح للابان بإعاقته (ع٢٤). ومـــا كان يجرؤ لابان إلا على الرضوخ، لأنه من عند الرب خرج الأمر (قارن مع٢٤: ٥٠).

لما ســـمع لابان أن يعقوب هرب (ع٢٢)، تبعه ســـبعة أيام، حتى أدركه في جبل جلعـــاد. كان عمر لابـــان† في ذلك الوقت حوالي ١٤٠ ســـنة، بمعنـــى أن "رِجْلَه

والقبر"، ولكنه في هذه السن المتقدّمة لا يزال مكّارًا وداهية، وقلبه ملآن بالطمع والحَسَد. تظاهر لابان بالحب لابنتيه ولأولادهما، والحقيقة أنه ما كان يعنيه سوى مصلحته الشخصية (ع١٥)، كما ادَّعى بأنَّه يخاف الربّ (ع٢٩،٥٣)، والواقع أنه كان يبحث عن آلهته الكاذبة.

في عددي ٢٩، ٣٠ نجد أمرين على طرفي نقيض. فنجد أولاً الإله الحقيقي "إله إبراهيم وإسحاق"، يدافع عمن له، ولو كانوا مثل يعقوب، وهو ما شهد به لابان نفسه؛ أما إله لابان فإنه يُسرق (قارن قض ٦: ٣١)! لكن من الناحية الأخرى هو أمر مُحزن أن نرى راحيل لا تزال متعلِّقة بهذه الأصنام (ع٣٢). على العكس من ذلك كانت رفقة، فممَّا كُتب عنها، نستطيع أن نتأكَّد أنَّها تركت تلك الأصنام مسرورة، عندما خرجت من بيت أبيها مع عبد إبراهيم.

هكذا توجد أشياء كثيرة في العالم، نظن أنَّنا نقدر أن نأخذها معنا في الطريق ونحن ذاهبون إلى وطننا السماوي. وقد نقدر أن نُخبِّئها لفترة من الوقت في أعماق قلوبنا عن عيون الذين حوالينا. ليت الرب، الذي وحده يعرف خفيات القلب (مز ٤٤: ٢٠، ٢١)، يقنع قلوبنا، فنتخلص مبكّرًا من تلك الأوثان، ونتخلى فورًا عن أي شيء في قلوبنا يأخذ مكان الربّ يسوع.

أخيرًا .. افترق يعقوب عن لابان (ع٤٥ -٥٥)، وكانت الرُجمة علامة الانفصال بين الاثنين. وهكذا ينبغي ألا تكون مصالح مشتركة بين المؤمن وأهل العالم، حتى لو كانوا من الأقرباء.

---

† كان لابان شابًا ناضجًا عند زواج رفقة (تك٢٤). ولقد ظلت رفقة عاقرًا ٢٠ سنة قبل أن تلد يعقوب؛ ويعقوب في ذلك الوقت كان عنده حوالي ١٠٠ سنة (فيوسف كان قد وُلد قبل ست سنين، ويعقوب يكبر يوسف بأكثر من تسعين سنة – تك٤١: ٤٦؛ ٤٥: ٦؛ ٤٧: ٩).

٣٢

ع١ ـ ٢١ : يعقوب في طريق العودة إلى أرض الموعد

عند مغادرة يعقــوب أرض كنعان، رأى ملائكـــة (ص٢٨: ١٢)، وفي طريق عودته إليها قابله "ملائكـــة الله". ويُخبرنا كاتب العبرانيين في أصحاح ١: ١٤ عن الملائكة: «أليس جميعهم أرواحًا خادمة مُرسـلة للخدمة لأجـل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟» فنحن أيضًا ننتفع بعناية الملائكة وخدمتهم لنا، حتَّى وإن كنَّا لا نراهم.

في بيت إيل أراد الله، فــي صلاحه، أن يُظـــهر ليعقوب أولئك الخدام الذين كان مُزمعًا أن يســتخدمهم في العناية به في أثناء نفيه. والآن في طريق رجوعه، رأى ملائكة "محنايم" تُرحِّب به راجعًا إلى أرض الموعد (ع١، ٢). لكن يعقوب لم يكن في الحالة التي تجعله يبتهج بهذه الرؤيا. كان ضميره شاعرًا بالذنب، وحتى لو كان لابان خلفه، فإن عيســو أمامه، وكان يفكر في كيفية اللقاء به. أليس غريبًا أن من رأى جيش الله، وعرف أن هذا الجيش لحســابه، يعود ويخشى من إنسان، ولو كان عيسو؟!

ولقد قسَّم يعقوب القوم الذين معه (ع٧). وليست ثمة مشكلة في تقسيم القوم، بل المشكلة الحقيقية أن قلبه كان مقسَّــمًا! والدليل على ذلك أن يعقوب وجد أن مصدر الراحة هو الصلاة، فصلى يعقوب هنا **صلاته الأولى المســجَّلة في الكتاب المقدس** (ع٩ -١٢)، ولكنه بعد أن قام من الصلاة واصل الاســتعدادات والتكتيكات. لقد سلَّم للرب طريقه، ولكنه لم يتكل عليه (مــز٣٧: ٥)، وكأنه لم يكن واثقًا أن الرب يقدر أن يحميه من عيسو. ألا يحدث هذا منا في بعض الأحيان؟

لم يكن ضمير يعقوب مســتريحًا. ونحن أيضًا عندما نشــعر بأننا أخطــأنا ضدَّ أحد، يكون من المســتحيل على قلوبنا أن تتمتَّع بمحبَّة الــربّ. لاحظ قول يعقوب «سيِّدي عيسو»، «**عبدك يعقوب**» (ع١٨، ٢٠). بينما بركة أبيه جعلته سيِّدًا لأخيه. ألم يكن من الأفضل، بدلاً من هذا التظــاهــر والترتيبات الماهرة، أن يتقدَّم يعقوب بجراءة، ويطلب الصفح من أخيه الذي أخطــأ إليه؟

ع٢٢-٣٢: الرب يصارع يعقوب

ليلة أخرى تاريخية في حيــاة يعقوب، بعد ليلة حلم بئر ســبع (ص٢٨). وكان الصراع مع الملاك في تلك الليلة يلخص كل تاريخ يعقوب حتى تلك الليلة الفاصلة. يقول لنا ع٢٤ «وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر». والعبارة الأخيرة "حتى طلوع الفجر" تصوِّر لنا بطء قلوبنا في التعلُّم، وعناد الجسد ورعونته، وصبر معلّمنا وطول أناته. لقد كان يعقــوب يريد دائمًا أن يحصل على البركة بمجهوده وذكائه، وبالتالي كان دائمًا في صراع مع الله. لكنه اكتشف هنا أن «ليس بالقوة يغلب إنسان» (١صم ٢: ٩). ماذا يمكن أن تفعل قوة الإنســان ضد قــوَّة الله؟ حركة واحدة فقط (ع٢٥) وصارت قوَّته لا شيء. عندئذ نزع يعقوب الثقة في ذاته، وتعلَّم ذلك الحق الأساسي في حياة كل مؤمن: «**حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي**» (٢كو ١٢: ١٠).

وإذ وصل يعقوب إلى معرفة ذاته، فقد أمكنه أن يغلب بالإيمان قائلاً: «لا أطلقك إن لم تباركني» (ع٢٦ قارن مع هوشــع ١٢: ٤). ويا لهــا من نصرة عن طريق الصلاة! كانت بركة ليعقوب أن يُدعى اســمه "إسرائيل" ــ اســم له مكان هام في مقاصد الله، وفي الكلمة، وفي التاريخ. هذا الاســم الذي يكلِّمنا عن المســيح الغالب "أمير الله"، إسرائيل الله الحقيقي.

لن ينســى يعقوب أبدًا هذا المكان "فنيئيل". وعصاه التي سيتوكأ عليها من الآن

فصاعدًا ستذكّره به. صحيح في هذا المكان انخلع حُقّ فخذه، ولكن روحه تحررت (قارن مع رومية ٧: ٢٤، ٢٥). ومن الجانب الآخر قال الربّ يسوع: «خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع، من أن تُلقى في أتون النار الأبدية، ولك يدان أو رجلان» (مت ١٨: ٨).

وفنيئيل معناها "**وجه الله**". حتّى الآن كان يعقوب يعرف فقط "بيت إيل"، أي **بيت الله**، والآن تقابل وجهًا لوجه مع الساكن في هذا البيت!

ولقد «أشرقت له الشمس إذ عبر فنيئيل» (ع٣١). سبق أن غربت الشمس في حياته (٢٨: ١١)، ودخل بعدها في ليل طويل، بعيدًا عن الأرض وعن الرب؛ ولكن بنهاية الاغتراب عند لابان، ورجوعه إلى أرض الموعد، وللعلاقة والشركة مع إلهه، أشرقت له الشمس من جديد!



ع١-١٦ : لقاء يعقوب مع عيسو

غيَّر الربّ اسم أبرام إلى إبراهيم، فلم يَعُد يُدعى بالاسم القديم مرَّة أخرى. لكن ليس هكذا مع يعقوب صاحب الحِيل، الذي ظل محتفظًا بالاسمين إلى نهاية حياته، وهذا يصوِّر لنا الطبيعتين في المؤمن.

الهدية الكبيرة التي أرسلها يعقوب إلى عيسو، لم تغيِّر قلب عيسو، وإن كانت أظهرت قلب يعقوب. فلقد صلى يعقوب للرب في الأصحاح السابق لكي ينجيه من عيسو، والرب بطريقة عجيبة غيَّر قلب عيسو فعلاً (ع٤). واتضح أن الهدية

الغالية، التي وثق فيها يعقوب أكثر من صلاته لله، لم يكن لها لزوم، وعيسو على ما يبدو من ع ٨ لم يفهم الغرض منها.

على أن يعقوب مـا زال هو يعقوب، ولـم يتعلَّم أن يثق في إلهـه، كلي القدرة والسلطـان. فنراه يتملَّق عيسو، ويخدعه قائلاً: إنَّه ذاهب إلى سعير (ع١٤)، ولكنَّه ذهب إلى سكوت!

ع١٧ ـ ٢٠: تباطؤ يعقوب في الوصول إلى بيت إيل

ليس فقط لم ينفِّذ يعقوب ما قاله لعيسـو، بل الأسـوأ أنه لم ينفِّذ ما قاله للرب، فلم يذهب إلى بيت إيل، بل إلى سكوت، حيث بنى بيتًا (ع١٧)، ثم إلى شكيم حيث اشترى حقلاً (ع١٩)، مُنكـرًا بهذين التصرفين صفتـه كغريب (انـظر عبرانيين ١١: ٩). صحيح هو بنى مذبحًا في شكيم - ربما لكي يريح ضميره - لكنه دعا اسم المذبح "إيل إله إسرائيل"، بمعنى أنه إلهه هو فقط، وليس إله كل أفراد عائلته، كما سيتضح لنا من الأصحاح التالي؛ أما يشوع فإنه في شـكيم هذه، كان له موقف أفضل جدًا من يعقوب هنا، إذ قال للشعب: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ١، ١٥).

٣٤

مأساة دينة وتوابعها

كانت شـكيم مكانًا مناسـبًا لرعي المواشي، لكن بكل أسـف أجمل شاة في بيت يعقوب ضاعـت في ذلك المكان! لقـد اهتم يعقوب، في نهاية الأصحاح السـابق، بالربح المادي أكثر من الشهادة لله، فكانت النتيجة الرهيبة ما نقرأه في هذا الأصحاح

(قارن أمثال ١٥: ٢٧).

وإن كان أهل العالم الأشـرار - من قبل الطوفان، وإلى نهاية الزمان - تُميِّزهم النجاسة والشراسة، فكم هو مؤسـف أن عائلة يعقوب ارتُكبت فيها هاتين الكارثتين. فهذا الفصل المحزن يبدأ بحادثة زنى، ويُختم بمجزرة!

إن الشركة مع الأشرار، جلبت على يعقوب المرار، وعلى بيته الفضيحة والعار. وللأسـف تدنسـت ابنته الوحيدة دينة. ثـم بالحيلة والخديعة مـارس أبناء يعقوب الشرسين مجزرة مرعبة، ثأرًا لشرف أختهم، جعلت يعقوب يضطرب ويخاف مما قد ينتج عن فعلة أولاده الأشرار، ولكن الله لم يتركه في تلك الحالة البائسة، كما سنرى في الأصحاح التالي.

٣٥

ع١-١٥ : يعقوب في بيت إيل

تكلَّم الرب† إلى يعقوب مرة أخـرى قائلاً: «قُم اصعد إلى بيت إيل، وأقم هناك، واصنع **هناك مذبحًـا** لله» (قارن ٣٣: ٢٠). بيت إيل، بيـت الله، كان هو المكان حيث يمكن التمتُّـع بمحضر الربّ. هذا الصوت نفسـه، يُخبـر المؤمن أوّل كل أسبوع: لا تهتم بالأمور الأرضيَّة، وتعال تمتَّع بمحضر مُخلِّصك، لتسجد له بالروح والحق. هناك يمكنك أن تقدِّم بالروح القدس ذبيحة الشكر للذي خلَّصك من الموت.

يا له من امتيـاز أن نُطيع، ونذهب معًـا لنعبد الله! لكن قبـل أن نتمتَّع بهذا

الامتياز، يجب أوَّلاً أن يحدث شـيء، وقد عرف يعقوب هذا. ونحن بالمثل يجب أن نتذكَّره. كان في خيامه أشـياء مُخبَّأة لا تتَّفق مـع محضر الله القدوس، مثل تماثيل آلهة لابان، التي كانت في خيمة راحيل، وقد تغاضى عنها يعقوب طويلاً، لكن الآن جاء الوقت لتطـهير أنفسهم، والتخلُّص من الآلهة الغريبة (قارن هوشع ١٤: ٨). فطمرها يعقوب تحت البُطمة، كشـيء لا قيمة له، ولا يسـتحق سوى الدفن، وبذلك أمكنه أن يصعد إلى بيت إيل. ما عـاد هذا المكان مرعبًا ليعقوب (قـارن ٢٨: ١٧). فبني هناك مذبحًا (ع٧)، من ثم فقد ظـهر الله له، وأسـمعه تأكيدًا للمواعيد. والرب هنا يباركـه دون أن يطلب يعقوب ذلك (قارن مع ٣٢: ٢٦-٢٩)، وأيضًا يعلن له اسـمه قائلاً له: «أنا الله القدير»، بخلاف ما حدث في ظـهـوره الأول في فنيئيل (٣٢: ٢٩). وكانت النتيجـة لذلك أن نصب يعقوب عمودًا، وسـكب عليه سـكيبًا، وصب عليه زيتًا (وهنا نجد أول ذكر للسكيب في الكتاب المقدس، الذي هو إشارة للفرح).

ع١٦ ـ ٢٠: ولادة بنيامين وموت راحيل

نرى الآن مرحلة جديدة في حياة يعقوب، حدثت وهو في ترحاله: ولادة بنيامين، وفي الوقت ذاته موت راحيل. طريـق المؤمن بالمثل فيه **أفراح وأتراح**. ولقد أقام يعقوب عمودين: واحد للأفراح والآخر للأحزان (ع١٤، ٢٠).

كلا الاسمين اللذين أُعطيا للطفل، يُكلِّماننا عن الربّ يسوع: "ابن أوني" (أي ابن حزني) وهو اسم ذاك الذي سـينوح عليه إسرائيل «كنائح على وحيد له» (زك ١٢: ١٠)؛ واسـم ذاك الذي كان في الأرض «رجل أوجـاع ومُختبر الحَزَن» (إش ٥٣: ٣). لكنَّه في الوقت نفسـه "بنيامين" الحقيقي ــ ابن يمين الآب ــ الشـخص الذي قال له الله: «اجلس عن يميني» (مز ١١٠: ١). والاسـمان معًا يدلاَّن على أنَّ آلام

المسيح وأمجاده لا ينفصلان (لو ٢٤: ٢٦ - ٤٦).

يوجد اسـم آخر في هذا الأصحاح، يجعلنا نفكِّر في المسـيح أيضًا، وهو «**بيت لحم**» (ع١٩)، حيث وُلد المخلص. ولقد أُقيم قبـر راحيل هناك. ومكان "الدموع" الذي ذُكِر في بداية الأناجيل (مت ٢: ١٨)، أصبح هو نفسـه المكان الذي أُعلن منه أعظم فرح لجميع الشعب (لو ٢: ١٠).

ع٢١-٢٦ : **خطية رأوبين**

هذه النجاسـة التي امتعت رأوبين لدقائق معدودة، سبّبت لأبيه وله أحزانًا مديدة. ويعقوب إلى يوم وفاته لم ينسَ تلك الفعلة البشعة (٤٩: ٢، ٣).

والآن، وبعد ولادة بنيامين (ع١٢)، أمكن أن يذكر أسـماء الأسباط الاثني عشر لأول مرة (ع٢٢-٢٦)، ولو أننا سنجدهم بعد ذلك كثيرًا على صفحات الوحي. ومن اللافت أن يرتبط ذكر أسماء بني يعقوب، حيث يرد فيها أن رأوبين هو "بكر يعقوب" (ع٢٣)، بتلك الجريمة النكراء التي ارتكبها رأوبين، وهي التي كانت سببًا في فقدانه امتياز البكورية (١أخ ٥: ١).

ع٢٧-٢٩ : **موت إسحاق**

يرد موت إسـحاق هنا، مع أنه تاريخيًا حدث بعد بيع يوسف إلى مصر بحوالي ١٢ سنة. ولقد عاش إسـحاق أطول من أبيه إبراهيم، وأطول من ابنه يعقوب. لقد كان رجل السـلام والوداعة، فتمتع بكثرة الأيام، ورأى خيرًا (مز ٣٤: ١١-١٤). وعندما مات دفنه ابناه عيسو ويعقوب.

---

† يرد في هذا الفصل أكثر من عشـرين إشارة إلى اسم الجلالة، بينما في الأصحاح السابق لا ترد عنه ولا إشارة واحدة.

٣٦

عيسو ونسله

كانت عائلة عيسو ناجحة، إذ شملت أمراء كثيرين. يشتهي الإنسان أن يكون قائدًا أو رئيسًا، لكن كم هو أفضل أن يكون الواحد **مُطيعًا لله** (كمعنى اسم إسرائيل، الذي يأتمر بأمر الله)، من أن يُعطي أمرًا للناس، وأن يَخدِم خاصة الرب، عن أن يُخدَم من أهل العالم! هذا ما علَّمه الربّ لتلاميذه، عندما قال: «أنتم تعلمون أنَّ الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم، وأنَّ عظماءَهم يتسلَّطون عليهم، فلا يكون هكذا فيكم، بل من أراد أن يصير فيكم عظيمًا، يكون لكم خادمًا. ومَنْ أراد أن يصير فيكم أوَّلاً، يكون للجميع عبدًا» (مر ١٠: ٤٢-٤٤).

وبين هؤلاء الأمراء الذين ارتبط بهم عيسو، يذكر "عنى" الذي وجد الحمائم (أي الينابيع الحارة) في البرية (ع٢٤). والإنسان الجسدي (عنى) قد يجد ينابيع في هذا العالم، ولكنها ينابيع حارة لا يمكن أن تروي العطش، وتمثّل كل ينابيع الأرض. كما نقرأ أيضًا عن "عماليق" الذي صار ألد أعداء إسرائيل على مدى تاريخه الطويل (خر ١٧: ٨-١٦؛ عد ٢٤: ٢٠).

في ع١، ٨ يُذكر أن عيسو هو أدوم. لقد تغيَّر اسم يعقوب المُخادع إلى إسرائيل أمير الله (٣٥: ١٠)، لكن اسم عيسو، صار "أدوم"، الذي معناه أحمر، إشارة إلى "الأحمر" الذي اشتهاه: "طبخة عدس" (٢٥: ٣٠). فكّر في هذا: عيسو وكل نسله، من جيل إلى جيل، اشتهروا بأكلة العدس التي من أجلها باع بكوريَّته، وخسر البركة!

٣٧

ع١-١١ : يوسف وأحلامه

هذا الأصحاح يبدأ لنا قصَّة حياة يوسف الجميلة. وهذه الحياة لها لذَّة خاصة في كل الكتاب، لأنَّه لا توجد شخصية تُقدِّم الربّ يسوع في رمز، مثلما تُقدِّمها حياة يوسف. كان يوسف (مثل الربّ يسوع) **موضوع محبَّة أبيه**، فعمل له قميصًا ملوّنًا (قارن مت ٣: ١٧؛ أع ٢: ٢٢)، وكذلك كان مثله موضوع **كراهية وحَسَد إخوته** بني إسرائيل (يو ٣: ١٩؛ مت ٢١: ٣٨)؛ وذلك لأنَّه شهد ضدَّ شرّهم (ع٢)، وفي الوقت نفسه شهد لهم عن **مجده القادم**، الذي لم يؤمنوا به. فالمسيح مركز كل النبوات المتعلِّقة بالأرض (ع٧)، والمتعلِّقة بالسماء (ع٩). كان هو الشاهد الأمين الحقيقي (رؤ ١٩: ١١) ضدَّ العالم وأعماله الشريرة (يو ٧:٧)، والشاهد عن أمجاده القادمة (مت ٢٦: ٦٤).

من الناحية العملية، كم هو جميل أن الرب يقدّم تلك الإعلانات ليوسف لتكون موآزرة له لمواجهة أتعابه القادمة. وهكذا معنا، فإن معرفتنا بالمجد الذي ينتظرنا، يجعلنا نستهين بالآلام التي نواجهها (رو ٨: ١٧،١٨؛ ٢كو ٤: ١٧).

ع١٢-١٧ : يوسف مرسل من أبيه إلى إخوته

يوسف مثال لنا في **الطاعة**. وعندما أرسله أبوه ليفتقد إخوته، مع أنَّهم أبغضوه، قال: «هنذا» (ع١٣). لكن ما أعظم المثال الذي لنا في الربّ يسوع الذي قدَّم نفسه في طاعة كاملة، عندما أراد أبوه أن يرسله! «هنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا أالله»

(عب ١٠: ٩)؛ «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت» (مز ٤٠: ٧، ٨).

كان على يوسف أن يذهب في طريق طويل ليبحث عن إخوته. ألا يُذكِّرنا هذا بابن الله الذي جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك (لو ١٩: ١٠)؟ إنَّه أخلى نفسه، ومع أنَّه الله صار إنسانًا، ووضع نفسه وأطـــاع حتَّى الموت، موت الصليب (في ٢: ٧،٨).

ع١٨ ـ٣٦ : رفض يوسف وبيعه للأمم

المؤامرة ضدَّ يوســف بكل تفاصيلها تكلِّمنا عن الصليـــب. لقد تآمروا على قتل ذاك الذي أتى ليخدمهم. تشـــاوروا ليقتلوه (انظر مــز ١٠٩: ٥؛ إر ١١: ١٩؛ يو ١١: ٥٣). «يزدحمـــون علـــى نفس الصدِّيق، ويحكمون على دم زكي» (مز ٩٤: ٢١).

نزعـــوا ثيابه عنـــه (قارن مع مزمور ٢٢: ١٨)، وطرحوه في البئر، صورة للموت. لقد صارت على المخلِّص كل هذه الآلام إلى أقصى درجـــة. وأخيـــرًا **باعوا يوسف** بعشـــرين من الفضة كعبد للغرباء. والأعظم من يوسف **بيع بثلاثين من الفضة** «الثمن الكريم الذي ثمنوني به» (زك ١١: ١٣). **ثم سلَّمه اليهود إلى بيلاطس**. كم كان ذلك مؤلمًا على نفس يوسف!

أفكار تعليمية هامة نجدها في حياة الآباء الأربعة

في إبراهيم نجد الاختيار والدعوة.

في إسحاق نجد البنوة والميراث.

في يعقوب نجد التدريب والتهذيب.

في يوسف نجد الآلام والأمجاد.

ونحـــن نجـــد في الآبـــاء الثلاثـــة الأول صورة للآب والابن والـــروح القدس على التوالي. ففي إبراهيم نـــرى الآب الذي قدَّم ابنه، وفي إسحاق نجد الرجل الذي اقترن بعروسه، وفي يعقوب نجد الروح ضد الجسد. ثم في يوسف نجد المؤمن تحت معاملات العناية الإلهية.

فكم كان أعظم ألمًا لذاك الذي كان يوسف رمزًا ضعيفًا له، عندما دخل في كل تلك الأحزان، وفي الموت نفسه بدافع المحبة لك ولي.

وفي الختام لا يجب أن نغفل تصرّف إخوة يوسف مع أبيهم. كان تصرّفًا فظًّا وقاسيًا، ولكن كان يعقوب هنا يواصل حصاد ما زرعه (غلا ٦: ٧)، فذاك الذي خدع أباه بجدي من المعزى (ص٢٧)، خدعه أولاده بتيس مع المعزي!



خطية يهوذا وولادة فارص وزارح

يأتي هذا الأصحاح معترضًا في قصة حياة يوسف، مصوّرًا لنا شرّ الأمة (حالة يهوذا)، بالمقابلة مع كمال المسيح (الذي كان يوسف ظلاً باهتًا له). والروح القدس قبل الاسترسال في تاريخ يوسف، يعطينا صورة مقتضَبة، وصفحة واحدة من تاريخ ذلك الشعب القديم، بينما كان يوسف الحقيقي بعيدًا عنهم. فهم تميزهم محبة المال والنجاسة والإدعاء المزيف.

إن يهوذا، الذي **باع يوسف** في الأصحاح السابق، **زنى مع كنّته** في هذا الأصحاح. وهكذا هذا الشعب الذي رفض المسيح الحقيقي عندما أتى إليهم، لم يكمل مكيال إثمه بعد، بل كما رفض الآتي باسم أبيه، سيقبل الآتي باسم نفسه (النبي الكذاب) في المستقبل (يو ٥: ٤٣)، وسيكون سجودهم له هو الزنى الروحي بمعناه البشع.

وأما الدرس الأدبي الذي نحتاج أن نتعلّمه كلنا شبانًا وشيوخًا، فهو أن عدم

مخافة الــرب في هذا النوع مــن الخطــايا بالذات تجلــب علينا: فقد الخاتــم، أي الفقر (أم ٦: ٢٦)؛ وفقــد العصابــة، أي زوال الكرامــة (أم ٦: ٣٢، ٣٣)؛ وفقد العصا، أي ضياع القــوة (أم ٥: ١٠، ١١؛ ٣١: ٣). فلنكن حكماء، ونحذر من الخطية!

تدهور في حياة الانفصال

- إبراهيم استحلف العبد أن لا يأخذ زوجة لإسحاق من بنات الكنعانيين مهما كانت النتائج (تك ٢٤: ٢، ٣).
- إسحاق لم يُظهر هذا الحزم، ولكن عندما تزّوج عيسو بامرأتــين من بنات حث، كانتا مــرارة نفس له ولرفقة (تك٢٦: ٣٤، ٣٥).
- في يعقــوب نرى انحدارًا ثالثًا، فــلا نقرأ أنه انزعج من زواج يهوذا ابنه من ابنة رجل كنعاني (تك ٣٨: ٢).
- في يهــوذا نرى انحدارًا رابعًا ومريعًا، أنه هو الذي أخذ لابنه زوجة كنعانية (تك ٣٨: ٦).

والنقطــة المضيئة اللامعة في كل الفصــل نجدها في خاتمته، إذ نقرأ عن ولادة فارص، الذي منه أتى المسيح حسب الجسد. «وفي وقت ولادة (ثامار) إذا في بطنها توأمان»، يمكننا أن نــرى فيهما صورة لمجيئي المســيح، المجيء الأول والمجيء الثاني. لقد أخرج زارح يده أولاً، فربطت القابلة قرمزًا على يده. فمجيء المســيح الأول ارتبط بسفك الدم (القرمز)، لكنَّه ردَّ يده وخرج أخوه فارص قبله، لأن الشعب لم يقبل الآتــي إليهم بالنعمة، والــذي صُلب من ضعف؛ فلا بُــدَّ أن يأتيهم الاقتحام (فارص)، صورة لمجيء المســيح الثانــي بالقوة والمجد. وبعــد ذلك خرج زارح أيضًا، صورة إلى أن الأمة ســتقدِّر أخيرًا من أتاهم وسفك دماه عنهم، بعد أن يروا مجده أولاً (رؤ ١: ٧).

٣٩

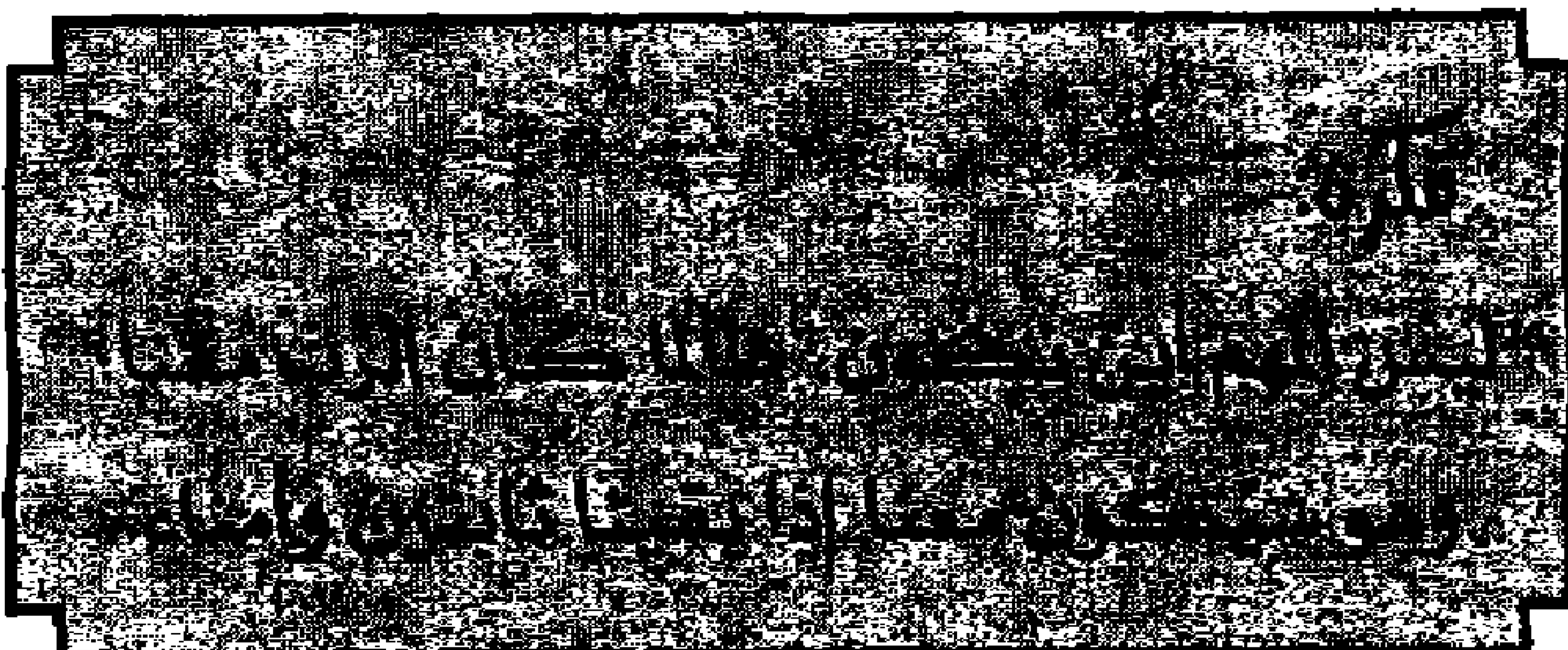
ع١-١٢ : انتصار يوسف على الخطية

بالمباينة مع ما نقرأه في الأصحاح السـابق، نجد يوسف في مصر شابًا يخاف الله ويحفظ نفسه طـاهرًا. لمَّا أتت التجربة رفضها (ع٨)، ولم يسمع لها (ع١٠)، بل وهرب منهـا (ع١٢). قارن بين وضعه في ع١٠، وبين شمشـون في قضاة ١٦: ١٦، ١٧.

أيها الشـاب المؤمن: قد تترك بيت أبيك يومًا ما لتعيش في أوساط خطرة، فكيف يمكنك الانتصار على إغراء التجربة؟ لما سأل المرنم: «بمَ يُزكِّي الشاب طريقه؟»، كانت الإجابة الفورية هي: «بحفظـه إياه حسـب كلامك» (مز ١١٩: ١١). فليت مثال يوسف، وهو بعيد عن عائلته، يكون حافزًا لك على الانتصار على ما يواجهك من معارك ضارية!

ع١٣ - ٢٣ : مزيد من الآلام ليوسف

كان على يوسف أن يجتاز آلامًا أخرى، إذ تألم بالظلم، نتيجة شكاية كاذبة. لكن الرب لم يتركه، بل كما **كان معه** في بيـت فوطيفار (ع٢، ٣)، **كان معه أيضًا** وهو في السجن (ع٢١ - ٢٣). وكان هذا سـبب تعزيته، وسـرّ نجاحه. ليتَ هذا يكون اختبارنا نحن أيضًا

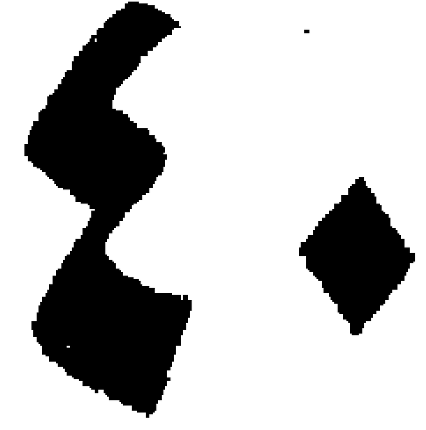


دائمًا وفي كل مكان! ويوسف في هذا كان عكس شمشون، الذي نتيجة لعبه بالخطية يرد عنه القول المؤسف: «لم يعلم أن الرب قد فارقه» (قض ١٦: ٢٠). في أصحاح ٤١ نقرأ كيف خرج يوسف من السجن إلى القصر، وأما شمشون فقد أُخرج من السجن إلى القبر.

ويوسف في آلامه هنا يعطينا صورة أخرى لآلام المخلِّص. لقد أُخذ البار ووُضع في السجن «آذوا بالقيد رجليه. في الحديد دخلت نفسه» (مز ١٠٥: ١٨)، وهكذا مع المسيح «فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه» (مر ١٤: ٤٦). لقد تجاسروا بوضع أيديهم النَّجسة على ابن الله القدوس! كما نقرأ أيضًا: «وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله **يطلبون شهادة** زور على يسوع لكي يقتلوه» (مت ٢٦: ٥٩). «وأُحصيَ مع أثمة» (مر ١٥: ٢٨). بينما هو «لم يفعل شيئًا ليس في محله» (لو ٢٣: ٤١).

يوسف كرمز للمسيح، وثيابه الأربعة (قارن فيلبي ٢: ٦-١٠)

- **القميص الملون في بيت أبيه**: «إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله».
- **ثوب العبيد في بيت فوطيفار**: «أخلى نفسه آخذًا صورة عبد».
- **ثوب المذنبين في بيت السجن**: «وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب».
- **ثياب البوص وهو حاكم على أرض مصر**، كما سنرى في ص٤١: «لذلك رفَّعه الله أيضًا، وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة... ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب».



حلما رئيس السقاة ورئيس الخبازين

السـجن كان مليئًا بالذين أذنبـوا بجرائم مختلفة؛ كم هو مؤثر أن يُرى يوسـف في وسـط هؤلاء المُذنبين، لا يتعالى عليهم لأنَّه البريء دونهـم، كما لا نراه ثائرًا ولا مُتبرّمًا، بل لا يـزال يخدم! وهذا يأخذ بأفكارنا وقلوبنا مرَّة أخرى للكامل وحده الذي أتى ليشاركنا في حالتنا الشـقيَّة، وليخدمنا بالمحبَّة، وفوق كل شيء، يحمل في جسده خطـايانا ودينونتها.

ساقي ملك مصر والخباز اللذان أذنبا إلى سيدهما، يمثّلان كل الجنس البشري «لأنَّه لا فرق إذ الجميع أخطـأوا» (رو ٣: ٢٢، ٢٣). أخطـأوا ضدَّ الله، واستحقوا غضبه ودينونته، لكن هنا يأتي الفرق: البعض يسمع بشـارة الخلاص بالنعمة ويقبلها بالإيمان (أف ٢: ٨)، وهـؤلاء نرى صورة لهم في رئيس السـقاة؛ بينما البعض الآخر يرفض البشـارة، فيُترك للمصير الرهيب ــ الموت الثاني، وهـؤلاء نرى صورتهم في رئيس الخبازين. يوجد فريقان لا ثالث لهما: المُخلَّصون والهالكون. فمن أي الفريقين أنت؟

الخبَّاز لم يستطـع أن ينجو من حكم الملك عليه بالموت، لكن توجد الآن فرصة لك أنت لكي تنتقل من الموت إلى الحياة، وذلـك **بقبول إنجيل نعمة الله**. واللصان على الصليب مثال لهذين الفريقين. واحد بقيَ غير مُبالٍ، ومات في خطـاياه، لكن الآخر طلب: «اذكرني يا رب» وحصل على هذا الجواب المُدهش: «اليوم (ليس في ثلاثة أيام) تكون معي (ليس في قصر ملك، بل) في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣).

في ع١٤ طلب يوسف من الساقي قائلاً: «تذكرني». لكن ما يدعو للأسف، أننا نقرأ في ع٢٣: «ولكن لم يذكر رئيس السُقاة يوسف، بل نسيه». أيُّها المؤمنون بالربّ يسوع، الذين انتفعتم بخلاصه العظيم: ألا نكون في أوقات كثيرة غير شاكرين، ناسين الذي صنع لنا هذا الخلاص؟ الربّ يسوع إذ علم ميل قلوبنا، قال للتلاميذ، عندما أخذ خبزًا وشكر وكسر وأعطاهم: «**اصنعوا هذا لذكري**» (لو ٢٢: ١٩).

وهناك درس أدبي جميل نتعلمه من يوسف في كلامه مع رئيس السقاة (ع١٥). فهو لم يُشِر إلى بيع إخوته له، بل فقط قال: "سُرقت من أرض العبرانيين"، ولا أشار إلى تصرف امرأة فوطيفار الشرير معه. لقد أعلن براءته هو، دون أن يذكر كلمة واحدة في حق الآخرين!

٤١

ع١-٣٦: حلما فرعون وتفسيرهما

يبدأ الأصحاح بأن التوقيت الإلهي لرفعة يوسف، وأيضًا ليُجري الرب مقاصده من نحو العالم، قد أتى؛ فحلم فرعون حلمًا، وانزعج فرعون بسبب حُلمه. وبالمثل ترى اليوم الناس منزعجين وقلقين من جهة المستقبل المجهول، لكن كلمة الله تُعلن كل ما سيحدث، على أن النبوَّة لا يدركها مَنْ ليس له روح الله. لم يستطع فرعون أن يفسّر حُلمه، وعبثًا طلب ذلك من حكماء مملكته. عندما يكون الأمر متعلّقًا بالله، فالحكمة البشريّة لا تنفع.

تذكَّر الساقي يوسفَ بمناسبة حُلم فرعون، ولم يكن من السهل عليه أن يقول: «أنا

أتذكَّــر اليوم خطــاياي» (ع٩)، ولا كان ممكنًا أن يتكلَّم عن يوســف دون أن يذكر أين وكيف تقابل معه. ونحن بدورنا عندما نشهد للربّ يسوع مخلِّصنا، لا يجب أن نخشى أن نعترف بحالة الخطيَّة والتعاسة التي كنَّا فيها.

ثم أتى يوسف إلى المشهد، وفُتحت له أبواب السجن ليخرج ويقف أمام فرعون. وأجاب يوسف فرعون بالحكمة النازلة من فوق، قائلاً: «الله يُجيب بسلامة فرعون» (ع١٦). ولم ينسب التفســير لنفســه، بل لله (قارن دانيآل٢: ٢٨). لقد كان اســم الله دائمًا على لسان يوسف. لاحظ التكرار اللافت لاسم الله في خلال أحاديثه المعتادة! لقد ذكر يوسف اسم الله في هذا الأصحاح وحده "سبع مرات" (ع ١٦، ٢٥، ٢٨، ٣٢، ٣٢، ٥١، ٥٢).

أصغر مؤمن يعرف كلمة الله، لديه معلومات عن المســتقبل، أحســن من أذكى السياسيِّين في العالم. الله، بواســطــة الروح القدس «أعطــانا بصيرة»، وأصبحنا "نعلم كل شيء" (ارجع إلى يو ١٦: ١٣؛ ايو ٢: ٢٠؛ ٥: ٢٠).

مــن الناحية الروحية العالم اليوم يعيش في شــبع عظيم، ولكــن بعد اختطــاف الكنيسة ســتأتي مجاعة رهيبة، ليس للخبز؛ بل لاستماع كلمات الرب (عا ٨: ١١). إن زمان النعمة سينتهي عن قريب، فهل أنت مستعد أيها القارئ العزيز؟

ع٣٧- ٥٢: رفعة يوسف

الآن تُفتح صفحة هامة في حياة يوســف. فبعد الآلام تأتي الأمجاد (مز ١٠٥: ١٧ - ٢١ قارن مع لــو ٢٤: ٢٦). الذي أُذل وطُرح في البئــر وبيع لبلاد غريبة عبدًا، ووُضع في بيت الســجن، صار الآن "سيِّد الأرض" (ص٤٢: ٣٠)، ومخلِّص العالم، والذي أمامه تنحني كل الركب (ع٤٣)! كل واحد من هذه الألقاب يتكلَّم إلينا عن ذاك الذي احتُقر ورُفض مرَّة، والذي ســيكرم ســريعًا من الجميع، ويتمجَّد إلى الأبد. الناصري الذي طوعًا صار عبدًا، رفَّعه الله وأعطــاه اسمًا فوق كل اسم (في

٢: ٩)، وهو الآن مُكلَّل بالمجد والكرامة (عب ٢: ٧، ٩).

ثلاث زيجات في سفر التكوين

في حواء عروس آدم: نجد فكرة السر العظيم (أف ٥: ٢٩).
في رفقة عروس إسحاق: نجد فكرة التعيين الأزلي (رو ٨: ٢٩).
في أسنات عروس يوسف: نجد فكرة أنها عطية من الله (يو ١٧).
وأما بالنسبة للمسيح فإننا نجد هذه الأفكار المتتابعة: في آدم نرى الموت وفتح الجنب، وفي إسحاق نجد القيامة والصعود، وفي يوسف نجد المجد والملك.

شيء آخر كان له قيمة عند يوسف أكثر من كل أمجاد مصر، وهو **عروسه** "أسنات" التي أعطاها له فرعون (ع٤٥). أُخذت من بين الأمم ــ أي من بين الذين لم يكن لهم حق في أي نصيب مع عائلة إسرائيل. كان هذا طبقًا لمشيئة الله ونعمته. فالمسيح المُمجَّد أعطاه الله عروسًا ــ الكنيسة المكوَّنة من أولئك الذين كانوا غرباء عن عهود الموعد (أف ٢: ١٢)، وهي لها تقدير كبير على قلبه، وسيُحضرها لنفسه لتشاركه مجده.

اسما ابني يوسف لهما مدلول جميل: "منسى" (ع٥١) ومعناه نسيان؛ ثم "أفرايم" (ع٥٢) ومعناه ثمر مضاعف. ونسيان الماضي في حياة المؤمن ينبغي أن يسبق الثمر (في ٣: ١٣). وبالنسبة ليوسف فقد صارت المذلة من متعلقات الماضي، والآن بدأ الثمر المضاعف لمجد الله (قارن إشعياء ٥٣: ١١).

ع٥٣ـ٥٧ : بداية سني الجوع

كل ما يقوله الربّ لا بُدَّ أن يُتمِّمه. هكذا تمَّ كل كلام يوسف الذي أعلنه له الله، وبعد أن مرَّت سبع سني الشبع، **ابتدأ الجوع**.

يجرِّب الله كل وسيلة مُمكنة ليحوِّل أفكار الناس إليه، وهذا هو السبب الذي لأجله تأتي أوقات سلام، وتتبعها أوقات حرب ـ أوقات شبع وأوقات جوع. وفي حياة كل فرد: أوقات فرح وأوقات حزن، أوقات فرج وأوقات ضيق. لكن بالأسف نادرًا ما يفكِّر الناس في أن يشكروا الله من أجل الأفراح التي يعطيها، أو أن يهرعوا إليه في وقت الضيق!

وكما أمر فرعون: «اذهبوا إلى يوسف» (ع ٥٥)، هكذا الله الآن يقول لجميع الناس: "اذهبوا إلى يسوع"، والمخلِّص نفسه ينادي: «**تعالوا إليَّ**» (مت ١١: ٢٨). ليتنا نفعل ذلك دائمًا، فنأتي إلى الذي يُعطي بسخاء ما نحتاج إليه لتغذية نفوسنا، وليتنا نعرف أيضًا كيف ننتفع من فرص البركات الروحية كاجتماعات القديسين مثلاً، لنملأ منها مخازن ذاكرتنا وقلوبنا! فما نخزنه، يعطينا قوَّةً وفرحًا في الربّ، حتَّى في أوقات العَوَز والوحدة والفشل. ثم ليتنا لا ننسى التعليم المتضمن في ع٥٥ «والذي يقول لكم افعلوا» (قارن مع يو ٢: ٥)!

٤٢

إخوة يوسف في مصر لأجل الحنطة

بينما كانت هذه الأمور حادثة في مصر، لا يُقال شيء بالمرة عن عائلة يعقوب. وكأنَّ الله يقول: "بما أنكم ارتكبتم هذه الجريمة، ويوسف ليس في وسطكم الآن، فلست أجد سرورًا في ذكر أي شيء يتعلَّق بكم". هكذا في تاريخ الجنس البشري المُحزن، وإسرائيل بصفة خاصة، بعد رفضهم المخلِّص، ليس عند الله ما يقوله فيما

يختص بهم، لفترة على الأقل. لكن الله في صبره غير المحدود، لم ينس خلائقه رغم عصيانهم، ولا أغمض عينه عن يعقوب وعائلته (قارن إشعياء ٨: ١٧)، لكنَّه كان ينتظر الوقت المناسب، ليستعيد العلاقة بهم، وقد جاء الوقت بحدوث الجوع.

إذا كان الله يسمح، حتَّى بين خاصَّته، بتجارب مثل الاحتياج أو المرض، فإنَّما ليوجِّه الالتفات إلى المسيح، يوسف الحقيقي، آخذًا مركزه اللائق به في حياتهم. ما أعظم صبر الله حقًّا، الذي ينتظرنا حتَّى نصل إلى هذه النتيجة!

لقد قال الإخوة العشرة: «نحن أمناء» (ع١١، ٣١). قالوها أمام ذاك الذي يعرف عنهم كل شيء، والذي لو كان ذكر لهم اسمه فقط، لبرهن لهم بأنهم غير أمناء. كيف يظن البشر أنهم يستحقون أي شيء، وقد رفضوا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح؟!

أيها القارئ العزيز: لا تظن أن مرور الزمن يمكن أن يمحو أقل خطية (انظر ع٢١، ٢٢)، فهي أمام عيني الربّ حتَّى ولو نسيناها نحن، فسنعطي عنها حسابًا إن عاجلاً أو آجلاً. ولكن الله، في محبَّته، يُرحِّب بك آتيًا إليه.

من الجانب الآخر، يمكننا أن نرى بسهولة أنَّ يوسف لم يكن يقصد الانتقام من إخوته عندما استقبلهم بخشونة (ع٧)، لكنَّه عرف بالخبرة رداءة قلوبهم، وكان غرضه ردَّ **نفوسهم**، ومساعدتهم على الوصول إلى التوبة الحقيقيَّة، والتي بدونها لا يمكن أن تصلنا أيٍّ من بركات الله. وكما سنرى في قراءتنا هذه الأصحاحات أنَّه استخدم لهذا الغرض: الشدَّة واللطف، التخويف والتشجيع، الاتِّهام ودعوتهم إلى الوليمة ــ كل شيء كان يُعمل بحكمة عظيمة، وهذا يُرينا كيف يتعامل معنا الربّ عندما نكون في حاجة لأن يوقظ ضمائرنا وقلوبنا.

وغني عن البيان أن اتهام يوسف لإخوته بأنهم جواسيس (ع٩) لم يكن صحيحًا. فإخوة يوسف لم يكونوا جواسيس، لكن هذا الاتهام أحضر ضمائرهم أمام الله، وذكَّرهم

بخطيتهم وظلمهم لأخيهم. وهكذا معنا، أحيانًا نُتَّهم بشــيء غير صحيح، فبدلاً من أن نُبرِّر أنفسنا، لنرجع إلى الله لنعلم ماذا يريد أن يعلِّمنا بهذا الأمر غير السار لنا.

ما أجمل أن يســمع يوســف هذه العبارات من فم إخوته «حقًا إننـــا مذنبون إلى أخينا» (ع٢١). عندما باعوا يوسف للإسماعيليين جلسوا يأكلون، وكأن شيئًا لم يكن (٣٧: ٢٥)، والآن، وبعد زمان طويل، هاجت ضمائرهم عليهم. وتمت فيهم كلمات الوحي: "ثقوا أن خطيئتكم ستلاحقكم" (عد ٣٢: ٢٣ - ترجمة تفسيرية).

ذهب عشــرة إخوة من عند يعقوب ليبتاعوا الحنطـــة، وعادوا إليه تســعة فقط. وهذا الأب الشيخ المسكين اشــتكى في لوعة قائلاً: «صار كل هذا عليَّ؟» (ع٣٦)، مع أن الواقع أن كل شيء كان يجري لخيره. لقد كان عليه أن يتعلَّم أنَّه إذا كان الله له، فلا شــيء يكون ضدَّه (انظر رومية ٨: ٣١). بعد قليل جدًا كان ســيعلم أعظم خبر: أن يوسف حي بعد، وسيتم اجتماع شمل العائلة كلها!

٤٣

إخوة يوسف في مصر ثانية، ومعهم بنيامين

كان إخوة يوسف خائفين كثيرًا، علامة على أنَّ ضمائرهم لم تكن مستريحة. كان عليهم أن يرجعوا إلى يوســف ويُعطوا تفســيرًا للفضة التي وُجدت في عِدالهم. لقد عملت النعمـــة ذلك لهم، لكن حتَّى عمل النعمة يتــرك الضمير في الخاطــئ خائفًا. عندما يوجد لوم على ضمائرنـــا، يجب ألاَّ نبقى بعيدين عن الربّ، بل نُســرع إليه معترفين بكل شــيء. إنَّه ينتظرنا، كما كان يوسف بلا شــك ينتظر رجوع إخوته

بشوق أكثر من شوق شمعون، الذي كان مقيَّدًا في مصر.

العدد الثامن يُخبرنا بما يجب أن نفعله: «**نقوم ونذهب ونحيا**» (قارن لوقا ١٥: ١٨).

ولقد تمكَّن أولاد يعقـوب أخيرًا من أن يُقنِعوا أباهم بأن يَدَع بنيامين يذهب معهم، وأخذ الرجال هديَّة من أفخر جنى الأرض (ع١١) وذهبوا. لكن، هل كان يوسـف الغنـي والذي مخازنه ملآنة، يحتاج شـيئًا؟ لم يكن يوسـف بالتأكيد في حاجة إلى الفسـتق واللوز، بل كان ينتظر توبتهم الحقيقية. وهكذا يميل الإنسان دائمًا أن يُقدِّم شـيئًا لله ثمنًا لما يتناوله من بين يديه، لكن من جانب الله كل شيء يُعطيه مجانًا، ولا يمكن أن يقبل شيئًا مقابله، ولو كان أحسن ما ينتجه الإنسان.

ولاحظ أن البلسان والعسـل والكثيراء واللاذن والفستق واللوز (ع١١)، لا يمكن أن تشبع الجائع. الإنسـان يحتاج إلى الحنطـة السـماوية، وهذه لا توجد إلا عند يوسـف الحقيقي. قد يكون لدى العالـم أطـايب، لكن ليس عنده ما يشـبع الجوع الأبدي للنفس البشرية.

كان من الصعب على إخوة يوسـف أن يقبلـوا أن دَينهم قد سُدِّد. فبلا شـك، إنَّ حسابات وكيـل يوسـف كانت سـليمة عندمـا قـال: «فضَّتكم وصلت إليَّ» (ع٢٣). **لقد سدَّد يوسف الثمن عن إخوته**. هكذا المسيح قد وفَّى كل شيء لأجل سلامنا. ودَيننا قد سُدِّد تمامًا، وهو وحده الذي يعرف كم كلَّفه ذلك.

يوسف رجل الدموع

بقـراءة هذه الأصحاحـات، نجد أنـه يقال عن يوسف إنه "بكى" في سبع مناسبات: (٤٢: ٢٤؛ ٤٣: ٣٠؛ ٤٥: ٢، ١٤؛ ٤٦: ٢٩؛ ٥٠: ١، ١٧). ونلاحـظ أنـه لم يبـكِ في البئـر، ولا في السـجن، فهو لم يبكِ على حظـه المائل؛ لكن دموعـه كلها جاءت بعد رفعتـه، وكانت دائمًا دمـوع المحبة، التي تذكِّرنا بدموع الربّ يسـوع (انظر يوحنا ١١: ٣٥؛ لوقا ١٩: ٤١).

ومع ذلك فطالما تُوجد خطية لم يُحكم عليها، لا يمكن التمتُّع بفرح الشركة (ع٣١، ٣٢). أن يأكلوا طعامًا معًا فهذا تعبير عن الشركة، حيث يشترك الكل في حديث مشترك على المائدة. أليس كذلك مائدة الربّ، حيث يفكِّر المؤمنون معًا في آلام حبيبهم وسيدهم؟ أما هنا فإن خطيَّتهم غير المحكوم عليها، أوجدت حائلاً بينهم وبين يوسف، لذلك أكل يوسف وحده، وإخوته وحدهم. لقد تعذَّر وقتئذ أن تكون لهم شركة معه.



المحنة العظيمة وبنيامين

في هذا المشهد نرى كيف أن الشبكة أُحكمت حول إخوة يوسف، وتم ذلك بيد أمينة وماهرة، قادتهم إلى الاعتراف المذل: «ماذا نتكلم؟ وبماذا نتبرر؟ الله قد وجد إثم عبيدك» (ع١٦). وهي لغة مختلفة تمامًا عن لغتهم السابقة: «نحن أمناء» (٤٢: ١١، ٣١). وهذا يجعل مسألة خلاصهم أقرب بكثير مما كانت عليه في أي وقت مضى.

وهذه الأحداث التي نتأمَّلها الآن، لها صفة نبويَّة. فإسرائيل، الذين نُحّوا في الوقت الحاضر إلى حين، بسبب رفضهم للمسيح، يوسف الحقيقي، سيقودهم الرب في المستقبل للاعتراف بجريمتهم العظيمة، وسيرون في الناصري الذي احتقروه وصلبوه، الشخص الذي جعله الله ربًّا ومسيحًا (أعمال ٢: ٣٦)، وفي الوقت نفسه ابن الإنسان الذي سيملك على كل المسكونة. لكن لكي يصلوا إلى هذه النقطة وهذا التدريب للضمير، سيجتاز الشعب في محنة شديدة، هي "الضيقة العظيمة"

(رؤ٧: ١٤). وما المحنـــة الرهيبة التي اجتاز فيها إخوة يوســف، إلى أن اعترفوا بجريمتهم، إلا إشارة بســيطـــة لما تعيَّن على الشــعب اليهودي أن يقاسيه، قبل أن يعترف بمسياه ويكرمه.

ونلاحظ أن أشــد ضيقة طوال هذه القصة العجيبة حدثت في أصحاحنا، ووقعت علـــى كل من يهوذا وبنيامين. وهذا في تمام التوافق مع النبوة، فإن الضيقة العظيمة ســتقع على هذين الســبطين بالذات، اللذين ظـــلا مع بيت داود حتى تم السبي إلى بابل، ثم رجعوا من بابل إلى الأرض، وأتاهم المســيح، لكنهــم صلبوه. والآن هم عادوا إلى الأرض، وتنتظرهم الضيقة العظيمة التي تنبأ الوحي عنها!

وكلمات يوسف الأخيرة في ع١٧ أراد بها أن يأخذ أفكار إخوته إلى الوراء أكثر من عشرين ســنة، إلى ذلك اليوم عندما كانوا بالقُرب من البئر، حيث وقفوا جامدين غير متأثِّرين بضيقته وتوســلاته (٤٢: ٢١)، وعندما جمــدت عواطفهم أمام أبيهم الشــيخ، فأخبروه بأن يوسف مات. ترى هل هم الآن في وضع يجعلهم يدركون فيه آلام أخيهم الأصغر وأبيهم أيضًا؟

ولقد نجح يوسف أخيرًا في أن يمسّ قلوبهم، وكم كان مؤثِّرًا أن يسمع يهوذا يتكلَّم عن أبيهم الشيخ، وعن الأخ الأصغر الذي ولد في شيخوخته (ع٢٠).

ويـــا له من درس لنا نحـــن أيضًا! هل نعرف كيف نشـــعر بشـــعور الآخرين: بأفراحهم، وبالأخص بأحزانهم؟ لكن فوق الكل، هل نعرف مقدار محبَّة الآب للابن، وحُزنه عندما رأى وحيده المحبوب مُســلَّمًا في أيدي الأشرار، وحُزنه عندما صرخ صرخته الخالدة، ولم يكن في إمكانه أن يُجيب، بسبب خطـــايانا التي وُضعت عليه؟ هل نســتطيع أن ندخل إلى إدراك عُمق آلام الابن عندما أحـــسَّ بثقل العدل الإلهي، وفي ضيق نفسه الشديد تُرك من الله لأجلنا؟

أليست قلوبنا ـ نقولها بكل حزن ـ كثيرًا ما تكون جامدة أمام هذه الحقائق التي يريد روح الله القدوس أن يُشغلنا بها؟

٤٥

ع١-١٥ : يوسف يُعَرِّف إخوته بنفسه

أخيرًا جاءت اللحظة التي انتظرها يوسف طويلاً. كم كان عليه أن يُمارس الصبر! لو أنَّه عرَّف إخوته بنفسه سريعًا، كان إخوته بالضرورة سيُكرمونه، لأن هذا أمر حتمي، كحُزَمهم التي سجدت لحزمته في الحلم، ولكن قلوبهم كانت ستبقى باردة وخائفة.

لقد علم إخوة يوسف الآن، أنَّ حاكم مصر الذي له كل هذا المجد، ليس إلاَّ ذاك الذي أبغضوه ورفضوه! ليس فقط أنه ما زال حيًا، بل أيضًا أن الكل مخضع له (عبرانيين ٢: ٨)، وأن تعاملهم الإجرامي معه كان هو الوسيلة لتحقيق أحلامه!

كم تحيّروا لمّا رأوا يوسف يعاملهم بنُبل ونعمة، فلا ينتقم لنفسه، ولا حتَّى يعيِّرهم، بل يطلب خيرهم وسعادتهم. ألم يكن قلبه مملوءًا بالفرح، فرح الرَّاعي الذي وجد خروفه الضال؟

والآن كان عليهم أن يأتوا إلى أبيهم برسالة طيِّبة، أخبار سارة عن مجد الشخص الذي سامحهم. بالمثل، أليست لمفديي الربّ، الذي تقابلوا مرة معه، وعرفوا غفران خطاياهم، رسالة طيبة، إنجيل النعمة، ليُخبروا به الآخرين؟

لكن ليذهب كل واحد أوَّلاً إلى والديه وأهل بيته ويُخبرهم: "لقد تقابلت مع الربّ

يسوع الفادي الذي ســامحني". كما أنه عليه أن يذهب ويخبر أبيه بكل مجده، وذلك في اجتماعات القديسين للسجود.

ويلفت النظر اهتمام يوسـف بأن يسـرع إخوته بحمل تلك الأخبار إلى أرض كنعان (ع٩،١٣). فهو يعلم أن هناك أشخاصًا معرّضون للهلاك بسبب الجوع، وهناك مَنْ قلبه يابس، ينتظر الكلمة الطيبة لتُفرحه. وما زال العالم اليوم مليئًا بأمثال هذين الفريقين.

ع١٦ -٢٨ : رجوع إخوة يوسف لإحضار أبيهم إلى مصر

صنع يوسف لإخوته خيرًا بدل شرّ. وهذا ما يعلِّمنا إياه الربّ (متى ٥: ٤٤)، وهذه هي الطريقة المضمونة لربح قلب أي شخص. لكن للأسف قليلاً ما نُمارس ذلك.

فكَّر إخوة يوسـف أن يُحضروا أفخر ما عندهم (ص٤٣: ١١)؛ قليلاً من البلسان وقليلاً من العسـل.. قليلاً من هذا ومن ذاك. لكـن الآن أدركوا، كيف أنَّ كل ذلك لا يُعتدّ به. فرعون نفسـه وَعَدهم بخيرات جميع أرض مصر، وفي الوقت نفسـه قال لهم: «لا تحزن عيونكم على أثاثكم» (ع٢٠). وبالنسبة لنا فنحن لنا الآن التمتع بمحضر الربّ وبأمجـاده، وعليه فكل ما نضحي به لأجل تلك المتعة وذلك المجد لا يُعتبر بذي قيمة (مر١٠: ٢٩، ٣٠؛ فـي ٣: ٨). وليس ذلك فقط، بل إننا الآن نعلم علم اليقين أن المسيح حي، وهو جالس فوق جميع السماوات، ولقد أرسل إلينا الروح القدس الذي هو عربون ميراثنا المجيد (أف ١: ١٤).

لاحظ أنَّ يوسـف لم يُعطِ إخوتـه فقط مكانًا ليسـكنوا فيه عند مجيئهـم بعائلاتهم (ع١٠)، بل أعطـاهم أيضًا كل ما يحتاجونه للطريق: عجلات (الربّ يسـوع يحملنا)، وزادًا للطريق (كلمته هي غذاؤنا)، وحُلل ثياب (المسـيح يظـهر في حياتنا). وأخيرًا التحريض من شـخص يعرف جيدًا إخوتـه وطبائعهم: **«لا تتغاضبـوا في الطريق»**. وتُعتبر أغلى نصيحة كانوا يحتاجون إليها، ونحتاج نحن أيضًا باستمرار إليها.

٤٦

ع١-٧ : يعقوب في الطريق إلى مصر

بدأت عائلة إســـرائيل رحلتها مارَّة ببئر ســـبع، بئر القَسَـــم، الذي يؤكِّد المواعيد ليعقوب. «فكلَّــم الله يعقوب وقال: لا تخف من النزول إلـــى مصر» (ع٣). وقال إشـــعياء فيما بعد: «لا تخف يا دودة يعقـــوب» (إش ٤١: ١٤). لقد عرف يعقوب ضعفه أنَّه ليس إلاَّ دودة! ما أبعد الفارق بين يعقوب ســـابقًا، الذي كان يعمل كل ما يريده هو، وبين يعقوب الآن الذي يخاف أن يخـــطو خطوة واحدة بدون إذن الرب. كان هذا نتيجة معاملات تدريبية طويلة مع يعقوب أثمرت شخصية "أمير الله"! الذي يأتمر به.

ع٨-٢٧ : أسماء وعدد النفوس التي نزلت إلى مصر

جملة النفوس التي نزلت إلى مصر هي ست وســـتون نفسًا (ع٢٦). فإذا أضفنا إليهم يعقوب نفســـه، ثم يوسف وابناه فيكون المجموع سبعين نفسًا (ع٢٧). وأما في أعمال ٧: ١٤ فيضيف على النازلين إلى مصر نســـاء بني يعقوب وهؤلاء عددهن ٩ (حيـــث إن امرأة يهوذا كانت قد ماتت ص٣٨؛ وربما أيضًا امرأة شـــمعون قارن ع١٠. وامرأة يوسف كانت في مصر)، فيكون المجموع ٧٥.

يقول الوحي عن هذه الهجـــرة. «فانحدر إلى مصر وتغرَّب هناك في **نفر قليل**» (تث ٢٦: ٥)، لكن الله نزل معه إلى مصر (ع٤). وعندما صعد بنو إســـرائيل من مصر على أيام موسى كانوا شعبا كبيرًا، إذ إنهم نموا وامتدوا جدًا في أرض مصر.

ع٢٨-٣٤ : يوسف يستقبل عائلته

إلى الآن كانت محبَّة يوسف لإخوته، ومقدار صَفحُه عنهم، هو الذي أمامنا أكثر من أمجاده وغناه. أليس هذا درسًا ثمينًا لمعاملتنا مع إخوتنا؛ درس المحبة والمُسامحة؟ كما نرى في محبَّة يوسف لأبيه يعقوب، وتقديره له، واهتمامه به، ورغبته الشديدة في رؤياه، والإسراع لمُلاقاته، مثالاً جميلاً لنا في علاقتنا بوالدينا؟

ثم جاء اللقاء المؤثّر مع الابن المحبوب الذي جهَّز كل شيء لسعادة أهله. وهذا يذكرنا بوعد سيدنا الذي قال: «في بيت أبي منازل كثيرة ... أنا أمضي لأُعد لكم مكانًا ... حتَّى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا» (يو ١٤: ٢، ٣).

ويُختتم الفصل بعبارة ينبغي ألا تفوتنا: «لأن كل راعي غنم رجس للمصريين» (ع٣٤). فالله المتحكم في الأزمنة والأوقات (أع ١: ٧)، قصد أن يأتي إخوة يوسف بعد طرد الهكسوس (الملوك الرعاة)، فكان رعاة الغنم رجس عند المصريين، وذلك لكي يحفظ شعبه من الاختلاط بالمصريين ومن الذوبان فيهم، وذلك في مرحلة تكوين الأمة، حتى أعطاهم الناموس الذي عمل كسياج، منعهم من الاختلاط بباقي الشعوب.

٤٧

ع١-١٢ : فرعون يقابل عائلة يوسف

كان من الممكن أنَّ يوسف في عظمته، يخجل من عائلته الفقيرة المكوَّنة من رعاة، أتوا في طلب القمح وهم في حالة الجوع. لكن على العكس، نجد أنَّ يوسف اعترف بهم كإخوته. وبالنسبة لفرعون، لأنَّهم إخوة يوسف، كان ذلك كافيًا لأن يجعلهم شركاء

في كل المجد الممنوح لذاك الذي خلّص مصر. وهذا أيضًا يذكّرنا بالربّ يسوع الذي **لا يستحي أن يدعونا إخوة** (عب ٢: ١١)، والذي لأجله صرنا مقبولين في المحبوب (أف ١: ٦). وهو يطلب من الآب قائلاً: «أيها الآب، أُريد أنَّ هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني» (يو ١٧: ٢٤).

أدخَل يوسف أباه إلى فرعون. أوَ ليس جميلاً أن نرى إنسانًا فقيرًا شيخًا متوكِّئًا على عصاه، يُبارك أقوى إنسان على الأرض! «وبدون كل مشاجرة؛ الأصغر يُبارَك من الأكبر» (عب ٧: ٧). بالنسبة لله الذي ينظر نظرة تختلف عن البشر، فإن يعقوب المؤمن الضعيف، أكثر أهمية في عينيه من أقوى إنسان في العالم.

وما أجمل أن نجد يوسف العظيم يهتم بأصغر التفاصيل. فيقول الوحي: «وعال يوسف أباه وإخوته وكل بيت أبيه بطعام **على حسب الأولاد**» (ع١٢). هكذا المسيح مع كل واحد منا، يعرف ما نحتاج، وقادر أن يملأ كل احتياجنا. وقد يكون إيماننا ضعيفًا، لكن ليس كذلك أمانته!

ع١٣-٢٦ : مصر في أثناء المجاعة

لقد تم حُلم فرعون تمامًا كما فسّره يوسف، وسني الشبع تلتها سنوات الجوع. وهذا أظهر يوسف كالمُبقي على الحياة ومخلِّص العالم. هكذا المسيح هو محور كل النبوات، وقريبًا جدًّا سيبسط سُلطانه على كل الكون، وتسجد قدَّامه كل قبائل الأرض (مز ٢٢: ٢٧). لكن المؤمنين لا ينتظرون حتَّى يصير ذلك له، لكي يُكرِّموه، لأنَّ النعمة عملت فيهم. والربّ يسوع أشبع أولاً جوعهم الروحي، ثم يواصل عمله فيهم، حتَّى يتم إخضاع كل شيء لله، تمامًا كما فعل يوسف. لقد جمع يوسف كل الفضة الموجودة في أرض مصر إلى بيت فرعون (ع١٤)، ثم كل البهائم والمواشي (ع١٧)، وأخيرًا الأرض (ع٢٠)، الكل صار لفرعون. وهذا يحدثنا عن

أزمنة رد كل شـــيء (أع ٣: ٢١). فكل الذي تشرذم بسبب الخطية، لا بد أن يُجمع ثانية بواسطـــة ربنا يسوع المسيح في الملك الألفي.

ومن الناحية العمليّة، ينبغي أن نكون كُلية لله. فالمســيح قد اشترانا لله (رؤ ٥: ٩)، ولقد اشترانا بثمن (١كو ٦: ١٩، ٢٠)، وما عدنا ملكًا لأنفسنا، بل صرنا عبيدًا ليسوع المســيح (ع٢٣ قارن يعقوب ١: ١). وفي الوقت نفســه ينبغي أن نكون متَّكلين عليه بالتمام، ليس فقط لسد أعوازنا، بل لكي يكون هناك ثمر في حياتنا (ع٢٤).

ع٢٧ـ ٣١ : يعقوب يطلب الدفن في كنعان مع آبائه

تقترب حياة يعقوب الطويلة الآن من نهايتها. وقــد اعترف أمام فرعون أنَّ أيامه كانت قليلة ورَديَّـــة (٤٧: ٩). لم يَعِش طويلاً كإبراهيم وإســحاق، ومرَّ في ظروف مؤلمة متعدِّدة، وأضاع سنوات كثيرة من عمره. ليحفظنا الربّ من إضاعة حياتنا في ما لا طـــائل من ورائـــه. ونحن في الصِغَر لا نعتقد أنَّ الحيـــاة قصيرة. ليتنا نتعلَّم مبكِّرًا في حياتنا الدرس الذي تعلَّمه يعقوب في فنيئيل، بعد اختبارات متنوعة وسنوات عديدة في بيت لابان. نعم لنتعلم أنَّه لا شيء في الإنسان، وأن الكل في المسيح.

وكانت وصية يعقوب الوداعية ليوســف أن لا يدفنه في مصر بل يدفنه مع آبائه، واســتحلف ابنه بذلك. ثم «سجد إسرائيل على رأس **السرير**» (ع٣١)، أو كما يقول في عبرانيين ١١: ٢١ «سجد على رأس **عصاه**†»، تلك العصا التي تذكِّره برحلات الغريب. ألا يجب أن يكون هذا الوضع مُميِّزًا لنا في حياتنا؟

---

† الرســالة إلى العبرانيين اقتبســت من الترجمة الســبعينية. وليس ثمة تعارض أن يسجد يعقوب على رأس الســرير، وعلى رأس عصاه. لكنه من الجميل أنه في أصحاح الإيمان، وفي رســالة العابرين الغرباء (العبرانيين) يأتي الســجود على رأس العصا، التي تحدثنا عن الغريب المســافر (٣٢: ١٠).



مقابلة يعقوب مع يوسف قبيل موته، وبركة ابنيه

نلاحظ أنه ليس لدينا الكثير من تفصيلات أيام إبراهيم الأخيرة، ولا أيام إسحاق الأخيرة، بعكس ما نجد بالنسبة ليعقوب. والسبب لأن في حياة يعقوب تظهر نُصرة النعمة بصورة لافتة. إن تدريب الله مع ذلك الشيخ العزيز أثمر في النهاية أثمارًا مباركة «أيضًا يثمرون في الشيبة» (مز ٩٢: ١٤). وفي أصحاحنا هذا يراجع يعقوب مجرى حياته، مرحلة تلو مرحلة، فجاءت ذكريات عزيزة إلى ذاكرته.

لوز التي تُدعى بيت إيل، حيث أظهر الله ذاته له. وأفراتة حيث ماتت راحيل. هذا معناه أنه استعرض معاملات الرب الرحيمة معه، كما استعرض الأحزان التي صادفته، فوجد أن هذه كلها إنَّما تُظهر رحمة الله ومحبَّته غير المتغيِّرة التي قادته وحملته، وكانت مصدر تعزية له. وهذا ما سيحدث معنا عندما نصل إلى خاتمة حياة كانت تحت إشراف الرب.

ثم تأتي بعد ذلك بركة يعقوب لابني يوسف. وعن هذا يقول كاتب العبرانيين ١١: ٢١ «بالإيمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من ابني يوسف». وعندما أعطى الأصغر بركة الأكبر، لا بد أنَّ ذهنه استرجع ما حدث في أصحاح٢٧. إنه الآن أعمى، كما كان إسحاق وقتئذ، إلا أن يعقوب كان يعرف فكر الله. لذا فإن كان إسحاق ارتعد ارتعادًا عظيمًا جدًا (٢٧: ٣٣)، إلا أن يعقوب وضع يديه بفطنة (ع١٤). ولما اعترض يوسف على تصرف أبيه نقرأ «فأبى أبوه، وقال علمت يا ابني علمت» (ع١٩). وقد قيل إن يعقوب لم يسلك مستقيمًا إلا بعد أن صار أعرجَ،

ولم يرَ بوضوح إلا بعد أن صار أعمى.

قال يعقوب ليوسف: «لم أكن أظن أني أرى وجهك، وهوذا الله قد أراني نسلك أيضًا» (ع١١). وهناك رجلان من رجال الإيمان يمكن أن نذكرهما جنبًا إلى جنب: سليمان، وفيه نجد الله الذي يعطي فوق كل شيء، **أكثر جدًا مما نطلب** (١مل٣: ٥ -١٣)؛ وهنا في يعقوب نجد الله الذي يعطي **أكثر جدًا مما نفتكر** (قارن أفسس٣: ٢٠).

«الله الذي رعاني» (ع١٥). لقد عرف يعقوب، بالاختبار العملي الشاق، متاعب الراعي (ص٣١: ٣٨ - ٤٠)، والآن اتَّخذ مكان الخروف، وقدَّر عناية راعيه الدقيقة به. كثيرون منَّا منذ أيام الصِغر وهم أطفال سمعوا عن الراعي الصالح ـــ الربّ يسوع نفسه (يو ١٠: ١١، ١٤). ماذا يعمل لقطيعه؟ لقد بذل حياته مرَّة عنهم، والآن هو يُربضهم في المراعي الخضر، ويوردهم إلى مياه الراحة، ويعتني بهم كما اعتنى الله بيعقوب طوال حياته.

هل تعرف مَنْ هو الراعي؟ هل تقدر أن تقول مثل يعقوب هنا، ومثل داود في مزمور ٢٣: ١ «الربّ راعيَّ»؟

٤٩

يعقوب يبارك أولاده، ثم يُسلم الروح

المستوى الروحي ليعقوب هنا وصل إلى القمة، فنطق **بالبركة وبالنبوة**. وهذا الأصحاح يكشف لنا بصورة عجيبة أشياء سوف تحدث في المستقبل، وفيه نجد مُقدّمًا

كل تاريخ هذا الشعب بصورة مركزة.

في "**رأوبين**" نرى كيف ارتكب إسرائيل الزنى الروحي البشع. وقد ظـــهر فيهم هذا مبكّرًا جدًا (حادثة العجل الذهبي – خروج ٣٢)، ثم تأصل فيهم بعد ذلك في أيام حكم القضاة.

ثم في "**شمعون ولاوي**"، نرى قسوتهم وظلمهم، في تعاملهم مع بعض، فنتيجة الوثنية تأتي القسوة، وهو ما نجده في آخر سفر القضاة، حتى كاد سبط بنيامين أن يفنى!

في "**يهوذا**" (ومعنى اســـمه الحمد) نـــرى اختيار الله أولاً لـــداود الملك، «مرنم إســـرائيل الحلو» (٢صم ٢٣: ١). لكن عين النبوة تمتد إلى "ابن داود"، ربنا يسوع المســـيح، حيث تقول النبوة: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون (أحد أسماء المسيّا)، وله يكون خضوع شعوب» (ع١٠). فالمسيح هو «الأسد الخارج من سبط يهوذا» (رؤ ٥: ٥).

ثم في "**زبولون ويساكر**" يُرى إسرائيل في الوقت الحاضر، وقد رفضوا مسياهم الذي أتى إليهم. فترى الشعب مُشـــتّتًا، منهمكًا في النشاطـــات التجارية، ولكنه فَقَدَ بركته وشهادته.

ثم عن "**دان**" يقول: يكون «**حية** على الطريق، **وأفعوانًا** على الســـبيل» (ع١٧)، وهو ما ينطبق على الأمة عندما ينفجر النشـــاط الشيطـــاني بعد اختطـــاف الكنيسة، وتقبل الأمة "النبي الكذّاب"، "الآتي باســـم نفســـه" (يو ٥: ٤٣)، على اعتبار أنه هو "مســـيّاهم". وبالنظر إلى هذا المنظر المُرعب الذي يرســـمه يعقـــوب للنهاية، فإن البقية التقيّة لهذا الشعب المسكين ســـتجد في الربّ ملجأها الوحيد، وتأتي صرختهم: «لخلاصك انتظرت يا ربّ!» (ع١٨). هذه هي ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله لتجرب الســـاكنين على الأرض (رؤ ٣: ١٠). وستجتاز البقية التقية في

هــذا الضيق، وهو ما نراه في كلام يعقوب عن "**جــاد**": «يزحمه جيش»، ولكن في النهاية ستكون النصرة لهم بظــهور المسيا «ولكنه يزحم مؤخره» (ع١٩).

وفي كل من "**أشــير**" و "**نفتالي**" نجد طــابع الزمان الســعيد تحت مُلك المسيح، حيــث يعمّ الخير الزمني والروحي، كما نتبينه في الخبز الســمين ولذّات الملوك في "أشــير" (ع٢٠)؛ وانطــلاق الألســنة بحمد الرب، كما نراه في "نفتالي" الأيلة التي تعطــي الأقوال الحسنة (ع٢١).

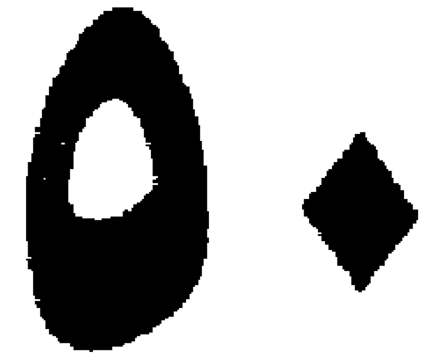
ويختم يعقوب بالحديث عن كل من "**يوسف**" و "**بنيامين**". ويوسف، الذي في ماضيه كان مضطَــهدا من إخوته (ع٢٣)، مثل المســيح في مجيئــه الأول، لا بد أن يرتفع فوق الجميع، صورة للمسيح يوم ملكه، حيث يتم القول: «لذلك رفَّعه الله أيضًا، وأعطــاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يســوع كل ركبة» (في٢:٩،١٠). وأما بنيامين فنرى فيه صورة للمســيح في دينونته العادلة، ســواء دينونة الأحياء قبل الملك، حيث «في الصباح يأكل غنيمة»، أو دينونة الأموات بعد الملك، حيث «عند المساء يقسم نهبًا» (ع٢٧).

والمؤمن مع أنه يعرف أنّه لن يكون موجودًا على الأرض يوم يملك المسيح، إلاّ أنّه يجد لذّة في معرفة هذه الأشياء، ويفرح بمعرفة أنّ يوسف الحقيقي "المسيح" الذي أُبغض مرة، سيكون له السلطــان الكامل، وعن طريقه ستعمّ البركة كل العالم.

وكما سبق واستحلف يعقوب ابنه يوسف، صاحب السلطــان في مصر، في ص٤٧: ٢٩ -٣١ أن يدفنه مــع آبائه، كرّر الأمر لكل أبنائه، مؤكّدًا عليهم رغبته في أن يُدفن في مغارة المكفيلة. وهنــا نحن نرى **غروبًا بهيجًا، بعد حيــاة عاصفة!** ولا نحس برعب الموت، بل لقد تم فيه قول الحكيم: «أما الصديق فواثق عند موته» (أم١٤: ٣٢).

مات يعقوب. ورغم أنّه عاش ١٧ ســنة في أرض جاســان، لكنّه لم ينسَ أرض كنعان، ولا مواعيد الله التي أُعطيت له في بئر ســبع (ص٤٦: ٤). ولقد أظــهر أمام

أولاده تقديره وارتباطـه بكنعان، بالتعليمات المحـدّدة والواضحة التي أعطـاهم من جهة دفنه. كان يجب أن يُدفَن في مغارة المكفيلة، انتظـارًا ليوم القيامة مع بقية أفراد عائلته التي سبقته إلى هذه المغارة. وكان إبراهيم قد اشتراها بثمن كامل وأمام شهود كثيرين، لتأكيد حقهم فيها.



٥٠

ع١-١٤ : دفن يعقوب

كان دفـن يعقوب مصحوبًا بجنازة عظيمة. وهكـذا كان الحال مع الكثيرين من أبطـال الإيمان في العهد القديم، أمثـال يهوياداع الكاهن، والملك حزقيا (٢أخ ٢٤: ١٦؛ ٣٢: ٣٣). أمّا اليوم، فبالنسـبة للمؤمنين الذين يتركـون هذا العالم، لا يحتاج الأمر إلى مثل هذه الجنـازات، فالموت قد قُهر، ويُقال عنهم ببسـاطـة «الراقدون بيسوع» (١تس ٤: ١٤). فالموت بالنسـبة للمؤمن فقد شوكته ورُعبه، وما هو إلاّ رُقاد ينتهي بالقيامة، التي ستكون عند مجيء المسيح.

لكن لا ننسى، أنّه بينما الموت قد فقد قوته، ولم يعد له سلطـان على المؤمن، لكن الربّ يسوع تكلّف في ذلك كثيرًا، فكان عليه أن يواجهه بكل أهواله في الجلجثة.

ع١٥-٢٦ : المشاهد الأخيرة في حياة يوسف، وموته

بعد موت يعقوب، حزن يوسـف مرّة أخرى بسبب شك إخوته في محبته. فقالوا لعل يوسـف ينتقم لنفسه. لكن ما كان أرق تجاوب يوسـف مع هذا الشك من جانب إخوته،

إذ كرّر عليهم درس المقاصد الإلهية، وأعطـاهم تأكيـدًا آخر باهتمامه بهم وبأولادهم. وبالمثل، قد نشك نحن أحيانًا في محبة الربّ، رغم كثرة علامات المحبة التي أظـهرها لنا. وعلينا أن ندرك أن قلب الرب يســوع الرقيق يتأثّر كثيرًا من هذا الشكّ، ويظـهَر ذلك من قوله لفيلبس: «أنا معكم زمانًا هذه مدته، ولم تعرفني يا فيلبس» (يو ١٤: ٩).

* * * *

في نهاية سفر التكوين، وقبل أن ينتهي الأصحاح الأخير من هذا السفر الذي فيه الخطوط العريضة لكل أسرار الله، نجد يوسف يقول في ع٢٤: «إن الله سيفتقدكم». هكذا الإيمان الذي هو «الثقة بما يُرجى، والإيقـان بأمور لا تُرى» (عب ١١: ١). «الله سـيفتقدكم» هذه هي كلمات يوسـف الأخيرة لإخوته، المُشار إليها في عبرانيين ١١: ٢٢ «بالإيمان يوسـف عند موته، ذكر خروج بني إسرائيل، وأوصى من جهة عظـامه». ولذلك نقرأ: «حنّطوه ووُضع في تابوت في مصر» اسـتعدادًا للرحيل. وفي ما بعد نقرأ أن بني إسـرائيل أخذوا معهم عظـام يوسف (خر ١٣: ١٩)، كما نقرأ أنهم دفنوا عظـامه في شكيم (يش ٢٤: ٣٢).

وإن كان يوسـف أعطـى إخوته تأكيدًا بقرب الرحيل من مصر، فيوجد مَنْ هو أعظم من يوسـف، ترك لنا تأكيدًا آخر في نهاية كتاب الله بقوله: «**أنا آتي سريعًا**» (رؤ ٢٢: ٢٠).

ليت كل واحـد من الذين فداهم الربّ، يُجيب من القلـب: «آمين تعال أيها الربّ يسوع» (رؤ ٢٢: ٢١).

سفر الخروج

مقدمة

الكاتب: هو موسى. ونسبة السفر إلى موسى واضحة من ص١٧: ١٤.

طابع السفر: من أغني الأسفار بالتعاليم الرمزية. ففرعون صورة للشيطـــان، ومصر صورة للعالم، وحمل الفصح صورة للرب يســوع المســيح، وعبور البحر صورة للصليب، والمَنّ صورة للمسيح المتجسِّــد، المتضع في الأرض، وضرب الصخرة صورة لموت المسيح، والماء صورة لعطية الروح القدس، وعماليق صورة للجسد. ثم تأتي خيمة الاجتماع بتعاليمها الرمزية المدهشة التي سنعرفها في حينها.

والسفر يسمى في الأصل العبري: "وهذه أسماء"، من العبارة الأولى التي وردت فيه، فالمفدي معروف باسمه (إش ٤٣: ١). ولكن في الترجمة السبعينية سمي سفر الخروج، نســبة لخروج بني إسرائيل من أرض مصر. ومن الحرف الأول في هذا السفر نفهم أنه مرتبط ارتباطــًا وثيقًا بســفر التكوين. الأول ينتهي بموت الشخص الذي أتى بهم إلى مصر، أعني به يوسف؛ والثاني يبدأ بمولد الشخص الذي أخرجهم من أرض مصر، أعني به موسى.

وإن كان السفر يبدأ بظلم وظــلام، فإنه يُختم برفعة ومجد. يبدأ بتنازل الرب بالنعمة ليخلّص عبيدًا في مصر، ويختم باستعلان مجده في أول بيت يُقام له على الأرض.

تواريخ السفر: السفر كُتب حوالي عام ١٤٤٠ ق.م. وهو يغطّــي فترة زمنية نحو

المائة عام، من قبل مولد موسى، إلى تأسيس خيمة الاجتماع بعد خروج الشعب من أرض مصر بحوالي سنة.

موضوع السفر:

هو سفر ولادة الأمة الإسرائيلية. فلقد نزلوا إلى مصر عائلة، وخرجوا منها أُمّة وشـــعب. الأصحاحات الأولى هي أصحاحات المخاض (ص١ -١١)، ثم ص ١٢ هو يوم الولادة. كأنّ هذا الســـفر يبدأ بعائلة كبيرة من العبيد، تخدم أســـيادًا يعبدون الأوثان، وينتهي بشعب لله مفدي يعبد الله الحي الحقيقي.

وهكذا نرى اختيار التكوين يتبعه فداء الخروج. فهذا الســـفر هو ســـفر الفداء. وإن كان الفداء الرمزي تم بخروج الشـــعب من أرض مصر، فإن الفداء الحقيقي تم بخروج المسيح من الحياة بأكملها عن طريق الموت (لو ٩: ٣١).

ولأن موضوع السفر الرئيسي هو الفداء، لذلك فلا عجب أن يبدأ بالحديث عن عبوديتهم القاســـية في أرض مصر، وأن يتوســـطـــه أصحاح خروف الفصح، حيـــث الفداء بالدم (ص١٢)؛ ثم أصحاح عبور البحر الأحمر، حيث الفداء بالقوة (ص١٤). ثم بالإضافة إلى الفداء من أرض مصر، يحدّثنا السفر أيضًا عن بداية الرحلة نحو كنعان، وبناء مسكن الله في البرية. بكلمات أخرى فإنه يحدثنا عن التحرير، والانفصال، والسكنى.

تقسيم السفر:

باعتبار أن الفداء هو الموضوع المحوري لهذا السفر فيمكن تقسيم السفر كالآتي

١ - ص١ -١٠	الفداء وضرورته
٢ - ص١١ -١٥	الفداء وأسلوبه
٣ - ص١٦ -٢٤	الفداء ونضجه
٤ - ص٢٥ -٤٠	الفداء وغايته

كلمات مفتاحية

"الفداء" ١٠ مرات.



شعب الله والذل في مصر

من "التكوين" إلـــى "الخروج"، حدثـــت تغيرات جذرية في مصـــر. ويبدو أنه وصلت إلى الحكم أسرة جديدة، فيُقال هنا عن فرعون† إنَّه «لم يكن يعرف يوسف» (ع٨ قارن أعمال ٧: ١٨)، ونتيجة لذلك عانى بنو إســرائيل الذل الرهيب، وكل هذا كان الرب قد سبق وأنبأ به إبراهيم (تك ١٥: ١٣-١٦).

هل يمكن أن يُنسى الرجل الذي خلَّص مصر وحفظ حياة أُمَّة بأسرها؟ نعم. لقد نُســيَ. وكذلك اليوم مع العالم، حيث الشيطـــان هو رئيس هذا العالم؛ فالربّ يسوع المخلِّص ليس له مكان في أفكار الناس.

لكن الظروف المُذلّة التي تعرض لها الشعب في أرض مصر، والتي تسمى "كور المشـــقة" (إش ٤٨: ١٠)، لم تعمل على إفنائهم، بل بالحري «بحســبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا» (ع١٢).

العداء الـــذي ظـــهر لبني إســرائيل (ع٩-٢٢) كان أحد محاولات الشــيطـــان إهلاك المخلص، الذي عرف أنه ســيأتي من هذا الشــعب، لكن هيهات. ولقد أمر الملك الشرير بقتل أولاد العبرانيين الذكور، وهو ما يذكرنا بما حدث مع أطفال بيت لحم، وقت ولادة مخلِّص العالم (مت ٢: ١٦). لكن الله اســتخدم امرأتين خافتا الله،

وبالتالي لم تخشيا قول الملك، لإبطـال مشورة العدو. كم يُقدِّر الله التقوى، لا سيما في الأوساط التي فيها يتسلط الشيطـان ويحكم!

ونحن هنا نرى فرعون وشـعبه أدوات في يد الشـيطـان القتَّال للناس من البدء (ع٩ -١٤، ٢٢). لكنهـم هنا يزرعون، والحصاد لا بـد آت بعد حين. فالذي أمر بإغـراق الأطفال غرق هو وأفضل جنـوده المركبية في البحـر (ص١٤)؛ والذين تعاونوا معه على إهلاك أولاد العبرانيين، جاء يوم لم يكن بيت في أرض مصر ليس فيه ميت (ص١٢).

† فـي ع٨ يقول: «ثم قام ملك جديـد»، وفي أعمال ٧: ١٨ يقول «إلى أن قام ملك آخر». آخر، من نوع آخر (أي أسرة جديدة).



ع١ ـ ١٠ : ولادة موسى وإنقاذه

الله، في نعمته، لم يُرِد أن يترك شـعبه لتلك العبودية القاسية، فأعطـاهم مخلِّصًا هو **موسى**، وهو رمز آخر للربّ يسوع. كل ما فعل موسى وعلَّم به، نجده مُسجَّلاً في بقية أسـفار موسـى من الخروج إلى التثنية. وُلد موسى في عائلة تقيَّة من بيت لاوي، ورأته أمَّه أنَّه "حسن" (ع٢). ونقرأ في عبرانيين ١١: ٢٣ «بالإيمان موسى، بعد ما وُلد، أخفاه أبواه ثلاثة أشـهر؛ لأنَّهما رأيا الصبي جميلاً (أو جميلاً لله - كما جاء في هامش الكتاب المشـوهد)» (أع٧: ٢٠). ألا يجعلنا هذا أن نُفكِّر في "الطفل يسوع" المكتوب عنه: «وكانت نعمة الله عليه»؟ (لو ٢: ٤٠).

"السفط" الذي أعدَّته أم موسى، صورة لعناية الوالدين المسيحيِّين بحمايــة أطفالهمـا مــن مؤثِّرات العالم الضَّارة. وفي السـفط الذي من البـردى، وطـلائـه بالحُمَر والزفت، نرى صـورة للانفصال الحقيقي عن شر العالم. كما يجب أيضًا أن يكون الإيمـان موجودًا، وهو ما نـراه مصـوَّرًا في وضع السـفط "بيـن الحلفاء علـى حافة النهـر". وأجـاب الله علـى هذا الإيمان بخلاص عجيب، اسـتخدم فيه معاملات العناية بطريقة دلت على تحكُّمه في أدق الظروف، مستخدمًا حتى دموع صبي صغير ليحقِّق خطـة ملك خطـير، من خلفه يوجد الشيطـان الشرير. وفي الواقع إن معاملات العناية الإلهية ظـاهرة هنا بكل وضوح، فمَن سـوى ابنة فرعون كان يمكنه أن يستثني أحد أبناء العبرانيين من الموت؟ وهكذا اتضح أنه «ليس حكمة ولا فطنة ولا مشـورة تجاه الرب» (أم ٢٠: ٣١). فكم هو عجيب حقًا أن نرى ذلك الذي كان سـيُنقذ الشعب من عبودية مصر، وسيهز عرش مصر هزًا، يتربى في قصر فرعون ذاته!

> **الأم وتأثيرها**
>
> ☜ الأم المؤمنة "يوكابد" أنجبت بطل الإيمان "موسى" (عب ١١: ٢٣-٢٨).
>
> ☜ والأم المصلِّيـة "حنـة"، أنجبـت رجل الصـلاة "صموئيـل" (١صـم ١: ٩-١٨؛ ٢: ١؛ ١٢: ٢٣؛ مز ٩٩: ٦).
>
> ☜ والأم المُحبـة للكتاب "لوئيس"، أنجبت تيموثـاوس "تلميذ" الكتـاب المقدس (٢تي ١: ٤؛ ٣: ١٤، ١٥).

ع١١-٢٢ : خروج موسى ليفتقد الشعب، وهروبه إلى مديان

لما كبر موسـى، أظـهـر إيمانًا عظـيمًا مثـل أبويه. وتخبرنا الرسـالة إلى العبرانيين ١١: ٢٣-٢٦ كيف رفض موسى ملذَّات قصر فرعون، والمستقبل اللامع

الذي كان أمامه؛ ليخلِّص شـعبه. ومثل هذا الاختيـار لا بد أن نتعرض له جميعنا، عاجلاً أو آجلاً: العالم أم المسيح؟ وليت نموذج موسى يكون حافزًا لنا!

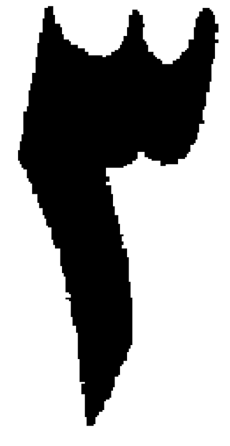
لقد خرج موسى لينظر في أثقال الشـعب، لكنَّه رُفض، كما كان سيحدث مع مَن هو أعظم منه. لكننا نتعلم أيضًا أننا بالغيرة الجسدية لن يمكننا إنجاز خطـة الله في حياتنا (ع١٢ قارن يوحنا ١٨: ١٠).

لما رُفض موسـى من الذين أراد أن يُخلِّصهم، هرب إلى بلاد غريبة حيث تقابل عند بئر الماء مع "صفورة"، التي صارت زوجته، وهو صار راعيًا. هكذا المسيح أيضًا «من أجلكم افتقـر وهو غني» (٢كو ٨: ٩). لقد جـاء بالنعمة إلى خاصَّته، وخاصَّته لـم تقبله (يـو ١: ١١)، لذلك هـو الآن خارج العالـم، كراعي الخراف العظـيم، بينما الروح القدس يُجهِّز له عروسًا، وهي الآن تشاركه في رفضه.

ويلفت النظر اسـم الابن الأول لموسـى «جرشـوم» (ع٢٢)، ومعناه "نزيلاً هناك". ويعلِّق الوحـي «لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة». ليس أن مصر هي وطنه، بـل كنعان التي كان يحنّ إليها. فهو بعد ٤٠ سـنة رجع إلى مصر، لا ليستوطن هناك، بل لكي يُخرج الشعب إلى الأرض التي كان الرب قد وعدهم بها.

ع ٢٣ـ ٢٥ الله يتداخل لينقذ شعبه

في أثناء سـني الاسـتعباد الطويلة في "كور الحديد" في مصر (تث ٤: ٢٠)، لم يكن الله غير مُبالٍ بآلام إسـرائيل. لقد تذكَّر مواعيده لإبراهيم (تك ١٥: ١٣، ١٤)، ولإسـحاق (تك ٢٦: ٣)، وليعقوب (تك ٤٦: ٤). لقد كان موسـى بعيدًا عن شعبه الذي أحبّه، لكن الرب كان قريبًا منهم.



ع١-٢٢ : إرسالية موسى لإنقاذ الشعب

كانت قد مضت **أربعون سـنة** على هروب موسـى، لكن موعد إنقاذ الشعب قد أتى. ولذلك فقد أعلن الله نفسه له في "**منظر عظـيم**". سبق أن أعلن الله نفسه لهاجر عند **بئر**، وليعقوب عند قاعدة **السُلم**، والآن لموسى في **العُليقة** العجيبة المتَّقدة ولا تحترق. وهكذا فإن الله لا يُعلن نفسه بذات الطريقة لكل واحد. فهل أنت تعرف متى وأين تقابلت معه؟

أراد الله أن يُظـهر لموسى رحمته تُجاه شـعبه العزيز عليه. في أتون مصر كان إسـرائيل مثل العليقة، تمتحنه النار، لكن لا تفنيه. هكذا الآن مع المؤمنين، تأتي عليهم التجارب مثل النار، لا لتحرقهم، بل لتحرق الخطـيَّة التي ما زالت فيهم، والتي لا نحكم عليها. ولكن المسـيح وحده هو الـذي أتت عليـه نيران التجارب، فلم تجد فيه شـيئًا للحريق (مز ١٧: ٣).

وعندما أتى الوقت لإنقاذ الشـعب، أعلن الرب نفسه لشـعبه بواسـطـة موسى كإله آبائهم، وفي الوقت ذاته كالإله المُحـبّ الذي يعمل لخلاصهـم. أليـس بنفس

موسى ووظائفه كرمز للمسيح

١- راع	خر٣: ١؛	يو١٠: ١١-١٤
٢- قائد	أع٧: ٣٥؛	تي٢: ١٤
٣- عبد	مز١٠٥: ٢٦؛	مت١٢: ١٨
٤- وسيط	خر١٩؛	١تي٢: ٥
٥- نبي	تث١٨: ١٥؛	أع٣: ٢٢
٦- كاهن	مز٩٩: ٦؛	عب٧: ٢٤
٧- ملك:	تث٣٣: ٥؛	مت٢: ٢

الطريقة يُعلن الله نفسه لجميع الذين يئنّون تحت حِملِ خطـايـاهم؟ لقد رأى الله مذلّة إسرائيل، **وسمع** صراخهم، **وعلم** أوجاعهم. كذلك هو يشعر بحالة بؤس الخاطـئ الهالك. لكن لم يكتفِ الله بكونه علم أوجاع شعبه، لكنّه **نزل لينقذهم** (ع٧، ٨). ولقد نزل الله إلينا في الربّ يسوع، وبواسطته صنع لنا الخلاص، ولم يقِف عند ذلك، لكنّه أراد أن يجعلنا "شعبه" (ع٧، ١٠)، ويُدخلنا في علاقة معه.

يُخبرنا أعمال ٧: ٢٢ أنَّ موسى، في بيت فرعون، تهذَّب بكل حكمة المصريين. لكنَّه لم يكن قـد تعلَّم أن يعرف «**أنا هو**» (إش ٤٣: ١٣، ٢٥)، أو "**أهية الذي أهية**" (ع١٤)، الأزلي الأبدي، الذي يملأ كل مكان. وهكذا معنا، فلا يكفي أن نحصل على أكبر قدر من التهذيب والتعليم والحكمة البشـرية، بل يلزمنـا أن نتمتع بمعرفة الله. والكتاب المقدس وحده هو الذي يعطـينا هذه المعرفة، فليتنا لا نهمله!

إن السـنين التي قضاها موسى في قصر فرعون، لم تكن هي الوسيلة الصالحة لتعليم موسى كيفية خلاص الشـعب وقيادته، والبرهان على ذلك ما نقرأه في أصحاح٢، حيث قتل المصري. فبعد أربعين سـنة في **مدرسـة فرعون**، احتاج موسى إلى أربعين سنة أخرى في **مدرسـة الله** فيما وراء البرية، وكانت النتيجة أن موسى لم يَعُد يفكّر في ذاته، بل طرح جانبًا فصاحته وكل قدراته الطبيعية (ارجع إلى أعمال ٧: ٢٢).

سـبق أن ذهب موسى من تلقاء ذاته، وبدون إرسالية من الله، أما الآن وقد أرسله الله فإنه **يثير سبعة اعتذارات** عن القيام بالمهمة: عدم قدرته (٣: ١١)؛ عدم معرفته (٣: ١٣)؛ عـدم تصديقهم (٤: ١)؛ عدم فصاحته (٤: ١٠)؛ رغبته في أن يقوم آخر بالمهمة (٤: ١٣)؛ فشله السابق (٥: ٢٢، ٢٣)؛ عدم فهم إخوته له (٦: ١٢).

ألا نعمـل نحن بنفس الطريقـة أحيانًا، عندما يضع الربّ علـى قلوبنا أن نؤدي عملاً له؟ ونفتكر أن نعتذر عن العمل، نـظرًا لنقص إمكانياتنا؟ والحقيقة أن نقص إمكانيات موسى كانت هي نفسها سبب إختيار الله له (قارن قض ٧: ٢، ٤).



ع١-١٧ : الرب يشجع موسى على الإرسالية

يبدأ هذا الفصل بذكـــر الآيات التي زوَّد الرب بها موسى. ولقد كان موســـى هو أول من عمل الآيات، حيث لا نقرأ عنها في سفر التكوين. لكن هنا في ســـفر الخروج، نجد أنَّ كلام الله لخاصَّته كان عن طريق موســـى، وكبرهـــان على أنَّ الله أرســـله، أعطـــاه قدرة على عمل معجزات. أمَّا اليوم وقد أعلن الربّ يســـوع الآب لنا، واســـتلمنا إعلان الله الكامل، الكتاب المقدس، فإننا لا نحتاج إلى معجزات لكي نؤمـــن. فلقد كانت المعجزات **لتثبيت الكلام**، عندما يقدم الله إعلانًا جديدًا لشعبه (مر ١٦: ٢٠؛ عب ٢: ٣، ٤). وأما الكتاب نفسه فإنه لا يحتاج إلى تثبيت إذ إنـــه أعظم من أعظم الآيات (لو ١٦: ٢٩-٣١؛ يو ٥: ٤٦، ٤٧).

ومغزى هذه الآيات ثميـــن جدًّا. **العصا التي تحوَّلت إلى ثعبان**، تتكلَّم عمَّا يفعله الله، إذ يسمح للشيطـــان أن يعمل إلى لحظـــة، لكن سلطـــان الله فوق قدرة الشـــيطـــان ليُبـــطل عمله. الربّ

حياة موسى وأقسامها الثلاثة

عاش موســى ١٢٠ ســنة، مقســمة إلى ثلاثة أربعينات مــن الســنين (أع ٧: ٢٣، ٣٠، ٣٦).

- الأربعــين ســنة الأولى قضاها موســى في قصر فرعون، حيــث تهذَّب بــكل حكمة المصريين، وفيها تعلم أنه شيء.
- الأربعــين ســنة الثانيــة قضاهــا في برية مديان، يعمــل في أحقــر عمل (رعاية الغنــم)، حيث تعلَّم أنه لا شيء.
- الأربعــين ســنة الثالثــة قضاها في برية ســيناء، يقــود شــعب الله في رحلته إلى كنعان، حيث تعلَّم أن الله كل شيء.

يسوع على الصليب قهر قوَّة العدو «إذ جرَّد الرياسات والسلاطـين، أشهرهم جهارًا ظـافرًا بهم فيه» (كو ٢: ١٥).

وآية أخرى أُعطـيت لموسى: أدخل يده في عبّه (حيث القلب نبع الشرّ) فخرجت برصاء، ثم بعد ذلك شُـفيت. في هذه الآية، أظـهر الله قدرته على **التطـهير من نجاسـة الخطـيَّة**. في هاتين الآيتين كان الله يُذيع رسـالة الخـلاص: الغلبة على **الشـيطـان** (الثعبان)، الغلبة على **الخطـيَّة** (البرص). وكلاهما يعطـياننا صورة مصغَّرة للإنجيل.

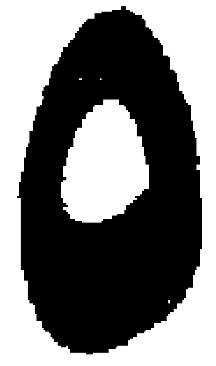
ع١٨ ـ ٣١ : موسى يشرع في المهمة

الرب، لكي يشـجع إيمان موسـى، يخبره بأنه قد مات جميع القـوم الذين كانوا يطلبون نفسـه، فلا خوف عليه الآن من أن يدخل مصر. وهنـا نعمل مقارنة بين يعقوب وموسى؛ فيعقوب عندما مضى ليتزوَّج من بنات خاله لابان، لم يكن معه في البداية سوى عصا، ولكنه خرج بعد عشرين سنة في رعاية الغنم، وقد صار جيشين. أما موسـى - ذلك الرجل العفيف - فإنه، بعد أربعين سـنة في رعاية الغنم، خرج وليس معه سوى عصا. ولكنها **"عصا الله"**. وسوف نرى في بقية السفر ماذا فعلت هذه العصا، التي هي بلا شك أعجب عصا في كل التاريخ البشري.

وفـي ع٢٤ -٢٦ نتعلم أنه على خادم الرب، قبل أن يشـرع فـي خدمة جهارية للرب، أن يرتِّب بيته حسـنًا (اتي ٣: ٤، ٥). فحتى هذه اللحظـة، وربما بسـبب تأثير زوجته، لم يكن موسـى قد قام بعد بختان ابنـه. والمعنى الروحي للختان هو وضع الجسـد في حكم المـوت. الله هو الذي طـالب بممارسـة الختان (تك ١٧: ١٠). وهو أكثر أهمية في بيت خادم الرب. وهو ما كان يتحتم أن يتم فورًا في ذلك الوقت، تحت طـائلة آلام الموت.

ثم في عددي ٢٧، ٢٨ نتعلم أين ينبغي على الإخوة أن يتقابلوا؟ «في جبل الله». وماذا يجب أن يكون موضوع الحديث؟ «جميع كلام الرب... و... كل الآيات».

ولقد كان الرب مع موسى كما وعده في البداية (٣: ١٢). في العدد الأول من هذا الأصحاح، قال موسى: «ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي». لكن الربّ كان قد أعدَّ قلوب الشعب (ع٣١). فصدَّقوا كلام موسى والآيات التي أُعطيت له، وبدون أن ينتظروا الخلاص، يقول عن بني إسرائيل إنَّهم "**خرّوا وسجدوا**".



ع١-٢٣ : فرعون يقسي العبودية على الشعب

مصر تُعطينا صورة واضحة للعالم. لا العالم كمادة أو كائنات خلقها الله، بل **كنظام فاسد ابتدعه الشيطان** ليُبعد به الناس عن الله. أو بكلمات أخرى المجتمع البشري بدون الله. وبينما رفضَ العالم سلطان الله، اختار العالم لقيادته الشيطان المُسمَّى رئيس هذا العالم (يو ١٢: ٣١؛ ١٤: ٣٠؛ ١٦: ١١). وهو سيِّد قاسٍ، وفرعون بقسوته صورة مناسبة له. وشعب إسرائيل في مصر، من الجهة الأخرى، يُمثِّل المؤمنين قبل تغييرهم. لقد كانوا تحت عبوديته، وأراد الله أن يخلِّصهم. نحن نعرف جيِّدًا ماذا يعني أن نئن تحت نير الشيطان، وأن نكون عبيدًا للخطيَّة (رو ٦: ١٧)، «مُستعبَدين لشهوات ولذَّات مختلفة» (تي ٣: ٣)، ولا نقدر أن نُحرِّر أنفسنا.

ونلاحظ أنه عندما أتى موسى ليعلن لهم خلاص الرب، فإن فرعون قسَّى النير عليهم. وهي صورة لما يحدث مع النفوس التي بدأ روح الله يتعامل معها بالإحياء،

وصارت تحنّ إلى الحرية الحقيقية، فإذ بالشيطـــان يهيج عليهم أكثر، ويُحكم قبضته عليهم، لئلا يفلتوا من بين يديه، كما ويشغلهم بالكثير من الأمور المربكة التي تجعلهم لا يعودون يفكّرون في خلاص نفوسهم.

وفرعون لا يُعطـــي شـــيئًا، بل بالعكس، فإن الشـــعب لما صرخوا إليه، ضاعف النير عليهم بصورة واضحة. وهكذا الشيطـــان ليس فقط لا يعرف الشفقة، بل يجد متعته في إذلال البشـــر. عكس المسيح محبّ الخطـــاة ومبشّـــر المساكين ومحرر العبيد (لو ٤: ١٨). وبينما "يوسف" في ختام سفر التكوين أعطـــى **إخوته الحنطـــة** للشـــبع. فإن "فرعون" أعطـــاهم أولاً "قشًّـــا" فقط للسُّـــخرة، ثم بعد ذلك رفض أن يعطـــي القش. فهكذا هو المسيح، وهكذا الشيطـــان. وقد قال النبي: «ما للتبن مع الحنطـــة يقـــول الرب» (إر ٢٣: ٢٨). كلمة الله هي الحنطـــة المُشـــبِعة، وكل ما يقدمه الشيطـــان - إن أعطـــى - فهو التبن!

هل لا تزال أنت في هذه الحالة السيئة؟ كلمة الله تُخبِرك عن فداء تمَّ فعلاً، وليس عن خلاص لا يزال آتيًا كالذي أعلنه موســـى. فالفداء، بعبارة أخرى، هو الخلاص من العبوديَّة المُرعبة للشيطـــان والخطـــية، بالإيمان بعمل المسيح على الصليب.

٦

ع١ ـ١٣ : تجديد الوعد لموسى

عندما أتى موسى عبد الرب إلى إلهه متضايقًا (ص٥: ٢٢، ٢٣)، لم يوبِّخه الرب بالمرَّة. بل على العكس، اســـتخدم الله تلك المناســـبة ليعلن ذاته له من جديد كالربّ

يهوه؛ الاســم الذي اتَّخذه لنفسه في علاقته مع إســرائيل. كان للآباء هو "الله القادر على كل شــيء" (قارن تك ١٧: ١؛ ١٨: ١٤؛ ٢٨: ٣؛ ٤٨: ٣)؛ والآن وهو مزمع أن يبدأ شيئًا جديدًا، أخذ اســمًا جديدًا. وباعتباره الرب «يهوه» فهو الذي لا يتغيَّر، الأمين لمواعيده. نحن الذين نؤمن بالربّ يسوع المسيح، نعرف الله باسم أكثر قربًا، فهو «الآب»، الذي أعلنه الربّ يسوع لنا (يو ١٧: ٦،٢٦).

وبعد أن أعلن الله لموسى اســمه الجديد، بالعلاقة مع إسرائيل، فإنه ذكَّره بنعمته، وبأنه لا بد أن يتمم وعده (ع٤)، وأكد له في ع٥ "سمعت... وتذكَّرت". ثم بيَّن له في الأعداد ٦ - ٨ خطَّته لخلاصهم في وعد ســباعي. وأكثر من ذلك **وضع ختمه** عليه بقوله: «أنا الربّ» (ع ٨). وكم هو مُحزن أن نرى إســرائيل، رغم كل ذلك، لم يســمعوا، وكانت هذه بداية لعدم الإيمان الذي ميَّز تاريخهم منذ ذلك الحين (ارجع إلى مزمور ١٠٦: ٧).

نرى في الأعداد ١٠ -١٣ أن موســى صار قَلِقًا مرَّة أخرى وفتُرت همَّته. وأثار الصعوبة السابعة، محاولاً الاستعفاء من المهمة (ارجع إلى ٣: ١١). واجتاز إيمانه صعوبة في التمسُّك باسم الله المُعلن ومواعيده.

ع١٤ ـ ٣٠ : نسب موسى وهارون

من ع١٤ وما بعده، نجد الله يهتم بالذين له، ومع أنَّهم كانوا يعيشون كغرباء، لكنَّه كان يراهم ويُسرّ بأن يدعوهم بأسمائهم. «يعلم الربّ الذين هم له» (٢تي ٢: ١٩).

وتُذكر هنا أسماء عدَّة أفراد من بيت لاوي، كان لهم دور هام، للخير أو الشرّ، في تاريخ إسرائيل: فيُذكر قورح وبنوه، وأبناء هارون الأربعة، وفينحاس.



ع١ -١٣ : موسى وهارون أمام فرعون ومعهما سلطان الله

في ع١ يقول الرب لموسـى: «جعلتك إلهًا لفرعون»، بمعنى أنك تصدر الأحكام ضده، وتقضي عليـه. ولقد كان القضـاة والحكام من هذه الزاويـة يُعتبرون آلهة (٢١: ٦؛ مز٨٢: ١، ٢، ٦). كما كان هارون يتحدّث إلى فرعون نيابة عن موسى.

وإن كان موسـى في مزمور٩٠: ١٠ حدَّد حياة الرجل القوي بثمانين سنة؛ فإن موسى، في هذه السـن بالذات، بدأ خدمته وإرسـاليته (ع٧)، وكأنَّ الله وضع القوَّة الطبيعية للإنسان جانبًا، وأعطـاه قوة من لدنه.

ابتدأ موسـى وهارون يصنعان الآيات التي أعطـاها لهما الربّ في أصحاح٤، أمام فرعون. مُعلنة نصرة الله على الشيطـان.

ع١٤ -٢٥ : الضربة الأولى: تحويل المياه إلى دم

هذه هي بداية الضربات العشـر التي أوقعها الله على فرعون وشعبه. وكان الله قد قال في أصحاح ٤: ٩ إنَّهـم إذا لم يُصّدقوا هاتين الآيتين، فـإن هناك آية ثالثة، وهي آيـة خطـيرة حقًا، هي **تحويل المـاء إلى دم**. الماء هو الـذي يحفظ الحياة ويُنعشها، بينما الدم المسفوك يتكلَّم عن الموت. لقد أُعطـيت كلمة الله للإنسان ليحيا بها ويتبارك، لكن إذا لم يقبلها ويؤمن بهـا، فذلك يعني دينونة وموتًا له. قال الربّ يسـوع: «مَنْ رذلني ولم يقبل كلامي... الكلام الذي تكلَّمـت به، هو يدينه في اليوم

الأخير» (يو ١٢: ٤٨). كلمة الله المقدسة تُذيع «**نعمة الله**»، لكنَّها تتكلَّم أيضًا عن "**الدينونة**" لكل مَنْ لا يقبلها. وكل إنسان لا بُـدَّ أن يتعامل مع كلمة الله بطريقة أو بأخرى: الآن هي تعطي الحياة لمن يقبلها، أو أخيرًا ستقدّم الموت لمن رفضها.

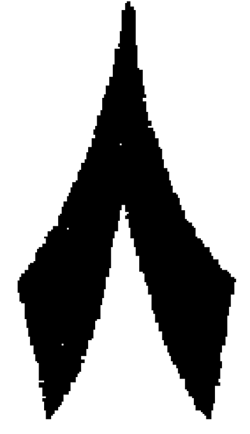
ما قاله الله بخصوص المصريِّين قد تمَّ. والنيل، الذي هو عماد الحياة في البلاد، والذي عبدوه كإله، صار لهم كراهة وشيئًا مقزِّزًا، فكان «الـدم» في النهر وفي سواقيهم ومجاري مياههم. لذا ليتنا نتجنب الشرب من مصادر إنعاش هذا العالم المُعادي لله والواقع تحت دينونته. بل إن الدم صار حتَّى في الأخشاب والأحجار (ع١٩)، وهكذا فإن كلام الربّ لا بد أن يتم.

فعل عرَّافو مصر بسحرهم بالمثل. بقوَّة الشيطان أمكنهم أن يقلِّدوا ما يُسبِّب الموت. كان الأفضل والأنفع أن يُظهروا قدرتهم لشعبهم **بتحويل الدم إلى ماء**. لكن هذا ما لم يقدروا أن يفعلوه؛ فالشيطان يعرف أن يُميت البشر، ولا يقدر أن يُحييهم.

جدول يبيّن الضربات العشر

المجموعة	المجموعة الأولى	المجموعة الثانية	المجموعة الثالثة	
الضربات	الضربات ١؛ ٢؛ ٣	الضربات ٤؛ ٥؛ ٦	الضربات ٧؛ ٨؛ ٩	الضربة العاشرة: موت الأبكار
المدلول	العالم كما هو في حقيقته	العالم في نظر شعب الله	نظرة الله والقضاء الإلهي	
الواسطة	هارون يستخدم عصاه	لا يُذكر	موسى يستخدم عصاه أو يده	
التدرج	إزعاج	خسارة	دمار	

- الضربات الأولـــى والثانية في كل مجموعة أُعطـــي بهـــا تحذير للملك، وأما الثالثة من كل مجوعة فوقعت بدون سابق إنذار.
- الضربة الأولى من كل مجموعة كان الإنذار بها في الصباح الباكر
- المجموعتان الأولى والثانية كان التحذير بها عند النهر
- الضربة الأخيرة من كل مجموعة أعقبها اعتراف الملك وسحرته بفشلهم الكامل.



ع١-١٥ : الضربة الثانية: ضربة الضفادع

بناء على أمر الربّ لموسى، مدَّ هارون يده فصعدت «**الضفادع**» وغطَّت أرض مصر. كفَّ موســى عن أن يجادل في أوامر الله، وصارت له ثقة في الذي أرسله، وقـــال لفرعون: «عيِّن لـــي متى أُصلِّي لأجلـــك؟» (ع٩). صلَّـــى التلاميذ قائلين: «يا ربّ زِد إيماننا» (لو ١٧: ٥). وحسن أن نطلب ذلك على الدوام.

ع١٦-١٩ : الضربة الثالثة: ضربة البعوض

بعد الضفـــادع كان «**البعوض**» على كل الأرض. قلَّـــد العرّافون هارون ثلاث مـــرات (٧: ١١، ٢٢؛ ٨: ٧)، لكـــن الآن لم يســـتطـــيعوا، فصـــار حمقهم واضحًا للجميع. ولقد أعطـــى الرســـول في ٢تيموثاوس ٣: ٨، ٩ اســـمي كبيري السحرة اللذين قاوما موســـى: "ينّيس ويمبريس". وهؤلاء يُمثِّلون المســـيحيِّين بالاسم الذين

لهم صورة التقوى بدون إيمان حقيقي. لكي تصير مسـيحيًّا حقيقيًّا، لا ينفع أن تُقلِّد المسـيحيِّين. يوجد مَنْ يذهبون إلى الاجتماعات المسـيحية، ويقـرأون في الكتاب المقدَّس، ويعملون أعمالاً خيريَّة ... بدون أن يكونوا مسيحيِّين حقيقيِّين. من السهل أن تُعطـي انطباعًا أنَّك من أتباع الربّ، وتخدع الآخرين، وربَّما نفسك. وخطـير جدًّا أن تفعل هذا لأنَّه لا يمكنك أن تخدع الله.

هل لك إيمان حقيقي؟ هل تُقلِّد الأتقياء وتعمل نظـيرهم، أم أنك تقي فعلاً؟

ع٠ ٢ـ٣٢ : الضربة الرابعة، الذُبَّان، ومخاتلة فرعون

كانت الضربة الرَّابعة أسـرابًا مُكدِّرة من «**الذُبَّان**» الذي دخل بيوت المصريِّين، فأخرب كل شيء في مصر باسـتثناء أرض جاسـان حيث يقيم بنو إسرائيل. هذا الذُبَّـان† المزعج يحدِّثنا أدبيًّا عن روح الغيرة والحسـد التي تملأ قلوب أهل العالم، وتفسد عليهم حياتهم، والذي ينبغي ألا يكون في قلوب شعب الله.

ولقد أصبح فرعون الآن مُستعدًّا أن يُقدِّم بعض التنازلات، فقال: «اذهبوا **اذبحوا لإلهكم في هذه الأرض**» (ع٢٥). لكن هذا كان مستحيلاً، حيث أن الربّ كان قد أمر أن يذهبوا مسـيرة ثلاثة أيام في البرية (ص٣: ١٨). «**ثلاثة أيام**» كانت هي الفترة التي قضاها الربّ يسوع في القبر؛ بين موته على الصليب، وصباح يوم قيامته. إن "موت وقيامة" الربّ يسوع، هما أساس إيماننا، وعلامة انفصالنا التام عن العالم الذي رفضه. والعدو يريد أن يسلبهما منَّا، لأنَّهما يعلنان هزيمته. وعلى النقيض من هذا فإن عبادة بدون تذكُّر الصليب والقيامة، لا تُزعج الشيطـان على الإطـلاق. العالم يشيد بحياة "يسـوع" ويُجلّها. وحيث أن العالم له دياناته، فإنه لا يُمانع أن يكون لنا ديننا؛ لكن الانفصال الكامل مُمثَّلاً في موت المسيح، ووجوده الآن في السماء، يدين العالم ويتضمَّن أن كل ما فيه وما في الإنسان محكوم عليه.

مخالات فرعون، وحلول الشيطان التوفيقية، وردود موسى الحاسمة

⌘ «اذهبوا اذبحوا لإلهكم في هذه الأرض» (٨: ٢٥).

⌘ «أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم، ولكن لا تذهبوا بعيدًا» (٨: ٢٨).

⌖ رد موسى: «نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية» (٨: ٢٧).

⌘ «اذهبوا أنتم الرجال واعبدوا الرب» (١٠: ٨، ١١)

⌖ رد موسى: «نذهب بفتياننا وشيوخنا، نذهب ببنينا وبناتنا بغنمنا وبقرنا» (١٠: ٩).

⌘ «اذهبوا اعبدوا الرب. غير أن غنمكم وبقركم تبقى» (١٠: ٢٤).

⌖ رد موسى: «تذهب مواشينا أيضًا معنا. لا يبقى ظلف» (١٠: ٢٦).

---

† هو خليط حشرات مختلفة. والكلمة تُرجمت في مزمور ٧٨: ٤٥ «"بعوض" أكلهم»، وتُرجمت في خروج ١٢: ٢٨ "لفيف". ولقد تُرجمت في الترجمة السبعينية بذباب الخيل أو الماشية، وهي المعروفة عند العامة باسم "القُراد"، وهي حشرة مزعجة وقرصاتها مؤلمة.

٩

ع١-٧ : الضربة الخامسة: موت المواشي

كانت الضربة الخامسة وبأ ثقيلاً على المواشي، لكن الله ميَّز مواشي إسرائيل، فلم يُصبها ضرر، لأنهم سيحتاجون إلى حملان للفصح وللذبائح في البرية. ولكن

فرعون أغلظ قلبه. ما أخطر هذا العمل! لقد شاهد ليس فقط "**قدرة**" الله، لكن أيضًا "**رحمته**"؛ مرة بعد الأخرى، في رفع الضفادع والبعوض والذُبَّان، وفي كل مَرّة أبى أن يخضع ويتوب. كم من أُناس يُقسّــون قلوبهم إزاء أعظم معجزة للنعمة: ابن الله باذلاً حياته لأجل خلاص الناس الهالكين.

ع٨ ـ ١٢ : الضربة السادسة: الدمامل

طلعت **الدمامل** على كل المصريِّين وعلى بهائمهم، ومع ذلك بقيَ قلب فرعون جامدًا كالحجر. ولاحظ التعبير في عدد ١٤ «أُرسل جميع ضرباتي إلى قلبك». فكيف يمكننا أن نفسِّر هذا العناد من جانب ملك مصر؟ الإجابة إنه كان رمزًا للشيطــان نفسه. لقد عرف الشــيطــان أنَّ **من هذا الشعب سيأتي شــخص أعظم من موسى ــ أي المسيًا** الذي عندما يغلبه، ســيخلِّص الناس من عبوديته. ولهذا فقد سعى لإبقاء شعب إسرائيل في العبودية أطول فترة مُمكنة. لكــن نتيجة عناد ملك مصر ظــهرت قوة الله، وأُعلن اسمه في كل الأرض (ع١٦، اقتُبس في رومية ٩: ١٧).

ع١٣ ـ ٣٥ : الضربة السابعة: البرد

هذه هي الضربة الســابعة، وموســى يخبر فرعون بها. ولأوّل مرة نرى بعض المصريِّين يخافون كلمة الله، ويضعون مواشيهم تحت حِمَى في البيوت.

يســمح الله بكوارث، ليذكِّر الناس بوجــوده. الناس اليوم يفتخــرون بتقدّمهم العلمي، ويفتكرون أنَّهم أخضعوا قوى الطبيعة. لكن الله يُظــهــر للناس منتهى ضعفهم أمام قوى الطبيعة العاتية، التي كلها طوع أمر الله. لقد ســمح هنا ببَرَد عظــيم لم يكن مثله (ارجع إلى أيوب ٣٨: ٢٢، ٢٣)، كما يســمح اليوم بزلازل وبراكيــن، بأوبئة وحتى غارات من حشرات، تُبيِّن للإنســان كم هو صغير وحقير إزاءها. الله يسعى بكل طريقة ليوجِّه أفكار

الناس إليه. وبواسطة هذه الظروف فكَّر أُناس في مصيرهم الأبدي، وأتوا إلى المخلِّص الوحيد (انظر مزمور ١٠٧). كم من نفوس طلبت في ضيقها الله، ووجدت الملجأ في الربّ يسوع، ليس فقط من العواصف الأرضيَّة، لكن فوق الكل من الدينونة الأبديَّة!

الله يُحدِّد بعناية الحدّ الذي تصل إليه التجربة. فهي لا تخرج عن النطاق الذي سمح به. «الكتَّان والشعير ضُربا... وأمَّا الحنطة والقطاني فلم تُضرب» (ع٣١، ٣٢).

وبالنسبة لشعبه المحبوب فقد كانوا يتمتعون بحماية الله العجيبة وسط البَرَد والرعود (ع٢٦).

ولقد قال فرعون: «أخطأت» (ع٢٧). لكن هل كانت هذه توبة حقيقيَّة؟ إن التوبة الحقيقية هي تغيير للفكر ينتج عنه تغيير في الحياة. لكن

سبعة أشخاص في الكتاب المقدس قالوا "أخطأت"

أولاً: قالها فرعون هنا، وقالها أكثر من مرة (خر ٩: ٢٧؛ ١٠: ١٦).

ثانيًا: قالها بلعام النبي العراف الشرير (عد ٢٢: ٣٤)، لكنه مات تحت القضاء، لأنه ظل شريرًا حتى النهاية.

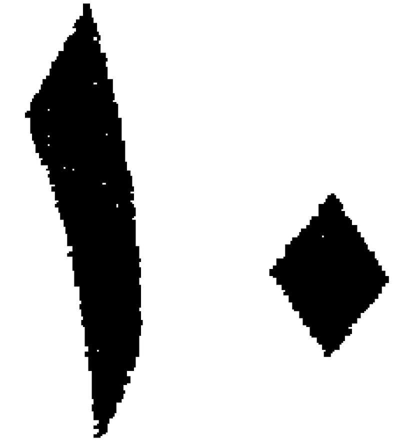
ثالثًا: قالها عاخان بن كرمي (يش ٧: ٢٠)، لكن توبته جاءت متأخرة، فلم ينتفع منها شيئًا.

رابعًا: قالها شاول الملك للنبي صموئيل (١صم ١٥: ٢٤؛ ٢٦: ٢١)، لكن توبته كانت صورية بلا عمق، فلم يستفد منها، ومات بخيانته (١أخ ١٠: ١٣).

وخامسًا: قالها يهوذا الإسخريوطي (مت ٢٧: ٤)، ثم مضى وخنق نفسه، فكان يعوز توبته عنصر الإيمان.

لكن الوحي يذكر لنا اثنين قالوا هذه الكلمة عينها، وكانت توبتهم حقيقية. في العهد القديم قالها داود الملك الذي تاب عن خطيته الشهيرة (٢صم ١٢: ١٣؛ مز ٥١: ٤)، وفي العهد الجديد قال الابن الضال لأبيه: «أخطأت إلى السماء وقدامك» (لو ١٥: ٢١).

هـذا لم يحدث مع فرعـون، إذ نقرأ في ع٣٤: «ولكن فرعـون لمَّا رأى أن المطر والبَرَد والرعود انقطـعت، عاد يُخطـئ، وأغلظ قلبه».



ع١-١١ : التهديد بالضربة الثامنة ومخاتلة فرعون

في ع١ نجد أنَّ الله هو الذي يُغلظ قلب فرعون. كم هذا خطـير! الله يتكلَّم مرَّة ومرَّتين (أي ٣٣: ١٤)، وغالبًا أكثر من ذلك، ثم يأتي يوم يصبح فيه الوقت متأخِّرًا. كم من المرَّات تكلَّم الله إليك؟ لذلك تنبَّه عزيزي، قبل فوات الأوان!

ولقد كان التهديـد بضربة «**الجراد**». والآن يقول عبيد فرعون عن أرض مصر إنَّها قد «خربت» (ع٧). يوسـف فيما سـبق أنقذ وخلَّـص الأرض، لكن فرعون أخربها، تمامًا مثل الشيطـان الذي يقود العالم إلى الخراب.

ولقد قدَّم فرعون اقتراحًا جديدًا لموسـى أن يذهب الرجال فقـط ليعبدوا الربّ، بينما يبقـى الصغار في مصر. لاحظ جواب موسـى الجميل فـي ع٩ وتأمَّل فيه وقت الاجتماع. إن الله يُسـرّ أن يرى عائلاتنا بأكملها آتية إلى محضره لتعبده. إن المسـيحية تُعلِّم بخلاص أهل البيت (لـو١٩: ٩؛ أع١٦: ٣١). ومن البدء دعا الله إبراهيم لكي يوصي بنيه وبيته من بعده. واجتماعات العبادة ليست "للكبار فقط"، بل إن للأولاد أيضًا امتياز الاشتراك بقلوبهم وأصواتهم فيها.

ع١٢-٢٠ : ضربة الجراد

كل ما تركه البرد، الآن أَكَلَه الجراد. وقال فرعون بعد هذه الضربة الجديدة مرَّة

أخرى "أخطــأت"، لكنَّ من الواضح أنه لم يكن يريد سوى رفع ضربة الجراد ليس إلا. فهو لم يكن يرغب في التخلص من الخطــية، بل من نتائجها فقط. لكن الله لا يُشمخ عليه، لقد أضاع فرعون فرصة التوبة (قارن إرميا ٤٦: ١٧). والآن بمجرَّد مرور الوقت الذي سامحه فيه الله، شــدَّد الربّ قلبه ثانية (ع٢٠)، لأنَّه هو قد أغلظ قلبه أوَّلاً (٩: ٣٤، ٣٥).

ع٢١-٢٩ : ضربة الظـلام ومخاتلة جديدة لفرعون

أرسل الربّ «الظــلام»، فكان ظــلام دامس في كل أرض مصر **ثلاثة أيام**. وكان لهذا مدلول هام بالنســبة للمصريين، فبالإضافة إلى أن الشــمس مصدر للنور والدفء، فإنها كانت تُعبد في مصر تحت اسـم الإله "رع"، فاتضح أنها هي نفســها خاضعة لإله الإسرائيليين الذي هو الخالق العظــيم. لكن كان نور في مساكن بني إسرائيل!

يا لها من مُباينة: ظلمة في الخارج، ونور في داخل مساكن شعب الله! هكذا اليوم: قال الربّ يســوع «كل مَنْ يؤمن بي، لا يمكث في الظلمة» (يو ١٢: ٤٦). في وسط عالم مملوء بظلمة الخطــيَّة، فإن المؤمنين «أولاد نور» (أف ٥: ٨؛ اتس ٥: ٥). كل شـــيء واضح لهم، فهم يعرفون حالة العالم وما ينتظره، ويعرفون حالة قلوبهم، ويوجد نور لســبيلهم (انظر مزمور ١١٩: ١٠٥). ما يفعلونه يُرى من الجميع، ويشهدون لله الذي هو نور. هل الأمر هكذا معك؟ هل يوجد نور في قلبك؟

الآن نرى فرعون يأتي باقتــراح جديد: «اذهبوا اعبدوا الــربّ، غير أنَّ غنمكم وبقركم تبقى» (ع٢٤). هذا يعني منع الشــعب من تقديم ذبائح لله. وهذا هو تمامًا ما يحاول الشــيطــان أن يفعله: أن يحرمنا من الشخص الذي هو "الذبيحة الكاملة". يحاول العدو أن يســلبنا التمتُّع بالربّ يسوع، لا سيما عندما نريد أن نسجد، بأن نقدّم للآب، الشخص الوحيد الذي هو كل مسرته.

ألم يحدث أحيانًا كثيرة في اجتماعات العبادة أنَّ قلوبنا لم تتجاوب مع ما ينتظره الله؟ يقينًا نحن بهذا نخسر الكثير، ولكن فوق الكل يُحرم الله من التقدمة الغالية التي كان ينتظرها من الذين يعبدونه.

لكن ردّ موسى الحاسم على فرعون أوضح أن الرب ليس له الحق على قلوبنا أو أجسادنا فحسب، بل على كل ما نمتلك أيضًا.



الإنذار بالضربة العاشرة: موت الأبكار

رأينا حتى الآن تسع ضربات في أرض مصر. بقيت واحدة وهي أشدَّها هولاً، وكانت هي الأولى التي تم التلويح بها (٤: ٢٣)، ولكنها الأخيرة في تنفيذها.

وفي ع٨ نرى موسى في **حمو الغضب**، مع أنَّه كان حليمًا جدًّا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (عد ١٢: ٣). لقد غضب أشد الغضب في مناسبات كثيرة، عندما كان مجد الله أو صالح شعبه يتعرض للخطر (خر ١٦: ٢٠؛ ٣٢: ١٩؛ لا ١٠: ١٦؛ عد ١٦: ١٥؛ ٣١: ١٤). تُرى هل نحن نغضب لمثل هذه الأسباب؟

تسلبون المصريين

هذه العبارة وردت في سفر الخروج قبل إرسالية موسى (٣: ٢٢)؛ ثم كرّر الرب تذكير موسى بها هنا (ع٢)؛ ثم تحقّقت فعلاً (١٢: ٣٦). وليس المقصود هنا سلبهم بالقوة، بل لقد وقع رعب الله عليهم (قارن ع٨)، فسلّموهم، بمحض اختيارهم، الذهب والفضة. وكان هذا عدلاً، مقابل سنوات السُّخرة التي عملوا فيها في خدمة المصريين بدون أجر.

١٢

ع١-١٤ : فصح الرب

هذا الأصحاح يُعتبر من أهم أصحاحات العهد القديم. كان الخلاص الموعود به على وشك أن يتمّ، لكن في الوقت ذاته كان القضاء الرهيب مُزمعًا أن يقع على أرض مصر.

«أجرة الخطـيَّة هـي **مـوت**» (رو ٦: ٢٣). الكل أخطـأوا، الإسـرائيليون والمصريون على السواء، لكن بالنسبة لشعب الله، كان هناك **"حَمَل"** سيموت بالنيابة عنهم. أليسـت هذه صورة واضحة، تمسّ القلب، لحَمَـل الله المذكور في مواضع كثيرة من الكتاب المقدَّس؟ لا سيَّما (إش٥٣: ٧؛ يو١: ٢٩، ٣٦؛ رؤ٥: ٦). الربّ يسوع المسـيح هو الحَمَل الذي بلا عيب ولا دَنَس المعروف سابقًا قبل تأسيس العالم (١بط ١: ١٩، ٢٠)؛ وقد أُسلم للموت في الوقت المُعيَّن من الله.

ولقد كان هناك غرض مزدوج للفصح. ففـي ع٧ الدم **للحماية**، وفي ع٨ اللحم **للتغـذي**. إن أهم موضوع في الفصح هو الدم الذي كانـوا "يجعلونه على القائمتين والعتبـة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها". وبعد ذلك كان على بني إسـرائيل أن يأكلـوا الفصح، داخل البيوت المحمية بالدم. وبالمثـل ينبغي أننا بالإيمان نخصّص الذبيحة الكاملة في الجلجثة لنفوسنا. كان يجب أن يُشوى الحَمَل بالنار، وكان يؤكل على «أعشـاب مُرَّة»، ليذكّرنا بـأن آلام نار الدينونة الإلهيـة الرهيبة التي احتملها المسيح في الجلجثة، كانت بسبب خطـايانا عندما وُضعت عليه.

كل العائلـة كانت تأكل الفصـح: الوالدين والأولاد، وكان يكفـي للجميع (ع٤). وبنفـس الطريقة كل منَّـا يجب، بالإيمان الشـخصي، أن يقبل موت الربّ يسـوع

كالذبيحة الوحيدة لأجل خطــايانا. قارئي العزيز هل لك مثل هذا الاختبار؟ إنه يوم لا ينسى من حياة شعب الله (ع١٤، ٤٢).

ولقد كان رش الدم على بيوتهم يتضمَّن قبولهم حقيقتين:

١ - أنَّ الله كان سيضرب الأبكار.

٢ - أنَّ الدم سيحميهم هم وعائلاتهم.

كان الله يرى الدم، بينما بنو إسرائيل في داخل بيوتهم لا يرونه. والمعنى الروحي لذلك هو أن الله وحده يُقدِّر تمامًا قيمة عمل ابنه الحبيــب. خلاصنا لا يتوقَّف على كيف نُقدِّره نحن، أو كيف نشــعر به، لكنه يتوقَّف كُليَّة على كيف يُقدِّره الله، وأمامه دم الربّ يســوع الذي يمحو الخطــيَّة تمامًا. لقد كان أمنهم متوقِّفًا على الدم المرشوش خارجًا، وأما تمتعهم بالسلام فكان مبنيًا على أقوال الله المنزّه عن الكذب، الذي قال: «أرى الدم وأعبر عنكم».

ع١٥-٢٨ : **ترتيبات الفصح**

كان يجب أن يُنزع الخمير، الذي يرمز للخطــية (١كو ٥: ٧، ٨). **فما كان يمكن أن يجتمع الخروف والخمير على مائدة واحدة.** وبالمِثل، نحن لا نقدر أن نتمتَّع بعمل المسيح بدون نزع الخطــيَّة من حياتنا، بالاعتراف بها وإبعادها عن فكرنا.

وفــي ع٢٢ نرى فكرة هامة: "باقة زوفا مغموســة في الــدم"، فيها نرى جانبي الخلاص كما يشــرحهما لنا العهــد الجديد في ١يوحنــا ١: ٧، ٩. فمن ناحية الله: الدم؛ ومن ناحية الإنســان: الزوفا، وهو نبات ضعيف (١مل ٤: ٢٣؛ قارن مع متى ٢٧:١٥) الذي يمثِّل التوبة والتواضع.

ونحن، (مثل أولاد الإســرائيليين - ع٢٦)، نســأل أنفســنا: ما هذه الخدمة لنا؟ أليست هي صورة لدم المسيح الثمين الذي يحمينا من الدينونة (ع١٣)؟

ع٢٩-٣٩ : موت الأبكار

بينما كان بنو إسرائيل يأكلون الفصح في بيوتهم، آمنين بواسطـــة دم الحَمَل، كان الرُعب والحزن في الخارج في الليل لأن المـــلاك المُهلك كان يمرّ ويضرب البكر. كانت هذه هي الضربة العاشـــرة والأخيرة، وأكثرها هـــولاً، وكان صراخ عظـــيم في كل أرض مصر. وفيها نرى صورة لدينونـــة أكثر خطورة، هي **الموت الثاني** (رؤ٢٠: ١٤) لجميع الذين لم يحتموا في دم حَمَل الله.

يُخبرنـــا ع٢٩ أنَّه لم يكن ثمة فـــرق: فلقد وقعت الدينونة على الأســـير الذي في الســـجن، كما وقعت على فرعون الجالس على كرسيه. كذلك أمام العرش العظـــيم الأبيض (رؤ ٢٠: ١٢)، جميع الأموات سيظـــهرون، صغارًا وكبارًا.

حان الوقت لشعب إسرائيل **للرحيل من مصر**. لقد أكلوا الفصح بعَجَلة، وأحقاؤهم مُمنطَقة، وأحذيتهـــم في أرجلهم، وعصيّهـــم في أيديهـــم (ع١١)، مُظـــهرين بذلك أنَّهم شـــعب منفصل؛ غرباء وراحلون. **أليس الأمر كذلـــك معنا؟** ينبغي أن يلاحظ الآخرون، بغيرتنا للرب، وانفصالنا عن الأمور الأرضية، بحياة الســـهر والنشـــاط، وبالإجمال بسلوكنا العام؛ أننا قد اشـــتُرينا بالدم الكريم، وأننا مستعدون بين لحظـــة وأخرى للرحيل إلى وطننا السماوي.

ع٤٠-٥١ : خروج الشعب، وفريضة الفصح

هنا نجد أن العبيد الأذلاء قد صاروا أجناد الرب. لا يهربون في عدم نظـــام، بل كأجناد يتحركون، والإمداد والإرشاد هما من الرب نفسه.

وعندما يقـــول الوحي: إنهم خرجوا "في ذلك اليوم عينه" (ع٤١، ٥١) فهذا يذكِّرنا بقول الحكيم: «لكل شـــيء زمان. ولكل أمر تحت السماوات وقت» (جا ٣: ١)، وأن «الأزمنة والأوقات .. جعلها الآب في سلطـــانه» (أع ١: ٧).

ولقد حدّد الـرب أن يكون يوم الفـداء هو بداية كل شـيء (ع٢؛ ١مل ٦: ١)؛ كمـا قصد أن يكون الفصح فريضة دهريـة. إن فكر الأعداء بخصـوص الخروف ألا يُذكر اسـمه بعـد (إر ١١: ١٩). أما الـرب الذي يقـدِّر عمل ابنه كل التقدير فقصـد أن يكون عمله موضـوع ذكر دائـم. «هي ليلة تُحفظ للـربّ» (ع٤٢). كما قال موسى للشعب: «اذكروا هذا اليوم» (ص١٣: ٣). والـرب فـي ليلة آلامه، وبعد أن أكل معهم الفصح، رسم عشـاء الرب، وهي المناسبة التي فيها يتذكَّر المؤمنون، في أوّل كل أسبوع في يوم الربّ، شخصه، إتمامًا لوصيته الكريمة: «اصنعوا هذا لذكري» (لـو ٢٢: ١٩؛ ١كو ١١: ٢٤، ٢٥). فهل تجاوبت أيها القارئ العزيز مع طلبة الرب الغالية هذه؟

سبع ممارسات للفصح ذُكرت في الكتاب المقدس

١ـ الممارسـة الأولى في أرض مصـر ليلـة خروجهم منها (خر ١٢).

٢ـ الممارسة الثانية في البرية (عد ٩).

٣ـ كان الفصـح هـو أول عمـل يعملـه الشـعب بعـد عبورهـم نهـر الأردن، وامتلاكهم لأرض الموعد (يش ٥).

٤ـ الممارسة الرابعة أيام نهضة حزقيا الملك (٢أخ ٣٠).

٥ـ الممارسـة الخامسـة: أيام نهضـة الملك يوشيا (٢أخ ٣٥).

٦ـ الممارسـة السادسـة بعـد الرجوع من السبي البابلي (عز ٦).

٧ـ آخر مرة هي التي عملها المسيح مع تلاميذه في ليلة آلامه، إذ اشـتهى أن يأكل الفصح معهم قبل أن يتألم (لو ٢٢: ١٥).

ع٣٨) يقول «وصعد معهم لفيف كبير» - وكلمة لفيف تعني ما اختلط من قبائل شـتى. فهم ليسوا إسرائيليين وليسوا مصريين، وقد تسببوا في متاعب بعد ذلك للشعب (عد ١١: ٤).

١٣

ع١-١٦ : تقديس الأبكار

يعلن الرب هنا حقّه علـــى الذين فداهم في الأصحاح الســابق. وهكذا كان أول تحريض للمؤمنين في رســالة رومية، بعد أن شــرح لهم خلاص الله العظــيم، أن طلب منهم أن يقدّموا أجسادهم لله، ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله (رو ١٢: ١).

بعض المؤمنين يفرحون بخلاصهم ولا يهتمون بالجانب الآخر، وهو أنهم ليسوا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام (٢كو ٥: ١٥). لكن الصوت الذي قال: «أرى الدم وأعبر عنكم» (١٢: ١٣)، هو بعينه الذي قال: «**قدِّس لي كل بكر، كل فاتح رحم.. إنه لي**» (ع٢).

ومرة أخرى نرى في الأعــداد ٣ - ٧ كيف يرتبط عيد الفطــير ارتباطــًا وثيقًا بعيد الفصح (ارجع إلى ١٢: ١٥ -٢٠). وهذا معناه أن وضعنا تحت حمى الدم، ولزوم الحياة المقدسة أمران لا ينفصلان مطلقًا في كلمة الله، وهو عين ما نقرأه في تيطس ٢: ١٤.

وفي ع٨ يقول الــرب: «وتُخبر ابنك في ذلك اليوم». ثــم إن الأعداد ١٤-١٦ تفترض أن أولادنا سيسألوننا (ربما يكون الابن "بالمفرد" الذي يسأل هنا هو البكر). إنه من الجميل أن أولادنا يلاحظون شــيئًا مختلفًا فينا، فيوجّهون الأسئلة إلينا، وعلينا في هذه الحالة أن نرد على تساؤلاتهم، ونقودهم إلى الرب الذي فدانا.

ع١٧ - ٢٢ : الرحلة إلى إيثام

إذ أُطلق الشــعب من مصر، كان عند الربّ دروس هامة كثيرة ليعلِّمهم إيَّاها، فلم يَهدهم في أقصر طريق (ع١٧). وباتباعنا للشعب في رحلتهم، نرجو أن نتعلّم نحن

أيضًا تلك الدروس عينها.

في ع١٩ نرى كيف أخذ بنو إسـرائيل عظـام يوسف معهم عند خروجهم من أرض مصر، كما اسـتحلفهم في تكوين ٥٠: ٢٥، منذ عشـرات كثيرة من السـنين. وظلّت عظـام يوسف مع الشـعب طوال فترة تغربهم في البرية، حتى استقرت في مكانها في شكيم (يش ٢٤: ٣٢). والمعنى الروحي لذلك أن نكون حاملين في الجسد - طوال فترة تغربنا - إماتة الرب يسوع، لكي تظـهر حياة يسوع في جسدنا (٢كو ٤: ١٠).

الله لم يُعِدَّ الطريق فقط لشعبه، لكنَّه أراد أن يصحبهم في عمود سحاب نهارًا وعمود نار ليلاً. ويا لها من نعمة! لقد كان هناك ليقودهم خطوة فخطوة، وليحفظـهم، كما سـنرى. بنفس الطريقة، الربّ يسوع فتح الطريق للسماء أمام المؤمنين، لكن قبل أن يصعد هو نفسه إلى هناك، أعطـى الوعد المبارك: «ها أنا معكم كل الأيام» (مت ٢٨: ٢٠).

ونحن نقرأ هنا لأول مرة عن **السحابة**، تلك التي سترشدهم في الطريق كله. وإن كان ص١٢ قد حدّثنا عن الحَمَل والدم، فإن آخر ص١٣ يحدّثنا عن السـحابة، التي هي رمز جميل لعطـية الروح القدس، مرشدنا طوال رحلة البرية. إذًا فأصحاح١٢ يحدثنا عن المسيح وموته فوق الصليب، وأصحاح١٣ يحدثنا عما تم يوم الخمسين.

١٤

ع١-١٤ : فرعون يتعقب الشعب

ظنَّ الإسـرائيليون أنَّهم تخلَّصوا من أعدائهم المصريِّيـن، لكنَّنا نرى المصريين هنا يسـعون وراء شعب الله، وكأنَّ شعب إسـرائيل قد وقعوا في فخ. أمامهم البحر

الأحمر، وخلفهم فرعون بمركباته وفرسـانه وجيشـه. يا له من مأزق حَرِج! لكن كانت هذه فرصة لشعب إسـرائيل ليتعلَّم أنَّه لا توجد صعوبة تعسر على الربّ، بل بالعكس، كلَّما كانت الصعوبة أعظم، كلَّما أظـهر الله قوَّته.

نحـن جميعًا نقابل صعوبات كبيرة وصغيرة، وأحيانًـا لا نعرف إلى أين نذهب، إذ يبدو أنَّه لا يوجد مَخرَج. ألا نكون في أغلب الأحيان مثل شـعب إسرائيل؟ أمَا نمتلئ من الفَزَع، ونحاول بكل ما في وسـعنا التغلُّب على الصعوبة بأنفسنا؟ لقد قال موسى للشعب: «لا تخافوا»، ثم أوضح لهم طريقة الإنقاذ: «الربّ يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (ع١٤). ويعني هذا القول إنَّهم لا يعملون شـيئًا سوى النظر إلى الربّ، ويعني أيضًا أن نحفظ أنفسنا من الخوف أو الهياج في مواجهة التجارب والصعوبات. فالشـعب لا دخل له بالمعركة، بل هي بين الرب والمصريين. لقد استطـاع الرب أن يخلِّصهم من الملاك المهلك، أفلا يستطـيع بالأولى أن يخلصهم من المصريين؟

ع١٥ - ٣١ : الشعب يعبر البحر الأحمر، والمصريون يغرقون فيه

تأكَّد بنو إسرائيل أنَّهم لا يسـتطـيعون أن يفعلوا شيئًا، ولا يقدرون أن يُخلِّصوا أنفسهم. عندئذ حان وقت الله ليتداخل. فقال لموسى: «قل لبني إسرائيل أن يرحلوا». كيف يفعلون هذا، والبحر أمامهم؟ لكن الإيمان يُطـيع «**بالإيمان** اجتازوا في البحر الأحمر... الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا» (عب ١١: ٢٩).

ولقد انتقل ملاك الله وعمود السحاب ووقف بين معسكر إسرائيل وبين المصريِّين، وبذلك لم يكن هناك سـبب للخوف. ينبغي أن نحفظ فـي بالنا أنَّ الله يريد أن يكون حاجزًا بيننا وبين صعوباتنا. بالنهار وبالليل (الله) يحرس خاصَّته ويعتني بهم. وفي كثير من الأحيان يُزيل أخطـارًا لا علم لنا بها!

تمّم الخلاص، وكما يقول مزمور ١٣٦ في ثلاث مراحل:

١ - شقّ بحر سوف، لأنَّ إلى الأبد رحمته (ع١٣).

٢ - وعبَّر إسرائيل في وسطــه، لأنَّ إلى الأبد رحمته (ع١٤).

٣ - ودفع فرعون وقوَّته في بحر سوف، لأنَّ إلى الأبد رحمته (ع١٥).

منذ أربعين سنة مضت، قتل موسى مصريًا من ذاته دون انتظــار للربّ، والآن أراه الله قوّته في **إبادة كل أعداء شــعبه في لحظــة**. وأما بالنســبة لنا فإن المسيح مخلّصنا أمكنه أن **يبيد بالموت ذاك الذي له سلطــان الموت أي إبليس**، ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا، كل حياتهم، تحت العبودية (عب ٢: ١٤، ١٥).

والآن ماذا يعنــي «عبور البحر الأحمر» في حياتنا كمؤمنيــن؟ إنَّه يرمز إلى العمل الذي أتمَّه الربّ يسوع لخلاصنا. لكن بينما كانت ليلة الفصح رمزًا لخلاصنا من "دينونة الله"، فإنَّ عبــور البحر الأحمر يكلِّمنا عن خلاصنا من قوَّة الشــيطــان ومن العالم. في الفصح نرى الله ضد خطــايانا، وفي عبور البحر الأحمر، الله في صفنا ضد أعدائنا. إن موت الرب يسوع وقيامته، وهما اللذان نرى صورتهما في عبور البحر الأحمر، يحدّثاننا عن انفصال شعب الله تمامًا عن «العالم الحاضر الشرير» (غلا ١: ٤).

مقارنات بين الفصح وعبور البحر الأحمر

خروف الفصح (خر١٢)	عبور البحر الأحمر (خر١٤)
الفداء بالدم	التحرير بالقوة
الجلجثة	القيامة
تم في نصف الليل (ع٢٩)	تم عند إقبال الصبح (ع٢٧)
بعدها أرهب صرخات عرفوها	بعدها أول ترنيمة رغوها (أول ترنيمة في الكتاب)

١٥

ع١-٢١ : ترنيمة الخلاص

موسى، كرمز للمسيح، ليس فقط صنع الخلاص العظـيم في أصحاح ١٤، بل قاد الشعب في الترنيم في هذا الفصل. وهكذا المسيح، بعد إحراز النصرة على الأعداء في موته وقيامته، أصبح الآن قائد تسبيحات شعبه (مز ٢٢: ٢٢؛ عب ٢: ١٢).

ونحن هنا نجد **أول ترنيمة** مسجَّلة في الكتاب المقدس. في مصر لم يستطع الشعب أن يُرنِّم، أما الآن، وقد تم الفداء، وقد رأوا ذراع الرب «المنشّفة البحر مياه الغمر العظيم، الجاعلة أعماق البحر طريقًا لعبور المفديين» (إش ٥١: ١٠)، فقد فاضت قلوبهم بالفرح.

هل نعرف نحن هذا الفرح، وتنطلق ألسنتنا بالتسبيح للربّ؟ هل نعرف معنى الترنيم من قلوبنا، ليس فقط من شفاهنا؟ إنَّه يُمجِّد ذلك الذي خلَّصنا من الموت ومن قوَّة الشيطان. لقد دخل المسيح في الموت نيابة عنا، وهو الذي قيل عنه: «دخلتُ إلى أعماق المياه والسيل غمرني» (مز ٦٩: ٢). وأيضًا «جازت فوقي جميع تياراتك ولُججك» (يون ٢: ٣)، كل ذلك ليضع الترنيمة الجديدة في أفواهنا، ليس الآن فقط، بل إلى أبد الآبدين.

ونحن نجد في هذه الترنيمة ثلاثة أفكار رئيسية: أولاً (ع١-٣) الكلام عن الرب وعظمته؛ ثانيًا (ع٤-١٢) الأعداء وهزيمتهم؛ ثالثًا (ع١٣-١٧) الشعب وبركاته. وهو الترتيب عينه الذي نجده في ترنيمة العهد الجديد الشجية (رؤ ١: ٥، ٦).

في ع١٧، ١٨ يعلن موسى ماذا سيصنع الرب في المستقبل. وكأن الشعب على شاطــئ البحر الأحمر أيقن أن الذي ابتدأ فيهم عملاً صالحًا، قادر أن يُكمِّل (ع١٣ - ١٨ مع ع١٩؛ انظر فيلبي ١: ٦). فلقد تذوّق الشعب نتائج النصرة مسبقًا بالإيمان، حيث أعد الرب لنفسه: ميراثًا، ومسكنًا، ومقدسًا، ومملكة.

ع٢٢-٢٧ : مارة وايليم

لقد افتُدي الشــعب، وها هو الآن قــد ابتدأ في رحلته التـــي تنتهي بأرض الموعد. وبالمثل تبدأ الحياة المســيحيَّة بالتغيير، وتختم أيضًا بالتغيير (في ٣: ٢١). أو تبدأ بالتجديــد، وتنتهي بالتمجيد؛ وبين الاثنين، وعلى طول الطريق، توجد اختبارات البريَّة. وهذه يغلب عليهــا طــابع "مارة" وإن كانت لا تخلو من "إيليم".

لقد كان الاختبار الأوّل لبني إسرائيل هو "**مارة**"، حيث المياه المُرَّة. وهكذا معنا، قد يســمح الله لنا بظروف مُؤلمـــة في الطريق لتعليمنــا. هذه الظروف تُكدِّرنا وتُذلِّنا لمرارتها، ونحن لا نريدها. كلّنا نحتاج أن نفهم أنَّ الربّ يســمح لنا بهـــا لبركتنا، وبمجرد أن نطرح فيها الشــجرة المقطوعة (التي تمثِّل صليب المســيح)، وبدون أن يحدث تغيير للظروف التي نجتازها، فإننا نجدها قد فقدت مرارتها، وتحوّلت إلى مياه عذبـــة. ويمكننا عندئذ أن نفتخر في الضيقات (رو ٥: ٣)، وأن نحســبه كل فرح حينما نقع في تجارب متنوعة (يع ١: ٢ - انظر أيضًا ٢كورنثوس ١٢: ٩). عندئذ نكون في وضع يســمح لنا بالتمتُّع "**بإيليم**" مكان الرَّاحة والانتعاش الذي يذكِّرنا باجتماعات القدِّيسين معًا، حيث أمر الرب بالبركة (مز ١٣٣: ٣).

١٦

ع١ ـ ١٢ : تذمر الشعب، وتجاوب الرب

كان بنو إسرائيل قد تذمَّروا قبل البحر الأحمر (ص١٤: ١١، ١٢)، وعند مارة (ص١٥: ٢٤)، وهنا في برية ســين (ص١٦: ٢) وسريعًا سنرى تذمُّرهم عند رفيديم (ص١٧: ٣). أليست هذه صورة صادقة لقلوبنا التي تميل لأن تنسى رحمة الله التي هي «إلى الأبد» (مز ١٣٦)؟ منذ أيام قليلة مضت، سبّح الشعب ورنّم للرب من أجل الفداء والخلاص. وها هم الآن يتذمرون على موســى وعلى هارون. لكن الحقيقة أنَّهــم كانوا يتذمَّرون على الرب، كما قيل في ع٨ «لاســتماع الربّ تذمّركم الذي تتذمَّرون **عليه**... ليس علينا تذمّركم، بل **على الربّ**». أخي الحبيب: كم من المرَّات نشكو من ظروف سمح بها الله الذي هو محبَّة! لنتذكَّر أنَّ التذمر هو تذمر على الرب، ويدلّ على عدم اكتفائنا به.

والشـــيء عينه عندما نقلق من جهة أمور هذه الحياة. ألا يُحزن هذا قلب الربّ الذي قال: «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون... فلا تهتموا للغد» (مت ٦: ٢٥، ٣٤). لقد عَرَف الربّ، في أيام جسده، ماذا يعني أن نكون في البرية، وأن نجوع هناك؛ لكنه في خضوعه الكامل للآب رفض اقتراحات المُجرّب، وفي ثقة تامة بأبيه انتظر أن يسدّد له كل احتياجاته.

ويا له من إله رحوم ومنعــم! فبدلاً من أن يُمطِر عليهم نــارًا وكبريتًا لتأكلهم، أرسل إليهم خبزًا يأكلونه (مزمور ١٠٣: ١٠)؛ وبدلاً من تأديبهم، أظـــهر لهم مجده (ع٧، ١٠). الأمر الذي حدث بصورة أعظم في ملء الزمان، عندما أرسل الله ابنه من أجل الناس الأشرار (لو ٢: ٩).

ع١٣-٣٦ : عطية السلوى والمن

لقد سُمي المَن بهذا الاسم لأن بني إسرائيل سألوا في دهشة: «مَنْ هو؟» لأنَّهم لم يعرفوا ما هو. فقال لهم موسى: «هو الخبز الذي أعطاكم الربّ لتأكلوا» (ع١٥). ونفهم من يوحنا٦ أنَّ المَن بالنسبة لنا، أو بالحري الخبز الحقيقي «هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم» (يو ٦: ٣٣)، أي الربّ يسوع. فالمسيح هو الذي يعطي الحياة الأبدية، وهو الذي يغذّي هذه الحياة.

وكان المَن يُجمع من حول المحلة بواسطة الشعب. ويقدِّم لنا أصحاحنا العديد من الدروس العملية المرتبطة بما تقدم:

١ - كمية المن المُلتقَط كانت تتوقف على شهية الفرد وقدرته على الأكل (ع١٨). وهكذا فإننا نأخذ من المسيح بمقدار ما نشتهيه. وبقدر ما ينشغل المؤمن بالمسيح فإنه يتغذّى ويتقوّى.

٢ - كان المن يواجه احتياجات اليوم فقط وليس الغد. وهكذا فعلى قدر شركتي اليوم مع المسيح، سيمكنني أن أواجه الصعاب التي في طريقي.

٣ - جمع المن يُعلِّمنا درسًا عن عيشة الإيمان (ع١٨ مع ٢كو ٨: ١٥). فالمن إذا حُفِظ في خيام الشعب كان يفسد، لكن حفظه في "الثلاجات الإلهية" كان يحميه من الفساد.

٤ - كان بنو إسرائيل يجمعون المن في الصباح، قبل أن تحمى الشمس، وإلا فإنه كان يذوب. وهكذا ليتنا نحن أيضًا يكون أول شيء نفعله **في الصباح**، أن نصرف وقتًا مع الربّ قبل أن يمتص عمل اليوم وقتنا، ولا نجد فرصة.

وكما أنَّنا لا نُهمل يومًا إشباع حاجات أجسادنا، فليتنا لا نهمل يومًا التغذي بالمسيح، "الطعام الباقي للحياة الأبدية" (يو ٦: ٢٧).

ويُختم الفصل بتعليمات وضع ملء العُمر (وحدة حجوم تعادل عُشــر الإيفة، أو حوالي ٢,٢ لتر) منًا، ووضعه أمام الرب للحفظ. هذا هو نصيب الرب. وهو يشير إلى الرب يســوع الذي أتى من السماء، إذ صار إنســانًا. ثم قام وصعد إلى السماء بجســد ممجَّد. وهو بهذه الصورة لســرور قلب الآب. وهذا السرور سيشارك فيه الغالبون بحسب ما ورد في رؤيا ٢: ١٧

ع١) تعني برية الشوك.

يتكرر التذمر في الأعداد ٤ -١٢ سبع مرات (ع٧ مرتين؛ ع٨ ثلاث مرات؛ ع٩؛ ع١٢).



ع١ـ٧ : الماء من الصخرة المضروبة

تذمَّر الشعب أوَّلاً بســبب الجوع، والآن يتذمَّرون بســبب **العطش**. لم يكن هناك ماء، ولكن كانت هنــاك الصخرة، وكان هناك الرب. ولقد اســتخدم الرب في نعمته هذه الحادثة لإعلان حقيقة ثمينة، يوضِّحها الرسول في اكورنثوس ١٠: ٤ «وجميعهم شربوا شرابًا واحدًا روحيًا، لأنَّهم كانوا يشربون من صخرة روحيَّة تابعتهم، والصخرة كانت المســيح». فالصخرة كانت رمزًا للربّ يسوع نفسه، الذي في اليوم الأخير من العيد وقف ونادى: «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب» (يو ٧: ٣٧).

قبل أن تُعطــي الصخرة في حوريب ماء، كان يجب أن تُضرب بعصا موســى. وهكذا لتكــون لنا حياة ويكون لنا أفضل (يــو ١٠: ١٠)، كان يجب أن يُضرب ابن الله على الصليب بيد الله نفسه. لكن لنلاحظ أنه بســبب تذمر الشعب وعدم إيمانهم

ضُربت الصخرة، وهو ما سجَّله النبي إشـعياء: «أنه ضرب من أجل ذنب شعبي» (إش ٥٣: ٨؛ قارن مع زكريا ١٣: ٧).

وهكذا فبينما المن يشـير إلى **ابن الله المتجسـد**، فإن الصخرة المضروبة تشير إلى **صليب المسيح**، وما نتج عن ذلك من تدفق المياه التي تشير إلى عطـية الروح القدس، التي يعطـيها المخلِّص - بعد أن مات وقام ثانية - لكل المؤمنين به.

ع٨-١٦ : الحرب مع عماليق

بعد أن أُطـعم الشعب وأروي ظمأه، صار مُعدًّا من الله لاختبار آخر وهو **الحرب مع عماليق**. بنفس الطريقة عندما يكون المؤمنون أقوياء في الربّ وفي شـدَّة قوته (أف ٦: ١٠ - ١٣)، يكونون في وضع يسمح بمقاومة الأعداء.

وعماليق هو حفيد عيسـو (تك ٣٦: ١٢)، فإن كان عيسو هو صورة للجسد، فإن عماليق صورة لأعمال الجسـد. ونحن علينا بالروح أن نميت "أعمال الجسد" (رو ٨: ١٣). ونلاحظ أنه إن كانت مصر وفرعون انتهيا بالنسبة للشعب، ولكن ظـهر عدو جديد هو عماليق، وهكـذا معنا، لقد دين العالم فـي الصليب، وكذا رئيس هذا العالم، ولكن أعمال الجسد تلاحقنا طوال رحلة البرية. فلنتحذر!

شـيء آخر هو أنه على شاطـئ البحر الأحمر قال موسى: «الربّ يُقاتل **عنكم** وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٤). فعلى الصليب كان الربّ يسـوع وحده في المعركة لأجلنا، ولم يشـترك معه أحد. لم يكن ممكنًا أن نشـترك في خلاص أنفسـنا. لكن بمجرَّد أن نخلص، تبدأ المُحاربات، ويسـتخدم الشيطـان نقائصنا القديمة ليحاربنا ويضايقنا (ارجع إلى ١بطرس ٢: ١١). هل نتجاسـر فنكُفّ عن الاعتماد على الـربّ؟ بالعكس تمامًا لأنَّه على الصليب حارب بالنيابة عنَّا، والآن يحارب معنا ويحارب بنا، باعتباره يشـوع الحقيقي. على أن النُصرة لم تكن لتُحسـم مـن أرض المعركة، بل من فوق، حيث كان

موســـى على رأس التلة، صورة للمسيح في السماء، موســى الحقيقي وهارون الحقيقي، «من ثـمّ يقدر أن يخلّص أيضًا إلى التمام الذين يتقدمــون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧: ٢٥). ولنعلم لتعزيتنا أن يدي الرب يسوع في المجد لا يمكن أن تتقــلا (قارن رومية ٨: ٣٤، ٣٧). والدرس الأدبي الذي علينا أن نتعلمه في هذا هو أن النصرة لا تتوقف على مقدار قوتنا، بل على إيماننا بالمسيح وصلواتنا له.

في ع١٤ نجد الإشــارة الأولى للكتاب المقدس "الكتاب"، ويرتبط بيشوع. ومن الناحية العملية كان يشــوع رجل الســيف (صورة لكلمة الله – عب ٤: ١٢)، بينما موســى يعلّمنا برفع يديه كيفية الصــلاة (قارن ١تي ٢: ٨). وما أشــد فعل هذين الأمرين: "ســيف الروح" و "الصلاة في الروح"! (أف ٦: ١٧، ١٨)! وما أشــد ارتباطــهما معًا (مزمور ١٤٤: ١، ٢)!



ع١–١٢ : **مقابلة موسى مع يثرون**

يُقابلنا هنا يثرون حمو موسى مرَّة أخرى. وهو رمز لقبائل الأرض الذين في يوم قادم سيبتهجون مع شعب الله بسبب خلاص الله لهم، وسيمجّدون الله (ع٩، ١٠). وفي الوقت نفســه نلاحظ أنَّ صفورة وابنيها، رمز للكنيسة، كما رأينا في أصحاح٢؛ لم يشتركوا في ضيقات شعب إســرائيل، ولا في خلاصهم، وبنفس الطريقة ستُخطف الكنيسة من الأرض قبل أن يجتاز شعب إسرائيل في الضيقة العظــيمة، وبالتالي قبل بركتهم النهائية.

ويذكِّرنا الاسم "جرشــوم"، والذي يعني "غريبًا"، بأنَّ الربّ يسوع، مثل موسى،

كان غريبًا، عندما كان هنا على الأرض (إر ١٤: ٨). والكنيسة أيضًا متغرّبة على الأرض. لكن في هذا الوضـــع الصعب كانت معونة الرب له، كمعنى اســـم الابن الثاني "أليعازر". وهكذا الأمر معنا أيضًا.

في ع٨ **يشهد** موســـى بكل ما فعل الله لشـــعبه. يا له من مثال جميل لنا! دعنا لا نقصّـــر في إخبار الآخرين كم صنع الرب بنا ورحمنا (مر ٥: ١٩). ونجد نتيجة هذه الشـــهادة في ع١١ حيث اعترف يثرون بعظمة الربّ، وبارك الربّ وقدَّم نبائح وأكل مع شيوخ الشعب، وتمتَّع بالشركة مع شعب الله "أمام الله".

ع١٣-٢٧ : مشورة يثرون لموسى

بسبب تردُّد موسى أرســـل الربّ هارون ليساعده في قيادة الشعب للخروج من مصر (ص٤)، والآن - بناء على نصيحة يثرون - خفَّف موســـى عن نفسه جزءًا من خدمته. لقد كان يثرون حســـن النيَّة، وقد تبدو لنا نصيحته حكيمة، ولكنها تتجاهل قوة روح الله. وبهذه الطريقة نفســـها أُقيم "الإكليروس" في المسيحيَّة، وكثيرون يعتقدون أنَّ هذا حسن. لكن لا يوجد له أي سند في كلمة الله، وهو أوجد سُلَّمًا من الوسطـــاء بين الله والناس.

لكن الكنيسة لها ربّ واحد، وفيه كل الكفاية للإشراف على كل ما يتعلَّق بخاصَّته. وجسد المســـيح (الذي هو الكنيســـة) ليس له رأس سوى المســـيح نفسه، وهو كافٍ للاعتناء بأعضاء جســـده. والربّ يســـوع لا يهتم فقط بالدعـــاوى الكبيرة (ع٢٢)، والدعاوى العسرة (ع٢٦)، لكن أبسط شـــيء يُوجِد في قلوب خاصته همًّا، يوجِد في قلب راعينا المحب اهتمامًـــا. وحقًا إن "أمورنا الكبيرة صغيرة أمام قدرته، وأمورنا الصغيرة عظـــيمة أمام محبته"!

أيها العزيز: لا تخف أن تتكلَّم إلى الربّ، فإن كان موسى يكِلّ (ع١٨)، لكن ربنا لا يكلّ على الإطـــلاق. اذهب للربّ يسوع، وكما قال الرسول بطرس: «مُلقين كل

همِّكم عليه، لأنَّه هو يعتني بكم» (١بط ٥: ٧).

ومن الناحيــة النبوية يمكننا أن نــرى في هذا التصرف أن المســيح لن يمارس السلطــان وحده في زمان ملكه (مت ١٩: ٢٨؛ ١كو ٦: ٢، ٣)، بل عندما يأتي مع ربوات قديسيه، سيوزّع المُلك على خاصته، وسيكون الكل لمجد الله.

ويُختم الفصل بأن حمي موسى "مضى إلى أرضه". فبينما واصل الشعب طريقه عبر البرية نحو وطنه، رجع يثرون من حيث أتى. إن حياة الاغتراب وحياة الإيمان لا تلذ للكثيرين، حتى – بالأسف - بين المسيحيين المدعوين إلى السماء، والذين هم غرباء في هذا العالم (يو ١٧: ١٤، ١٦؛ ١بط ١: ١٧).

١٩

ع١-٢٥: الشعب في سيناء وطلبهم للناموس

بهذا الأصحاح يبدأ قســم جديد من ســفر الخروج. فحتى هــذا الأصحاح رأينا ما كانه الرب بالنعمة لشعبه، لكن من الآن فصاعدًا سنرى ما كان الرب ينتظره من شعبه ردًّا على نعمته.

بعد برية شــور (١٥: ٢٢)، وبرية ســين (١٦: ١)، وصل الشعب إلى برية سيناء، محمولين على «أجنحة النســور» (ع٤)، إلى المكان الذي فيه سيُعلِن الله فكره، ويُريهم الطريقة التي بهــا يعبدونه (١٠: ٢٦). لــم تكن العبادة مُمكنة في مصــر، كما رأينا. لكن الآن بعــد أن صنع الله الخلاص وفصل خاصَّته، انتظر منهــم "ذبائح الحمد". وقد أعلن الــربّ: «تكونون لي مملكة كهنة، وأمَّة مقدَّســة» (ع٦). ونحــن نعلم أن هذا لم

يمكن تحقيقه تحت مبدإ المسئولية البشرية (جبل سـيناء)، ولكن تحت مبدإ النعمة (جبل صهيون)، وعلى حسـاب الحجر الذي رفضه البناؤون، أي ربنا يسوع المسيح وصليبه، أمكن تحقيق ذلك (قارن ١بطرس ٢: ٦-٩)، وإن كان ليس بالتجاوز عن الطـاعة (١بط ١: ٢، ١٤؛ ٢: ٧، ٨). وقد اسـتخدم الرسول بطرس التعبير نفسه بالنسبة للكنيسة، مع إضافة الكرازة بالإنجيل «وأمَّا أنتم... كهنوت ملوكي، أمَّة مقدسـة، شعب اقتناء، لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢: ٩).

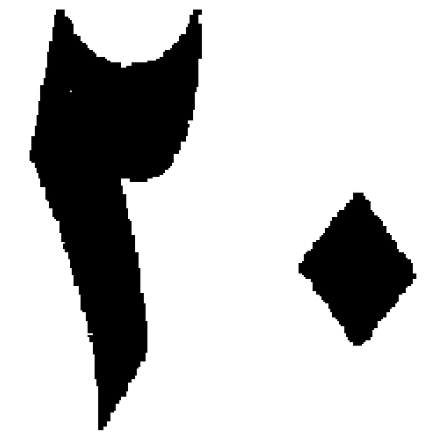
هذا الشعب المسكين - بالأسف - لم يعرف نفسه بالرغم من مارة ومريبة. وقد أعطـى بجهل تعهُّدًا لم يطلبه الله منه، وهـو: «كل ما تكلَّم به الربّ نفعل» (ع٨). ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يتضح كيف فشل الشعب في إتمام هذا التعهد!

ألم نتعهَّد أحيانًا كثيرة بتعهُّدات صالحة، ثم أُصبنا بخيبة أمل عندما وجدنا أنفسنا غير قادرين على حفظـها؟ يُقدِّم لنا رومية ٧، بالمثل، شـخصًا يشعر بالفشل حيث يقول: «لأنّي لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشرّ الذي لست أريده، فإيَّاه أفعل» (رو ٧: ١٩). ليس منَّا مَنْ يستطـيع أن يحفظ الوعد بقوَّته، فهل نيأس من محاولة عمل الصالح؟ بالتأكيد، لا.

نحن لنـا آب يريد أن يضع قوَّته لحسـابنا. افرِض أن طفـلاً صغيرًا يظن أنَّه يستطـيع أن يرفع كيسًـا زنته ١٥ كجم، ماذا يقول له والده؟ **حاول.** وعندما يقتنع الطفل أنَّه لا يستطـيع، يكون مسـتعدًا لأن يثق في والده أن يفعل ذلك بالنيابة عنه. هذا هو الدرس الذي كان على إسرائيل أن يتعلَّمه عند جبل سيناء. وهذا هو الدرس الذي يجب أن نتعلَّمه أكثر وأكثر. ظنَّ الشـعب أنَّه في إمكانه أن يفعل "الكل"، لذلك كان الله عازمًا أن يُعلن من ذلك الجبل المُخيف متطلِّباته الإلهيَّة.

ويشـير عبرانيين ١٢: ١٨-٢٩ إلى هذا المشهد، وهو يوضح الفارق الكبير بين الجبل الملموس، وجبل صهيون؛ أو بكلمات أخرى بين الناموس والنعمة. الناموس

المرعب، والنعمة التي تدعونا للاقتراب. وهنا ليس لنا موسى وسيطًا فوق الجبل الناري، بل لنا يسوع السماوي. ويختم المباينات بالقول: «ليكن عندنا شكر، به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى». ليس الخوف الناتج عن وصايا جامدة، ولا من تعهد أرعن، ولا من مظاهر قدرة الله المرعبة، بل الخوف الناتج من معرفتنا لنعمته الفائقة نحونا (مز ١٣٠: ٤).



ع١-١٧ : الوصايا العشر

نجد هنا الناموس الذي أعطاه الربّ لشعبه. والوصايا توضّح فساد الإنسان، إذ ينهى الرب عن أشياء كان المفروض ألا يفعلها الإنسان، لو كان فيه صلاح (قارن ١تيموثاوس ١: ٩).

الوصايا الأربع الأولى تتعلّق بعلاقة الإنسان مع الله، الله الذي هو واحد، والذي هو روح، والذي هو قدوس، ولكن أيضًا الله الممتلئ بالصلاح، ويريد أن يشرك شعبه في راحته.

وبعد الوصايا الخاصة بالله تأتي الوصايا الخاصة بالإنسان. وإذا كان الإكرام يليق أولاً بالله، فإنه بعد ذلك يليق بالوالدين، بحسب الوصية الخامسة. ثم ترد أربع وصايا مختصّة بعلاقة الإنسان مع قريبه في حياته الاجتماعية. ثم تأتي الوصية الأخيرة، التي تقول "لا تشتهِ"، وهي مختّصة بأنفسنا، وهي تكشف حقيقة خرابنا. وكوننا لا نشتهي، أمر مستحيل، كما لو طُلب منّا أن لا نجوع من الآن فصاعدًا.

بالإجمال يمكن تلخيص الوصايا كلها في كلمة واحدة هي "المحبة". أن تحب الرب إلهك من كل قلبك، وأن تحب قريبك كنفسك (مت ٢٢: ٣٤-٤٠؛ رو ١٣: ٨ - ١٠).

ولقد أُعطي الناموس للشعب لكي يتمموه: «افعل هذا فتحيا» (لو ١٠: ٢٨). لكن بكل أسف لم يستطع الشعب أن يفعل ما في الناموس، بسبب ضعف الطبيعة البشرية (رو ٨: ٣). وُجد شخص واحد، ولم ولن يُوجد غيره، تمَّم الناموس كله من الوصية الأولى إلى الأخيرة، وهو الربّ يسوع الذي أمكنه أن يقول: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت، وشريعتك في وسط أحشائي» (مز ٤٠: ٨). وكما جاء في مزمور ١١٩: ١١٣ «وشريعتك أحببت». حقًّا بالنسبة للمسيح، كانت طاعته لوصايا الله ليست صعبة، بل بالعكس كانت كل مسرَّته.

حفظ السبت

كل الوصايا العشر تكرّرت في العهد الجديد بصورة أو بأخرى، باستثناء وصية السبت. وفكر الله من جهة يوم السبت هو:

١- السبت هو راحة الخليقة الأولى (تك ٢: ٢، ٣)؛ بينما المؤمن في المسيح خليقة جديدة (٢كو ٥: ١٧).

٢- السبت هو وصية ناموسية (خر ٢٠)؛ والمسيحي الآن ليس تحت الناموس، بل تحت النعمة (رو ٦: ١٤).

٣- السبت هو علامة عهد بين الله وبني إسرائيل (خر ٣١: ١٣-١٧)؛ والكنيسة ليست إسرائيل (قارن مع تثنية ٥: ١٢-١٥).

٤- السبت هو ظل للمسيح (كو ٢: ١٦)، والذي امتلك الحقيقة - نظيرنا - لا ينبغي أن يعود ويُمسك بالظلال.

ع١٨ ـ٢٦ : تأثير الوصايا على الشعب

عند نزول الناموس ارتعب الشعب، وكانوا مُهدَّدين بالموت (ع١٨، ١٩). هذه الحادثة ذُكرت في عبرانيين١٢: ١٩ لتبين الفرق بين هذه الحالة، وبين حالة الشخص المُخلَّص بالنعمة، الذي لا يُطلب منه أن يفعل شيئًا سوى أن يؤمن بالرب يسوع الذي عمل كل شيء.

ثم من ع٢٠ إلى نهاية الفصل لا نرى الإنسان كمن يقدر أن يعمل أعمالاً صالحة، وإن كانت ترينا إياه كساجد. ومن الواضح أن سيناء لم تكن هي المكان المناسب الذي فيه يلتقي الله مع الخاطئ (ع٢٤). ويرينا ع٢٥ أن أعمال الإنسان وأفكاره وطقوسه ليس لها مكان في العبادة المقبولة عند الله. ثم يعلمنا ع٢٦ أنه لا ينبغي أن يرتفع أحد فوق إخوته، لأن الجسد في هذه الحالة سيَظهر لخزيه.

٢١

أعطى الربّ لشعبه في الأصحاحات من ٢١ إلى ٢٣ وصايا كثيرة، فهو في حكمته رأى مسبقًا كل ما يمكن أن يحدث في الظروف العادية لحياة خاصَّته، مثل أخذ رهينة من رجل فقير (٢٢: ٢٦، ٢٧)؛ أو مصادفة ثور ضال (٢٣: ٤). وفي هذه التشريعات كلها يأخذ الرب موقف الدفاع عن الطرف الضعيف، واضعًا إياه تحت حمايته.

بالنسبة لنا نحن المؤمنين تُقدِّم لنا كلمة الله الثمينة لا الحقائق الأساسيَّة لخلاصنا فحسب، بل تعطينا أيضًا توجيهات لحياتنا اليوميَّة، وعلاوة على هذا، فنحن بخلاف

شعب إسرائيل، قد أُعطينا "**الروح القدس**": فهو يسكن في المؤمن ويعطيه أن يعرف مشيئة الله بوضوح بخصوص كل تفاصيل الحياة اليوميَّة. وهو ينير ذهنه ويُريه ما يجب أن يفعل وما لا يجب أن يفعل. وليس ذلك فقط بل يعطي المؤمن القوة لكي يتممها، فهل نخضع له؟

وسنجد في هذه الأقوال ما يمكن أن نعتبره مذكِّرة تفسيرية تشرح بعض الوصايا: فالآيات ١٢-٣٦ تُعتبَر تفسيرًا للوصية "لا تقتل"؛ ثم ص٢٢: ١-١٥ يُعتبر تفسيرًا للوصية "لا تسرق"؛ ثم ص٢٣: ١-١٩ يُعتبر تفسيرًا للوصية "لا تشهد بالزور"؛ ص٢٣: ١٠-١٣ هو توسع في تفسير وصية حفظ السبت.

ع١ـ١١: السيد والعبد أو الأَمة

الجزء الأول من هذه الشريعة يقدِّم لنا شخصًا لا تُميِّزه سلبيات الناموس، بل إيجابياته. فهو شخص أمكنه أن يتمِّم الناموس بشقيه: محبة الله، ومحبة القريب. فهذا العبد العبراني أحب سيده، وأحب أيضًا امرأته وأولاده. وفي هذه الشريعة يمكننا بوضوح أن نرى صورة للرب يسوع المسيح، الوحيد الذي أكمل الناموس والوحيد الذي أحب.

معروف أن الإنسان بسقوطه صار عبدًا للخطية. وحيث أوصلتنا الخطية، فإن النعمة أوصلت المسيح، ذاك الذي بمحض اختياره أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد (في ٢: ٥-٧). ويقول المسيح على لسان النبي زكريا: «لأن إنسانًا اقتناني (كعبد) من صباي» (زك ١٣: ٥). وهو أتمَّ الناموس، وأكثر جدًّا من الناموس. وكان يمكن لذلك العبد الكامل أن يصعد إلى السماء، بكل الكرامة، دون أن يجتاز في الموت، لكنَّه كان سيبقى وحده. أمَّا هو، فلسبب محبَّته العجيبة لأبيه ولنا، أراد أن

يكون معه في المجد عـــروس مكوَّنة من كل المفديِّين. لقد دفع ثمن ذلك كاملاً. لقد سُفك دمه فوق الصليب، وثُقب جسده، وسنرى علامات المحبة طوال الأبدية. يُرينا لوقا ١٢: ٣٧ الربّ يسوع في منظر ســماوي آتيًا ليخدم خاصَّته «يتمنطَّق ويُتكئهم، ويتقدَّم ويخدمهم».

ع١٢-٣٦: تفسير للوصية لا تقتل

من المهم أن نــدرك هذا: أن الكتاب المقدس بالنســبة لنا نحــن أولاد الله، ليس مجموعة قوانين، كما كان الحال مع بني إســرائيل، بل إنَّه يعلن لنا إله المحبة، الآب الذي أفكاره ومقاصده صارت معلومة لنا. .وما أحلى أقوال المســيح على مســامع المؤمــن: «فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم» (لو ٦: ٣٦)! نعم إنَّنا نطــيعه لا خوفًا من الدينونة، لكن لأنَّنا نحبّه.

إذا قارنَّا هذه الأعداد بما جاء في متى٥ من ع١٧، نلاحظ أن ابن الله أتى لا ليتمِّم الناموس كلّه فقط، لكن ليقدِّم شــيئًا جديدًا وأفضل. فبينما الناموس يأمر: «لا تقتل» يقول الربّ يســوع: «مَنْ قــال لأخيه... يا أحمــق يكون مســتوجب نار جهنم» (مت٥: ٢٢). أليس هذا أصعب؟

بالحقيقة أراد الربّ يســوع أن يُظــهر تعاسة القلب البشري ورداءته، ويعطــينا مقياسًــا لقداســة الله. وفوق ذلك أراد أن يعلن "قلبه" بالذهاب إلــى أبعد ممَّا طلبه الناموس. قيل: «تحب قريبك وتُبغض عدوّك» (مــت ٥: ٤٣)، ونحن كنَّا خطــاة وفجّــارًا وأعداء لله (رو ٥: ٦، ٨، ١٠)، فأين كنَّا ســنذهب لو طُبِّقت علينا الوصية «عين بعين وســن بســن»؟ لكان الله يُهلك الجنس البشــري المُتهم بقتل ابنه. لكن عوضًا عن ذلك تمَّم الربّ يســوع علــى الصليب عمليًا ما علَّمــه في متى٥ بقوله:

«يا أبتاه اغفر لهم لأنَّهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤).

في (ع٣٢) يحدِّد الناموس ثمـــن العبد، وهو بعينه الثمن الــذي ثمَّن به قادة أمة اليهـــود ابن الله الكريم (مت ٢٦: ١٥؛ ٢٧: ٩)! وكم هو مؤثر أن الفصل الذي يبدأ بعبد ضحَّى بحريته لأنه أحب، يُختم بعبد قُتل. والعجيب أننا في كليهما نرى صورة تدعو للسجود، لربنا وسيدنا المعبود!

٢٢

ع١ – ١٥ : التوسع في تفسير الوصية لا تسرق

نكرِّر هنا ما قلناه سابقًا، أن المسيح بمجيئه إلى العالم، علَّم تعليمًا أسمى من تعليم الناموس، وعمل أيضًا بما علَّم. لذلك فهو يقول في مزمور ٦٩: ٤ «رددت الذي لم أخطفه». وعليه، فإننا في المســيحية لا نتوقف عند سلبيات الناموس، بل نتجه إلى الإيجابيات: «لا يسرق الســـارق في ما بعد، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطـــي من له احتياج» (أف ٤: ٢٨).

ع١٦ – ٣١ : أحكام مختلفة

الله في هذه التشـــريعات المختلفة يدخل إلى كل تفاصيل الحياة، التي قد تنشأ من تعاملات النـــاس بعضهم مع بعض. وقصده من ذلك أن يحفظ شـــعبه من التشـــبه بالأمم في توجّهاتهم الشيطـــانية: السحر والوثنية (ع١٨، ٢٠)، والنجاسة في العيشة (ع١٦، ١٩، ٣١)، والظلم (ع٢١ -٢٧)، وعدم احترام الله وتوقيره (ع٢٨ -٣١).

٢٣

ع١ -٩ : تفسير الوصية لا تشهد بالزور

اضطرَّ الربّ أن يقول لشعبه: «لا تقتل البريء والبار» (ع٧). وقد أثبت تاريخهم للأسف أنَّهم كانوا يحتاجون فعلاً إلى هذا الأمر، فلقد امتلأ تاريخهم بقتل الأبرياء، ولما أتى إليهم "القدوس البار" (أع ٣: ١٤، ١٥)، لم يتورَّعوا عن أن يقتلوه.

وبالمثل أُعطيت لهم الوصيَّة الخاصَّة "بالغريب" (ع٩، انظر أيضًا ٢٢: ٢١؛ إرميا ٢٢: ٣؛ لاويين ١٩: ٣٣، ٣٤). وهكذا لنا في العهد الجديد العديد من الوصايا التي تحرض على الاهتمام بالغرباء (مت ٢٥: ٣٥؛ رو ١٢: ١٣؛ عب ١٣: ٢). ولو أصغى إسرائيل إلى الأحكام المُعطاة لهم في هذه الأصحاحات، لَمَا ظلموا "الغريب السماوي" الذي جاءهم ذات يوم ليفتقدهم. فنحن نعلم كيف استقبلوا الربّ يسوع عندما نزل وعاش في وسطهم. «فإنَّكم عارفون نفس الغريب» (ع٩). نعم نحن نعرف قلب الرب يسوع، ذلك الغريب السماوي، وكم كان قلبه رقيقًا بلا حدّ، وقد شعر بكراهيَّة واحتقار الذين أتى إليهم بالمحبَّة!

قال الربّ: «لأنَّكم كنتم غرباء»، ولذلك تقدرون أن تفهموا الذين تقابلونهم من الغرباء. هذا هو سر المحبة، أن نضع أنفسنا في مكان الآخرين!

ع١٠ -٣٣ : التوسع في وصية حفظ السبت

في الآيات ١٠-١٣ يُظهر الله عنايته بخليقته كلها: البهائم والنباتات والأرض، وحتى وحوش البرية. ليتنا نتعلَّم أن نحترم خليقة أبينا السماوي! ثم من ع١٤ -١٩

يحدثنا عن راحات سنوية هي الأعياد الرئيســية الثلاث. وأخيرًا ع٢٠ -٣٣ يحدثنا عن راحتهم في الأرض.

سـيرد كلامًا موسـعًا عن هذه الأعياد في تثنية ١٦. ولكن في هذه الأعداد ترد جزئيــة هامة، هي: «**لا يظــهــروا أمامي فارغيــن**» (ع١٥). ومــن الجميل أن نربطــها بما جاء في عبرانيين ١٣: ١٥ «فلنقدِّم به في كل حين.. ذبيحة التســبيح، أي ثمر شفاه مُعترفة باسمه».

وأخيرًا ففي الأعداد ٢٠—٣٣ نجد أن الرب لم يُعطِ لإســرائيل وصايا فقط، لكن أظــهر لهم أعظم عناية، فأعطــاهم "رفيقًا" في ســياحتهم، ملاكه الذي كان يســير أمامهــم ليهديهم ويقودهم في حروبهــم. ووعدهم بزيادة الخير وشــفاء الأمراض، والنصــرة على الأعداء. كما أنه أيضًا لم يترك شــعبه في شــك مــن جهة نهاية سياحتهم، ففي محبَّته أعدَّ لهم كل شيء، وعيَّن لهم حدود أرض الموعد (ع٣١). ولا شك أن هذا كله وأكثر سيتم في راحتهم الأخيرة تحت ملك المسيا.

بنفــس الطريقة جهَّــز الله كل شــيء لرحلة خاصَّتــه (مؤمني العهــد الجديد)، فأعطــاهم المُعــزِّي، الذي هو الروح القدس. والتحريض الوارد في ع٢١ «احترز منه، واسمع لصوته، ولا تتمرد عليه»، ربما يتجاوب مع تحريض العهد الجديد «لا تحزنوا روح الله القــدوس الذي به ختمتم ليوم الفــداء» (أف ٤: ٣٠). كما أن الله في رحمته جعل شــعبه الآن يعرفون إلى أين ينتهي مسارهم، فنهاية رحلتهم مجيدة ومضمونة، الميراث الأفضل الذي أعدَّه الله لهم في السماء مع الربّ يسوع.

ومن بين تعليمات الله لشــعبه، ربما هناك ما لا يمكننــا قبوله وفهم الغرض منه بسهولة، مثل حرص الرب الواضح على انفصال شــعبه عن الأمم المجاورة. ولم يكن ذلك يُمثِّل أية خسارة على شعبه، بل إن الله في محبَّته للشعب أراد حفظــهم من فخ العدو (ع٣٣).

٢٤

المصادقة على العهد الأول

نجد هنا دخول الشعب في عهد مع الله، ولقد خُتم ذلك العهد بالدم. إن شعب إسرائيل، في ثقتهم بأنفسهم، كرّروا مرّة ثانية ومرّة ثالثة بأن يفعلوا كل ما تكلّم به الربّ (قارن ع٣، ٧ مع ١٩: ٨). يا له من ادِّعاء! وإذ رُشّ الدم على الشعب (ع٨)، وعلى كتاب العهد (عب ٩: ١٩، ٢٠)، فقد أصبح الشعب بذلك تحت طائلة الموت إذا لم ينفذ بنود العهد. ولقد ثبت أنَّه لا إسرائيل، ولا الإنسان عمومًا، يستطيع أن يتمِّم ذلك. المسيح، الإنسان الثاني، هو وحده الذي تمَّمه في حياته، ومع ذلك فقد احتمل لعنته في موته (غل٣: ١٣)، لكيما يفدينا!

وبدءًا من ع٩ نرى كيف أظهر الله مجده لموسى والشيوخ. لقد «رأوا إله إسرائيل». وهذه العبارة تعني أنهم رأوا مظاهر عظمته وقداسته، لكنهم طبعًا لم يروا صورة ما (قارن تثنية ٤: ١٢-١٥). وأما مظاهر عظمة الله فنجدها في العبارة التالية: «وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة» (ع١٠ قارن مع حزقيال ١: ٢٦). ثم يقول: «ولكنه (أي الله) لم يمدّ يده إلى أشراف بني إسرائيل»، بمعنى أنه لم يمدّ يده بالقضاء عليهم، وذلك لأنهم كانوا قد رُشوا بالدم (ع٨). ثم يقول: «فرأوا الله، وأكلوا وشربوا»، مما يدل على أنهم لم يكونوا في رعب أو فزع، فأمكنهم أن يأكلوا ويشربوا، في شركة جميلة في محضر الله ذاته.

وعبارة "تحت رجليه"، تذكّرنا بالمسار المجيد للرب يسوع، كما تُقدّمه لنا البشائر الأربع؛ وعبارة "كذات السماء في النقاوة" توضّح أن المسيح، ليس فقط أتى إلينا من السماء، ولا أنه فقط صعد إلى السماء، بل إنه، بمعنى من المعاني، لم يبرَح السماء مطلقًا (يو ٣: ١٣). وبمسيرة الرب يسوع هنا فوق الأرض، أُعلن لنا مجد الله، في كل كماله الأدبي (مز ٦٨: ٢٤). لقد قال الربّ لتلاميذه: «الذي رآني، فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩). وأما ع١١ فهو يعطينا لمحة للحرية المقدسة التي صارت من حق المفديين أن يتمتعوا بها، حرية المفديين في الشركة مع الله. فنحن على أساس كمال عمل المسيح، ووجوده لأجلنا في السماء، أصبحنا، وكأننا من الآن في البيت، في السماء!

موسى وهو هنا على الجبل، يذكّرنا بمنظره على جبل آخر، عندما رآه التلاميذ الثلاثة: بطرس ويعقوب ويوحنا، وهم على الجبل المقدس، شاهدًا مع إيليا لمجد الربّ يسوع، وهما يتكلّمان معه عن موته الذي به كان سيُتمّم مطاليب الناموس (لو ٩: ٢٨ - ٣٦).

٢٥

ع١-٩ : الأمر بإقامة خيمة الاجتماع

ابتداء من هذا الأصحاح، نأتي إلى بداية التعليمات الإلهيّة الخاصة بالعبادة. وتُعتبر خيمة الاجتماع أجمل وأكمل رموز العهد القديم، وهي مليئة بالتعاليم الروحية النافعة لنا، حيث نجد فيها على الأقل رموزًا ثلاثة:

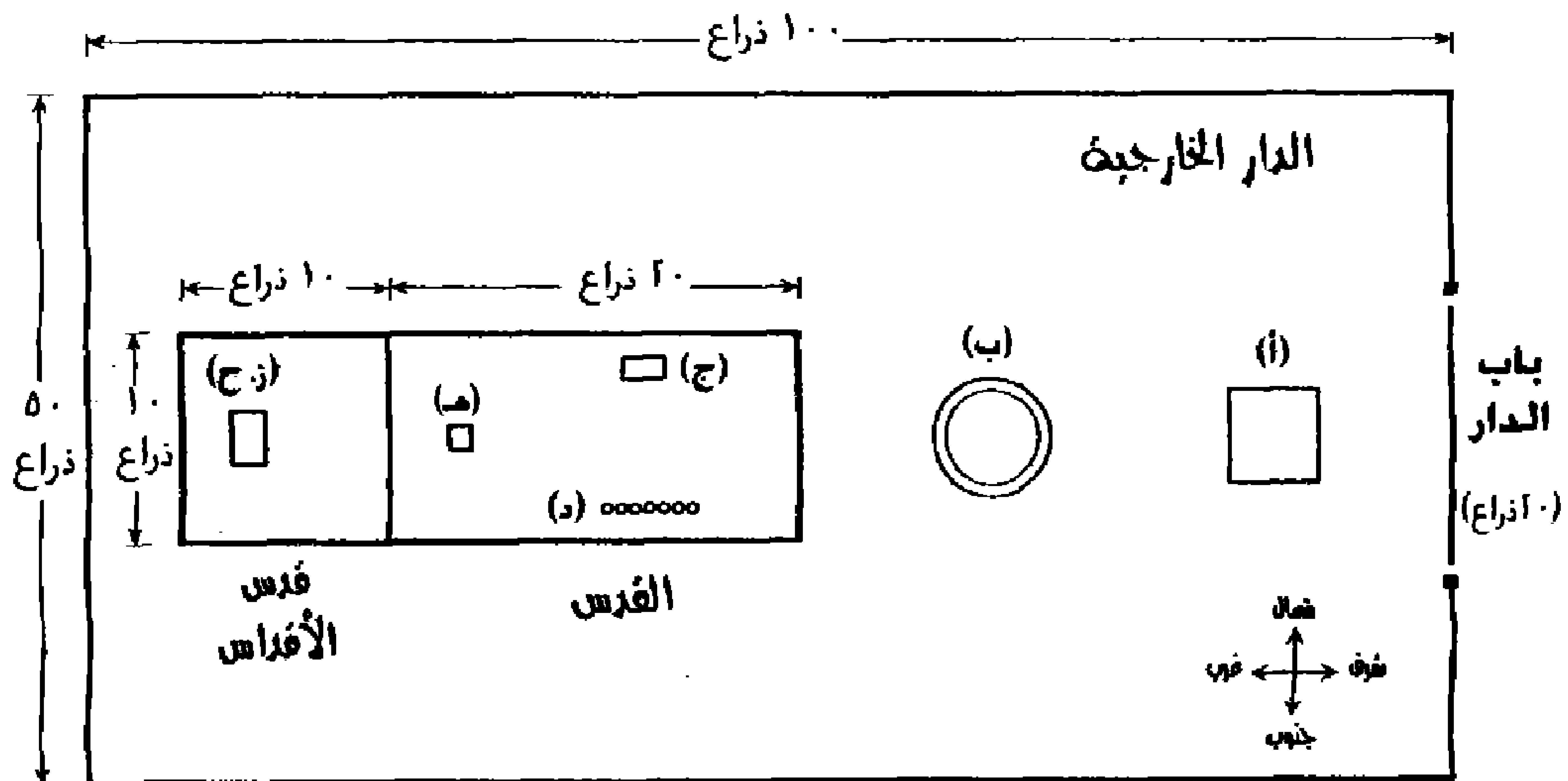
١- تحتوي على "شبه السماويات وظلها" (عب ٨: ٥).

٢ - رمز للمسيح، الذي حل بيننا (يو ١: ١٤)، بمعنى نصب خيمته بيننا.

٣- صورة للكنيســة: فإن كانت الخيمة هي مســكن الله في العهد القديم، فالكنيسة الآن هي مسكن الله في الروح (أف ٢: ٢٣).

ثم إننا منها نتعلم دروسًا في منتهى الأهمية: نظرة الله للخطــية (ومنها نتعلَّم شيئًا عن بر الله)، ثم نظرة الله للخاطــئ (ومنها نتعلَّم شيئًا عن رحمة الله). أيمكن أن الله القدوس يسكن في وسط شعب خاطــئ؟ إنها أحجية، لكن هذه الخيمة تقدّم لنا الحل لها في صورة رمزيــة، وعندما نصل إلى العهد الجديد نجــد الإجابة عنها بصورة حقائق واضحة ثابتة، حيث نتعلَّم أن الله خلّصنــا لا بالنعمة وحدها، بل أيضًا بالبر. وسنجد في باقي السفر تفصيلات دقيقة لهذا المسكن العميق جدًا في معناه.

رسم تخطيطي لخيمة الاجتماع



(أ) مذبح النحاس (٥×٥×٣ذراع) (ب) المرحضة (بلا مقاسات) (ج) مائدة خبز الوجوه (٢×١×١.٥ذراع)

(د) المنارة (بلا مقاسات) (هـ) مذبح الذهب (١×١×٢ذراع) (ز، ح) تابوت العهد (٢.٥×١.٥×١.٥ذراع) وغطاؤه

وحدة القياس، وهي الذراع، تساوي تقريبًا ٥٠ سم

ع ١ ـ ٢٢ : التابوت وغطاؤه

لا يبدأ أحد عند وصف بيت بالأثاث. لكن هنا أوّل شيء مذكور هو "**التَّابوت**"، وذلك لأنه رمز جميل للربّ يسوع المسيح، الذي هو مركز أفكار الله ومشوراته. كان التابوت مصنوعًا من خشـــب سنط (وهو خشب غير قابل للفساد، صورة لناسوت المسيح)، مغشّى بالذهب النقي (صورة للاهوته). ونحن نجد الطبيعتين متَّحدتين في شخص الربّ يسوع، فقد كان هو "الله" حقًّا، كما كان "إنسانًا". الآب وحده هو الذي يعرف حقيقة كنه هذا السرّ (مت ١١: ٢٧). وفوق التابـــوت كان هناك غطـــاء التابوت، المصنوع من الذهب النقي فقط. وهناك كان يُرشّ الدم في يوم الكفارة (لا١٦: ١٤، ١٥)، ويُحدِّثنا عن عمل المسيح الكفاري في الصليب (رو ٣: ٢٥). لذلك كان هـــذا المكان هو الذي يمكن فيه أن يجتمع الله القدوس مع الإنسان الخاطـــئ (ع٢٢)، دون أن يُهلكه. وأما "كروبا المجد" (عب ٩: ٥)، فقد كانا ناظرين بوجهيهما إلى غطـــاء التابوت (ع٢٠)، مما يذكِّرنا بالأسرار الإلهيَّة العميقة التي «تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها» (١بط ١: ١٢).

وما أجمل ما نقرأه هنا «في التابوت تضع الشـــهادة التي أعطـــيك»، صورة للمسيح الذي كانت شريعة الله في وسط أحشائه (مز ٤٠:)، ولم يكن في ذهنه شيء بخلافها!

ع٢٣ ـ ٣٠ : المائدة الذهبية

المائدة في مادتها تشـــبه التَّابوت إلى حد ما، فكانت مصنوعة من خشب السَّنط، ومغشّـــاة بالذهب. ولكن بينما التابوت يصوِّر لنا المسيح الذي أتى بالله إلينا، والذي أمكنه أن يواجه كل متطلّبات برِّه نيابة عن الإنســـان، فإن المائدة من الجانب الآخر تمثِّل المســـيح الذي يحمل شـــعبه دائمًا في محضر الله. وكان هناك إكليل من ذهب يحيط بالمائدة، يحدّثنا عن مجد المسيح من جانب، وعن حماية المسيح للمؤمنين من جانب آخر. والمائدة عادة تُصنَع لوضع الأشـــياء عليها، فقد وُضع عليها اثنا عشر

رغيفًا بترتيب، بحسب عدد أسـباط إسـرائيل (لا ٢٤: ٥، ٦)، تمثّل شعب الله في كمالهم. كما كانـت تُوضَع عليها أدواتها (ع٢٩)، التي تمثّل لنا كفاءة المسـيح في خدمته لشعبه (مر ١٦: ٢٠). ونرى في هذه المائدة رمزًا لكون شعب الله ممثّلاً في المقادس السماوية، يحمله المسيح، ويحفظـه في نور الحضرة الإلهية (المنارة).

ع٣١–٤٠: المنارة الذهبية الطاهرة

كانـت المنارة مصنوعة من ذهب نقي فقط (مثل غطـاء التابوت). والذهب النقي يصوِّر لنا مجد الله. وهي تُضيء بسُـرجها السـبعة، وتصوِّر لنا الشهادة لله. لقد كان المسيح في يومه هو الشاهد الأمين. واليوم الكنيسة مدعوَّة للشهادة له (رؤ ١: ١٢، ١٣، ٢٠؛ ص٢؛ ص٣). وكانت المنارة تضاء بزيت الزيتـون النقي (رمز للروح القدس). ولقد كانت قوة شهادة المسيح هي بالروح القدس، وهكذا شهادة الكنيسة اليوم.

ولكي يُحفَظ نور المنارة لامعًا كان يلزم اسـتخدام الكاهـن للملاقط والمنافض. وهكذا الآن، الكاهن العظـيم، ربنا يسوع المسيح، الماشي وسط المناير السبع، يسهر على نفوسنا حتى لا يوجد أي شيء يعوق النور الإلهي، من أن يُضيء بقوَّة.

٢٦

ع١–١٤: أغطية المسكن

في هذا الأصحاح نأتي إلى وصف المسـكن نفسه، وكان يُشبه صندوقًا ضخمًا ذا ثلاثة جوانب بدون سطـح وبدون قاع. وعلى سطحه وُضعت أربعة أغطـية هي ما تحدّثنا عنه هذه الأعداد.

الغطـــاء الأوّل كان يسمّى "المسكن"، وكان مصنوعًا من ألوان مختلفة كالّتي في الحجاب الذي نقرأ عنه فيما بعد فـــي ع٣١؛ وأيضًا كتلك التي كانت في ثياب رئيس الكهنة للمجد والبهـــاء (٢٨: ٥). وكل لون من هذه الألوان الأربعة يحدّثنا عن مجد من أمجاد المسيح المتنوعة.

فالبوص المبروم (أي الكتان الأبيض) يحدثنا دائمًا عن كمالات المســـيح كالإنسان البار (كما نراه في إنجيل لوقا).

والإســـمانجوني (اللون الســـماوي) يحدثنا عن شخصه باعتباره السماوي (إنجيل يوحنا)؛

والأرجوان، لبس الأباطرة، باعتبار المســـيح ملكًا كبيرًا على كل الأرض (إنجيل متى).

وأخيرًا **القرمز**، لون الدم، باعتباره العبد المتألمٍ (إنجيل مرقس).

وكانت تُســـتخدم عُرى من أســـمانجوني، وأشـــظـــة من ذهب، لوصل الشـــقق ببعضها، وهي تذكِّرنا بالرُبط السماوية الإلهيَّة التي تربط المفديِّين.

والغطـــاء الثاني (الخيمة) من شعر معزّى (لبس الأنبياء - زك١٣: ٤): ويكلّمنا عن المسيح المنفصل.

والغطـــاء الثالث من جلود كباش مُحَمَّرة: ويكلّمنا عن المسيح المكرَّس.

والغطـــاء الرابع من جلود تُخس†: ويكلمنا عن تحمُّل المسيح (عب ١٢: ٣).

وكما كانت هذه الصفات الثلاث (الانفصـــال والتكريس والتحمل) موجودة كاملة في الربّ يسوع لما كان هنا على الأرض، فإن الله يريد أن يراها أيضًا في كنيسته.

ولقد كان غطـــاء جلود التخس هو الذي يُرى من الخارج، وهذا يذكِّرنا بالمســـيح

الـــذي لم يكن له صورة ولا جمال ولا منظر فنشـــتهيه، محتقـــر ومخذول من الناس (إش٥٣: ٢،٣). لكن من الداخل كم هو مجيد جدًا! وهكذا أيضًا شعبه (٢كو ٤: ٧).

وأما أرضيَّة الخيمة فلم تكن سوى رمال البرية. ولنا في هذا درس مزدوج:

أولاً: لا شيء يُشير إلى المسيح يجوز أن يُداس بالأقدام (عب١٠: ٢٩).

ثانيًــا: أن الكاهن وهو يــؤدي وظــيفته في الأقداس، كان لا ينســى أنَّه غريب ومسافر. وهو ما يجب أن يتَّصف به المسيحي اليوم.

ع١٥ - ٣٠: الألواح والعوارض

كانت الجوانب الثلاثة للمســكن مصنوعة من ألواح من خشب السَّنط، مُغشَّاة بالذهب وقائمة على قواعد من فضة. وهي صورة للمؤمنين، فهُم قائمون على "أســاس الفداء"، ومكتســون ببرّ الله. ذلك لأن في كلمة الله يُشــير الذهب إلى البر الإلهي، والفضة إلى الفداء. ولأنَّ الألواح كانت مُغشّــاة بالذهب، فهذه الصفة الإلهيَّة يجب أن تُميِّز المؤمنين الآن. ولكي تقف الألواح معًا ثابتة وتُقاوم رياح البريَّة، كانت تمســكها **عوارض**، وهذه تجعلنا نفكِّر في كل ما يوحِّد المفديين. على سبيل المثال، المحبَّة التي هي رباط الكمال. ويا للتعزية والتشــديد الذي يجــده مؤمن حديث في الإيمان، إذ يجــد أخًا أكبر يمكنه أن يحدثــه عن متاعبه الروحية، من ثم يركعا معًا في صلاة! ويوجد فوق كل ذلك، "الروح الواحد" (أف ٤: ٤)، الذي يربط كل أولاد الله، وبذلــك يمكن ألا يُحمَلوا بكل ريح تعلم، بل يكونون صادقين في المحبة، فيكون كل الجســد مركَّبًا معًا، يُحَصِّل نموه وبنيانه في المحبة (أف ٤: ١٤ - ١٦؛ انظر أيضًا ١كو ١٠: ١٢).

أخيرًا لاحظ اهتمام الرب الخاص بلوحي الركنين (ع٢٤). فإن التعبير «ويكونان مزدوجين» يذكِّرنا بما جاء فــي يوحنا ١٧: ٢١، وما ورد في ١كورنثوس ١: ١٠؛

وهو أن **تمتع المؤمنين بالشـركة الحقيقية مع الرب، هو أساس تمتعهم بشركتهم بعضهم مع بعض.**

ع٣١-٣٧ : الحجاب وستارة القدس

إذا تقدّمنـا في الخيمة من الداخل إلـى الخارج، باعتبار أن هـذا هو طريق الله لملاقـاة الخاطـئ، فإن الخيمة كانت تحتوي على "قـدس الأقداس"، وغير مصرح لأحد بالاقتراب إليه، وكان فيه "تابوت الشـهادة" (ع٣٣)؛ وبعـد ذلك كان القدس، وهو منفصل عن قدس الأقداس بالحجاب. ويُخبرنـا عبرانيين ١٠: ٢٠ عمَّا يُمثِّله الحجاب، فيقول: «الحجاب أي جسـده». وعليه فإن ناسـوت ربنا يسوع هو الذي نجده في هذا الحجاب، حيث نجد تجميعًا للعديد مـن الرموز التي تحدّثنا عن أمجاد المسـيح وكمالاته، سـبق أن رأينا جانبًا منها في المواد التي صُنعت منها الشُـقق الجميلة. ونحن نعرف أنه عند موت المسـيح انشق الحجاب (مت ٢٧: ٥١). ومن المهم أن نلاحظ أنه **ليس تجسد ابن الله هو الذي فتح لنا طريق الأقداس، بل موته.** لقد كان الحجاب صنعة حائـك حاذق، ويُصنع بكروبيم، تذكِّرنا بملائكة القضاء التي منعت الإنسان من الاقتراب إلى شـجرة الحياة (تك ٣: ٢٤). ولكن بموت المسيح انشق الحجاب، وما عاد هناك مانع يمنعنا من الاقتراب إلى محضره.

وأمام الحجاب، في القدس، كانت تُوضع المائدة والمنارة (ع٣٥)، وأيضًا المذبح الذهبي (٣٠: ٦). وكان هناك سجف (أي ستارة) للقدس، ولكن بدون كروبيم، حيث كان الكهنة يدخلون إلى هناك لإتمام خدمتهم.

---

† التخس حيوان بحري (قد يكون هو الدلفين)، ويتميَّز جلده بأنه سـميك، ويتحمل العوامل الجوية القاسية التي هي طـابع البرية.

٢٧

ع١-٨ : مذبح النحاس

مذبح النحاس هو أكبر قطعة في خيمة الاجتماع، وكان مخصصًا لتقديم الذبائح. كان مصنوعًا من خشب السنط، الخشب الذي لا يفسد (صورة لناسوت المسيح)، ومغشى بالنحاس (الذي يحدثنا عن دينونة الله على الخطية). لقد صار المسيح إنسانًا من أجلنا، ليذوق بنعمة الله الموت.

ومذبح النحاس هو أول قطعة تُقابل الداخل إلى خيمة الاجتماع، وهكذا يجب أن يكون الصليب هو أول ما يقابل الإنسان الخاطئ الذي يريد أن يدخل في علاقة مع الله (١كو ٢: ٢). وكل الذبائح التي سنتأمَّل فيها عند دراستنا لسفر اللاويين، كانت تُقدَّم على هذا المذبح. هناك كان يُسفك الدم، وكانت النار تلتهم أجزاء الذبيحة المختلفة. وهو في هذا أيضًا صورة للصليب، فعلى الصليب أكلت نار الدينونة الإلهية الذبيحة المقدَّسة، ربنا يسوع، وسُفك الدم الثمين.

ع٩-١٩ : دار المسكن

حول المسكن من كل ناحية كانت تُوجد "الدار" وعلى حدودها أستار من **بوص مبروم** تفصلها عن خيام إسرائيل. ومع أن الدار كان لها باب، لكن كل بني إسرائيل كانوا يقدرون أن يدخلوها ومعهم ذبائح. يقول المرنم: «هاتوا تقدمة وادخلوا دياره» (مز ٩٦: ٨).

وكانت تلك الأستار معلَّقة على أعمدة الدار، المُقامة على قواعد من نحاس. وهذه الأستار من البوص المبروم تحدثنا عن ناسوت المسيح الخالي من الخطية، كما وأيضًا

عن حياة البِرّ العملي المدعو إليها كل شعب الله، التي يلاحظها الناس من الخارج. وسيرتبط بهذه الشهادة طبعًا الآلام من أجل البر. وأما القواعد النحاسية فهي مصنوعة من المادة التي صُنع منها المذبح، فالصليب الذي عليه مات ابن الله ليُكَفِّر عن خطايانا، هو الذي فصلنا عن هذا العالم الحاضر الشرير (غلا ١: ٤؛ ٦: ١٤). ولقد تألم المسيح من أجل البر حتى موت الصليب، تاركًا لنا مثالاً لكي نتبع خطواته (١بط ٢: ٢١).

كان الشعب في خيامه يرى دخان الذبائح وهو يصعد من مذبح النحاس، فيتذكَّرون خطاياهم بصفة مستمرة، وقداسة الله التي يجب أن تستوفي حقَّها. ونحن أيضًا ليت منظر الصليب لا يغيب مطلقًا عن فكرنا!

إننا اليوم، بخلاف شعب إسرائيل الذي كان دائم الخوف، نتمتع بقول الوحي: «بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين» (عب ١٠: ١٤)، ولذلك فإن المؤمن الآن يعرف "السلام الكامل" لأنَّه يعرف أن خطاياه قد مُحيَت، ويستطيع أن يقف بدون خوف، ويتمتَّع بالسلام الكامل في محضر الله ونوره العجيب.

ع٢٠، ٢١: زيت السُرُج

النور الوحيد داخل المسكن، الذي لم يكن له نوافذ، كان ينبعث من سبع سُرج المنارة التي كانت تشتعل على الدوام. وكان يُستعمل للإنارة زيت الزيتون المرضوض والنقي، وهو رمز للروح القدس. فلقد كانت شهادة المسيح في هذا العالم بقوة الروح القدس، وهكذا ينبغي أن تكون شهادتنا نحن. فلن يمكننا أن نضيء اليوم ما لم نخضع للروح القدس، ونعطيه في حياتنا المكان الذي هو به جدير.

* بعض التعبيرات الصعبة في ع٤: "الرفوش": جواريف؛ "المراكن": الطشوت؛ "المناشل": لتناول لحم الذبائح (١صم ٢: ١٣)؛ "المجامر": لأخذ الجمرات التي بها يُوقد البخور على مذبح البخور.

٢٨

ع١-٣٩ : ثياب رئيس الكهنة للمجد والبهاء

كان هارون رمزًا للربّ يســوع باعتبــاره رئيس الكهنة العظــيــم، كما تُخبرنا الرســالة إلى العبرانيين. ولقد لبس هــارون ثيابًا كهنوتية ليمكنــه أن يكهن، وأما المسيح فقد لبس بشــريتنا ليمكن أن يخدمنا بكهنوته في الأقداس (عب ٢: ١٧، ١٨؛ ٤: ١٥). وثياب هارون تحدِّثنا عن كل ما يتّصف به الربّ يســوع في الخدمة التي يقوم المســيح بها لأجل شــعبه المفدي. وبالإضافة إلى ذلك فهي تحدثنا عن صفات المسيح وأمجاده المتنوعة باعتباره الكاهن العظــيم الذي اجتاز السماوات.

كان الرِّداء (أو الأفود) هــو أهم أجزاء الثياب (ع٦-١٤)، وهو عبارة عن معطف بدون أكمام. ومثل الحجاب، كان منسوجًا ومُطرَّزًا بخيوط ذات ألوان مختلفة، سبق أن أشرنا إلى معانيها ونحن نتحدث عن أغطــية المسكن (٢٦: ١-١٤). لكن بالإضافة إلى هذه الألوان الأربعة، كان يدخل في نســيج الرداء خيوط من ذهب، التي تشير إلى المســيح "ابن الله" (قارن عب ٤: ١٤). وكان هناك حَجَرا جــزع عند الكتفين حيث يتّصل الجزء الأمامــي بالجزء الخلفي من الأفود، وكان يُنقش على الحجرين أســماء الأسباط الاثني عشــر. ألا يذكّرنا هذا بالربّ يسوع حاملاً كل واحد من خاصّته على كتفيه القويتين (لو ١٥: ٥)؟ فخاصّته معروفون بالاســم لديــه، ودائمًا حاضرون في فكره. وأكثر من هذا، فهم يمثّلون جزءًا من المجد والبهاء اللذين له (ع٢).

بعــد ذلك تأتي الصُــدرة (ع١٥-٣٠)، وكانت تُوضع على الجــزء الأمامي من الرداء. وعليها اثنا عشــر حجرًا كريمًا بحسب أسماء الأســباط، فكانت بذلك دائمًا

على قلب هــارون (ع٣٠). وهي صورة مؤثِّرة لمركزنا نحــن الذين افتدانا الربّ يسوع. فنحن على كتفي الربّ يســوع القويتين، وأيضًا على "قلبه"، غرض محبَّته الدائم. كان هذا هو مكان التلميذ «الذي كان يسوع يحبه» (يو ١٣: ٢٣).

هناك كلمة هامة تتكــرر كثيرًا في هذا الفصل وهي كلمة "**دائمًا**"، وهي تُعَبِّر عن ثبات مركزنا في المســيح، وأنه لا يســتطــيع أحد أن ينزعنا من يديه **القويتين** (يو ١٠: ٢٨)، ولا أحد يفصلنا عن **محبة** المسيح (رو ٨: ٣٥).

كانت الأحجــار مختلفة، لكن كلّها كريمــة، وكلّ منها كان يعكــس نور المنارة الواحــدة بطريقته الخاصَّة. كذلك المؤمنون مختلفــون الواحد عن الآخر، ومع ذلك فإن كل مؤمن مدعو أن يعكس بعض أمجاد الربّ يســوع. وعلى ذلك لا يجب أن نعمل مقارنة بين مؤمن وآخر، ولا أن نوجه ســهام النقد لأحد، فكل واحد ثمين لقلب الشــخص المبارك الذي يحمله. عندما نكون ميَّالين للشكوى من أحد المؤمنين، أو نجد مــن الصعب أن نحبَّه، لنتذكَّر أنَّ الربّ يحبّــه. ولكي تعكس هذه الأحجار، أو بالحري المؤمنون، النور الإلهي جيدًا، يجب أن **يُنحتوا بالإزميل ويُصقلوا**، أو بعبارة أخرى **يُشَكَّلوا بالتجارب**. لكن بالمفارقة مع هارون، فإن الربّ يسوع لا ينتظر حتى يكمل هذا العمل لكي يحمل خاصَّته على قلبه.

وتُسمى الصدرة: "صدرة القضاء". والقضاء هنا ليس بمعنى الدينونة، بل بمعنى التمييز بين الخطــإ والصواب. فمعرفة فكر الــرب كانت تتم عن طريق "الأوريم والتميم" (أي الأنوار والكمالات)، اللذين كانا في صدرة القضاء.

وبعد ذلك تأتــي **جُبّة** الــرداء (ع٣١-٣٥)، التي يلبســها هــارون، وكلها من أسمانجوني، وهي تكلِّمنا عن الصفة الســماوية للربّ يسوع الكاهن العظــيم، الذي «انفصل عن الخطــاة وصار أعلى من الســماوات» (عــب ٧: ٢٦). ويليق به أن

تكون له شهادة على الأرض، ممثَّلة في "إخوته الساكنين معًا في اتحاد"، والمدعومين بكهنوته الســماوي، والذين يمثِّلون أطراف ثوبه "أذيال الجبة" (قارن مع مز ١٣٣: ١، ٢). والجلاجل (الأجراس) على أطراف الجبة، تذكِّرنا بالشــهادة: ما يُســمع. وهي البرهان على أن رئيس الكهنة حي في الأعالي. فهل نحن نشهد لمن حولنا أن يسوع حي؟ والرُّمَّانات تذكِّرنا بالثمر: الذي يجب أن يُرى في حياة أولاد الله، وهي تظــهر فيهم طــالما هم متَّصلون بالشخص "السماوي" (يو ١٥: ٥).

ولقد كان عدد الجلاجل وعدد الرمانات في جبة رئيس الكهنة متســاويًا. وهذا معناه أن أفعالنا وأقوالنا يجب أن تكون متوازنة. وأما عندما نشعر بضعفنا ونقصنا في شهادتنا وخدمتنا، فلننظر إلى الربّ يســوع، فهــو أمام الله في كمال قداســته، والآب يتأمَّل ابنه الحبيب ويرانا فيه، فلا يرى ما يعوق خدمتنا أو يشوِّه عبادتنا. هذا هو معنى **"الصفيحة من ذهــب"** (ع٣٦ - ٣٨) التي على عمامــة الكاهن من قدَّام، والمنقــوش عليها «قُدسٌ للرب». عندما نتأمَّل الربّ يسوع، لا ننشغل بضعفاتنا، بل ننسبي بكمالاته، ونستطــيع أن نقول مع المرنِّم «يا مجنَّنا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك» (مز ٨٤: ٩).

ثم يختم هذا الجزء بذكر **"القميص**†**"**: كماله الأدبي الداخلي؛ و **"العمامة"**: كمال أفكاره، و **"المنطــقة"**: كمال خدمته (ع٣٩)، فيكون عدد قطــع ثياب رئيس الكهنة سبعة.

ع٤٠-٤٣ : ثياب بني هارون

هــذه الثياب تجعلنا نفكِّر فيمــا ورد في مزمــور ١٣٢: ٩، ١٦ حيث كان الكهنة يلبسون البر†† والخلاص. وهو ما يجب أن يميِّزنا نحن باعتبارنا كهنة العهد الجديد.

---

† القميص المخرَّم (ع٣٩،٤) أي مطرَّز. فمع أنه كان يُلبس من الداخل، إلا أنه مجيد!

†† في ع٤٢ يؤكِّد الوحي على ضرورة أن يلبس الكهنة سراويل من كتان لستر العورة. فعبادة الرب، بعكس عبادة الأوثان التي كثيرًا ما ترتبط بعري العابدين (قارن خر ٣٢: ١٥).

٢٩

ع١-٣٧ : تقديس الكهنة

هارون بمفرده يمثل الرب يسوع، ولهذا كان يُمسح أولاً بمفرده، ولم يكن ذلك يرتبط بسفك دم (ع٧). أما هارون في ارتباطه مع بنيه، فإنه يعطينا صورة للعائلة الكهنوتية، وباتحادهم معه يمكنهم أن يقدموا ذبائح التسبيح لله. ولكن قبل ذلك كان يلزمهم العديد من الأمور: أن تقدَّم ذبائح عنهم؛ وكان يجب أن يُقرَّبوا إلى باب خيمة الاجتماع، وأن يُغسَلوا بالماء (مع ملاحظة أنَّهم لم يكونوا يقدرون أن يغسلوا أنفسهم)؛ وأخيرًا كانوا يلبسون ثيابًا جديدة تُعطى لهم، وهي تلك الموصوفة في أصحاح ٢٨. وهكذا بالنسبة لنا، فقبل أن نقوم بأية خدمة مسيحيّة، يجب أن يكون تقدُّمنا إلى الله بذبيحة المسيح الكاملة التي تكفِّر عن خطايانا، ثم يجب أن يتم غسلنا بماء نقي، وهو ما يسمى "غُسل الميلاد الثاني" (تي ٣: ٥؛ عب ١٠: ٢٢). وأخيرًا مع أجساد نظيفة، يجب أن نلبس ثيابًا نظيفة.

وبعد أن يتمّ تكريس الكهنة، فإنهم ما كانوا يفعلون ما يحلو لهم، بل لقد تكرسوا بهذه الطقوس ليؤدّوا خدمة الله في هيكله. في العهد القديم كان من يقوم بالخدمة الكهنوتية هم فقط بنو هارون، أما اليوم فإن كل المفديين بدم المسيح صاروا كهنة لله أبيه (رؤ ١: ٦). فنحن، إذا كان الله في محبَّته العظيمة قد خلَّصنا، فذلك لكي نكون مكرَّسين تمامًا لخدمته.

الدم على الأذن اليُمنى، وعلى إبهام اليد اليُمنى، وعلى إبهام الرجل اليُمنى (ع٢٠) كلها تُشير إلى أن هذه الأعضاء من الجسم، والتي تكلِّمنا عن الطاعة والعمل والسلوك، قد تقدَّست لتعمل مشيئة الله، وذلك بقوة الروح القدس (دهن المسحة† في ع٢١).

وهناك فكر جميل وهام، فالكلمة المترجمة "تقديس" تعني حرفيًا "ملء اليد" (قارن ٢٨: ٤١). فالتكريس في معناه الصحيح ليس أن أعطي نفسي للرب، فكيف أعطيه ما يمتلكه بالفعل؟ بل على العكس إننا نفهم من هذا أن التكريس يعني أن يملأ الله يدي، أو بالحري قلبي، ليمكنني أن أردّ التقدمة (المسيح) أمامه (ع٢٤ قارن مع ١أخبار ٢٩: ١٤).

كان ينبغي أن **كبش الملء** يُقدَّم، ثم بعد ذلك يُؤكل من الكهنة (ع٣١-٣٤). وبنفس الطريقة، فلكي يقوم المؤمن بأيَّة خدمة لله، يجب أن يتغذّى بذاك الذي كان مُكرَّسًا لله حتّى الموت. ويحرّضنا الرسول أن نسلك في المحبة «كما أحبنا المسيح أيضًا، وأسلم نفسه لأجلنا، قربانًا وذبيحة لله رائحة طيبة» (أف ٥: ٢). كان على الكهنة أن يأكلوا كبش الملء "عند باب خيمة الاجتماع" (ع٣٢)، أو بكلمات أخرى قبل أن يتقدموا ليخدموا الرب في القدس. وهكذا كان يُفعل لمدة سبعة أيام (ع٣٥)، وبذلك كان الكهنة يتغذّون، ومشاعر التكريس فيهم تتجدد يومًا فيومًا.

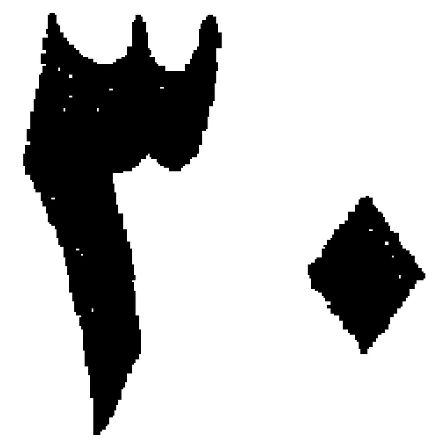
ونتذكّر أن الغطاء الثالث للمسكن كان مصنوعًا من جلود كباش (ص٢٦: ١٤) وهو أيضًا يكلِّمنا عن التكريس مثل كبش الملء الوارد ذكره في هذا الأصحاح. كم كان الربّ يسوع مكرَّسًا! قال أحد رجال الله بعد قراءته الأناجيل: "هنا إنسان لم يفعل شيئًا لذاته على الإطلاق. كل ما فعله الربّ يسوع، فعله لله وللناس. لقد كان تكريسه كاملاً".

ع٣٨-٤٦ : المحرقة الدائمة

هناك محرقات كان يجب أن تُقدَّم "دائمًا" (ع٣٨)، "في أجيالكم" (ع٤٢ قارن مع عدد ٢٨: ٣، ٦، ١٩؛ عزرا ٣: ٥). وكانت هذه المحرقات الدائمة **تعظِّم** عمل الصليب أمام عيني الله.

ويُختم الفصل (ع٤٤،٤٥) بتقديس الخيمة والمذبح والعائلة الكهنوتية، وبذلك أمكن لله أن يسكن في وسط خاصته، بما يتناسب مع مجده. والرسول بولس ذكر العلاقة نفسها بين مسكن الله في الوقت الحاضر بالروح القدس في المؤمنين، والقداسة التي ينبغي أن تميِّزهم (اكو ٣: ١٦،١٧؛ ٦: ١٩).

† كان الزيت أو الدهن (وهو رمز للروح القدس) يستخدم لتقديس الأشياء أو الأشخاص (أي تخصيصها لله). وأول إشارة إلى ذلك نجدها في تكوين ٢٨: ١٨.



ع١ – ١٠ : مذبح البخور

تأخَّر الحديث عن مذبح البخور، لأنه كان يجب قبل الحديث عنه أن يتم تقديس الكهنة، الذين يمكنهم الاقتراب إلى الله. سبق لنا أن رأينا في أصحاح ٢٧ "المذبح النحاسي" الذي كانت تُقدَّم عليه الذبائح، وهنا في أصحاح ٣٠ نجد المذبح الثاني المُغشَّى **بالذهب** الذي كان هارون يوقد عليه البخور. والمذبحان لا ينفصلان الواحد عن الآخر. **فالمسيح هو أولاً الذبيحة، ثم الكاهن. والذي قدَّم دمه المطهر، يشغل الآن وظيفة الكاهن لكي يشفع في القديسين الذين تطهَّروا بدمه.**

لم تكن تُقدم ذبيحة على مذبح الذهب، وهكذا بنفس الطريقة لا يحتاج الربّ يسوع أن يتألَّم أو يموت مرَّة أخرى. العمل قد أُكمل، والآن هو في السماء موضوع السجود والعبادة، وبه يقترب كل المفديين ويُقدِّمون للآب السجود اللائق به. ومن المناسب أن نتذكَّر خلاصنا الثمين، وما حصلنا عليه من بركات، ولكن - لكي نكون

ســاجدين حقيقيين – ينبغي أن نقدِّم لله كمالات ابنه المحبوب. وأي ســجود بخلاف ذلك يعتبر بخورًا غريبًا (ع٩).

أهم الفروق بين مذبحي المحرقة والبخور

مذبح النحاس	مذبح الذهب
لتقديم الذبائح الدموية	لرفع البخور العطر
في الدار الخارجية (أمام المدخل)	في القدس خلف الحجاب
يُمثِّل المسيح فوق الصليب	يُمثِّل المسيح الآن فوق العرش
المخلص الذي مات عنا	الكاهن والشفيع الذي يحيا لأجلنا
المسيح قدّم الفداء لشعبه	الشعب المفدي يقدم السجود للآب والابن

ع١١-١٦ : فضة الفداء

كانت تُدفع بأسلوب شخصي محض. وفي الوقت ذاته كان لها قيمة محدّدة يدفعها كل من الغني والفقير على السواء، وهو مبلغ زهيد يقدر الجميع أن يدفعه. وفي العهد الجديد نتعلم أن الله لا يميِّز بين خاطــئ وآخر، وهو يقدِّم للجميع طريقة واحدة للخلاص، خلاصًا مجانيًا! لكن كم تكلف ذلك الشخص العجيب الذي دفع بالنيابة عنا أجرة خطــايانا؟

ع١٧-٢١ : المرحضة النحاسية

هي آخر القطــع السبع الموجودة في خيمة الاجتماع، وكانت من نحاس (ع١٨)، ومكانها في الدار الخارجية بين المذبح النحاسي والقدس. فإن لم يغسل الكهنة أيديهم وأرجلهم في هذه المرحضة، فإنهم لا يكونون مؤهَّليــن للخدمة، لئلا يموتوا. وهذا

الاغتســـال لا يكلِّمنا عن التطـــهير الشـــرعي والأبدي الذي تمَّ فعلاً بالدم المسفوك على مذبـــح النحاس، لكن يكلِّمنا عن "ماء كلمة الله" الـــذي يُطـــهِّر المؤمن أدبيًا في أثناء سيره في هذا العالم الملوث (يو ١٣: ١٠؛ أف ٥: ٢٦). لا يحدِّثنا عن تأسيس العلاقة مع الله، بل عن حفظ الشركة معه.

ع٢٣-٣٣ : دهن المسحة

بعد الاغتسال بالماء من "دنس الجسد" (سلبيًا)، نجد دهن المسحة (الروح القدس)، الـــذي يُعطـــي فضائل إيجابيـــة. والمكونات المختلفة لهذا الدهـــن تُمثِّل لنا فضائل المســـيح وأمجاده. ولم يكن مصرّحًا ســـكبه على جســـد إنســـان (ع٣٢)، والمعنى الروحي لذلك أنه لا يجوز اســـتخدام مواهب الروح لتعظـــيم الإنسان. كما لم يكن مصرّحًا صنع مثله، أي غير مصرَّح بتقليد عمل الروح القدس.

يخبرنـــا مزمـــور ١٣٣: ٢ أن هذا الدُهن الطـــيب ينســـكب مـــن على الرأس، وينزل على لحية هـــارون، ثم إلى طرف ثيابه: صورة رائعة للأفراح التي للمؤمنين بواسطـــة الروح القدس، بكمالات رأسهم المُمجد.

ويمكن أيضًا أن نرى في هذا الدهن صورة مصغّرة للشـــخص الكريم، الرب يســـوع المسيح الذي قالت عنه العروس: «اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى» (نش ١: ٣).

ع٣٤- ٣٨ : البخور العطر

كان يتكون من أربع أنواع من الأعطـــار (أجزاء متساوية)، تحدِّثنا عن الكمالات العجيبة لربنا يسوع المسيح. وكان هذا البخور يتصاعد باستمرار لله (ع٨)، فشخص المسيح هو وحده موضوع سرور الآب الدائم.

٣١

ع١ ـ ١١ : دعوة بصلئيل وأهولياب لعمل الخيمة

لاحظ تكرار الأفعال "دعوت"، "ملأت"، "جعلت". فكلّ ما يتعلّق بالخدمة كان بتوجيه من فوق، من الله نفسه. حتّى موسى لم يكن يقدر أن يختار العاملين. في سفر الأعمال نرى الروح القدس يفرز برنابا وشاول بالاسم للعمل الذي دعاهما الله إليه (أع ١٣: ٢). بنفس الطريقة الخادم لا يقرِّر لنفسه ما يجب أن يفعل. بل الله هو الذي يدعو الشخص، ثم يُزوِّده بالحكمة اللازمة (ع٢، ٣). ولقد أعطى الله لكل واحد منّا مقدارًا من الموهبة، ففي أي شيء نستخدمها؟ ربَّما في المدرسة، في المكتب، في الدكان، في البيت، لكن الربّ يريد استخدام هذه المواهب بعمل الروح القدس لخدمته. ولنحذر من إهمالها فتنطفئ (١تي٤: ١٤؛ ٢تي١: ٦).

ع١٢ ـ ١٧ : حفظ السبت

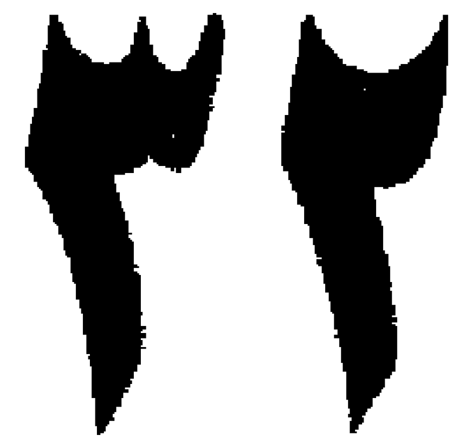
إذا أعطى الله خدمة، فهو يعطي الرّاحة اللازمة لخدامه. في الأناجيل نحن نرى الرب يدعو تلاميذه، ويرسلهم، وبعد عودتهم من الإرسالية قال لهم أن يستريحوا قليلاً (مر ٦: ٧، ٣١). في هذا الجزء ترتبط الراحة بالسبت. "السبت" الذي جُعل لأجل الإنسان (مر ٢: ٢٧). دعنا نشكر الله من أجل الراحة التي يعطينا إياها.

انظر تعليقنا على حفظ السبت في خروج ٢٠ صفحة ١٦٧.

ع١٨ : موسى يستلم لوحي الشريعة

لمزيد من التفاصيل انظر أصحاح ٣٢: ١٥ -١٩؛ تثنية ٩: ٩ -١٧.

عندما يقول في ع١٧ إن الله استراح وتنفس، فهو تعبير بشري يدل على أن الله وجد سروره بعمل يديه.



خطية العجل الذهبي وتوابعها

كنا نتمنى أن ننتقل فورًا من التعليمات المعطاة بتأسيس خيمة الاجتماع في أصحاح ٣١ إلى بدء العمل فيها في أصحاح ٣٥، لكن بالأسف بين الاثنين تأتي صفحة سوداء في تاريخ شعب إسرائيل، إذ بينما كان الله يُعطي الناموس لموسى على الجبل، كان الشعب في أسفل الجبل يكسرون أول ثلاث وصايا، وحينما كان الربّ يُري عبده التعليمات الخاصة بعبادته، كان إسرائيل يُقيم لنفسه عبادة وثنية! وبينما نقرأ في ص٣١ عن شخص امتلأ بروح الله ليعمل مثال المسكن الذي يحدّثنا عن المسيح، نقرأ هنا عن أشخاص وقد ملأهم الشيطان، يعملون لأنفسهم إلهًا، "ثورًا آكل عشب"! ويا للأسف أن هارون الذي كان قد أُعطي مركزًا عاليًا في الفرائض التي كنّا نتأمّل فيها، يقود الشعب في هذا العمل. حقًا ما أشر قلب الإنسان! وما أشد نكرانه للجميل (مز ٧٨: ١١؛ ١٠٦: ١٩ -٢٣)! لقد أثبت الشعب المختار أن قلبهم وذهنهم فاسدان، مثلهم مثل باقي الأمم (قارن مع رو٣: ٩).

والوثنية ليست خطية إسرائيل، أو الأمم المحيطة وحدهم، بل حتى في المسيحية

أيضًا. يذكِّرنا الرسول بولس بالمشهد الذي أمامنا قائلاً: «فلا تكونوا **عَبَدة أوثان**»؛ ثم يقول: «لذلك يا أحبائي اهربوا من **عبادة الأوثان**» (١كو ١٠: ٧، ١٤). والوثن ليس بالضرورة يكون صنمًا حرفيًا (وهو ما نراه بالأسف في بعض الأوساط التي تُدعى مسيحية)، بل إنه في ضوء العهد الجديد قد يكون ميلاً شريرًا، أو شهوة ردية، أو علاقة غير شرعية، أو طمعًا. هو بالإجمال كل ما يأخذ مكانًا في قلوبنا يخصّ الربّ وحده.

ودعنا لا ننسى أن هذه المأساة حدثت نتيجة غياب موسى فوق الجبل، وإذ غابت فكرة رجوع موسى إليهم، امتلأ قلب الشعب بالشر، وهو عين ما حدث عندما غاب وسيطنا العظيم، ربنا يسوع المسيح، فوق جميع السماوات، فقال العبد الرديء «سيدي يبطئ قدومه» (مت ٢٤: ٤٨-٥٠).

في ع٧ قال الربّ لموسى: «قد فَسَد **شعبك الذي أصعدته** من أرض مصر»، وأجاب موسى في شفاعته قائلاً للرب: «لماذا يا ربّ يحمى غضبك على **شعبك الذي أخرجته** من أرض مصر» (ع١١). وكأنَّه يقول: بما أنَّه شعبك ويحمل اسمك، لا يمكن أن تفنيه. وفي يوحنا ١٧: ٩ قال الربّ يسوع للآب وهو يتكلم عن خاصَّته: «لأنَّهم لك».

تصرَّف موسى هنا كشفيع كُفء، مع أنَّه كان قد قال للرب سابقًا: «لست أنا صاحب كلام» (ص٤: ١٠). ربَّما كان "**ثقيل اللسان**"، لكن الآن **قلبه** تحرَّك من أجل إسرائيل، ومن فضلة القلب تكلَّم الفم، وعرف بالروح القدس كيف يتوسل لصالح شعب الله.

ونحن لا يسعنا إلا أن نُعجب بتصرف موسى الذي رفض أن الله يُفني الشعب، ويجعل منه هو شعبًا أعظم (ع١٠). فموسى هنا ما كان مهتمًا بمجده الشخصي، بل مجد الله وصوالح الشعب (ع١١-١٣). ولقد ظل حتى النهاية يقدِّر الرب وشعبه، فقال مع أنفاسه الأخيرة: «**ليس مثل الله... من مثلك يا شعبًا** منصورًا بالرب!» (تث٣٣: ٢٦، ٢٩).

على أنَّه لو كان الناموس الذي يدينهم أُعطــيَ للشــعب، لمَا اســتطــاع توسّــل موســى أن يمنع الربّ من إفناء إســرائيل. كان لا بُدَّ أن يحدث أحــد أمرين: إمَّا الناموس، وإمَّا الشعب المُذنب يُطرح جانبًا. الله في رحمته سمح أن يضع الناموس جانبًا. وإذ كان لموسى فكر الله، فقد كسَّر لوحي الناموس أسفل الجبل (ع١٩).

وبعد مئات من السنين، عندما نزل الرب يسوع من السماء إلى هذا العالم المذنب، لم يكن في فكره أن يُبطل الناموس. على العكس، فقد تمّمه هو بصورة عجيبة، قبل أن يتجه إلى الصليب ليحمل في جسده لعنته (مت ٥: ١٧، ١٨؛ غل ٣: ١٣).

ويخبرنا ع١٩، ع٢٢ كيف حمي غضب موســى على الشــعب وعلى هارون. وكما غار موسى للشــعب أمام الرب فوق الجبل، فإنه غار للرب أمام الشعب أسفل الجبل. وعندما انتحى موسى بهارون أخيه، حاول هارون أن يُبرِّر نفسه عوضًا عن أن يتذلَّل. ظنَّ أنَّه يمكن أن يقنع موســى أن معجــزة حدثت، والنار أخرجت عجلاً ذهبيًا! ألا يذكِّرنا هذا بتعبير كثيرًا ما نقوله "إنَّها ليست غلطتي"؟

بعد ذلك نــرى المهمة الرهيبة التي وُضعت علــى اللاويين (ع٢٦-٢٩)، والتي نتعلَّم منها أن مجد الله يجب أن يكون أغلى على قلوبنــا من الروابط العائلية (قارن متــى ١٠: ٣٧). كان بنو لاوي أُمناء، وأخذ الله ذلك في الاعتبار حين ائتمنهم على خدمته في خيمة الاجتماع (تث ٣٣: ٩، ١٠). الله لا يســتخدمنا في خدمته قبل أن يضع أمانتنا أولاً تحت الاختبار.

نلاحظ أنه نتيجة نزول الناموس حدث موت لحوالــي ٣٠٠٠ رجل، بينما نتيجة نزول الروح القدس كان خلاص لنحو ثلاثة آلاف نفس (أع ٢: ٤١).

كذلك نرى موسى شــفيعًا مرَّة أخرى (ع٣٠-٣٥). ولقد اعترف بالحقائق كما هي، دون محاولة إخفاء شــيء، مثلما فعل هارون، وطلب أن يُقدِّم نفســه كفارة عن خطــية الشــعب، أي يُعاقَب بدلاً منهم. وهو في هذا يذكِّرنا بالرسول بولس الذي كان مستعدًا أن

يُحرَم من المسيح لأجل إخوته حسب الجسد (رو ٩: ٣). لكن مثل هذه التضحية مستحيلة، إذ يؤكد الوحي أن «الأخ لن يفدي الإنسان فداء، ولا يعطي الله كفارة عنه» (مز ٤٩: ٧). لا يوجد شخص يستطيع أن يكفِّر عن الخطاة إلا ربنا يسوع، وذلك لسببين:

أولاً: لأن نفسه ملكه، فأمكنه أن يقدمها لله (عب٩: ١٤).

وثانيًا: لأنه هو نفسه كان بلا خطية (عب٧: ٢٧).



ع١-٦ : توبة الشعب

في الأصحاح السابق نرى موسى - وقد امتلأ من الغضب المقدَّس - فسحق العجل الذهبي، وقاد اللاويين في قصاص الشعب. وهنا نراه يقول للشعب إن الربّ لا يريد أن يصعد معهم. وهذا "الكلام السوء" (ع٤) قاد الشعب إلى التذلل، وخلعوا عنهم زينتهم.

ع٧-١١ : خيمة الاجتماع خارج المحلة

عمل موسى عملاً غير متوقع، إذ نصب خيمة لنفسه خارج المحلة، بعيدًا عن الشعب (يجب عدم الخلط بين هذه الخيمة، وخيمة الاجتماع التي كنا ندرس تفاصيلها، والتي لم تكن حتى هذه اللحظة قد أقيمت بعد). كان لا يزال موسى يحب هذا الشعب، وأظهر أنه يحبهم عندما طلب من الرب أن يمحو اسمه من كتابه (٣٢: ٣٢)، لكنه عمل ذلك العمل بدافع مختلف. فالآن بسبب خطيتهم التي ارتكبوها، لم يكن ممكنًا للسحابة أن تظل فوق المحلة. فلكي تبقى تلك السحابة الغالية، التي هي

رمز للروح القدس، كان على موسى وآخرين معه أن يتركوا محلة إسرائيل.

ويستخدم الرسول هذا الفصل لتحريضنا، فيقول: «فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة، حاملين عاره» (عب ١٣: ١٣). وطاعة لهذا التحريض، خرج مؤمنون كثيرون من المسيحية الإسمية، ليجتمعوا ببساطة إلى محضر الربّ يسوع، وباسمه وحده (مت ١٨: ٢٠).

ويشوع، مع أنّه كان غلامًا، لكنّه أدرك أنّ سعادته في عدم ترك المحضر الإلهي. هل سعادتنا نحن في الوجود حيث وعد الربّ يسوع بالحضور؟

ع١٢-٢٣: حديث موسى مع الرب

خارج المحلّة تكلّم موسى مع الربّ وجهًا لوجه (ع١١)، وكان موضوع كلامه "الشعب" في حالته المُحزنة. كان موسى ظلاً لمن هو أعظم منه؛ الابن الذي تكلّم إلى الآب عن الذين أعطاهم له (يو ١٧: ٩). ومع أنّ موسى ترك المحلة، لكن كان قلبه لا يزال يحمل أولئك الذين كانوا فيها.

كان ممكنًا أن يُفكّر موسى أنّه ربح الكثير لأنّ الربّ لم يفنِ الشعب، وأن الله سيُرسل ملاكًا يسير أمامهم إلى كنعان. لكن لا، لقد قال موسى للرب إن هذا غير كافٍ. وكأنّه يقول للرب: نحن نريدك أنت لتسير معنا. ولا يمكننا الاستغناء عنك. إنّ الله يحب جسارة الإيمان، ويُسَرّ أن نطلب أشياء خاصة بمجده، وإن كانت تبدو عسيرة.

وأخيرًا فإن موسى يطلب طلبًا ثالثًا من الرب، أكثر جرأة من سابقيه، وهو أن يرى مجده. ولم يكن هذا ممكنًا في العهد القديم، ولكن أمكننا نحن أن نراه في ربنا يسوع المسيح (يو ١: ١٤، ١٨؛ ٢كو ٣: ١٨؛ ٤: ٦). وسوف نتمتع بهذا على الوجه الأكمل عندما يأتي المسيح ويأخذنا لنكون معه إلى الأبد (يو ١٧: ٢٤).

عندما طلب موســى من الله أن يُريه مجده، توقَّع بلا شك أن يرى رؤيا مثل التي في أصحاح ٢٤: ١٠. لكن الله كان مزمعًا أن يريه شيئًا ثمينًا، ولكن بطريقة مختلفة، ما يمكن أن نســميه: "مجد النعمة" (أف ١: ٦). لذلك أجابه الربّ قائلاً: «أُجيز كل جودتي قدامك». وهذه النعمة مرتبطــة بإعلان اسم الرب (ع١٩).

ويا للعجب أن هذه المناســبة الحزينة التي أظــهرت شــرّ الشعب، هي التي سُرّ الله أن تكون مناســبة إعلان نعمة الله ومجده. ولكن موســى كان يجب أن **يختبئ** في نُقرة من الصخــرة حتى يحصل على مثل هذا الإعلان مــن الله عاملاً بالنعمة. والصخرة هي المســيح (١كو ١٠: ٤)؛ ونُقرة الصخــرة تحدّثنا عن الصليب، حيث شُقّت الصخرة. واختفاء موسى داخل الصخرة، وستره بيد الرب، يُشير إلى الكفارة (الكفارة تعني تغطــية أو ستر). فبدون الكفارة كان يستحيل أن نرى مجد الله.

٣٤

تجديد العهد

أوضح الرب في الأصحاح الســابق مجد النعمة، وهنا يوضِّح أن مجده يَظَــهر في جودته ونعمته (قارن ٣٣: ١٨، ١٩ مع ٣٤: ٦). لكن لاحظ أن هناك شــرطــًا إن أردنا التمتع بإعلان الرب هذا، وهو ما قاله لموســى هنا: «كن مستعدًا للصباح» (ع٢). ليــت الرب يمتّعنا صباحًا فصباحًا بهذا الاســتعداد القلبــي، اللازم لنا لكي نتذوق رحمته التي هي أفضل من الحياة (مز ٦٣: ١-٣).

ثــم لاحظ أن نعمة الله لا يمكن أن تنفصل عن عدله. وهو ما يؤكّده لنا ع٧، فهو

غافر الإثم والمعصيـــة والخطـــية (هذه هي نعمته)، ولكنه لن يبرئ إبراءً (وهذا هو عدله في القضاء).

ويا للفطنة الروحية التي ميَّزت موسى! فلقد سبق أن قال الربّ إنه لن يصعد في وسط الشـــعب لأنه صلب الرقبة (٣٣: ٣)، وهنا يذكر موسى هذا السبب عينه، لكي يطلب من الرب سيره في وسط الشعب (ع٩)!

وللمرَّة الثانية كان موسى مع الربّ على الجبل لمدة أربعين يومًا. وكنتيجة لِما حدث، جعل الله نفسه معروفًا لعبده ولكل إسرائيل تحت اسم جديد «الرب اسمه غيُور» (ع١٤). هذا معناه أن الرب يحب أن يكون وحده موضوع إكرام شـــعبه وســـجودهم. قد يُدهشنا هذا الاسم لأنَّنا نقول إن الشخص قد يغير من شخص ينافسه على منصب أو خلافه، وأما بالنسبة لله، فلا يمكن أنَّ الوثن يكون منافسًا له، لأنَّه كيف لآلهة الذهب والحجر والخشب التي يصنعها الإنسان، أن تنافس خالق الكون؟ لكن عندما يُقال إن الله غيور، فهو غيُور على شـــعبه. الربّ يعرف أنَّنا نكون ســـعداء حقًّا عندما نحبه وحده، وأما الأوثان فهي أباطـــيل كاذبة محبطـــة لآمال من يتعلق بها. ثم إن محبَّتنا له، حتى وإن كانت ضعيفة، لكنها ذات قيمة كبيرة لقلبه. لذلك فإن الرســـول يوحنا، رســـول المحبة، يختم رســـالته بالقول: «أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام» (١يو ٥: ٢١).

لقد حذَّر الرب شـــعبه من أن سكان الأرض سيكونون شركًا لهم (ع١٢). فالرب يعرف ضعف قلوبنا، ومن أين يمكن أن يأتينا الخطر، «فتُدعى وتأكل من ذبيحتهم» (ع١٥). ليت تكون لدينا الشجاعة الأدبية التي تجعلنا نرفض كل دعوة من أصدقائنا في الدراســـة أو العمل، وحبذا لو عُرفنا بين المحيطـــين بنا بأننا لا نقبل أي شـــيء يجعلنا نشارك في تصرفاتهم الردية (١مل ١: ٩، ١٠).

وفي توضيح لما يتناسب معه، فإن الرب كرّر هنا بعض التعليمات التي سبق أن أعطـــاها في الأصحاحات ٢١ إلى ٢٣.

ونتعلَّم من الجزء الأخير من الفصل أنه كلّما كنا في اتِّصال بـــالله متمتّعين بإعلانات نعمته، ينعكـــس جماله علينا. كان وجه موســـى يلمع مع أنَّه لم يكن يعرف ذلك. أولاد الله يجب أن يُظـــهروا لكل الذين حولهـــم الفرح الذي لهم، بوجوه بادية عليها علامات السرور والابتهاج. ليتنا نجعل العالم يرى بعض انعكاســـات محبة الربّ يسوع في وجوهنا!

يُفسّر لنا الرسول في ٢كورنثوس ٣: ١٣ - ١٨ لماذا كان موسى يضع برقعًا على وجهه. فقبل أن يجيء الربّ يسوع بالجسد، كان الناس الخطـــاة لا يحتملون حتى انعكاس المجد الإلهي (لأنَّ المجد الإلهـــي مناقض للخطـــية)، ولذلك لزم البرقع لموسى، لكن الآن ذلك البرقع "أُبطل في المســـيح". لذلك عندما أتى الربّ يسوع، أمكـــن أن يُـــرى الله فيه في كل مجـــد نعمته. وكنتيجة لذلك، نحن الآن «ناظرين مجد الربّ بوجه مكشوف» (٢كو ٣: ١٤، ١٨).

الله في أصحاح ٣٤

في أوله: **إله النعمة**: «الرب إلـــه رحيـــم ورؤوف، بطيء الغضـــب وكثـــير الإحســـان والوفاء» (ع٦).

في منتصفـــه: **إلـــه غيُّور**: «لأن الرب اسمـــه غيُّور. إله غيور هو» (ع١٤).

في آخـــره: **إلـــه المجـــد**: وموســـى في آخر الأصحاح ليس فقط تمتع بمشاهدة المجد كمـــا في آخـــر ص٣٣؛ بـــل أيضًا بأن يعكس هذا المجد.

وهكـــذا نحـــن، على أســـاس النعمة، وليس بالانفصال عن القداسة، يمكننا التمتع بالمجد.

وهناك امتياز آخر لموســـى هو أن "يتكلم معه". هـــذا التعبير ورد ثلاث مرات في نهاية الفصل (ع٢٩، ٣٤، ٣٥). ويا للامتياز الذي لرجل الله! ويا للدلالة على العلاقة الوثيقة بينه وبين إلهه! ألا نجد هنا ارتباطـــًا بين الحديث مع الرب، والوجه اللامع؟ ليت الرب يمتعنا بكلا الأمرين معًا.

٣٥

ع١ ـ٣ : تقديس يوم السبت

ليس الأمر هنا مجرد تكرار لشيء سبق الحديث عنه، بل هناك درس أدبي في الإشارة إلى السبت هنا، وهو أن الراحة تسبق العمل، وليس العمل يسبق الراحة. لهذا فقبل أن يتحدث عن بناء الخيمة، تحدّث عن الراحة. لقد جلست مريم عند قدمي المسيح أولاً (لو ١٠: ٣٩)، من ثم عملت العمل الحسن في التوقيت الحسن، إذ أحضرت طيبها، ودهنت قدمي سيدها (ع٨ مع يو ١٢: ٣).

ع٤ـ٣٥ : اشتراك كل الشعب في العمل

من هنا سيبدأ العمل في خيمة الاجتماع، ولهذا فإن الوحي سيعيد الحديث ثانية عن قِطَع الخيمة المختلفة. والدرس الذي لنا هنا أن المعرفة شيء، وأن العمل بما نعرف شيء آخر.

ونحن لا نقرأ هنا أن كل شعب الله كان عليه أن يعمل، فالرب هو الذي يدعو للعمل. ثم إن العمل يتطلب حكمة وقدرة ليست متوفرة في الكل، لكن الكل – رجالاً ونساءً – يمكن أن يُقدِّم، وبهذا فإنه يشارك في العمل.

نلاحظ في الأعداد من ٥ إلى ١٩ تنوّع الأشياء التي كان على بني إسرائيل أن يُحضروها من أوتاد المسكن وشعر المعزى إلى الذهب وأثمن الأحجار الكريمة. كان يوجد لكل واحد شيء يُقدِّمه. بالمثل الآن، كل منَّا نحن الذين للرب يسوع نقدر أن نُحضر شيئًا يسهم في البناء. إظهار العاطفة مثلاً، وعمل المحبَّة للآخرين

(رو١٢: ٨)، هي أشـياء في متناول كل منّـا، وهي مرضية أمام الـربّ. بل إن الصلاة الحارة لتقدُّم عمل الرب مهمة جدًا والرب يقدِّرها تقديرًا كبيرًا.

ويلفت النظر السـخاء الذي ميَّز الشـعب، حتـى غطـى كل الاحتياج وزاد (قارن ٣٦: ٥). وهي تذكّرنا ببداية أيام الكنيسـة، عندما كان كل شـيء مشتركًا، وكان المؤمنون يبيعون الممتلكات الخاصة بهم، ويأتون بأثمانها عند أقدام الرسـل. وهـذه الأيام إن كانت ولّت ولن تعود، لكن ليت كل مـن الكاتب والقارئ يميِّزه هذه المحبة الأولى (رؤ ٢: ٤)، المحبة التي تضع أمور الرب قبل أمورنا الشخصية.

وشيء آخر مهم، وهو أن الشعب اسـتطـاع أن يقدّم لبناء خيمة الاجتماع ما لم يكن قد سبق وقدّمه لعمل العجل الذهبي. وبالطريقة عينها لن نقدر أن نكرس للرب، إلا ما لم نقدمه للعالم. وهذا تحذير للشباب، لئلا نضيِّع عمرنا هباء.

نلاحظ تعبيرًا يتكرَّر عدة مرات: «كل مَنْ أنهضه قلبه، وكل مَنْ سمحته روحه». فأن تحب الربّ وتحب الجماعة، هما شـرطـان ضروريان لأن تعمل لأجله شـيئًا حسنًا، أو لأن تعطـي له شـيئًا مقبولاً. وما لا يُعمل بالمحبة فهو ضائع، وليس له أجرة أمام كرسي المسيح.

وهناك بعض الأعمال كانت تُعمل في البيت وفي دائرة العائلة؛ مثل الغزل، ولذلك فلكي تعمل للرب، ليس من الضروري أن تصير مبشِّرًا أو مُرسَلاً في بلاد بعيدة.

وكان للنسـاء «حكيمات القلـب» (ع٢٥)، أو اللواتي أنهضتهـن قلوبهن بالحكمة (ع٢٦) عمل خاص، وباقي النسـاء، مثل الرجال، أمكنهنّ أن يأتين بشيء لعمل بيت الربّ (ع٢٩). بنفس الطريقة اليوم، يقدر الشـبان والشابات أن يفعلوا أو يُقدِّموا شيئًا، ولو متواضعًا، لأجل الربّ يسوع وكنيسته. يضع الله في قلب البعض أن يُعلِّم (ع٣٤)، وآخرون أن يصغوا بالطبع، وبذلك نكون جميعًا في الوضع الذي نخدم فيه بفاعلية.

٣٦

بدء العمل في بناء الخيمة

في المَثَل الوارد في مرقس ١٣: ٣٤ - ٣٧ يُقدِّم الربّ يسوع نفسه كإنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده «لكل واحد عمله». ونعلم أن الربّ يسوع أعدّ لكل واحد من قديسيه الذين هم له، عملاً بحسب قدرته وعمره. وعلى كل واحد منّا نحن الذين نخصّ الربّ يسوع أن يعرف ماذا يريد منّا، وإن لم نعرف فلنسأله، وهو لا بُدَّ أن يرشدنا إليه.

في مَثَل آخر في متى ٢٥: ١٤ - ٣٠، عندما رجع السيد كان على عبيده أن يُقدِّم كل واحد منهم حسابًا عمّا أُعطي له. البعض نال المكافأة، لكن آخرين خزوا. فليساعدنا الربّ لكي يجدنا عندما يجيء قد عملنا ما ينتظره منّا.

وهناك درس خطير نتعلّمه من أصحاحنا، وهو أنَّ كثيرًا من التقدمات وصلت متأخرة. فوقت إتمام العمل أو تقديم التقدمة كان قد ولّى. ربما عمل بعضهم بكل قوته، ولكن ليس فورًا، فضاعت عليهم الفرصة. ويا له من درس هام جدير بأن نتعلمه مبكرًا!

«فصار المسكن واحدًا» (ع١٣) وقد علّمنا العهد الجديد أنه يُوجد "جسد واحد" (أف ٤: ٤). فعلى الرغم من انقسام المسيحية إلى طوائف كثيرة جدًا، ولكن - في نظر الله - لا يوجد سوى جسد واحد، له رأس واحد هو المسيح، يسكنه روح واحد هو الروح القدس.

شـــيء لافت نجده بطول هذا الأصحاح، هو تكرار كلمة "صَنَع" بالمفرد، وكأن العامل شخص واحد، والحقيقة أن كل العاملين كان لهم "قلب واحد" (قارن مع أعمال ٤: ٣٢).

وإذ أُحضِرت كل المـــواد اللازمة، وتعيَّن الصانعون، أمكـــن أن يبدأ بناء خيمة الاجتماع. وفي قراءة وصف الأجزاء المختلفة للخيمة، والأشــياء التي فيها، سنجد المزيد من التعاليم.

الأغطـــية ذُكرت أولاً، وأولها وأجملها كان يمكن رؤيته من الداخل فقط، وبواسطـــة ضوء المنارة، كلمـــا دخل الكاهن إلى القدس. هكذا أمجاد الربّ يســـوع المختلفة يمكن فهمها وتقديرها فقط بواسطـــة النور المُعطـــى من الروح القدس، وفي حضرة الله. أمَّا الغطـــاء الرابـــع أو الخارجي المصنوع من جلود التُخس، وأيضًا كل شـــيء من خارج الخيمـــة، لم يكن يلفت النظر، بالمُباينة مع هياكل البشـــر القديمة والحديثة. وهذا يذكِّرنا بالشـــخص المكتوب عنه «لا صورة له ولا جمال... ولا منظر فنشتهيه» (إش ٥٣: ٢). ما كان يوجد شيء يُشبع المجد البشري الباطل، لأنَّ الربّ يسوع كان منفصلاً تمامًا عن العالم. ليت الرب يُقنع قلوبنا فلا ننخدع بروح العالم، أو نســـعي لمجده الباطل، بل نقنع أن نعيش هنا كما عاش سيدنا من قبلنا في هذا العالم!

ثم نقرأ عن "**ألواح المســـكن**" (ع٢٠)، وهذه كانت راسخة على قواعدها الفضية (ع٢٤ -٣٠). وهي تذكِّرنا بالمفديين، وبتحريض الرســـول: «اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباء» (في ٤: ١).

و"**الحجـــاب**" الثمين الذي كان يفصـــل القدس عن قدس الأقـــداس (ع٣٥)، كان محمولاً على أربعة أعمدة، وهو يكلِّمنا عن ناســـوت الربّ يســـوع، كمـــا تُقدِّمه لنا الأناجيل الأربعة. فهو مسيًّا إسرائيل (إنجيل متى)، العبد المُطـــيع (إنجيل مرقس)، ابن الإنســـان (إنجيل لوقا)، الذي من الســـماء (إنجيل يوحنـــا). ومثل الخيوط التي

كانت تتَّصل ببعضها بدقة، الخيوط التي من اسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم، هكذا وجوه بشريته المختلفة، كل واحد منها كامل في ذاته، ومتصلة كلها في انسجام تام، وكلها معًا تُقدِّم لنا كمال حياة الربّ يسوع المسيح. لكن هذه الحياة الكاملة ما كانت لتُقرِّبنا إلى الله، بل بالعكس هي تُبعدنا عنه كثيرًا، لأنَّها صوّرت لنا النموذج الذي يرتضيه الله، وهو نموذج كامل كان من المستحيل أن نحاكيه. لذلك كان موته ضروريًا. ولمَّا بذل المخلِّص حياته على الصليب، وأسلم الروح، فقد شقّ الله الحجاب، وفتح للساجدين «طريقًا... حديثًا حيًّا» (عب١٠: ٢٠).



استكمال عمل أواني خيمة الاجتماع

بعد ذلك يأتي صنع **التَّابوت وغطائه** (ع١ -٩)، **والمائدة** (ع١٠ -١٦). وكان لكل من التابوت والمائدة عصوان يُحملان بهما خلال رحلة البرية. وهذا يجعلنا نفكّر في سير الربّ يسوع لما كان هنا على الأرض.

وصُنعت بعد ذلك **المنارة** من ذهب نقي مع ساقها وكاساتها وعُجرها وأزهارها خارجة منها (ع١٧ -٢٤). ولقد كان عدد سُرُجها سبعة، وهو رقم الكمال. ولكن دعنا لا ننسى أن المنارة وقد كانت صنعة الخراطة، فهي تحمّلت الطرقات الكثيرة، ليمكن تشكيلها بهذا الجمال؛ كما أنها تُضاء بزيت مرضوض (٢٧: ٢٠). وهذه كلها تذكّرنا بالآلام التي احتملها سيدنا في طريق الشهادة لله في وسط عالم معادٍ، وشهادته لم تُقبل. وإذ رفض المسيح فإنه الآن يضيء في القدس السماوي،

ويمكن لقديسيه أن يتأملوه بالإيمان.

ثم يأتي "**المذبح الذهبي**" (ع٢٥ -٢٨) وكان مكانه في القدس أيضًا، أمام الحجاب، وهو رمز آخر للمسيح، الذي هو واسطة سجودنا وموضوعه، ففي اسمه نقترب إلى الله للسجود أو للصلاة. والبخور الذي كان يُقدَّم عليه حسب خروج ٣٠: ٣٤ - ٣٨ كان "**بخورًا عطرًا**" صنعة العطار مُملَّحًا نقيًا مقدسًا (ع٢٩). والأعطار المختلفة التي كانت تُستخدم في صُنعه، تكلّمنا عن كمالات ابن الله، وتقديرها في نظر الآب الذي نقدّمها له. ويشير أيضًا - مع البخور العطر - إلى "**دهن المسحة**" (ع٢٩).



استكمال عمل أواني خيمة الاجتماع

يبدأ الفصل بالإشارة إلى "**المذبح النحاسي**" (ع١ -٧)، الذي كانت تُقدَّم عليه الذبائح، ثم إلى المرحضة التي من نحاس أيضًا (ع٨). الله واجه حالتنا الخاطئة في الصليب، وهذا ما يُذكِّرنا به المذبح النحاسي. لكن ماذا عن الخطايا التي ارتكبناها بعد التوبة والإيمان بالمسيح؟ يوجد مؤمنون كثيرون في قلق من أجلها. هل يمكن أنها تُسبِّب لأحد أن يفقد خلاصه؟ شكرًا لله لأن ما عُمل لا حاجة لأن يتكرَّر مرَّة أخرى. قال الربّ يسوع لبطرس: «الذي قد اغتسل (وهذا يُعمل مرة واحدة للمؤمن – قارن خروج ٢٩: ٤) ليس له حاجة إلاَّ إلى غسل رجليه» (يو ١٣: ١٠). هذا الغسل للقدمين بعد السلوك، ولليدين لأجل الخدمة، كان يُعمل في المرحضة النحاسية، التي كانت تُصنع من ذات المادة التي يُصنع منها المذبح.

وهنا يجعلنا نُدرك أن خطـــايانا بعد إيماننا لها ذات الثمن الذي نُفع عنها كالخطـــايا المُرتكبة قبل الإيمان. لكن شـــيئًا واحدًا يجب أن يُعمـــل، وهو أن نعترف بها بتذلّل وحزن لله الذي هو أمين وعادل حتى يغفرها (١يو ١: ٩)، إكرامًا لعمل الربّ يسوع الذي قد أُكمل على الصليب.

ولقد صُنعـــت المرحضة من مَرَايا النســـاء اللاَّتي تبعن موســـى إلى باب خيمة الاجتماع (ع٨). فإنهـــن في محضر الله، وفي اهتمامهنَّ ببيتـــه، قادتهنَّ قلوبهنَّ أن يعطـــين لا شـــيئًا عاطـــلاً، بل ليســـلموا ما له الاهتمام الأكبر عنـــد المرأة، وهو المرائي (التي تعبر عن الاهتمام بالذات - انظر متى ١٦: ٢٤، ٢٥). ولقد قدَّر الله ذلك، ونكره في كلمته.

الأعـــداد ٩ -٢٠ تحدّثنا عن"**الدار**". وفيها ترد مقاســـات "بـــاب الدار" (ع١٨)، عرضه عشـــرون ذراعًا، أي حوالي عشـــرة أمتار. وهو يعطـــينـــا صورة لباب النعمة. فهو **واسع**، لأن الله يرحِّب بكل الخطـــاة، **وسهل** الدخول منه، لأن «كل من يدعو باسم الرب يخلص». فهل القارئ العزيز دخل من هذا الباب؟

ثم بدءًا من ع٢١ وحتى نهايـــة الأصحاح نجد كيف قدَّر الله في حســـابه التكلفة للمســـكن، آخذًا في الاعتبار كل ما صُنع وكل ما أُعطـــي لأجـــل بيته، حتَّى رُزز الأعمدة، ولم يغفل شـــيئًا. ولقد عرف الله أيضًا ما كلَّفته كل عطـــية للذين قدَّموها، وكانت كلها ثمينة في نظره.

ذات يوم جلس الربّ يســـوع تُجاه الخزانة يراقب مـــا يلقيه الناس فيها، وقدَّر الفلسين اللذين ألقتهما الأرملة المســـكينة، وكان يعني بالنسبة لها أنَّها أعطت كل ما عندها (مر ١٢: ٤١ - ٤٤).

وأما بالنسبة لفضة الفداء فقد استُخدمت في صنع قواعد الأعمدة، للقدس وللحجاب

(ع٢٧). وكون الأعمدة تقف راسخة على قواعد فضية فهذا يدل على أن كل شيء يستقر على "الفداء" (قارن مع سفر العدد ٣: ٤٦ - ٥١). والمؤمن أيضًا يستريح ويقف راسخًا بالإيمان على أساس الفداء (٢كو ١: ٢٤).

٣٩

ع١-٣١ : تجهيز الكهنة

في وصف ثياب هارون المقدَّسة، يلفت أنظارنا شيء لم يُذكر في أصحاح ٢٨، وهو أن أسلاك الذهب مدّوها خيوطًا، وتم نسج الرداء منها، وكان لمعانها رمزًا للمعان المجد الإلهي لرئيس الكهنة العظيم، الذي كان يسطع بين مشاهد إنسانيته. ولنأخذ أمثلة على ذلك من البشائر الأربع؛ فمرة كان سيدنا نائمًا على وسادة في سفينة في وسط بحيرة طبرية، وفي اللحظة التالية أمر فأسكت العاصفة وهدّأ البحر، حتى قال الذين في السفينة: «مَنْ هو هذا، فإن الريح أيضًا والبحر يطيعانه؟» (مر ٤: ٤١). ومرة أخرى بكى عند قبر لعازر، وبعد برهة أقام الميت الذي كان قد أنتن (يو ١١)! ولقد قَبِل أن يدفع الجزية، لكنه أحضر الدرهمين من فم سمكة خضعت له وأطاعته باعتباره خالقها (مت ١٧: ٢٤ -٢٧). وهكذا مع كل تحرك لرئيس الكهنة العظيم، كانت تلمع خيوط الذهب منه، ويسطع مجد لاهوته، رغم أنه كان يبدو للذين حوله مجرَّد يسوع الناصري المُحتقَر. ونلاحظ أن ثياب رئيس الكهنة كانت مترابطة معًا بسلاسل وضفائر وأطواق وأحجار، والمدلول الروحي لهذا أنه لا يمكن فصل أحد أمجاد المسيح إلا وتجد نفسك قد أنكرت كل الحق الخاص به. وبكل أسف فإن تاريخ الكنيسة

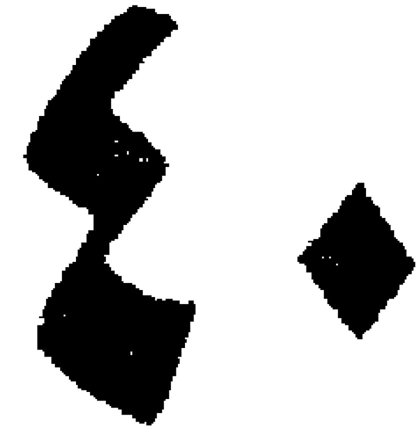
يحدّثنا عن كثيرين لم يخشــوا أن يفعلوا هذا الشـــيء. ليت الــرب يحفظنا مقدِّرين كل الأمجاد الأزلية والأدبية والرسمية، التي تكسو ربنا المعبود يسوع.

ع٣٢-٤٣ : موسى يستلم العمل الذي تم

لم يصنع بنو إســرائيل كل عمل الخيمة فحســب، بل إنهم صنعوه «**بحســب كل ما أمر الرب موسى**، هكذا صنعوا» (ع٣٢). وهذه العبارة "كما أمر الربّ موسى" تتكرر كثيرًا في هذا الأصحــاح، وفي أصحاح ٤٠. فالرب لم يترك شــيئًا لتفكير الصُنّاع. بالمثل الآن في المســيحية، نجد في كلمة الله كل ما نحتاج أن نعرفه فيما يتعلّق بطريقة العبادة لله. إن إضافة أي شـــيء لِمَا أعطـــاه الله لنا، أو إحلال شيء محله ظنًّا منَّا أنَّه يناســب أيَّامنا، هـــو عدم طـــاعة لله. انظر الجماعات المُســـمَّاة مسيحيَّة، وانظر إلى تنظـــيماتها وطقوســـها وزينتها وفخامتها... إلخ. الله لم يأمر بشـــيء من هذا. والمؤمنون الذين يعرفون كلمة الله، لا يقبلون أن يشتركوا في مثل هذه الأمور. فضلاً عن ذلك يوجد فرق عظـــيم بين ترتيبات العهد القديم (وقد تأمَّلنا في عدد منها في ســـفر الخروج)، وما نقرأه في يوحنا ٤: ٢٣، ٢٤ أنَّ الســـاجدين الحقيقيين يسجدون للآب "بالروح والحق". فلقد اســـتُبدلت الآن الفرائض الخارجية والطقوس الجامدة بعمل الـــروح القدس. كما أن عبادتنا ليســـت رموزًا وظـــلالاً، لكنَّها حقيقيَّة ذات قيمة عظـــيمة قُدَّام الله الآن، وطوال الأبدية.

ولقد اســـتلم موســـى العمل من الصناع، ورأى «وإذا هم صنعوه كما أمر الرب، هكذا صنعوا، **فباركهم موسى**». وهذا يُذكرنا بوقوفنا عن قريب أمام كرسي المسيح «وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله» (١كو ٤: ٥؛ ٣: ١٢-١٥).

ع٣) قدُّوها؛ أي قطـــعوها.



ع١-٣٣: إقامة المسكن، خيمة الاجتماع

في اليوم الأول من الشهر الأول†، قال الربّ لموسى أن يُقيم مسكن خيمة الاجتماع بكل ما فيه، مُعلِنًا بذلك أن الله أقام علاقة جديدة مع شعبه. والكل صار جديدًا، والربّ نفسه عمل حساب كل شيء في هذا العهد. بقي فقط أن يوجد الكهنة في أماكنهم المُحدَّدة: «وتُقدِّم هارون وبنيه» (ع١٢، ١٤). لقد أُعدت الأقداس للسَّاجد، والحاجة الآن أن يُعَدّ الساجد للأقداس. «تغسلهم... وتُلبسهم... وتمسحهم» (ع١٢ - ١٥). وبذلك يُمكن للكاهن أن يبدأ ممارسة وظيفته المقدَّسة بكل خطواتها: مذبح النحاس، المرحضة، دخول القدس، تقديم البخور على مذبح الذهب.

هل يمكننا أن نتأخَّر إذا كان الله نفسه يقول: «وتُقدِّم بنيه»؟ إن الرب يسوع رئيس الكهنة العظيم؛ هاروننا الحقيقي، كأنه يقول: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب ٢: ١٣).

في الأعداد من ١٦ إلى ٣٣ يُنسب العمل كله لموسى. كل شيء يتعلَّق بالمسكن، حتى أصغر شيء، عُمل كما أمر الربّ تمامًا. وعبارة «كما أمر الرب موسى» تتكرر سبع مرات (ع١٩، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٢). والقسم يبدأ بالقول: «ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب. هكذا فعل» (ع١٦)، ثم يُختم بالقول: «وأكمل موسى العمل» (ع٣٣). وكل هذا يجعلنا نُفكِّر فيمن هو أعظم من موسى، الذي أكمل العمل الذي أعطاه الآب له ليعمل (يو ١٧: ٤). لكن أمانة موسى على بيت الله، المشار إليها في عبرانيين ٣: ٢ إنما هي قبس ضئيل من أمانة الابن "الذي هو

أمين للذي أقامه"، فهو أعلن الآب، وقدّس الإخوة، وبنى المسكن الحقيقي، الذي صار فيه رئيس كهنة، مؤسّسًا نظامًا جديدًا (ليس ماديًا ولا منظورًا)، أمكننا فيه أن نعرف الله، وأن نقترب منه، وأن نعبده!

بيت الله على الأرض في سبع مراحل

١ـ خيمة الاجتماع التي أقامها موسى (خر ٤٠).

٢ـ الهيكل الذي بناه سليمان، والذي دمره بعد ذلك نبوخذنصر (إر ٥٢).

٣ـ هيكل زربابل الذي بُني بعد الرجوع من السبي البابلي، والذي دمّره تيطس الروماني (مت ٢٤: ١، ٢).

٤ـ المسيح الهيكل الحقيقي، والذي نقضه اليهود، وأقامه المسيح في اليوم الثالث (هيكل جسده)، وصعد به إلى السماء (يو ٢: ١٩-٢٢).

٥ـ الكنيسة في الوقت الحاضر (١تي ٣: ١٥؛ عب ٣: ٦؛ أف ٢ : ٢٢؛ ...)، ونهايتها الاختطاف إلى السماء.

٦ـ الهيكل الذي سيُبنى بعد الاختطاف، ويدنّسه النبي الكذاب (٢تس ٢: ٤)، وسيُخربه ملك الشمال.

٧ـ الهيكل الألفي الذي سيبنيه الرب بنفسه (زك ٦: ١٢، ١٣).

ع٣٤-٣٨ : مجد الرب يملأ الخيمة

وصلنا الآن إلى نهاية تلك الدراسة الشيّقة لخيمة الاجتماع التي عرفنا أنها تُعطينا صورًا مختلفة وأوجهًا متعدّدة لعمل الربّ يسوع ونتائجه. أوّل هذه النتائج هو أنّ الله أتى في مجده ليسكن وسط شعبه (ع٣٤، ٣٥). هكذا أيضًا في بداية

الكنيســة على الأرض، يوم الخمسين (أع٢)، فعلى أســاس كمال عمل ربنا يسوع المسيح وصعوده إلى السماء، نزل الروح القدس على المؤمنين الذين كانوا مجتمعين في مكان واحد. ومن هذا الوقت يســكن الله في «بيته»، الكنيســة التي هي بحسب أفســس ٢: ٢٢ «مســكن الله في الروح». ورغم الخراب الذي دخل إلى الكنيسة، فإن الروح القدس لا يزال هنا، وهو القائد الإلهي الذي يقود ويهدي شعب الله، تمامًا كالسحابة التي كانت على خيمة الاجتماع تقود شعب الله قديمًا في رحلته في البرية.

† نستنتج من هذا أن عمل خيمة الاجتماع استغرق حوالي ستة أشهر.

سفر اللاويين

مقدمة

الكاتب: هو موسى، كاتب الأسفار الخمسة الأولى. ويُفتتح السفر بقول الوحي: «ودعا الرب موسى وكلمه». ويرد هذا التعبير أو ما يشبهه ٣٦ مرة في هذا السفر. ويُذكر اسم موسى في هذا السفر ٥٥ مرة. قارن أيضًا ١٨: ٥، مع رومية ١٠: ٥.

طابع السفر: النظرة السطحية لهذا السفر تفترض أنه كتاب يهودي صرف، لذلك فإن عددًا كبيرًا من المسيحيين لا يعرفون عنه أي شيء، فما لنا نحن بهذه الطقوس الكثيرة والجامدة. لكن النظرة العميقة ترينا أنه كتاب مسيحي لا يهودي. فأولاً أين يمكن لليهودي اليوم أن يقدِّم الذبائح التي تحدَّث عنها هذا السفر؟ ثم ماذا عساه أن يفهم عن تلك التفصيلات الكثيرة؟ لا شيء. أما نحن الذين تعرّفنا بالمسيح، فإن كل شيء ينطق بالنسبة لنا. ولا ننسى أن هذا السفر مُقتبس منه في العهد الجديد نحو ٤٠ مرة.

ويمكن أن نعقد مقارنة بين هذا السفر وسفر الخروج كالآتي:

سفر الخروج	سفر اللاويين
يحدثنا عن الفداء	يحدثنا عن واجبات المفدي
عمل الله لأجلهم	تجاوبهم مع ما عمله الله
اقتراب الله إلى الإنسان	اقتراب الإنسان إلى الله
عملية عظيمة لها قيمة دائمة (الفداء)	عملية هامة وطويلة تستغرق العمر كله (القداسة)

تواريخ السفر: كُتب السفر في الشهر الأول من السنة الثانية من خروج بني إسرائيل من أرض مصر، أي حوالي عام ١٤٤٠ ق.م. والمدة التي يشملها هذ السفر لا تزيد عن شهر واحد، أي من وقت إقامة خيمة الاجتماع، في الشهر الأول من السنة الثانية إلى وقت عدّ الشعب في الشهر الثاني من السنة نفسها.

موضوع السفر:

إن كان سفر التكوين هو سفر السقوط، وسفر الخروج هو سفر الفداء، فإن سفر اللاويين هو سفر السجود. فالشعب، وقد تم فداؤه من مصر، وصار شعبًا لله، كان عليه أن يقدِّم سجوده في خيمة الاجتماع. وهذا هو موضوع هذا السفر النفيس. إنه سفر يقدِّم لنا سجود شعب مقدَّس لإله قدوس. وكم هو مناسب أن يكون هذا السفر هو السفر الثالث، فرقم ٣ هو رقم الأقداس والشركة.

ويعنى سفر اللاَّويين بالحديث عن أنواع الذبائح والقرابين التي طلبها الله من شعبه القديم، كما عيَّن لهم المواسم التي يجب عليهم أن يحفظوها في أوقاتها. وهذا ما جعل السفر كتابًا مُغلقًا، إلا على الذين امتلكوا مفتاح معرفة الكنوز المخبوءة فيه، أعني به المسيح. ونحن نجد المسيح هنا في كافة النواحي لذبيحته الكاملة ولكهنوته. فنحن المسيحيين لنا ذبيحة واحدة كاملة، فيها كل الكفاية للتقدُّم إلى الله (عب ١٠:١٠، ١٢)، ذبيحة واحدة قُدِّمت مرَّة واحدة فقط.

ولمعرفة المعاني الروحية لهذا السفر يلزم دراسته جنبًا إلى جنب مع الرسالة إلى العبرانيين. ومع أن اسم السفر هو "اللاويين"، ولكنه مشغول أكثر بالكهنة، بينما سفر العدد مشغول أكثر باللاويين.

تقسيم السفر:

القسم الأول (ص١ – ١٠) **الاقتراب إلى الله:**

١ - ص١ -٧ الذبائح المختلفة

٢ - ص٨ - ١٠ الكهنوت

القسم الثاني (ص١١ – ٢٧) **القداسة:**

٣ - ص١٠ -١٥ القداسة ومداها

٤ - ص١٦ القداسة وأساسها (يوم الكفارة العظـيم)

٥ - ص١٧ -٢٧ شرائع مختلفة عن القداسة اليومية، والمواسم السنوية، والنذور والأقداس.

كلمات مفتاحية

القداسة: نحو ٩٠ مرة

ذبائح وقرابين حوالي ٣٠٠ مرة

طـــاهر ونجس حوالي ٢٠٠ مرة

كفارة ٣٦ مرة

الفعل يكفِّر ومشتقاته حوالي ٤٥ مرة

"كلم الرب" أو "قال الرب": ٣٦ مرة

"كلِّم بني إسرائيل" أو "كلِّم هارون" ٢٤ مرة

٢١ مرة "أنا الرب" أو "أنا الرب إلهكم".

١

المحرقة

تُعطــينا الأصحاحات الأولى من هذا الســفر الصوَر المختلفة للقرابين والذبائح المتنوِّعــة، والتي تُكمِّل الواحدة منها الأخرى، وتشــير كلها إلى شــخص المســيح وعمله العظــيم على الصليب. وهي خمسة أنواع مذكورة معًا في مزمور ٤٠:٦؛ عبرانيين ١٠:٨؛ ومقسّــمة إلى قســمين: الثلاثة الأولى: تقدمات رائحة الســرور؛ والاثنتين الأخريين هما ذبائح الخطــية.

وهذا الأصحاح يُحدثنا عن المُحرقة: وهــي تُذكر أوّلاً لأنّها نصيب الله من عمل المسيح. ويمكن أن نجد هذا الجانب في عمل الصليب في العهد الجديد في العديد من الفصول مثل يوحنا ١٠: ١٧؛ أفسس ٥: ٢؛ فيلبي ٢: ٨.

ونحن عندما نتأمَّل في الصليب، علينا - قبل أن نرى فيه خلاصنا – أن نأخذ في الاعتبار أولاً شبع الله الذي وجده في شخص ابنه القدُّوس وعمله الكامل.

ثلاثة أنواع من الذبائح كانت تُقدَّم كمحرقة: ثور، أو شــاة، أو حمام أو يمام. وفي كل الأحوال هناك حياة قُدِّمت. والفارق الهائل بين هذه الذبائح والمسيح يجعلها كلها متساوية في القيمة الرمزيــة، ولهذا فكلها يقال عنها "وقود رائحة ســرور للرب". والفوارق بين الذبائح المختلفة تحدثنا عن التقدير المتباين للمؤمنين من جهة عمل المسيح فوق الصليب.

وبالنســبة لنا ينبغي أن نرتقي من تقديم الحمامة إلــى الضأن ثم إلى الثور، ولكن هنا ينظر إلى المســألة من وجهة نظر الله. فالله ينتظر أن نقدم له **الثور**، ولكنه يقبل **الضأن**، بل وحتى **الحمام** (الطــيور).

وكان بين هذه الأنواع بعض الاختلافات، فعلى سبيل المثال الذبائح الحيوانية فقط هي التي كانت تُقطَّع إلى قطعها (ع٦، ١٢ مع ع١٧)، وتوضع بترتيب على المذبح. ثم إنه في ذبيحة الطير كان الكاهن هو الذي يقوم بكل العمل، وكانت هناك أشياء تُطرح، ولا تُقدَّم (ع١٦). ومع ذلك فمن كل هذه الذبائح كان يتصاعد «رائحة سرور للرب». هذا هو تأثير نار الدينونة التي اجتازت في الذبيحة القدوسة فوق الصليب، وأظهرت في كل التفاصيل الدقيقة كمالها اللانهائي، فلقد قَدَّم المسيح نفسه لله بلا عيب (عب ٩: ١٤).



قربان الدقيق

إذا كانت المُحرقة تتكلَّم عن رائحة المسيح الذكيَّة في موته، فإن قربان الدقيق يتكلَّم عن كمالات المسيح في حياته كإنسان على الأرض. وقربان الدقيق لم يكن يتضمن ذبحًا ولا دمًا، بل فقط دقيقًا وزيتًا ولُبانًا وملحًا.

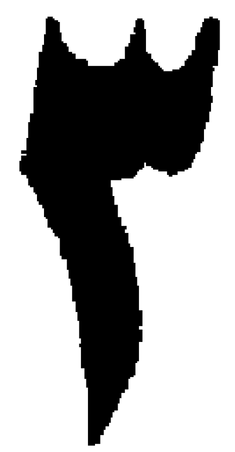
ناسوت الربّ هو حبَّة الحنطة المسحوقة ناعمًا. وكان القربان ملتوتًا بالزيت، لكي يصوِّر لنا المسيح الذي وُلد من الروح القدس، وكما كان يُسكب عليه الزيت، صورة للمسيح الذي عند معموديته من يوحنا حلَّ الروح القدس عليه. وقد اختُبِر بآلام متنوعة، ظاهرة وخفية، لذلك كانت تُقدم هذه التقدمة بثلاث صُوَر: "التنور" (وهو يمثِّل آلام الفكر والروح غير الظاهرة للعين البشرية، والتي لا يعرفها سوى الله)؛ و "الصاج" (الآلام العلنية من هذا العالم)؛ و "الطاجن" (الآلام القاسية المُركَّزة، بما فيها آلام الصليب). كل هذا كان رائحة سرور لله غالية الثمن.

وكان يؤخذ من هذه التقدمة ملء القبضة من الدقيق، ويُوضع عليها الزيت وكل اللبان، ويوقدها الكاهن على المذبح، نصيبًا للرب. والباقي من التقدمة يأكله هارون وبنوه في مكان مقدس. وهذا معناه أن الله شبع بحياة المسيح، ونحن أيضًا نشبع بتلك الحياة عينها.

يتذكَّر المؤمن هذه الحياة الكاملة للربِّ يسوع كإنسان على الأرض، خصوصًا تلك المرسومة في الأناجيل، ويقدمها للآب في سجوده، كما ويتغذَّى بكل خشوع عليها: اتكال المسيح العجيب، وصبره الكامل، ونعمته الفريدة، وحكمته وطاعته ووداعته وتكريسه. هذه الصفات الجميلة، التي لم تتغيَّر وسط كل الآلام التي اجتازها، هي ما يحدثنا عنه قربان الدقيق الموضوع عليه اللبان. إنه «قدس أقداس» (ع٣، ١٠). ولم يكن يُسمَح فيه بوجود "الخمير" رمز الشر، ولا "العسل" الذي يمثل العواطف البشريَّة، ولكنه على العكس لم يكن يخلو من "ملح" القداسة، أو الانفصال لله؛ القوَّة الحافظة من الفساد. كل هذا كان يُميِّز حياة ربنا يسوع المسيح، ويجب أن يكون في حياتنا أيضًا (مر ٩: ٥٠؛ كو ٤: ٦).

وأما تقدمة الفريك† في آخر الأصحاح فتُحدِّثنا عن تلك الحياة المباركة التي قُطعت في نصف أيامها كما يحدث مع الفريك الذي يُقطع وهو ما زال أخضر.

† ع١٤) الجريش: أي المدشوش؛ والسويق: أي سنابل خضراء.



ذبيحة السلامة

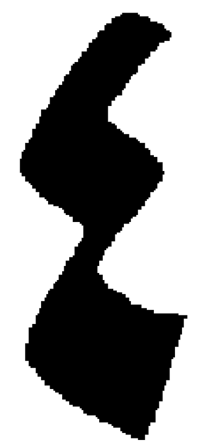
تُقدِّم لنا ذبيحة السَّلامة عمل المسيح ذاته، لكن هذه المرَّة يُرى بالارتباط مع الشركة والفرح والسلام. فالمسيح لم يأتِ فقط لكي يُمجِّد الآب في حياته (قربان الدقيق)، وفي

موته (المحرقـــة)، وليس فقط لكي يكفِّر عن خطـــايانا (ذبائح الأصحاح الرابع)، بل أيضًا لكي يثبِّتنا في علاقة جديدة مع الله أبيه. إن مخلِّصنا العزيز لم يكتفِ بأن ينقذنا من العذاب الأبدي، بل أراد أن يُسعدنا، بأن يجعلنا في شركة معه.

ونظرًا لأن هذه الذبيحة تحدِّثنا عن الشـــركة، فكان يُسمح فيها بالذكر وبالأنثى. فمهما كان التقدير للمسيح قويًا أم ضعيفًا، فإن الرب لن يحتقر هذا المؤمن، ويُسرّ بالشركة معه.

وكانـــت ذبيحة الســـلامة من ثلاثـــة أنواع: بقـــر (يحدثنا عن المســـيح في قوته وتكريســـه)؛ والغنم (المســـيح في وداعته وخضوعه)؛ ومعزى (المسيح في احتقار الناس له وتطـــاولهم عليه).

ومثل باقي الذبائح كان ينبغي أن يُوقد الشـــحم على المذبح (الشحم يمثل الطـــاقة الداخلية للذبيحة، والإرادة التي تحكم القلب)، فهذا نصيب الرب. وفي المسيح كانت هذه الإرادة والطـــاقة بتمامهما لله. لقد أتى ليتمم مشـــيئة الآب (يو٦: ٣٨؛ ٨: ٢٩). وذبيحة كهذه هي بكل يقين «وقود رائحة سرور للرب» (ع٥، ١٦). يا له من امتياز أننا نشـــارك الآب طـــعامه وشـــبعه في ابنه (ع١١، ١٦)! أن نُدعى إلى "مائدته"، لكي يكون لنا الطـــعام ذاته مع الله، ونشاركه فرحه بابنه الحبيب، فيتم قول الرسول: «وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١: ٣).



ذبيحة الخطية

ذبيحة الخطـــيَّة يذكرهـــا الله أخيرًا. فالمُحرَقة التي تخـــص مجد الله تُذكر أوَّلاً،

وما يواجه احتياجــات الخاطــئ، وهو ذبيحة الخطــيَّة، يُذكــر أخيرًا. نحن هنا لا نقابل المسيح الذي مجَّد الله بموته (لا ١)، بل إن موته كان بسبب خطــاياي. نحن في اختبارنا نتبع الترتيب العكســي. فيجب علينا أن نتقابل أوَّلاً مع الشخص الذي يُكفِّر عن خطــايانا، قبل أن نختبر السلام والفرح والشركة في ذبيحة السَّلامة، من ثم نفهم ونقدِّر ما كانه الربّ يسوع بالنسبة لله في حياته وموته (قربان الدقيق والمحرقة). إن بداية تعاملنا مع الله هو أن نعرف المسيح الذي تألم من أجل خطــايانا، ليُكَفِّر عنها.

ثم نلاحظ أن المحرَقة وقربان الدقيق وذبائح السلامة كانت كلها اختيارية، تقدم **على مبدإ الشركة مع الله**، بينما ذبيحة الخطــية إلزامية، وذلك **لاسترداد الشركة معه.**

ولقد كان الدم يُدخَــل به إلى خيمة الاجتماع، ليواجه كل مطــالب الله العادلة عن خطــايا الشــخص، وكان الشــحم يُوقد على المذبح، معلنًا رضى الله على طــاعة المســيح الذبيح. وإن كان لحم المحرقة يوقَد على المذبح، ولحم ذبيحة السلامة يأكله مقدِّم الذبيحة، فإن لحم ذبيحة الخطــية كان يُحرَق خارج المحلة. والمســيح بسبب خطــايانــا التي احتملها في جســده، تألم خارج الباب (عــب ١٣: ١٢)، بعيدًا عن محضر الله القدوس. ودعنــا نلاحظ الفرق الدقيق بين **إيقــاد** المحرقة على المذبح (١:٩، ١٣، ١٧)، رائحة ســرور لله، و**حرق** ذبيحة الخطــية خارج المحلة (ع١٢، ٢١)، تعبيرًا عن غضب الله على الخطــية.

ونلاحظ أن أصحاحنا، من أوله لآخره، يتكلَّم فقط عن خطــايا **السهو** وليس التعديات العمدية†. فما كانت تُوجد ذبيحة لخطــايا العمد التي تُدعى في كلمة الله "تعدٍّ". ولكن الآن وجدت النعمة حلاً لهذه، فذبيحة المســيح الكاملة هــي العلاج لكل خطــايانا وكل تعدياتنا. وفي الوقت نفســه قد يــظن البعض أنَّ الله لا يعاقب على خطــايا الســهو، طــالما أنَّها لم تُرتكب عمدًا، وبالتالي فلا لــزوم لتقديم ذبيحة عنها، وأن الله ينظر إلى نيّة الإنسان؛ لكن في الواقع إن قداســة الله لا تسمح بأيَّة أعذار. وكون الله رتَّب ذبيحة

تُقَدَّم على خطـــايا الســـهو، فهذا معناه أن مرتكب الخطـــية ســـهوًا يُعتبر مذنبًا (انظر ٢:٥). ونحن نعلم أنه حتى في القوانين البشرية لا يُعتَبر الجهل عذرًا. لقد كان الأمر يســـتلزم عمل الصليب غير المحدود ليمحو الذنب غير المحـــدود في حق الله، وليمحو خطـــاياي المُرتكَبة عمدًا أو سهوًا، التي أتذكَّرها والتي نسيتها من زمن طويل.

ووضع الإنسان يده على رأس الذبيحة التي يقدّمها، يعني انتقال خطـــاياه إليها. فهو يعترف بأنَّه مُذنب ومســـتحق الموت، وأنَّ الذبيحة المُقدَّمة حلَّت محله لتحمل خطـــاياه وتموت بالنيابة عنه. هذا ما عمله الربّ يســـوع تمامًا معنا، فقد أخذ على نفســـه حِمل خطـــايانا، وتألَّم بالنيابة عنَّا، وحمل القصاص الذي كنَّا نستحقَّه، أي الموت.

ونقرأ في هذا الفصل عن خطـــيَّة "**الكاهن الممسوح**" (ع٣). وعن خطـــيَّة "**كل الجماعة**" (ع١٣)، وعن خطـــية "**رئيـــس**" (ع٢٢)، وعن خطـــيَّة "**واحد من عامَّة الشعب**" (ع٢٧). يقول الرسول: «لا فرق إذ **الجميع أخطـــ**أوا وأعوزهم مجد الله» (رو ٣: ٢٣). ومع ذلك فإننا نلاحظ فرقًا؛ فالكاهن الممسوح كان يُقَدِّم عن خطـــيته ثورًا، والرئيس يقدم تيسًـــا من المعز، وأحد عامة الشعب كان يقدم عنزًا أنثى. وهذا معناه أن خطـــية الكبير كبيرة، وأنه على قدر ارتفاع الامتياز تزداد المسؤولية.

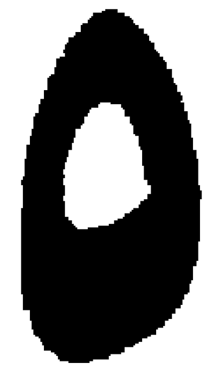
يقول الرسول: «لأنَّ الله أغلق على الجميع معًا في العصيان لكي يرحم الجميع» (رو١١: ٣٢). فهـــو يرى أكثر الناس ذنبًا، وكذلك الأمنـــاء في طبقة واحدة، كذلك المجرمين وأنا وأنت.

لاحظ أيضًا ما ورد في ع٢٣، ٢٨ "أُعلم بخطـــيته التي أخطـــأ بها". إنها إشارة إلى خدمة غســـل الأرجل، والتي تتضمن مســـاعدة أخي المؤمن ليكتشف خطـــأه، وبالتالي يحكم عليه (يو ١٣: ١).

أخيـــرًا لاحظ تكرار عبـــارة "فيُصفح عنـــه" (ع٢٦، ٣١، ٣٥). هذه هي إجابة

الرب على الخطـــايا المعترَف بها، فإنه على حساب دم الذبيحة يصفح عن المذنب. والتعليم نفسه في العهد الجديد. «دم يسوع المسيح ابنه يطــهرنا من كل خطــية... إن اعترفنا بخطــايانا» (١يو ١: ٧، ٩).

† التطبيق الروحي على الخطية العمدية في الوقت الحاضر هو ترك المســيح نهائيًا (عب ١٠: ٢٦). هذه الخطية ليس لها غفران. لكن أية خطية أخرى، بل أشرّ الخطــايا، ينظر الله إليها على أنها خطــايا جهالة (أع ٣: ١٧؛ ١تي ١: ١٣).



ع١-١٣ : حالات خاصة لذبيحة الخطية

الأعداد مــن ١ -٤ تقدِّم لنا بعض الحالات الخاصة التــي كان ينبغي التكفير عنها. وقد نعتبر أن هذه الحالات ليســت خطــيرة إلى الدرجة التي تحتاج إلى تكفير: وهي أن يلمس شخص شيئًا نجسًا، أو أن يسمع الحلف ولا يتكلم، أو يفرط بشفتيه للإساءة أو للإحسان. لكن تقدير الله يختلف عن تقديرنا نحن. وينبغي في كل الأحوال الاعتراف بالخطــإ (ع٥)، متبوعًــا بتقديم ذبيحة (ع٦). وما زالت هذه هي الطريقة حتى اليوم، كما يخبرنا الرســول يوحنا، فينبغي أيضًــا أن نعترف بالخطــية (١يــو ١:٩)، وأما بالنسبة للذبيحة فنحن في غنى عن تقديمها، لأن ذبيحة المسيح، التي قُدِّمت مرة واحدة، ما زالت فعَّالة، وســتظل دائمة الأثر. وعليه فإننا إن اعترفنــا بخطــايانا فالله أمين وعادل حتى يغفر لنا خطــايانا ويطــهِّرنا من كل إثم (١يو ١: ٩).

والأعداد مــن ٧ إلى ١٣ توضِّح أن ليس كل ما يُؤتى بــه إلى الله واحد للجميع.

فشخص يُقدِّم "شـــاة"، وآخر "يمامتين" وثالث "عُشر الإيفة من دقيق". لا نُدرك كلّنا قيمة عمل الصليب بنفــس الدرجة. المهم قيمته عنـــد الله وكفايته لمحو خطـــايانا. لذلك لا نســـتغرب أو نفشـــل إذا لم نفهم الكل مرَّة واحدة، ولنقرأ هذه الصفحات التي عُني الله بأن يكتبها لنا، فهي تحمل حقائق ثمينة سنعرفها تمامًا ذات يوم «الآن أعرف بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت» (١كو ١٣: ١٢).

ع١٤-١٩ : ذبيحة الإثم

تحدّثنا هذه الأعداد مـــع الأعداد الأولى من ص٦ عن الذبيحـــة الرابعة، "**ذبيحة الإثم**". وهي مشغولة ليس بذنب الخطـــية، بل بنتائجها. لذلك ففي هذه الذبيحة كان ينبغي ردّ المسلوب، مع إضافة الخُمس عليه، علاوة على تقديم الذبيحة المطلوبة.

وتُعلِّمنا الرسالة إلى رومية أنَّ الله يتعامل مع أمرين: فحتى أصحاح ٥: ١١ نقرأ عن الخطـــايا؛ ثم مـــن أصحاح٥: ١٢ إلى أصحاح ٨ يتكلم عـــن الخطـــيَّة. ومن المُفيد أن نعـــرف الفرق بين كلمة "الخطـــيَّة" بالمفـــرد، وكلمة "الخطـــايا" بالجمع. الخطـــايا هي الثمر الرديء لشـــجرة رديئة تُسمّى "الخطـــيَّة". فالتخلص من الثمر لا يكفي، طـــالما الشجرة موجودة لتعطـــي ثمارًا أخرى. الله يدين الشجرة والثمرة أيضًا. فهو يدين الخطـــيَّة، أي الطبيعـــة العتيقة التي فينا، وكذلك الخطـــايا الناتجة عنها. وعمل المســـيح على الصليب يشمل الاثنين. هذا هو السبب في وجود ذبيحة خطـــيَّة عن (أصل الفعل وذنبه)؛ وذبيحة إثم (عن الفعل ونتائجه). والرب يســـوع بموته فوق الصليب، أزال الذنب وعالج النتائج.

وهناك مبدأ خطـــير في ع١٧، وهو أن أســـاس الدينونة ليس علم الإنســـان، بل كلمة الله. والذين يقولون إنهم لم يخطـــئوا، قصدهم أنهم لم يشعروا بتأنيب الضمير على ذنب عملوه، لكن الفارق بين الأمرين كبير جدًا.

والآن تأمَّل الفرق الكبير بين حال الإسرائيلي قديمًا وحالنا نحن الآن. كان الإسرائيلي يخشى دائمًا أن يكون قد نسيَ خطـيَّة ارتكبها سهوًا، وما أن ينتهي من تقديم ذبيحة، حتَّى يرى نفسه مضطرًا لتقديم ذبيحة جديدة بسبب سقوط جديد. وبالأسف الشديد فإنه رغم نور المسيحية ونعمة الله العجيبة التي ظهرت، ما زال حتى اليوم أُناس عائشين في قلق مستمر من جهة خلاصهم، ويعتقدون أنَّه عليهم أن يُقدِّموا شيئًا لله: عطاياهم وأعمالهم، دون أن يتأكَّدوا مُطلقًا أنَّهم عملوا ما يكفي لإرضاء الله. لقد تعلَّموا أنَّه لكي يحصلوا على الغفران، يلزم الاعتراف على يد كاهن - بدون نسيان أي شيء من خطاياهم. إنَّه همّ وعناء للنفس التي لا تعرف كفاية النعمة الإلهية. ومن الجانب الآخر، يا له من فرح لنا أن نخلص من هذا الخوف المستمر بسبب التأكُّد أنَّ **الربّ يسوع قد تمَّم كل شيء لنا!**

٦

ع١-٧: تتمة ذبيحة الإثم

الجزء السابق من أصحاح ٥ حدثنا عن خطايا ضدّ الله (٥: ١٥، ١٧)، لكن هنا يحدثنا عن خطايا ضدّ القريب (ع٢، ٣). كثيرًا ما يكون قلقنا بالنسبة للأولى أقل من قلقنا بالنسبة للأخيرة، مع أنه كان يجب أن يكون الأمر غير ذلك. عندما كان الشخص يرتكب خطأً ضدّ قريب، لم يكن يُصحِّح فقط، بل كانت تُقدَّم أيضًا ذبيحة للربّ (ع ٦، انظر مزمور ٥١: ٤). ومن الناحية الأخرى لا يكفي فقط أن نصلح موقفنا مع الله، بل يجب أيضًا إصلاح الموقف مع القريب (ع٥). هذا ما فهمه زكا رئيس العشارين عندما دخل المسيح بيته (لو ١٩: ٨).

الارتباط والفروق بين الذبائح والتقدمات في سفر اللاويين

القربان	المدلول	الإنجيل المُقابل	الجانب الإلهي
المحرقة	طاعة المسيح حتى الموت	إنجيل يوحنا	مقاصد الله
قربان الدقيق	حياة الكمال في عالمٍ معادٍ	البشائر الأربع، لا سيما لوقا ويوحنا	شبع الله
ذبيحة السلامة	إيجاد الشركة للخطاة مع الله	إنجيل لوقا	قلب الله
ذبيحة الخطية	علاج أصل المشكلة (الخطية)	إنجيل مرقس	طبيعة الله
ذبيحة الإثم	علاج ثمار المشكلة (الخطايا)	إنجيل متى	حكومة الله

ع٨ـ ٣٠: شرائع التقدمات المختلفة

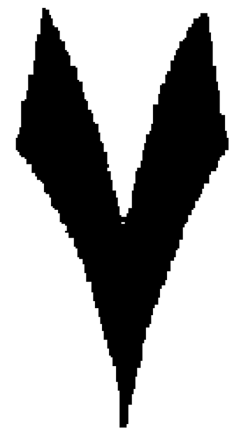
من لاويين٦: ٨ إلـــى ٧: ٣٨ تأتي أمامنا مرة أخرى الذبائح الأربع المتميِّزة، مع قربان الدقيق. والوحي هنا لا يعيد ما سبق أن ذكره عن هذه الذبائح، أي متى تُقَدَّم، بل يعطـــينا شريعة كل واحدة منها، أي الطريقة التي يُقدِّمها بها الكاهن.

يبدأ بشريعة المحرقة (ع٨ -١٢)، ويخبرنا أن المُحرقة "دائمة" (ع١٣؛ خر٢٩: ٤٢).

وبعدها يذكر شـــريعة التقدمة (ع١٤ -٢٣)، وكان قربـــان التقدمة أيضًا "فريضة دهرية في أجيالكم" (ع١٨).

تلي ذلك شريعة ذبيحة الخطـــية (ع٢٤ -٣٠). ولقد سبق أن أشرنا إلى مخاوف الإســـرائيلي الذي كان في شكّ مســـتمر من جهة قبوله الكامل أمام الله، رغم الذبائح التي كانت تُقدَّم علـــى الدوام (عب ١٠: ١). ويُوضِّح لنا هذا الأصحاح نفســـه من الرســـالة إلى العبرانيين، أن الكاهن كان يقوم كل يوم، يخدم ويُقدِّم مرارًا كثيرة تلك

الذبائح عينها - وعمله لا ينتهي أبدًا. على النقيض من ذلك فإن الربّ يسوع «بعدما قدَّم عن الخطـايا **ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد** عن يمين الله» (عب١٠: ١١،١٢). ويُرينا أيضًا مرقس ١٦: ١٩ أنَّ المسيح دخل الآن إلى راحته.



تتمة شرائع الذبائح

يبدأ هذا الفصل بشريعة ذبيحة الإثم (ع١ -١٠). ولقد كانت كل من ذبيحة الخطـية وذبيحة الإثم "قدس أقداس" (ص ٦: ٢٩؛ ٧: ٦). لو لم يكن الربّ يسـوع هو الحَمَل "القدوس" ما كانت ذبيحته ذات فائدة، لكنه كان الشخص الذي عند دخوله إلى العالم قيل عنه: «القـدُّوس المولود منكِ» (لو١: ٣٥). وفي حياته أظـهر تلك القداسـة المُطلَقة التي برهنت على أنَّه الذبيح القدُّوس الوحيد لأجل الخطـيَّة والخطـايا.

ونقرأ في الأعداد من ١١ -٣٨ عن شـريعة ذبيحة السَّـلامة: وهذه الشريعة توضِّح لنا الشروط الواجب توافرها للتمتع بالشركة المسيحية. إنها تحدثنا عن الشكر (ع١٢؛ ١كو١٠: ١٦)؛ وعن الانتداب والفرح (ع١٦؛ ٢كو٨: ٤)؛ وينبغي ألا يكون لها أدنى علاقة بالنجاسة (ع٢١). وبينما ذبائح الخطـيَّة تُقدَّم عن الشخص غير الطـاهر، فإن الإسرائيلي الطـاهر فقط هو الذي في مقدوره أن يشترك في ذبائح السَّلامة. وبينما كل من مسّ ذبيحة الخطـيَّة يتقدَّس (ص٦: ٢٧)، فإن أي شـيء غير طـاهر كان يُنجِّس ذبيحة السَّـلامة (ص٧: ١٩). والمعنى الروحي لهذا الاختلاف واضح. فالخاطـئ الهالك يأتي إلى المسيح فيتقدَّس. هذه هـي فكرة ذبيحة الخطـيَّة. أما ذبيحة السَّـلامة فإنها تخصّ المؤمنيـن فقط، وتكلِّمهم عن الشـركة (انظر ١كورنثوس١٠: ١٨). هذه الشـركة المباركة، وهذا الفرح الذي ينبغي أن

نجده دائمًا في الربّ يسوع، يمكن أن ينقطـــع إذا تنجسنا بخطـــيَّة لم نعترف بها.

والشـــيء نفســـه مع مائدة الربّ التي هي تعبير خاص عن الشركة بين المقدسِين. نتعلَّم من ١كورنثوس١١: ٢٧ - ٣٠ أنَّ الله يدين الذين يشتركون بدون استحقاق في عشـــاء الربّ، أو بعبارة أخرى، الذين يأتون إليه بدون أن يحكموا على أنفســـهم في نور الكلمة وفي حضرة الله.

وكتعبير عن هذه الشـــركة العجيبة كان لكل واحد نصيب فـــي هذه الذبيحة. فأولاً كان **الشحم والدم** (كالعادة) يخصَّان الله وحده. في كلمة الله يُمثِّل الشحم القوَّة الداخلية والنشاط والإرادة التـــي تحكم القلب، كما أن الـــدم هو قوام الحياة. مع الربّ يســـوع كانت إرادته خاضعة تمامًا للآب، وكانـــت حياته بجملتها له. وهذا أيضًا مطلـــوب من كل مؤمن، أن تكون قوَّة إرادتنا، وحياتنا كلها ملكًا لله (١كو١٠: ٣١). يلي ذلك أن هارون وبنيه كان لهم صدر الترديد (ع٣٠،٣١)، والساق الرفيعة (ع٣٢،٣٤)، مما يدل على أن عواطف القديس ومحبته وكذلك قدرته يجب أن تتجه للرب يسوع. وأخيرًا فإن مقدِّم الذبيحة كان له نصيبه في هذه الذبيحة، هو وكل طـــاهر (ع١٩). فما أروعها شركة في الذبيحة الواحدة!



تقديس الكهنة

في الســـبعة الأصحاحات الأولـــى تأمَّلنا في الذبائـــح، والآن نصل إلى موضوع الكهنوت. ويمكن القول إنه بينما **الخاطـــئ يحتاج إلى ذبيحة**، فإن **المؤمن يحتاج إلـــى كاهن**، يمكنه بواسطته أن يمارس خدمة الســـجود الموكولة إليه. ونحن لنا في

المسيح الأمران: (١) فهو الذي **قدَّم نفســه، الذبيحة الكاملة، ليُدخلنا في علاقة مع الله.** (٢) وهو أيضًا **رئيس الكهنة العظـيم الذي يحفظنا في هذه الشــركة.** وطبعًا كان ينبغي أن يكون هو الذبيحة قبل أن يكون الكاهن.

في خـروج ٢٩ رأينا التعليمـات المُعطـاة من الله لموســى بخصوص تقديس هارون وبنيه. والآن جاء الوقت لإتمام هذا الاحتفال. ولقد دُعيت جماعة إســرائيل إلى باب خيمة الاجتماع لتشهد هذا الاحتفال، وتشاهد هارون وهو يلبس ثياب المجد والبهاء. وبنفس الطريقة نحن كمؤمنين مدعوون في رسالة العبرانيين، التي يدعوها البعض "رسالة السماوات المفتوحة"، لكي نلاحظ «رسول اعترافنا ورئيس كهنته... **يسوع**» (عب ٣: ١).

في هذا الأصحاح نحن نجـد، مرَّة أخرى، هارون مع بنيه، وهذا يجعلنا نفكّر في ذاك الذي لا يستحي أن يقرننا مع نفســه، داعيًا إيَّانا إخوة. ومن جانبنا لنحذر نحن من أن نستحي أمام العالم بعلاقتنا بالربّ يسوع (مر ٨: ٣٨).

وفي هذا الأصحـــاح نجد أن فكرة ترديد الذبائح أمام الـــربّ تُذكر كثيرًا. ونحن مدعوون أن نُقدِّم لله كل وجوه الذبيحة الكاملة، التي نأتي بها أمامه، في كلامنا له عن الأمجاد المتنوِّعة للربّ يسوع وعمله الكامل.

صدر كبش الملء الذي كان الجزء الخاص بموســى، كان يُـردَّد أيضًا. يمكننا أن نــرى في ذلك الأوجه المختلفة لمحبة الربّ يســوع، والتــي كانت مصدر وقوة تكريسه لله، كقوله له المجد: «ليفهم العالم أني أحب الآب، وكما أوصاني هكذا أفعل» (يو ١٤: ٣١). وهكذا أيضًا معنا، فإن السبب نفسه سيُنتج النتيجة عينها. إن المحبة للرب يسوع هي التي تمدّنا بالوقود اللازم لتكريس نفوسنا له.

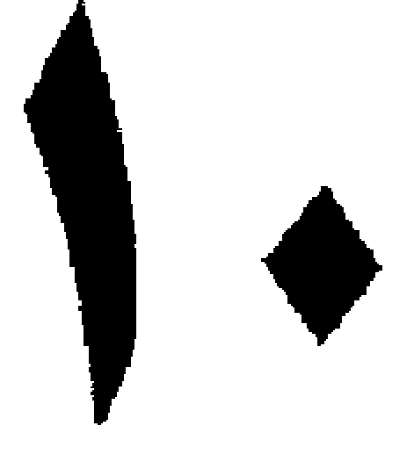
٩

رئيس الكهنة يمارس وظيفته

لقد رأينا في أصحاح ٤: ٣ أنَّ الكاهن الممسوح، وهو بحكم وظـيفته الأقرب إلى الله، ومع ذلك يمكن أن يُخطـئ أيضًا. وهنا في ع ٧ نرى أنَّ الكاهن كان يجب أن يُكفِّر عن نفســه بذبيحة، حيث كان من المستحيل أن يتعامل مع خطـايا الشعب قبل أن يسوّي مســألة خطـاياه. وبنفس الأسلوب من المُحال أن نعالج عيوب الآخرين، إذا كانت هذه العيوب فينا، لأنَّ كلماتنا تكون بلا قيمة؛ بل لكي نقدر أن نُخرج القذى من عين أخينا، يجب أوَّلاً أن نُخرج الخشبة التي في أعيننا (مت ٧: ٣ -٥).

وبالرجوع إلى هارون، نقرأ في عبرانيين ٥: ١ - ٣ «كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس... إذ هو أيضًا مُحاط بالضعف... يلتـزم أنَّه كما يُقدِّم عن الخطـايا لأجل الشعب، هكذا أيضًا لأجل نفسه». ولكن في طريق المفارقة، يقول عن رئيس الكهنة العظـيم الذي لنا: «لأنَّه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطـاة، وصار أعلى من السـماوات. الذي ليس له اضطرار كل يوم، مثل رؤســاء الكهنة، أن يُقدِّم ذبائح أولاً عن خطـايا نفســه، ثم عن خطـايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة، إذ قدَّم نفسه» (عب ٧: ٢٦، ٢٧).

وفي نهاية الأصحاح نرى كيف، وقد تمت الكفارة، وحُسِـمت مسـألة الخطـية، أمكن لهارون أن يرفع يديه بالبركة للشــعب (ع٢٢ قارن مع لوقا٢٤: ٥٠، ٥١). ثم تراءى مجد الرب لكل الشــعب، وهتف كل الشــعب بفرح. وهذه أيضًا هي نتائج عمل المســيح فوق الصليب بالنسبة لشعب الله. فليتنا نقدر تلك النتائج العظـيمة، ونتجاوب معها بفرح القلب!



خطية ابني هارون وتوابعها

لقد تذكَّرنا، ونحن ندرس الأصحاح السابق، أنَّ الكهنة المأخوذين من الناس يمكن أن يُخطئوا. وبكل حزن لم يمضِ وقت طويل حتَّى حدث ما يُثبت ذلك. في كل مرَّة يدخل الإنسان في علاقة جديدة مع الله، يُثبت أنَّه غير جدير بها: في جنَّة عدن (تك٣)، ثم في خيمة نوح بعد الطوفان (تك٩)، وعند أسفل جبل سيناء مع العجل الذهبي (خر٣٢)، وهنا أيضًا عند تأسيس الكهنوت في خيمة الاجتماع للجماعة - في كل مرَّة نتعلَّم هذا الدرس عينه: "كلَّما أنشأ الله أي شيء، يكون جميلاً. وأول شيء يعمله الإنسان دائمًا هو أن يُفسده" (من مقدِّمة ترجمة الكتاب المقدَّس لداربي).

في الأصحاحات السابقة عُمل كل شيء كما أمر الربّ. وتتكرَّر هذه العبارة في أصحاحي ٨، ٩ أربع عشرة مرة. لكن هنا ابنا هارون، "ناداب وأبيهو"، فعلا **ما لم يأمرهما الربّ به** (ع١). وما أن تقدَّسا حتَّى قدَّما أمام الربّ **نارًا غريبة، لم تأتِ من على المذبح**. قد يبدو لنا القضاء الذي وقع عليهما رهيبًا. على أيَّة حال، يجب أن نتعلَّم أنَّه في أمور الرب، علينا أن نتبع تمامًا تعليمات الرب، لا استحساننا نحن (٢صم ٦: ٣).

في الأصحاح السابق التهمت نار الله الذبيحة التي قُدِّمت، وأما هنا فإن النار عينها التهمت من استهانا بها. وهذا يذكِّرنا بنار الله التي نزلت على جبل الكرمل، وأكلت الذبيحة التي قدَّمها إيليا النبي، ثم بعدها بفترة وجيزة نزلت نار الله وأكلت الخمسين ورئيسهم الذين أرسلهم ملك إسرائيل لإلقاء القبض على رجل الله (١مل ١٨: ٣٨؛ ٢مل ١: ١٠، ١٢).

ويأتي النهي عن شرب الخمر والمسكر تاليًا لخطية ابني هارون (ع٨-١١)،

فيبدو أنهما لم يكونا في وعيهما عندما قدّما نارًا غريبة، فجلبا على نفسيهما القضاء المريع. وهكذا فإننا في سجودنا لا يجوز لنا تهييج عواطفنا بمؤثّرات خارجية، بل أن نستمد سجودنا فقط من النار التي التهمت ذبيحة المسيح فوق الصليب.

فكرة:
كما شوه الخمر البركة التي بدأ بها عالم ما بعد الطوفان (تك٩: ١، ٢١، ٢٤، ٢٥)؛ هكذا شوه الخمر هنا مشهد البركة الجميل الذي خُتم به لاويين ٩.

وفي آخر الأصحاح نتعلم أنه كان يجب أن تُؤكل ذبيحة الخطيَّة في القدس (ص٦: ٢٦؛ ص١٠: ١٣ - ١٧). من هذا نتعلَّم أنَّه عندما نتعامل مع الشر، يجب أن نعمل ذلك **كأنَّنا واقفون أمام الله**. في العالم يتهكَّم الناس على الخطيَّة ويستخفُّون بها ويضحكون على سقطات الآخرين ويروونها بتهكم. أما أولاد الله فإنهم يعرفون بشاعة الخطية في نظر الله، وما سببته لربنا يسوع المسيح، ويتصرّفون بموجب ذلك.

ومع ذلك فإننا هنا نجد كيف يتعامل الله بالرحمة أمام ضعفاتنا، عندما لا يكون هناك تمرّد على مطالب قداسته وبره.

وبالرجوع مرَّة أخرى إلى رسالة العبرانيين، التي تُعطينا مفتاحًا لفهم هذه الرموز، نستريح إذ نرى المفارقة بين الذين يُقدِّمون قرابين حسب الناموس، وبين الذي حصل على خدمة أفضل، بمقدار ما هو وسيط أيضًا لعهد أعظم، قد تثبَّت على مواعيد أفضل (عب ٨: ٤، ٦). من جانب الإنسان **فشل**، لكن الله رأى لنا شيئًا أفضل، **وشخصًا** أفضل.

ع١٩) «هل كان يحسن في عينَي الرب؟». كان هارون حزينًا على موت ابنيه، فهل كان يصلح الأكل من الذبيحة وهو في هذه الحالة؟ أما كان يُعتبر عمله هذا عملاً روتينيًا لا عمق روحي فيه؟ فهل كان هذا يُسر الله؟



الأطعمة الطاهرة وغير الطاهرة

لقد أوضح المسـيح الفكر الإلهي بخصوص الأكلات، عندما قال: ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسـان، بل ما يخرج من الفم، هذا ينجس الإنسان (مر ٧: ١٥-٢٣). فالمسـيحية ليس فيها مثل هـذا التمييز بيـن أكلات وأكلات (قـارن ١تي ٤: ٤؛ ١كو١٠: ٢٥)؛ كما أن الرسول بطرس رأى السـماء مفتوحة، وإناءً نازلاً عليه مثل ملاءة عظـيمة فيها كل أنواع الحيوانات ودواب الأرض وطـيور السـماء، وقيل له: «قُم يا بطرس اذبـح وكُل» (أع١٠: ٩-١٦). على أن الفارق المذكور هنا بين الحيوانات الطـاهرة والنجسة له تطبيق روحي هام.

أوَّلاً: يجـب أن يكون ضميرنا قـادرًا على التمييِّز بين ما هـو طـاهر وما هو نجس، بين ما يضرّنا ومـا يصلح لأن يكون طـعامًا لنفوسـنا. عادة نحن نعرف جيّدًا ما تسـتطـيع معدتنا أن تهضمه، فليتنا نلاحظ بأكثر اعتناء ما يدخل إلى **آذاننا وعيوننا**، أكثر ممَّا يدخل فمنا.

بينما المؤمن يجب أن يكون بسيطـًا ويقنع بسـهولة بما يُغذّي جسده، ينبغي أن يكون دقيقًا جدًّا فيما يختص بتغذية روحه، التي يمكن أن تتسـمَّم بكتاب أو جريدة أو صور غير طـاهرة. قد توجد الحيَّة مختبئة داخلها. ليتنا لا نتردَّد في تسـمية هذه **رجسًا**، وليُعطنا الربّ عينًا بسيطـة وقلبًا مملوءًا بمحبَّته.

يُذكر في هـذا الأصحاح أربعة مجموعـات من المخلوقـات ذات النفس الحيَّة: الحيوانـات ذوات الأربع (ع١-٨)؛ الأسـماك (ع٩-١١)؛ الطـيور (ع١٣-٢٨)؛

الدبيب الذي يدب على الأرض (ع٢٩ -٤٥).

بالنسبة **للحيوانات** تُعتبر طــاهرة إذا توفَّر فيها شرطــان: (١) أن تجتر، (٢) أن يكون لها ظلف مشقوق. ونحن نفهم أنَّ طــهارة المؤمن تتوقَّف على: (١) الطريقة التي بها يتغذَّى روحيًا، (٢) والطريقة التي بها يسلك.

وبالنسـبة **للأسـماك** يجب أن يتوفر فيها شـيئان لتكون طــاهرة: (١) زعانف، (٢) حرشــف. الزعانف **للمقاومة** ضد قــوَّة التيار، والقدرة على توجيه نفســها. والحُرشف يزوّد الجســم **بالحماية**، فهي درع الأســماك ضدَّ **المياه الآسنة العفنة**. وهكــذا لكي يبقى المؤمــن الحديث طــاهرًا، يلــزم أن تكون عنــده المقاومة ضدَّ جاذبيات العالم وما يُقدِّمه، والمناعة الكافية ضد **الفساد الذي في العالم**.

والطــيور غير الطــاهرة هي التي تتغذَّى على اللحم والجيف. ونحن إذا أطلقنا العنان لكي تتغذى أرواحنا على ما يُشبع ويرضي الجسد، أو إذا لم نُبالِ، وتناولنا كل ما يقدّمه الإعلام من مواد دون فحص أو تمييز، فإننا حتمًا سنقود أنفسنا إلى التنجس بهذه الأشياء.

وأخيرًا توجد **الزواحف** وما على شــاكلتها من **الدبيــب** الذي يدبّ على الأرض، وفيها نرى صورة لقوى الشــر، وهــي مكروهة (ع٤٢)، ويذكِّرنا بقول الرســول: «كونوا كارهين الشر» (رو ١٢: ٩).

الأعداد مــن ٣٢ -٤٠ ترينا كم من أشــياء جيدة قد تتنجس وتفســد بفعل الحية وما على شاكلتها. فليتنا نسهر على حالة نفوســنا، كما كان الإسرائيلي التقي قديمًا يتحذر تمامًا من أن يدخل فمه دنس أو نجس (أع ١٠: ١٤).

يخبرنــا ع٣٦ أن العين والبئر وما شــاكل ذلك، حيث توجد الميــاه بكثرة، تبقى طــاهرة، وهذه رموز لكلمة الله. وإذا تشــبَّع المؤمــن الحديث بها، يبقى طــاهرًا،

ويمكنه أن يُزكّي (يطـــهّر) طريقه (مز ١١٩: ٩).

ع٥) **الوبر**: حيوان صغير برّي يشبه الأرنب.

ع١٣ -١٩) **الأنوق**: طـــائر كاســر كبيــر. **العُقاب**: من الجـــوارح البحرية، من فصيلة الصقور ويتغذى على الســمك. **الباشــق**: من الطيور الكاســرة. **الظليــم**: ذكر النعام. **السأف**: النورس. **الباز**: من فصيلة الصقور. **الغواص**: طـــائر مائي كبير، تحت منقاره جراب، يضع فيه صيده من الأسماك. **الكركي**: طـــائر طويل الساقين، أغبر اللون، قليل اللحم. **القوق**: طـــائر مائي طويل العنق يأكل المسـمك. **الرخم**: طـــائر جارح يشـــبه النسر. **اللقلق**: طـــائر طويل المنقار والساقين، أبيض الريش، أسود الجناحين.

ع٢٩، ٣٠) **الضـــب**: حيوان زحاف. **الحـــردون**: حيوان زحاف. **الورل**: حيوان زحاف يشبه الحرذون، لونه أسمر، فيه بقع صفراء وخضراء. **الوزعة**: نوع من الزحافات يشبه الحرباء. **العظـــاية**: حيوان زحاف يشبه الضب.

١٢

تطهير المرأة الوالدة

حذَّرَنا أصحاح ١١ من النجاســة المحيطــة بنا، ولكن هذا الأصحاح يوضِّح لنا أن الخطــية ليســت فقط حولنا بل إنهــا فينا، وأكثر من ذلك إننـــا ولدنا بها «هأنذا بالإثم صوِّرت، وبالخطــية حبلــت بي أمي» (مز ٥١: ٥). وطبيعة آدم الخاطــئة توارثتها الأجيال، جيلاً بعد جيل. ولذا فإن المولود يحوي في داخله طبيعة الشــر، قبل أن يكون قادرًا علـــى التعبير عنها. وعليه فإنه يحتاج إلى كفارة المســيح مثل الشخص البالغ بالتمام.

ولعله من الملاحظ أن المرأة الوالدة هي التي تكون نجسة، وليس الطفل المولود. فلقد كان فكر الله فـي ذلك المولود "القدوس" الذي لا يمكـن أن يكون له أية علاقة بالنجاسة (لو ١: ٣٥).

وأما لماذا تكون نجاسـة المرأة التي تلد أنثى ضعف نجاسة من ولدت ذكرًا؟ فقد تكون الإجابة عنه أن الشيطـان اسـتخدم المرأة لإدخال الخطـية إلى العالم، كقول الوحي: «آدم لم يغوَ، لكن المرأة أغويت» (اتي٢: ١٤). والبعض ينظر إلى الأنثى على أنها ستكون، بعد بلوغها، منتجة للبشر بالولادة، وعليه فإنها ستزيد النجاسة في الأرض، ولذلك فهي تستلزم ضعف مدة التطـهير في حالة الذكر.

ويُختم الأصحاح (ع٨) بتشـريع خاص للفقراء. فعوض أن تُقَدِّم الأم خروفًا حوليًا (ابن سـنة)، تُقَدِّم حمامة أو يمامة. والعجيب أن هذه هي الذبيحة التي قدَّمتها المطوَّبة مريم، عندما ولدت الشريف الجنس، الذي من أجلنا افتقر وهو غني (لو٢: ٢٢-٢٤)!

١٣

ع١-٤٦: ضربة البرص

يتعامل الأصحاحان ١٣، ١٤ مع ضربة البرص. ونحن نعرف من كلمة الله أن البرص رمز للخطـيَّة من حيث كونها نجاسـة. وهو مرض مُرعِب ومُعدٍ ومُميت وغير قابل للعلاج، وبالاختصار هو موت بطـيء. وفي نظر الله الخطـيَّة لها هذه الصفات عينها، والله يريدنا أن نرى الأشياء كما يراها هو.

والبـرص عُرضة أن يظـهر حتى فـي أولاد الله. وأعتقـد أن كل من الكاتب

والقارئ يعرف ذلـــك عن يقين. وفي كلمة الله نقرأ عن حالات معيَّنة ظـــهرت فيها ضربة البرص: فمريم أخت هارون ضُربت بالبرص بسبب **خطـــية الثلب** (عد ١٢: ١٠)، وجيحزي بسبب **خطـــية الطمع** (٢مل ٥: ٢٧)، والملك عزيا بسبب **الكبرياء الروحي** (٢أخ ٢٦: ٢٠).

كان هناك مظـــهران لضربة البرص، بناء عليهما يحكم الكاهن بنجاسة الشخص: الأولى "**شـــعر قد ابيَضَّ**"، وهي ترمز للتدهور الروحي الحادث في الشخص، نتيجة انقطـــاع الشـــركة مع الله؛ والمظـــهر الآخر هو "**ضربة أعمـــق من الجلد**"، وتدل روحيًا على أن الســـقطـــة لم تكن مجرد زلَّة، بل تمثل تغلغل حالة المرض في قلب الإنسان.

لكننا هنا نلاحظ شيئًا لافتًا للنظر، وهو أن بقعة صغيرة كانت تكفي للحكم بنجاسة الشخص وإبعاده إلى خارج المحلة، أما إذا غطـَّـى البرص جسم المريض كله، فكان يحكم الكاهن بطـــهارة الشـــخص (ع١٣). نعم، إنَّه هكـــذا بنعمة الله مع الخاطـــئ الذي يعترف بحالته. ولنقارن هذا الوضع بما قالـــه المرنم في المزمور: «أعترف لك بخطـــيتي ولا أكتم إثمي... وأنت رفعت آثـــام خطـــيَّتي» (مز ٣٢: ٥). ربَّما غطـَّـى الأبرص الأجزاء المريضة لفترة، أمَّا الآن فلا يقدر أن يخفي شيئًا - عندما نصل إلى هذه النقطـــة ونعترف بأنَّنا نجسون تمامًا، يبدأ الله يعمل، ويحكم بطـــهارتنا بفضل عمل المســـيح. من النَّاحية الأخرى **ظـــهور لحم حي يجعل الإنسان نجسًا**، فهو يرمز إلى المجهودات الفاشلة للطبيعة العتيقة لإصلاح نفسها.

هناك أمراض معيَّنة في الجلد كانـــت تظـــهر كبداية برص، مثل القُرحة والكي والورم أو الانتفـــاخ والالتهاب والطفح الجلدي أو الصلـــع. وكان المريض يُحجز ســـبعة أيام، ويُفحص بعدها للتأكُّـــد إذا ما كانت الحالة برصًـــا أم لا. لا يجب أن

نتسرَّع في الحكم، فالله لا يفعل هكذا، بل يستعمل قدرًا كبيرًا من الصبر معنا قبل أن يثبِّت الذنب على أحد.

لاحـظ أنَّ المريض لم يكـن يُعطـي رأيه، بل الكاهن هو الـذي يرى المريض ويحكم بطبيعة المرض. ما يفتكره الإنسان في نفسـه ليس له اعتبار. قد لا يشعر الواحد بشيء، ويرى نفسـه في صحَّة كاملة، بينما يكون مريضًا بمرض خطـير. كم من أُناس يجهلون حقيقة كونهم مرضى بالخطـية. إنهم لم يعرفوا حقيقة حالتهم في ضوء كلمة الله. إنهم لم يقفوا مطلقًا أمام الكاهن ليحكم عليهم. ترى ما هو حكم الله على الإنسـان في الجسد؟ الإجابة نسمعها على فم إشـعياء: «كفّوا عن الإنسان الذي في أنفه نسـمة، لأنَّه ماذا يُحسـب» (إش٢: ٢٢). لكن حمدًا لله فالكاهن الذي حكم بنجاسـة الإنسـان، صار بالنعمة الطبيب العظـيم الذي يقدر أن يعالج من كل ضربة مهما استعصت (لو ٥: ٣١).

كانت حالة الأبرص في إسـرائيل تدعو إلى الرثاء. كان يُـطرَد خارج المحلة بدون رجاء في الرجوع، ويكون معزولاً عن عائلته ومُجبَرًا أن يُعلن حالته من على بُعد صارخًـا «نجس نجس» (ع٤٥). فهو في نفيه خـارج الجماعة صورة لِما كنَّا نحن عليه «أجنبيين عن رعويَّة إسـرائيل... بلا رجاء» (أف ٢: ١٢)، لكن شـكرًا للرب إذ يضيف الرسـول «أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح» (ع١٣). وهذا هو عمل التطـهير.

في أيَّام الربّ يسـوع في الجسـد على الأرض، أتى كثيرون من هؤلاء البُرص إلى السيد، طـالبين الرحمة، فوضع يده عليهم وشفاهم دون أن يتنجَّس هو بلمسهم. كانـت محبَّته تُريد خلاصهم، وقوّته كانت قادرة أن تشـفيهم تمامًا. انظر العشـرة رجال البُرص في لوقا ١٧، والأبرص في متَّى ٨.

ع٤٧-٥٩ : برص الثياب

وهذه تمثل صورة للشــر الذي يمكن أن يزحف إلى **عاداتنا وسلوكنا**. فكم ينبغي أن نكون حريصين ساهرين ضدّ كل شر. «**فيحرق الثوب**» أو بعبارة أخرى، علينا أن نرفض كل شيء غير طـــاهر في سلوكنا كمؤمنين.

ع٢) **ناتئ**: ورم. **قوباء**: طفح جلدي. ع٣٩) **بهق أو بهاق**: بياض الجلد.

ع٤٨ -٥٩) **السدى واللحمة**: الخطوط الطولية والعرضية في النسيج. ع٥٥) **نخروب في جُردة**: ثقب في سطـــح الثوب.

١٤

ع١ ـ٣٢ : شريعة تطهير الأبرص

لم يكن هناك وســيلة لعلاج البرص، أما إذا تداخل الله بنعمته وطـــهّر الأبرص، فكانت هناك خطوات يجــب اتّباعها لإرجاع الأبرص المعـــزول خارج المحلة إلى الشــركة مع الرب ومع الشــعب. فكان الأبرص يُحضَر إلى الكاهن. لاحظ الدور البسيط، ولكن الذي لا غنى عنه، للصديق الذي أحضر الأبرص للكاهن الذي سيحكم بطـــهارته. إنّه شـــيء مبارك وثمين أن يســتخدمنا الله لنُحضر خطـــاة إلى الربّ يسوع، وهي خدمة يستطـــيع كل مؤمن أن يقوم بها.

لكن إذا بقي الكاهن في الخيمـــة أو في المحلة، ما كان ممكنًا للأبرص الذي طُرد منها أن يتقابل معه. لذلـــك نقرأ: «ويخرج الكاهن إلى خارج المحلة» (ع٣). هكذا أيضًا المســيح خرج من الســماء ونزل ليقابل الخاطـــئ. لم يكن ممكنًا أن نخطو

خطوة واحدة نحوه، لذلك أتى هو نازلاً كل الطريق إلينا.

ثم تُعطى لنا هنا تفصيلات التطهير. عصفوران: يُذبح الأول على ماء حي؛ والعصفور الآخر يُغمس في دم العصفور المذبوح والماء. العصفوران معًا يحدثاننا عن علاج الله العجيب لخطيَّة الإنسان: **موت الربّ يسوع** في ذبح العصفور الأول، **وقيامته** في إطلاق العصفور الحي وعليه الدم، جهة السماء. كأنَّه يُعلن ذلك في نظر الله الذي رضيَ وشبع بهذا العمل.

تُعلن كلمة الله الحكم «فيطهر» (ع٧، ٩، ٢٠). لا اعتبار هنا لرأي الشخص المريض الذي شُفيَ، لكن الله يعلن أن الخاطئ الذي أتى إلى المسيح بالإيمان، صار طاهرًا ومُقدَّسًا، ويجب أن يكون هذا كافيًا له.

في الأعداد الأولى من هذا الأصحاح قرأنا عن العصفورين اللذين يكلِّماننا عن عمل الله **لأجلنا**. وفي ع٨ نجد شيئين يكلِّماننا عن عمل الله **فينا**: "الماء"، الذي يرمز لقوَّة كلمة الله المُطهِّرة؛ و"الحلاقة"، إذ كان الأبرص يحلق كل شعره، شعر رأسه وذقنه وحواجب عينيه. كل ما يتكلَّم عن قوَّة الإنسان يجب أن يُزال. ويُسمَّى عمل الروح القدس هنا الذي يقودنا للحكم على كل ما ينتج من الطبيعة العتيقة "التحرير" أو "العتق".

نتذكَّر أنَّه في تقديس الكهنة، رأينا وضع الدم على شحمة الأذن اليُمنى، وعلى إبهام اليد اليُمنى، وعلى إبهام رجله اليُمنى. وهنا أيضًا يُفعل الشيء نفسه، مع الزيت.

فكرة:
الدم والزيت كانا يوضعان على الكاهن (خر٢٩؛ لا٨)، ليمكنه الخدمة في القدس بما يتناسب مع الله؛ ويوضعان على المتطهر ليمكنه السلوك في العالم، منفصلاً عن دنسه.

ثم كان الأبرص "يُمسح" بالزيت على رأســه (ع١٨)، وهذا أمر غير عادي، فليس ســوى الملوك والكهنة، بجانب هذا الأبرص، الذين كانت تُوضع عليهم هذه المسحة المقدســة (قارن مع ١يوحنا ٢: ٢٠). ويا للعجب أن الذين كانوا برصًا ودنســين، أصبحوا الآن ملوكًا وكهنة (رؤ١: ٥، ٦)!

ع٣٣ـ٥٧ : برص البيت

صورة للخطــيَّة في جماعة محلية، أو في الكنيسة الاسميَّة العامة.

بالتأمُّل الدقيق في كنيســة أفســس في رؤيا ٢ نرى أنَّ الربّ يسوع الكاهن العظــيم، الذي عيناه كلهيب نــار، وجد هناك ضربة مريبة: هي **ترك محبَّتهم الأولى**. فيما عدا ذلك بدا كل شــيء آخر حســنًا: أعمالهم وتعبهم وصبرهم. ولقد حاول الرب مع ملاك الكنيســة إصلاح الحالة، لكنه أنــذره أنه ما لم يتم الإصلاح ســتتزحزح المنارة من مكانها. وهو الــدرس عينه الذي نجده هنا: محاولات العلاج الصبورة (ع٣٦-٤٢) يجب أن تسبق الشروع في هدم البيت (ع٤٥).

وانــظر ما الذي نتج في رؤيــا ٢؛ ٣ عن هذه البداية الصغيــرة: برص حقيقي في برغامس، حيث بعض أحجار البيت تأثَّــرت بتعليم بلعام، وأحجار أخرى بتعاليم النيقولاويين. ثم نجد انتشــار وزيادة الشر في ثياتيرا وساردس، حتَّى اضطرَّ الربّ في نهاية تاريخ الكنيســة أن يُعلن أخيرًا لكنيســة لاودكية «أنا مُزمع أن أتقيأك من فمي» (رؤ ٣: ١٦). إن «البيت الكبير» (٢تي ٢: ٢٠) للمسيحيَّة تحت المسؤوليَّة، سيُرفض ويُخرب.

١٥

كلمات هامة في هذا الأصحاح:

كلمة "النجاسة" ترد ٣٦ مرة؛ وكلمة "السيل" ومترادفاتها ٢٤ مرة؛ وكلمة "يستحم بماء" ترد ١٢ مرة.

شريعة ذي السيل

هذا الأصحـــاح الطويل مخصص لذي السيل، رجلاً كان أو امرأة، بسبب طبيعي أو مَرضـــي. وبهذا الأصحاح نصل إلى الصورة السادسة من صور النجاسة التي تشغل الأصحاحات من ١١ إلى ١٥. بدأت بنجاسة الطـــعام (ص١١)؛ ثم نجاســـة الولادة (ص١٢)؛ ثم البرص على الجســـد (ص١٣: ١ -٤٦)؛ ثم برص الثياب (١٣: ٤٧ - ٥٩)؛ ثم برص البيت (ص١٤: ٣٣ - ٥٧)؛ وأخيرًا هنا ذو السيل الذي يحدِّثنا عن نجاسة المرض أو العادات.

ونحن في نور العهد الجديد ينبغي أن نشكر الله الذي أعفانا من تلك القوانين الخاصة بالنجاسة الطقسية، لكن من الجانب الآخر علينا أن نتحذَّر من النجاسة الأدبية والروحية. ولقد أوضح الربّ يســـوع له المجد لتلاميذه، بالمُباينة مع تقليد الفريسيين المُرائين، الذين يُنقُّون خارج الكأس والصحفة (مت٢٣: ٢٥)، أنَّ «الذي يخرج من الإنســـان **ذلك ينجس الإنســـان**» (مر٧: ٢٠). وأوضح هذا الفصل عينه أن القلب هو منبع لشرور لا حصر لها، لا تتوقف ليلاً ونهـــارًا (مر ٧: ٢١؛ قارن مع تك ٦:٥؛ ٨:٢١). لقد اســـتطـــاع بطرس يومًا أن يقول للرب: «لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا» (أع ١٠:١٤). لكن لا هو ولا أي بشر غيره، استطـــاع أن يقول: "لم يخرج من فمي، أو من قلبي، قطّ شيء دنس أو نجس". وهذا ما ينبغي على المؤمن أن يفعله، أن يسهر على حالة قلبه.

١٦

كلمات هامة في الأصحاح:

كلمة الكفارة والتكفير ١٦ مرة في لاويين ١٦.

كلمة "الغطاء"، وهي من نفس المصدر في اللغة العبرية ٧ مرات.

يوم الكفارة العظيم

مرَّة أخرى يأتي أمامنا هارون، ليتلقَّى تعليمات من الله عن مناسبة خاصَّة: "يوم الكفَّارة العظيم" (انظر ٢٣: ٢٧). ويُشير إلى ذلك عبرانيين ٩: ٧، ١٢، ٢٥ أيضًا. كان رئيس الكهنة يُقدِّم، مرَّة واحدة في السنة، ذبيحة خطيَّة عن كل خطايا الشعب أثناء السنة، بعد تقديم ذبيحة عن نفسه. ثم يدخل بدم هذه الذبيحة إلى ما داخل الحجاب، ويرشّه على غطاء التابوت.

إن الدم الذي "يكفِّر عن النفس" (١٧: ١١) قد أُدخل إلى ذات محضر الله، داخل الحجاب، ومطالب عرش الله سُويت، وهذا كان يسمح لله أن يكون "رحيمًا" لشعبه. ليس أنَّ دم التيس كانت له القوَّة لنزع خطية واحدة من خطايا الشعب التي ارتُكبت خلال السنة، لكنَّه كان يتكلَّم إلى الله مُقدِّمًا عن دم الحَمَل الكريم الذي كان قادرًا تمامًا أن يوفِّي مطالب العدل الإلهي تجاه خطايا كل العالم، لو آمن العالم كله.

وعلى عكس توقعنا، لم يكن هارون يدخل إلى محضر الله في ثياب المجد والبهاء. كان عليه أن يتخلى عن كل مظاهر المجد، ويدخل ليواجه مجد الله في ثياب مقدسة من "كتان"، صورة للبر الذي ميَّز بديلنا المبارك، ربنا يسوع المسيح. ولولا أنه "البار" ما أمكنه أن يموت ليفدي الخطاة (٢كو ٥: ٢١؛ ١بط ٣: ١٨).

في البداية كان هارون يقدِّم ذبيحة أولاً عن نفسه وعن بيته؛ أما المسيح فإنه لم يُقدِّم عن نفسه، بل قدَّم نفسه (عب ٧: ٢٧). أي أن المسيح هو الكاهن العظيم، كما

أنه أيضًا الذبيحة العظـيمة.

وكانت تصحب هارون "داخل الحجاب" الرائحة الذكيَّة للبخور، وهكذا المسـيح الذي دخل إلى الأقداس السماويَّة مقدِّمًا لله كل كمالاته وأمجاده الشخصيَّة.

صوِّر لنفسك المنظر: إذ يدخل رئيس الكهنة إلى ما داخل الحجاب، مُحاطـًا بسحابة البخور، بينما الشـعب ينتظر في الخارج بخوف. هل قبل الـربّ الذبيحة؟ إذا حدث شـيء ليس في محله، هل يهلك هارون كما هلك ابناه؟ يـا لها من راحة عندما يخرج هارون. هذا معناه أنَّ ذبيحته قد قُبلت!

لقد كان هناك **تيسـان** في فرائض يوم الكفَّارة العظـيم. وهذان التيسان يكلِّماننا عن جانبين لعمل المسـيح فوق الصليب. التيس الذي خرجت عليـه القُرعة للربّ، كان يقُدِّم ذبيحة خطـيَّة (ع٩)، ويأخذ خطـايا الأمَّة **من أمام الله**. وأما التيس الآخر الحي، **"تيس عزازيل**[†]"، فكان يأخذ الخطـايا **من على ضمير الشعب**. وهذا هو السبب في أن هارون كان يضع يديه على رأس التيس الحي، ويُقرّ بكل ذنوب بني إسرائيل ويجعلها على رأس التيس، ويُرسـله إلى البرية، إلى أرض مقفرة (ع٢١، ٢٢). والمعنى الروحي لذلك هو ما قاله المرنم: «كبُعد المشـرق من المغرب أبعد عنَّا معاصينا» (مز ١٠٣: ١٢)؛ وأيضًا «ولا أذكر خطـاياهم وتعدياتهم فيما بعد» (عب ٨: ١٢؛ إر ٣١: ٣٤).

إذًا فالتيس الأول يكلمنا عن **التكفير**، والتيس الثاني يكلمنا عن **البدلية**. الأول يحدِّثنا عن موت المسـيح الذي عالج **مشـكلة الخطـيَّة بأكملها** من نظر الله إلى الأبد، والثاني يحدثنا عن أن الخطـايا **ما عادت تهدِّد كل من آمَن** بربنا يسـوع المسيح. ونجد الأمرين معًا في إشعياء ٥٣ أكثر من مرة. فيحدثنا عن "تيس الرب" فيقول: «وهو مجروح لأجل معاصينا، مسـحوق لأجل آثامنا»، ثم يتحدث عن **"تيس عزازيل"** فيقول: «والـرب وضع عليه إثم جميعنا» (ع٥، ٦)؛ ومرة ثانية يتحدث عن **"تيس الرب"** فيقول: «إنه سكب للموت نفسه»، ثـم يحدثنا عن "تيس عزازيـل" فيقول: «وهو حمل خطـية كثيريـن» (ع١٢). وهؤلاء

الكثيرون الذين حمل المسـيح خطـاياهم (قارن عب٩: ٢٨)، هم كل من آمنوا به واحتموا في دمه الثمين.

انظر كيف كان يجب أن يُعمـل هـذا العمل العظـيـم بـكل دقَّـة، بواسطـة رئيس الكهنة، لرفع الخطـايا. وعلاوة علـى ذلـك، كل هـذه الخدمة كانت صالحة لسـنة واحدة فقط. لماذا؟ **لأنَّ أصل الخطـايا في قلب الإنسـان الشرير** لم يتطـهَّر بعد، وسيُخرج شرورًا خلال السنة الجديدة. لذلك كانت تُقدَّم الذبائح مرَّة بعد مرَّة، سـنة بعد سنة، والكهنة، يلي الواحد الآخر من الأب إلى الابن «أولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء» (عب ٧: ٢٣).

- في سفر التكوين كانت الذبيحة عن **الفرد** (تك٤)
- في سفر الخروج كانت الذبيحة عن **العائلة** (خر١٢)
- في سفر اللاويين كانت الذبيحة عن **الأُمَّة** (لا١٦)
- في العهد الجديد فإن الذبيحة هي عن **العالم كله** (يو ١: ٢٩)

كم هي عظمة "عمل المسيح" في سـمو قيمته، ودوام فاعليته، وغلاوة كُلفته، إذ قدَّم نفسه ذبيحة. إن الربّ يسـوع، ليرفع خطـيَّة العالم، ويُبطل نتائجها، ويطـهِّر أصلها في قلب الإنسان، **وقف وحده**، ولم يستطـع أحد أن يساعده أقل مساعدة. ماذا كان يفعل الشـعب بينما كان رئيس الكهنة يُتمِّم عمل الكفارة العظـيم؟ لا شـيء، سوى أن يُذلِّلوا نفوسـهم (ع٢٩؛ ٢٣: ٢٧؛ عد ٢٩: ٧). العمل عُمل **لأجلهـم**. وبنفس الطريقة، كل ما يجب أن نفعله نحن هو أن نستريح بالتمام على عمل الربّ يسوع الكامل والكافي.

ونبويًّا سيتحقَّق هذا عندما يأتي المسيح بالمجد لإسرائيل. «هكذا المسيح أيضًا... سيظـهر ثانية بلا خطـيَّة للخلاص» (عب ٩: ٢٨).

---

† عزازيـل كلمة عبرية تعني تيس الإنطـلاق. والبعض يعتبرها من أصل أرامي يعني يعزل أو يبعد.

١٧

ع١-٧: بخصوص الذبائح وأكلها

طالما الشعب في البرية كان عليهم أن يذبحوا ذبائحهم عند باب خيمة الاجتماع، وكان عليهم أن يعملوا من كل فرصة أكل فرصة شركة (قارن أعمال ٢: ٤٢، ٤٦؛ ١كورنثوس ١١: ٣٣)؛ وليس ذلك فقط بل أيضًا فرصة للشكر. هذا يحفظنا من انحراف القلب وراء الأوثان التي في هذا العالم (ع٧).

الدم

إن اللاهوتيين الكفرة، اليوم، يرفضون فكرة الدم، ويتهكمون على هذا التعليم الأساسي في المسيحية، قائلين عن المؤمنين به إنهم أتباع "ديانة السلخانة". هؤلاء ينتظرهم العقاب الرهيب (عب ١٠: ٢٩). لكن الكتاب المقدس يذكر ما لا يقل عن ١٤ بركة لدم المسيح كالآتي:

- به تمّت **الكفارة** (ع١١؛ انظر رومية ٣: ٢٥).
- هو وسيلة **الفداء** (أف ١: ٧؛ عب ٩: ١٢؛ ١بط ١: ١٨).
- به **غُفرت خطايانا** (مت ٢٦: ٢٨؛ أف ١: ٧؛ عب ٩: ٢٢).
- به **تطهّرنا** من خطايانا، و**غُسلنا** منها (١يو ١: ٧؛ رؤ ١: ٥).
- به **تطهرت** ضمائرنا من أعمال ميتة (عب ٩: ١٤).
- **به بيّضنا ثيابنا** (رؤ ٧: ١٤).
- به **تقدّسنا** (عب ١٣: ١٢؛ ١٠: ٢٩).
- به **تبرّرنا** (رو ٥: ٩).
- به حصلنا على **الحياة** (يو ٦: ٥٤).
- به تتم **المصالحة** (كو ١: ٢٠).
- به لنا **الاقتراب** إلى الله (أف ٢: ١٣).
- به لنا **الشركة** المسيحية (١كو ١٠: ١٦).
- به لنا **ثقة الدخول** للأقداس (عب ١٠: ١٩).
- به **نغلب** الشيطان (رؤ ١٢: ١١).

ع٨-١٦ : منع أكل الدم

أوضح الرب فيما سبق أنه يحتفظ لنفسه وحده بالحق في الدم (٧: ٢٦، ٢٧). وكثيرة هي الفصول التي تنهى عن تناول الدم، سواء قبل الناموس (تك ٩: ٤)؛ أو بعده (أع ١٥: ٢٠). بل كان يجب أن يُسفَك أمام الرب. والسرّ في ذلك أن الدم كان يتكلّم دائمًا إلى قلب الله عن عمل ابنه الحبيب.



العلاقات النجسة المحرّمة

الأصحاحات من ص١٨ إلى ٢٢، تتحدث عن القداسة العملية في الحياة اليومية.

ويبدأ هذا الأصحاح بالقول: «مثل عمل أرض مصر التي سكنتم فيها لا تعملوا» (ع٣). وهو يذكّرنا بتحريض الرسول بولس للمؤمنين في أفسس: «أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضًا ببُطل ذهنهم» (أف ٤: ١٧). هذا يدل على أن الطبيعة العتيقة في المؤمن لا تختلف مطلقًا عن الطبيعة القديمة في أردأ إنسان على الأرض.

والرب أيضًا لا يقبل بالمستوى الأدبي للشعوب الكنعانية (ع٣). ونحن نعلم أن هذه الشعوب هي ذرية حام، الذي تلذذ بالنظر إلى عورة أبيه (تك٩)، فجلب على نسله اللعنة. ها هي الذرية - بدلاً من التوبة - نجدها تسير في طريق الشر عينه، فجلبت على نفسها القضاء الإلهي. ويوضّح الرب، في نهاية الأصحاح، أنه بسبب هذه الشرور التي تهوّرت فيها تلك الشعوب، طردهم الرب من الأرض، بل وقذفت

الأرض سكانها (ع٢٤، ٢٥). ويُحذِّر الرب شعبه من المصير عينه لو ارتكبوا مثل هذه الشرور (ع٢٨)، فالله ليس عنده محاباة.

وسرّ التحذير من هذه الشرور المذكورة في هذا الأصحاح هو أننا نتعامل مع إله قدوس (حب١:١٣). وست مرات هنا يتكرر القول: "أنا الرب" (ع٢، ٤، ٥، ٦، ٢١، ٣٠). ودعنا نتأكد أنه لا شيء يحفظنا من خطايا بشعة كهذه، سوى الوجود المستمر في شركة وثيقة مع الرب.

ع٢١) **مولك**: اسم إله وثني عبده العمونيون. كان له تمثال مجوَّف من النحاس، تُحمَّى ذراعيه بالنار، ويوضع الأولاد عليه وسط قرعات الطبول العالية لكي تغطي على صراخ الأطفال وهم يحترقون. وكان البعض منهم يموت من هذه الممارسة البربرية.
ع٢٣) **لنزائها**: ممارسة الجنس معها.

١٩

واجبات مختلفة

كان يجب أن يكون شعب إسرائيل قدِّيسين لإله قدوس (ع٢). كم بالأكثر ينبغي أن يكون أولئك الذين عرفوه كالآب، فيُظهرون صفة قداسته (يو ١٧: ١١). هذا ما جعل الرسول بطرس يقول: «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضًا قدِّيسين... لأنَّه مكتوب: كونوا قدِّيسين لأنِّي أنا قدُّوس» (١بط ١: ١٥، ١٦). لاحظ أنه في العهد القديم يكتفي الرب بالقول: «لأني (أنا) قدوس» (ع٢)، أما في العهد الجديد فيضيف الرسول بعدًا آخر، إذ يقول: «**نظير القدوس**»، فما أسمى وأمجد هذا المقياس بالنسبة لنا!

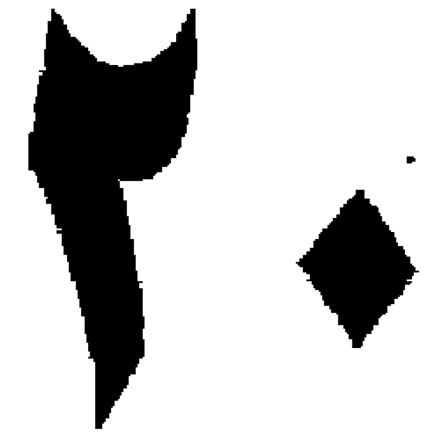
يقول في ع٣ «تهابون كل إنسان أمه وأباه». نحن ندين بالطاعة والاحترام لله، وبعده الوالدين. كلمة "تهاب وتخاف" هنا، ليست بمعنى "الخوف من" لكن بمعنى التوقير والإكرام.

من ع٩ -١٨ يُرينا العلاقات العملية بين بني إسرائيل. وهي تحريضات على **الرَّحمة** (ع١٠)، **والأمانة والصدق** (ع١١، ١٢)، **والعدل** (ع١٣ - ١٥)، **والنيَّة الصالحة والمحبة** (ع١٦ - ١٨). وكم هو مذلّ لنا أن نجد أن مثل هذه التحذيرات لا ترد في الناموس فحسب، بل حتى في رسالة السماويات، رسالة أفسس (قارن ع١١ مع أف ٤: ٢٥، ٢٨).

وتُلخَّص هذه التحريضات كلها في نهاية ع١٨ «**تحب قريبك كنفسك**»، التي اقتبسها الربّ يسوع، وتمَّت فيه باعتباره حقًا "السَّامري الصالح" (لو ١٠: ٢٨ - ٣٧). ولهذا السبب دعا الرسول يعقوب هذا القانون: "الناموس الملوكي"، أو ناموس الملك (يع ٢: ٨).

في ع٣٢ يذكّرنا الوحي باحترام الكبار، الأمر الذي كاد يختفي في هذه الأيام من عالمنا الحديث. لكن هذا ما ينبغي أن يعمله المؤمنون الشبان، لأنَّهم بهذه الطريقة، لا يحترمون وجه الشيخ، بل الربّ يسوع نفسه. ودعنا نتذكر أن الرب في هذه الأصحاحات لا ينهانا عن ممارسة الكبائر والخطايا البشعة فقط، بل أيضًا يحرضنا على الكثير جدًا من الأشياء البسيطة التي قد يتجاهلها الكثيرون. وأما نحن الذين دُعيَ علينا اسم **المسيح**، فإن سلوكنا اللطيف والقويم يُكرِم ذلك «الاسم الحَسَن» (يع ٢: ٧)، والعكس صحيح أيضًا.

ع١٠) **لا تعلّله**: لا تعود إلى قطفه. **نثار**: الثمر المنثور الساقط. ع١٩) **لا تنز بهائمك جنسين**: عملية التهجين، أي اقتران نوعين من البهائم جنسيًا. ع٣١) **التوابع**: المتعاملين مع الشياطين.



تحذير من بعض الخطايا البشعة

هذا الأصحاح يتضمّن التحذير من العديد من الخطــايا التي شاعت بين الشعوب الوثنية التي كانت تســكن أرض كنعان، ولذلك فإن الرب، قبل وصول شــعبه لهذه الأرض، يحذّرهم منها. وهذه التحذيرات تتضمن قســوة الآبــاء على أولادهم، إذ كانوا يجيزونهم في النار حســب العبــادة الوثنية للإله مولــوك† (ع١ -٥)، وعدم احترام الأولاد لآبائهم (ع٩). والتعامل مع الأرواح الشــريرة (ع٦،٢٧)، والتهور في خطــايا جنسية نجســة (ع١١ -٢١). وهكذا نتيجة فساد العلاقة مع الله، فسدت كل العلاقات الاجتماعية التي رتّبها الله لإسعاد الإنسان. إنها قائمة سوداء بما يعمله "الإنســان العتيق الفاسد" (أي الذي يدمر نفسه)، حسب شــهوات الخداع (انظر أف ٤: ٢٢ ترجمة داربي).

وعبارة "القتــل" تُذكر في هذا الفصل ما لا يقل عن عشــر مــرات، باعتبارها العقوبة التي حدّدها الله للعديد من الخطــايا البشعة المذكورة فيه، والتي هي متأصّلة في القلب الشــرير. والجديد في الأمر أن إنســان القرن الحادي والعشرين شرّعها واســتباحها، بل ويتباهي بها. لكنه لــن يقدر مطلقًا أن يفلت مــن دينونة الله «لأن غضب الله معلن من الســماء على جميع فجور الناس وإثمهم» (رو ١: ١٨). فالله يمهل ولكنه لا يهمل.

---

† انظر الحاشية أصحاح ١٨.

٢١

شرائع خاصة بالكهنة

كما أن كل الذكور المنتسبين بالمولد إلى هارون هم كهنة، هكذا الآن كل المفديين أولاد الله هم كهنة العهد الجديد، كهنوت مقدس (١بط ٢: ٥)، وكهنوت ملوكي (١بط ٢: ٩)؛ وعليهم مسـؤولية خاصة نظرًا لعظم الامتياز الذي صار لهم. وإن كان كل مؤمن حقيقي ينبغي أن يكون طـاهرًا، فإن خادم المسـيح ينبغي أن يكون قدوة في الطـهـارة (١تي ٤: ١٢). وهكذا فإن ما يمكن التجاوز عنه في الآخرين، لا يمكن التجاوز عنه فيهم.

كانت هناك أشـياء تعطل الكاهن عن ممارسة كهنوته، مثل التنجس لميت، أو زواجه بخلاف الشـريعة الواردة هنا، وأيضًا بعض العيوب الجسدية*. ولهذا كله تطبيق روحي علينا. وبالنسبة للعيوب الجسـدية، يوضِّح الوحي أن الكاهن كان يمكنه في هذه الحالة أن يأكل من خبز إلهه، لكن كان يُحرم من اختبار فرح خدمة إلهه (ع٢٢). وللأسـف نقول إن كثيرين من أولاد الله في هذا الوضع، فالأعمى بحسب ٢بطرس ١: ٩، والأعرج بحسب عبرانيين ١٢: ١٣، لا يُحرم من امتياز كونه ابنًا لله، ولكنه لا يقدر - طـالما هو في هذه الحالة - أن يخدم الرب، أو أن يقدم السجود له.

ع١٨) **أفطس**: أنفه مسـطَحة. **زوائدي**: له سـتة أصابع. ع٢٠) **أكشم**: قزم أو به نقص خلقي. **أكلف**: منقط.

٢٢

ع ١-١٦ : تتمة الشرائع الخاصة بالكهنة

رأينا في الأصحاح السابق أشياء تعطِّل الكاهن عن ممارسة خدمته، ولكن هذا الأصحاح يذكر لنا أشياء تعطله عن تمتعه بامتيازاته. فبالنسبة للضعفات والعيوب المذكورة في الأصحاح السابق نعلم أن كاهننا العظيم، ربنا يسوع المسيح، بحسب عبرانيين ٤: ١٥ يرثي لضعفاتنا ويعالج عيوبنا. ولكن الخطايا التي نقع فيها، لا يمكن أن يكون له شركة معنا فيها، نظير هذا الذي يرد في ع٤ السيلان أو البرص، التي تمثل السقوط في خطايا فعلية.

كما يخبرنا أن الغريب الذي ليس من عائلة الكاهن، حتى ابنته إن تزوجت برجل ليس من العائلة الكهنوتية، كانت تُحرم من امتيازات الكهنة. وهذا يجعلنا نفكر في مائدة الرب، والقداسة التي يجب أن ترتبط بها (١كو١٠: ١٥-٢٢؛ ١١: ٢٣-٣١).

ع١٧-٣٣ : الشرائع الخاصة بالتقدمات

في الأعداد السابقة أكّد الرب على أن يكون الكهنوت بلا عيب، والآن يحدّثنا عن ذبائح بلا عيب. وفي هذه الأعداد يتكلَّم الله بالتفصيل عن استبعاد أي حيوان مريض أو به عيب. وكم هو محزن أن يضطر الرب لتحذير شعبه من أن يقدموا له المريض والمعيوب. وبالأسف يُخبرنا ملاخي أنَّ الشعب قدَّم مثل هذه الذبائح رغم هذه التوجيهات، الأمر الذي كان يجب ألا يحدث (ملا ١: ٨،١٢ - ١٤). وهي خطيَّة مزدوجة: أوَّلاً، لأنَّها احتقار لله بتقديم الذبيحة التي لا يجسر الواحد أن

يُقدِّمها لواليه (ملا ١: ٨)، والتي لا قيمة لهـا إذا بيعت. **وثانيًا**، بما أنَّ هذه الذبائح جميعها **ترمز للمسيح**، فكان هذا يعتبر احتقارًا للمسيح، الذبيح الكامل.

والآن ماذا بالنسـبة لنا؟ ماذا نُقدِّم لله من وقتنا، وقوَّتنا، ومواهبنا، وأموالنا؟ هل الأفضل؟ أم الفضلة؟

هذه الآيات لا تحدِّثنا عن ذبائح الخطـيَّة التي كانت **ضروريَّة وإجباريَّة**، بل عن ذبائح السَّـلامة التي كانت "اختيارية". الله الآن لا يُلزمنا بشيء، ولا يطلب منَّا أي شيء بالإجبار. لكن كلَّما كانت قلوبنا مُقدِّرة لمحبَّة المسيح، نكون أكثر حِرصًا على تقديم كل ما نستطـيع أن نُقدِّمه، اعترافًا بفضله وإحسانه.

٢٣

مواسم الرب

يُعطـينا هذا الأصحاح قائمة "بمواسم الربّ"، "المحافل المقدسة"؛ أي المناسبات السـنوية التي فيها كان يجتمع الشعب حول إلهه. وكانت توجد **سبعة أعياد، بخلاف السبت**† الذي كان يوم الرَّاحة الأسبوعيَّة، ويُذكَر في البداية.

ولنتذكَّر أول كل شـيء، أنَّ ترتيب هذه الأعياد، يوضِّح أمام عيوننا، مقاصد الله من نحو شعبه، ومقاصده من نحو الكنيسة، وأخيرًا مقاصده من نحو ابنه الحبيب.

تبدأ هذه الأعياد "**بالفصح**". فنقطـة الابتداء للبركة لإسـرائيل وللكنيسة، ولكل الجنس البشـري هي "الصليب". بعد الفصح مباشرة يأتي "**عيد الفطـير**" (ع٦)، الذي يكلِّمنا عن ذاك الذي "لم يعرف خطـيَّة"، وعن حياته القدُّوسة بالانفصال عن الشر. وعلى هذا يتغذَّى

المؤمنون. ويجب على كل واحد من المفديين الآن أن يُظــهر هذه الحياة عينها في عيشته اليوميــة (١كو ٥: ٧). ثم يأتي العيــد الثالث: "**عيد الباكورة**"، أول أعياد "غد الســبت"، وكانت تُردَّد فيه حُزمة أول الحصيد، التي تمثِّل المســيح في قيامتــه الظــافرة، "**باكورة الراقدين**" (١كو ١٥: ٢٠)، "**أول قيامة الأموات**" (أع ٢٦: ٢٣)، مُقدَّمًا لله حســب الأوجه المتعدِّدة لمجده الشخصي: "المحرقة، والتقدمة، والسكيب"، «للرِّضا عنكم» (ع١١).

خمسون يومًا كانت تفصل بين عيد الباكورة "حزمة أول الحصيد" و"**عيد الخمسين**" أو "**الأسابيع**"، وكلاهما يُحتفل به في غد السبت، أي في اليوم الأول من الأسبوع. والمسيح بعد قيامته من الأموات، وقبل صعوده إلى الســماء، ظــهر عدَّة مرَّات لتلاميذه ليعزِّيهم ويطمئنهم، بأنَّه وهو المُقام، هو بعينه مســيح الأناجيل. ولمَّا حضر يوم الخمسين (أع ٢: ١)، حلَّ الروح القدس عليهم، وكانت هذه نقطــة البداية للكنيسة وتاريخها الحاضر. وفي "رغيفي الترديد" (ع١٧) نرى رمزًا للكنيســة المكوَّنة من مســيحيِّين؛ من اليهود والأمم. لكن هؤلاء ما زالوا على الأرض، وخميرة الخطــيَّة موجودة في قلوب الذين يَرمز إليهم الرغيفان، رغم أنَّ عملها أوقفته حرارة الفرن. هذه باكورة عمل الصليب مُقدَّمة لله. قال الربّ يســوع عن حبَّة الحنطــة: «إن ماتت تأتي بثمر كثير» (يو ١٢: ٢٤). ولقد كانت حُزمة أوّل الحصيد بشــرى لحصاد كثير (ع٢٢). وهكذا فإن المسيح، الإنسان المُقام، لن يبقى وحيدًا في المجد، بل حتمًا «مجيئًا يجيء بالترنُّم حاملاً حزمه» (مز ١٢٦: ٦).

نحن الآن – تاريخيًّا - في الفترة التي تلي يوم الخمســين. إســرائيل قد نُحِّي جانبًا إلى حين. والآن هو زمن الكنيســة التي فيها الربّ يسوع يجمع «(أولاد) الله المتفرقين إلى واحد» (يو ١١: ٥٢)، لكن ســيأتي اليوم عندما يجيء دور إسرائيل لجمعهم بعد أن تُخطف الكنيســة. لذا نقرأ عن "**تذكار هتاف البــوق**" (ع٢٤)، أو "عيد الأبواق" (انظر أيضًا ســفر العدد ٢٩: ١)، وفيه يُدعى الشــعب للاجتماع معًا في أرضهم، تمهيدًا ليوم يذللون فيه نفوسهم (ع٢٧، ٢٩، ٣٢)؛ من ثم يأتي العيد السادس "**يوم الكفارة**" (ع٢٧)،

نظرة بانورامية على الأعياد السبعة

العيد	شواهد كتابية	مدلوله	ترتيبه	الدلالة الرقمية
الفصح	يوحنا ١: ٢٩؛ ١كورنثوس ٥: ٧	موت المسيح	١	مدلوله بداية علاقة النفس مع الله، وكان يُعمل في أول شهور السنة، لفداء الابن الأول؛ شاة واحدة؛ ابن سنة واحدة؛ يؤكل في بيت واحد (خر ١٢: ٢، ٣، ٥، ٢٩، ٤٦).
الفطير	١كورنثوس ٥: ٦-٨	القداسة	٢	يكلمنا عن الانفصال عن الشر، وأيضًا يكلمنا عن الشركة على المائدة (كمدلول الرقم ٢)
الباكورة	١كورنثوس ١٥: ٢٠-٢٣	قيامة المسيح	٣	في العهد القديم الذين أقيموا من الأموات ثلاثة؛ وفي الأناجيل أقام المسيح ثلاثة أشخاص؛ وثلاثة أشخاص اختبروا رمزيًا القيامة في اليوم الثالث، هم: إسحاق، ويونان، والملك حزقيا. والمسيح نفسه قام من الأموات في اليوم الثالث (١كو ١٥: ٤).
الخمسين	أعمال٢	مجيء الروح القدس	٤	الشهادة اليوم مقدمة للعالم أجمع بأطرافه الأربعة. والمؤمنون هم "من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (٤ فئات)؛ والشهادة قُدمت في البداية إلى أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض - ٤ أماكن (أع ١: ٨).
هتاف البوق	إشعياء ٢٧: ١٢، ١٣؛ متى ٢٤: ٢٩-٣١؛ ١تسالونيكي٤: ١٣-١٨	جمع الشعب	٥	الرقم ٥ هو رقم النعمة، والرب سيرحم شعبه بالنعمة، فهو أغلق على الجميع تحت العصيان لكي يرحم الجميع (رو ١١: ٣٢)
الكفارة	زكريا ١٢: ١٠-١٤؛ ١٣: ١، ٢	توبة الشعب	٦	الرقم "٦" هو رقم العمل، ولذا تتكرر ثلاث مرات أن الشعب لا يعمل شيئًا. وسيعرف الشعب أخيرًا أن الرب "قد فعل" (مز ٢٢: ٣١).
المظال	زكريا ١٤: ١٦-٢١	المُلك الألفي	٧	كان يقع في الشهر السابع، ومدته سبعة أيام. وكانت ذبائح هذا الأسبوع بحسب (سفر العدد ٢٩) هي ١٨٢ (٢٦×٧)، وهي عبارة عن ٧٠ ثورًا (٧×١٠)؛ ١٤ كبشًا (٧×٢)؛ ٩٨ خروفًا (٧×١٤)؛ ٣٣٦ (٤٨×٧) عشر الإيفة من دقيق. إنه يحدثنا عن "تدبير ملء (كمال) الأزمنة"، كمدلول الرقم ٧ (الكمال).

الذي جاء الكلام عنه في لاويين١٦. في ذلك الوقت سيكون إسرائيل في ضيق عظيم، ولذا فسينتظرون ظهور مسياهم للخلاص، ذاك الذي هو الآن في الأقداس (عب٩: ٢٨). ثم أخيرًا يأتي العيد العظيم "**عيد المظال**" الموصوف بالتفصيل في هذا الأصحاح. وهو يصوِّر مُلك البر والسلام على الأرض، الذي يُسمَّى "الملك الألفي".

مرَّات عديدة يقول في هذا الأصحاح «**عملاً ما من الشغل لا تعملوا**». من الصليب إلى المجد، احتفظ الله لنفسه بامتياز العمل في كل مشروع النعمة العجيب. الإنسان ومجهوداته لا تدخل فيه - إنَّه عمله وحده، وحقًا «جلال وبهاء عمله» (مز ١١١: ٣).

† السبت؛ انظر تعليقنا على خروج ٢٠؛ ٣١

٢٤

ع١-٩ : زيت للضوء وخبز للشبع

سبق أن رأينا أنَّه كانت توجد أوقات معيَّنة خلال السنة، فيها يجتمع كل إسرائيل ويحتفلون بالمناسبة معًا. وهكذا فإن **خدمتهم كانت موسمية فقط، أما الخدمة لصالحهم فلم تنقطع أبدًا**. لذا نقرأ هنا أن السُرج كانت تُوقَد باستمرار (ع٣)، وكذلك **الاثنا عشر رغيفًا** كانت تُرتَّب كل سبت "ميثاقًا دهريًا" (ع٨). يا لها من تعزية أن نعرف، أنَّه حتَّى عندما نكون مشغولين بأشغالنا اليوميَّة عن التفكير في السماء، أو عندما تضعف الشركة من جانبنا، فإنَّ **نور المسيح**، المنارة الإلهية، لا تكف عن أن تُضيء أمام الله بكل لمعانها. وعلى أي شيء كانت تلقي ضوءها؟ على **الأرغفة الاثني عشر** الموضوعة باستمرار على مائدة خبز الوجوه، التي تُمثِّل **شعب الله** ككل، فتُرى في ترتيب تام في الأقداس.

ع ١٠ ـ ٢٣ : الرجل المُجَدِّف

الأعداد الســابقة توضِّح من هو المســيح بالنســبة لنا، ونظرة النعمة التي يُنظر بها إلينا، وهذه الأعــداد، على العكس، ترينا عدم تقدير الإنســان لله ولابنه. فرغم الامتيازات الكثيرة المذكورة فيما ســبق عن الشعب، فإن هذا لم يمنع أن يظــهر في وسطــهم الشــر، وبأســوأ صوره، أعني به خطــية التجديف. ونتيجة لذلك حدث قضاء رهيب على المجدِّف.

في يوم النعمة الذي نعيشــه، لا يُعاقَب فورًا المجــدِّف على الله، ولكن الخطــية باقية عليه إن لم يتُب إلى الله. ونحن نعرف أن الاســم الذي هو فوق كل اسم جُدِّف عليه، عندما أتى ابن الله من الســماء للأرض، فرُفض وأُهين وصُلب. وســيتكرر التجديف مرة ثانية عندما سيظــهر ذاك "الآتي باسم نفسه"، "إنسان الخطــية"، "ضد المســيح"، «المرتفع على كل ما يدعى إلهًا أو معبودًا». ولكن الرب ســيبيده بنفخة فمه، ويُبطله بظــهور مجيئه (٢تس ٢: ٤، ٨).

٢٥

ع١ ـ ٧ : السنة السبتية

الله الذي أعطــى الســبت للإنســان، فكَّر أيضًا في خليقته. **كل سنة سابعة تستريح الأرض**، فلا يكون عمل في الحقــول، لا زرع ولا حصاد. والرب الذي في البرية وعد شعبه أن المن الذي يُجمع في اليوم السادس ســيكفيهم في اليوم السابع، وعد بأن يعولهم في السنة الســابعة التي ليس فيها زرع ولا حصاد. وكانت تستخدم هذه السنة في زيادة

معرفتهم بالله وشريعته (تث ٣١: ١٠-١٣). ويؤسفنا أنه كما ظهر فشل إسرائيل في كل تعاملاته مع الله، فشلوا أيضًا في حفظ السنة السبتية (٢أح ٣٦: ٢١).

ع٨- ٥٥ : سنة اليوبيل

كل **سبعة سبوت سنين**، أي في السنة الخمسين، كان يُطلق بوق الهتاف في كل إسرائيل مُعلنًا "اليوبيل"، والذي فيه يُردّ كل شيء إلى أصله. ونلاحظ هنا أنَّه لا تُشترى أرض، كما لا يُباع بيت أو يُستأجر عبد، بدون النظر إلى اليوبيل الآتي. كان يجب أن يضع الناس في بالهم دائمًا أن كل اتفاق إنَّما إلى فترة محدودة.

أليس صوت البوق هذا الذي كان ينتظره كل إسرائيل، ولا سيما الذين كانت ظروفهم صعبة، يذكّرنا أيضًا **بالبوق الأخير**، الذي معه سينزل الربّ يسوع من السماء ليجمع الذين له؟ (١كو ١٥: ٥٢؛ ١تس ٤: ١٦). نعم، ليتنا لا ننسى **أنَّ الربّ** يسوع آتٍ سريعًا، وليتنا نُعطي الأشياء الأرضيَّة قيمتها الحقيقية، باعتبار مدتها المحدودة؛ وليتنا نُثبِّت قلوبنا على الأشياء التي لا تُرى لأنها أبدية (٢كو ٤: ١٨)!

فكرة:
ما يضايقنا هو إلى لحظة، وما يسعدنا هو أيضًا إلى لحظة، وما هو أبدي جدير باهتمامنا في كل لحظة.

«لأنَّ لي الأرض، وأنتم غرباء ونزلاء عندي» (ع٢٣). وكما أن المضيف يكون مسؤولاً عن إعالة النزلاء عنده، هكذا الله تعهد بأن يتكفل بكل احتياجات شعبه. وهذه أيضًا لا يكون فيها زرع وحصاد (ع١١)، تعهَّد بأن يعطيهم طعامهم خلال هذه السنين بطريقة معجزيَّة.

ونحن كأولاد الله على الأرض، أقل تملُّكًا للأرض من إسرائيل. فلا شيء لنا حقًا

فيها، حتَّى حياتنا. ليتنا نحفظ هذا في أذهاننا، فتقــلّ النزاعات في عائلاتنا. إن كنوزنا وثرواتنا الحقيقية هي في السماء وليست على الأرض (مت ٦: ١٩-٢١). هناك ميراثنا الذي لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل، والمحفوظ في السماوات لأجلنا (١بط ١: ٤).

عندما يُضرب بوق العتق، يستردّ العبد حريته، والفقير مُلكه، والعائلات اتِّحادها، وكل ميراث يرجع إلى صاحبه الأصلي. إنَّه وقت ردّ كل شيء، وفرح عام وابتهاج شـــامل، يصوِّر لنا الفرح الذي سيكون لإســـرائيل مســـتقبلاً ولكل العالم عندما يُقيَّد الشيطـــان **وتُعتَق الخليقة من العبوديَّة**.

إنَّنا نتخيل بصعوبة مثل هذا الزمن: لا سجون، ولا شرطـــة، ولا رسوم، لكن كل حقوق الملكية مُعترف بهـــا، وكل واحد يحترم حقوق الآخرين. فلن يوجد غرباء أو فقراء في ذلك الزمن السعيد. فكل واحد سيشارك في بركة الملكوت.

والله خلال الأصحاح كله يوضِّح نعمته العجيبة، مشـــيرًا إلى عتقه لهم وتســـديد أعوازهم، متمِّمًا أفراحهم، مهتمًّا بألا يقعوا في براثن إخوتهم قساة القلوب. وهو في كل هـــذا يقدِّم لنا القدوة (ع٣٥-٣٨)، داعيًا إيانـــا أن نُظـــهر في التعامل مع إخوتنا الروح عينها التي تعامل هو بها معنا، بذلك نُظـــهِر أننا نُقدِّر نعمته، وأننا لا ننســـى ما عمله من نحونا (مت ١٨: ٣٢، ٣٣).

في آخـــر الأصحاح يكرِّر الرب ذِكر الروح التي يجـــب أن نتعامل بها مع إخوتنا، حتى ولو افتقر أحدهم نتيجة سوء تصرفه، فيقول: «لا تتسلَّط عليه بعنف» (ع٤٣،٤٦، ٥٣). هذا ما يفعله الناس المتسلِّطون عادة، وهو بالأسف ميل قلوبنا أيضًا؟ إنَّه أكثر قبولاً لدينا أن نأمر، من أن نطـــيع. لكننا لم نتعلَّم المســـيح هكذا (أف ٤: ٢٠)، ذاك الوديع والمتواضع القلب، والذي "نيره هيِّن وحمله خفيف" (مت١١: ٢٩، ٣٠).

تتكرر كلمة اليوبيل في هذا الأصحاح ١٤ مرة.

٢٦

وعد الرب ووعيده

هناك مبدءان إلهيان واضحان في الكلمة الإلهية، وهما يسيران دائمًا معًا: الأول هو نعمة الله، والثاني هو حكومته. ولقد رأينا المبدأ الأول في الأصحاح السابق (لا ٢٥)، وفي أصحاحنا هذا نرى المبدأ الثاني. ومع أن الله في جوده وصلاحه يحب أن يعطي بدون سبب فينا، إلا أنه أيضًا يعلِّمنا أن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا. ولهذا فإن الرب في هذا الفصل يُحَذِّر شعبه من نتائج العصيان (ع١٤ -٣٩)، ملوِّحًا لهم ببركات الطاعة (ع٣ -١٣). والرب من رقته يبدأ بالوعد لا بالوعيد. وبركات إسرائيل كانت بركات زمنية، بينما بركاتنا نحن الآن هي بركات روحية. ومع ذلك فهناك بركة مشتركة بيننا وبينهم وهي ما ورد في ع١٢ «أسير بينكم، وأكون لكم إلهًا، وأنتم تكونون لي شعبًا»، وقد اقتبس الرسول بولس ذلك في ٢كورنثوس ٦: ١٦. والقرينة في الحالتين واحدة وهي أنه لا يمكن أن توجد علاقة بين هيكل الله والأوثان. إن مقْدس الله الذي يجب أن نهابه (ع٢)، يجعل الوثنية أمرًا غير مُحتمل.

ع١٣ هنا (مثل ع٤٢ من ص٢٥) يذكِّرنا أنَّ الله لا يريد أن يكون خاصَّته "عبيدًا". كانت هذه هي حالة إسرائيل في مصر، وكانت هذه حالتنا، عندما كنَّا مُستعبدين لشهواتنا (تي ٣: ٣). لكن الآن حرَّرنا الابن، فبالحقيقة صرنا أحرارًا (يو ٨: ٣٦). أحرارًا لنعبد الله، لا كعبيد يحملون نير سيد، لكن كأولاد تدفعهم المحبَّة لعمل كل ما يُسرّ أباهم.

لقد حذَّر الله شعبه من الأوثان (ع١)، ومع ذلك كان هذا - للأسف - دأبهم خلال كل تاريخهم الطويل (عا ٥: ٢٥ -٢٧؛ أع ٧: ٤٢، ٤٣). وبدلاً من تقديم الذبائح لله، فقد

عبدوا الأوثان التي صنعوها في البريَّة، ولا سيما "مولك" الذي سبق أن حذَّرهم الرب منه (٢٠: ١-٥)، لذلك حدثت لهم كل الإنذارات المكتوبة هنا في هذه الأعداد. ما أقسى قلب الإنسان! اضطر الله أن يضرب، ويضرب بشدَّة، ليكسر ذلك القلب الحجري. أحيانًا يضطر الله أن يسلك معنا بهذه الطريقة، فهو يكلِّمنا في البداية بلطف، وإذا لم نُصغِ، يحوِّل أسلوبه إلى صيغة الأمر. قال الحكيم: «الكثير التوبيخ، المقسِّي عنقه، بغتة يُكَسَّر ولا شفاء» (أم ٢٩: ١). فليتنا نتعلَّم أن نلبِّي نداءه، قبل أن يضطر أن يتكلَّم إلينا بشكل آخر، ربَّما بالمرض أو بحادث. لكن دعنا أيضًا ندرك نعمة الله. فهو لا يضرب أكثر ممَّا هو ضروري لتعليمنا الدرس، ويستمر مُثابرًا في عمله حتَّى يوجِّه أفكارنا وقلوبنا نحوه.

ويُوَضِّح الرب هنا أنه سوف يحصل على حقه بأسلوب أو بآخر. فإن أهمل الشعب حفظ السنة السبتية التي تحدث الرب عنها في ص٢٥، فهو سيعرف كيف يجعلهم يحفظونها بأسلوب آخر، كما يذكر هنا في (ع٣٤)؛ إنه سيدفعهم للسبي فتقفر الأرض حتى تستوفي سبوتها، التي فشل إسرائيل في حفظها. ولقد كان هذا أحد أسباب السبي البابلي كما يخبرنا أخبار الأيام الثاني ٣٦: ٢٠، ٢١.

كم كانت نتائج خطيَّة إسرائيل مُخيفة! كان الله أشد قسوة ضد شعبه، منه ضد الأمم. لماذا؟ لأنَّ مسؤوليَّة إسرائيل أعظم. لقد اؤتمنوا على أقوال الله، لا سيَّما الشرائع التي قرأناها في سفري الخروج واللاَّويين؛ وفوق ذلك كان الإسرائيليون مرتبطين بالله الحقيقي، واسمه كان يُجدَّف عليه من الأمم بسببهم (انظر رومية ٣: ٢؛ ٢: ٢٤). إذا كان الله قد انتظر من إسرائيل أكثر من الأمم، أفلا ينتظر أكثر جدًّا من المؤمنين مثلنا، عندهم كلمة الله بين أيديهم، وترَبَّوا في عائلات مسيحية؟ «فكل مَن أُعطي كثيرًا، يُطلب منه كثير» (لو ١٢: ٤٨). ليتنا نتذكَّر ذلك على الدوام!

وفي آخر الأصحاح يوضِّح الرب أن هذه التَّجارب المذكورة في أصحاحنا، كانت ضروريَّة لتؤدِّي بالشعب إلى الاعتراف بخطاياهم (ع٤٠)، والخضوع وقبول

التأديب (ع٤١)، ليأتي إليهم الرب بالبركة في النهاية (ع٤٤،٤٥).

٢٧

النذور والأقداس

في خـــروج٣٠ نقرأ أنَّ فضّة الفداء كانت واحدة للجميـــع. لكن هنا على العكس توجد تقاويم مختلفة، لأنَّ المسألة هنا ليست مسألة فداء أو خلاص نفوسنا، بل مقدِرة الفرد على استخدام ما أؤتمن عليه. كل ابن لله أفتُدي بنفس الثمن، الذي هو دم الربّ يســوع الثمين، لكن ليس الكل في مستوى واحد من حيث قدرتهم على الخدمة. فهنا يتدخَّل الكاهن ليقدِّر عمل كل واحد «فحسب تقويمك يا كاهن، هكذا يكون» (ع١٢). كم نميل نحن الآن لأن نصدر أحكامنا ســريعًا على ما يعمله المؤمنون الآخرون، أو ما لا يعملونه، لكن ليتنا نتذكَّر أنَّ الربّ يسوع هو الذي له الحكم (١كو ٤: ٤، ٥).

يجب أن يُقدَّس كل شــيء للرب: النفوس (ع٢)، والبهائــم (ع٩ -١١)، والبيوت (ع١٤)، والأراضي (ع١٦، ٢١ -٢٣). طبعًا لا يوجد أثمن من أن يقدِّم الواحد نفسه للرب. هذا ما قيل عن المكدونيين إنهم «أعطوا أنفسهم أولاً للرب»، فجاءت خدمتهم وعطــاياهم من قلب فرحان، فائض بالعرفان (٢كو ٨: ٢ -٥).

لنترك الأمر للربّ ليقدِّر ويقوِّم ما يفعله الآخرون. أمَّا عن أنفسنا، فليتنا لا نسعى لتقدير الآخرين، فالبشر قدّروا ســيدنا الكريم بثلاثين من الفضة (زك١١: ١٢، ١٣)؛ لكن ليتنا نحرص على أن يكون سيدنا الكريم راضٍ عن عملنا (٢تي ٢: ١٥).

* * * *

في هذا السفر، سـفر اللاَّويين الذي وصلنا إلى نهايته، تأمَّلنا في الكاهن وأعماله. كانت دراسة صعبة أحيانًا، لكن انشغالنا بالمسيح، **رئيس الكهنة العظـيم**، أعطـانا فوائد كثيرة. بالتأكيد أمكننا أن ندرك دوره في كل وجه من وجوه الحياة المسيحيَّة. بالنسـبة **لخلاصنا**، قد صنع كفَّارة، عندما دخل إلى الأقداس بدم نفسـه، فوجد فداءً أبديًا. بالنسـبة **لسـلوكنا**، رأينا اهتمامه الدائم أن يحفظنا من النجاسة ومن البرص الأدبي. وبالنسـبة **لخدمتنـا**، فهو - كما في أصحاحنا هذا - الذي يقدِّر كل شـيء بحسب تقديره الإلهي الصحيح.

سفر العدد

مقدمة

الكاتب: هو موسى، كاتب الخمسة الأسفار المعروفة باسمه. انظر أيضًا عدد ٣٣: ١، ٢.

طابع السفر: لأنه يتحدث عن الإنسان، فطــابعة، كما هو متوقَّع: الفشل. ولا سيما أن رحلة التيهان في سيناء كانت بســبب عدم إيمان الشعب. وهو يمتلئ بتذمّرات الشعب وأنينهم. ويســمّى الســفر في الأصل العبري: "**في البرية**". ومن الناحية الرمزية فإنه يصوِّر لنا جانبًا آخر من الحياة المســيحية، وهــي الحركة والخدمة. فنحن نعبر برية هذا العالم، في طريقنا نحو الوطن الســماوي. وكم هو مناسب أن يكون هو السفر الرابع، فرقم "٤" يحدِّثنا عن الأرض وعن العالم.

تواريخ السفر: مثل باقي أسفار موسى الخمســة، كُتب حوالي عام ١٤٤٠ ق.م. وهو يغطِّــي فترة زمنية قرابة أربعين ســنة، هي ســنوات التيهان في برية ســيناء. من وقت تأسيس خيمة الاجتماع في السنة الثانية في الشهر الثاني (١:١)، وحتى وصول الشعب إلى سهول موآب، حيث مات موسى (٣٣:٣٨؛ ٣٦:١٣؛ قارن تثنية ١:٣).

موضوع السفر:

في سفر الخروج نحن نجد الرب الفادي، وفي سفر اللاويين يُدخِل الرب شعبه في عهد معه، وهنا في ســفر العدد يضعهم في مركز الشهادة. والشهادة في سفر العدد كلمة أساســية، ولو أنها لا ترد في سفر اللاويين ســوى مرتين (١٦:١٣؛ ٢٤:٣)، بالارتباط مع كرسي الرحمة، ومع الحجاب.

وإن كان السفر السابق (اللاويين) حدّثنا عن السجود، فإن هذا السفر يحدّثنا عن السلوك والخدمة. ولقد سُمي هذا السفر في الترجمة السبعينية "العدد" نظرًا للتعداد الذي تم مرتين: في بداية رحلة الشعب في البرية (ص١)، وفي نهايتها (ص٢٦). التعداد للجيل الأول تم في برية سيناء، وللجيل الثاني تم في برية موآب، وفيه يُسجِّل **عدد** كل سبط من أسباط إسرائيل، حيث **أحصى** الربّ عدد رجال الحرب واللاّويين والكهنة.

و"سفر العدد" هو في حقيقة أمره سفر اللاويين، المشغول بخدمتهم، بينما "سفر اللاويين" هو في الواقع سفر الكهنة وتقدماتهم.

مقارنة مع سفر اللاويين

اللاويين	العدد
مشغول بالأقداس	مشغول بالبرية
يحدثنا عن القداسة	يحدثنا عن الارتحال
مهتم بالشركة مع الله	مهتم بالأمانة للرب
سفر طقسي	سفر تاريخي

تقسيم السفر:

١ - **الجيل القديم**: وترتيبات للرحلة ص١ - ١٠: ١٠

٢ - **فترة انتقالية**: وحوادث محزنة في الطريق، أدّت إلى التيهان لمدة أربعين سنة ص١٠: ١١ إلى ص٢٠

٣ - **الجيل الجديد**: وحوادث على مشارف نهاية الرحلة ص٢١ - ٣٦

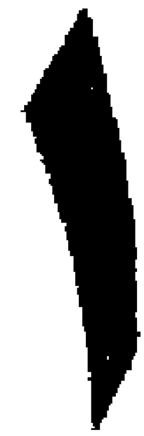
أو بكلمات أخرى

القسم الأول ص ١-١٠: ١٠	من رعمسيس إلى سيناء	(إرشادات الرحلة)
القسم الثاني ص١٠: ١١ -١٩: ٢٢	من سيناء إلى قادش	(تباطؤ الرحلة)
القسم الثالث ص٢٠ - ص٣٦	من قادش إلى نبو	(مخاطر الرحلة)

كلمات مفتاحية:

البرّية: ترد حوالي ٤٥ مرة.

التذمّر: ٧ مرات.



تعداد الشعب

قبل أن يتم عَد الشعب، كان يجب أن ينتسب كل واحد لسبطــه ولعشيرته (ع١٨)، أي يحدِّد ابن مَنْ هو. وهكذا على كل واحد منَّا أن يعرف ما إذا كان هو ابنًا لله، أم لا، ويكون مســتعدًا للاعتراف بهذا (رو ١٠: ٩). لكن لاحظ جيِّدًا أنَّ الواحد كان يُعتبر إسرائيليًّا إذا انتسب أبواه إلى أحد الأســباط الاثني عشر. أمَّا المســيحي، فلا يُعتبر مؤمنًا لأنَّ أبويه مسيحيان مؤمنان، لكنه يُعتبر مسيحيًّا حقيقيًا إذا كان هو يؤمن قلبيًّا بالربّ يسوع المسيح، حتى إن كان أبواه غير مسيحيين. وفي هذه الحالة فقط، يكون من الشعب السماوي، الذين هم في طريقهم إلى السماء، وأسماؤهم مكتوبة في السماوات (لو ١٠: ٢٠).

وهذا الفصل يحدِّثنا ليس فقط عن الإســرائيلي بالمولد، بل أولئك الخارجين للحرب

(ع٣). وواضـــح أن الطفل المولود حديثًا لا يمكنه أن يحـــارب. وفي عائلة الله هناك الأطفـــال وهناك الأحداث وهناك الآبـــاء (ايو٢: ١٣-١٨). ومع أن الـــكل لهم الحياة ذاتها، ولكن ليس عليهم المسؤولية نفسها. يمكن للطفل أن يشتهي اللبن العقلي لكي ينمو به (ابط ٢: ٢؛ قارن لوقا ٢: ٤٠، ٥٢). وبمجرد أن يبلغ، ويصبح «من ابن عشرين ســـنة فصاعدًا» (ع٣)، يمكنه أن يحمل الســـلاح. وبالتالي يتعلم الانضباط والخضوع للسُلطـــة (لو ٧: ٨)، ويحتمل المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح (٢تي ٢: ٣)

كل الذين تم تسجيلهم في هذا الفصل كانوا قد عبروا البحر الأحمر في العام الأسبق. لقد «اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر». وتمتّعوا بكل الامتيازات الممنوحة من الله لشـــعبه: المن، والماء الخارج من الصخرة المضروبة (١كو١٠: ٢). ولكن من هذا العدد الكبير، الذي تجاوز ٦٠٠ ألف شخصًا (ع٤٦)، كم واحد منهم بلغ أرض الموعد؟ اثنان فقط، سُـــرَّ بهما الله، لأنه كان لديهما الإيمان (١كـــو١٠: ٥؛ عب١١: ٦)! وهكذا بين ملايين المدعوين مســـيحيين اليوم في العالم، لا أحد - ســـوى الرب - يعلم من هم للرب فعلاً (٢تي ٢: ١٩). لنتذكر هذا جيدًا، ولنعلم أنها ليست المعمودية المسيحية، بل الإيمان الحقيقي والقلبي، هو الذي يجعلنا شعب الله بالحقيقة.

ولقد كانت محلة إســـرائيل تتكون من ثلاث طبقات من الشـــعب، موضوعة في ثلاث دوائر مشتركة في المركز، ومركزها خيمة الاجتماع، والتي فيها تابوت العهد، الذي كان رمزًا لحضور الرب وسط شعبه.

الدائرة الخارجية: تشمل رجال الحرب، وهم غالبية الشعب.

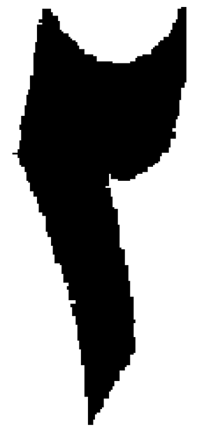
الدائرة الثانية: تشمل اللاويِّين أو الخدام.

الدائرة الثالثة والصغرى، حول خيمة الاجتماع مباشرة، دائرة الكهنة.

ولقد انشـــغلنا بالدائرة الصغرى في الســـفر الســـابق "اللاويين". وأما الدائرتان الباقيتان فهما موضوع هذا الســـفر. وكل مؤمن اليوم يجـــب، كجندي، أن يحارب

المحاربة الحسنة، ويمسك بالإيمان (١تي١: ١٨،١٩)، ويقاوم حيل الشيطان مُستخدمًا سلاح الله الكامل (أف٦: ١١-١٧). وفي الوقت نفسه، كخادم، يجب عليه - مثل أرخبس - أن يُتمِّم الخدمة التي قبلها من الربّ (كو ٤:١٧).

لاحظ أخيرًا أنَّ اللاَّويِّين لم يُعَدّوا ضمن رجال الحرب (ع٤٧). فالقوّة والشدَّة ليست مطلوبة في خدمة الربّ يسوع، لكن المطلوب هو القرب من الربّ، كما كان اللاويون حول الخيمة.



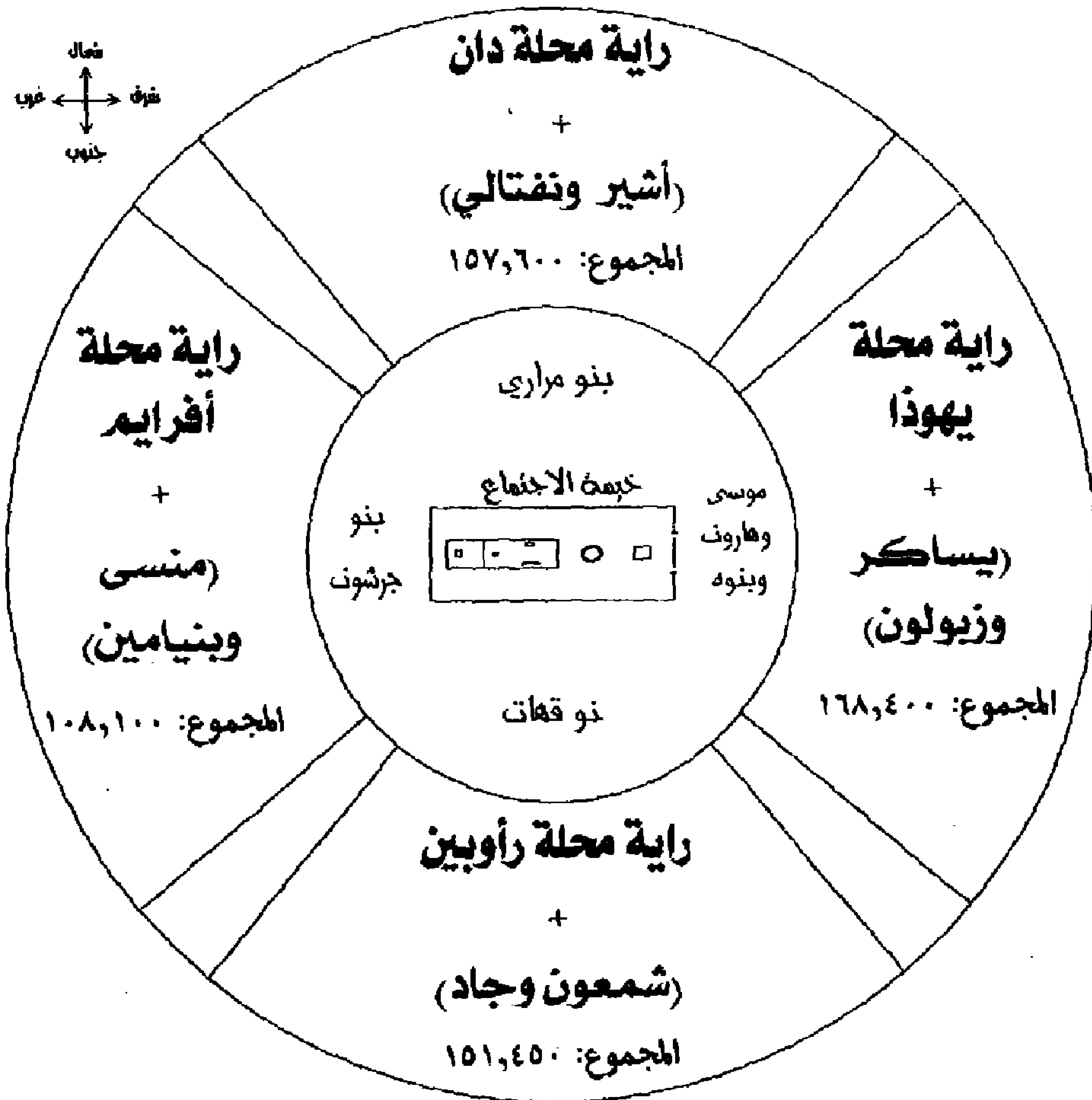
المحلة ونظامها

كانت خيمة الاجتماع هي مركز المحلة المتسعة التي يسكن فيها أكثر من ٢ مليون نسمة، وكان قطرها (بحسب يوسيفوس) نحو ٢٠ كم. وكانت الخيام كلها متجهة نحو خيمة الاجتماع، وأول منظر يرونه في الصباح كان عمود السحاب، وآخر منظر يرونه في المساء كان عمود النار (قارن ٢٤: ٥). والرب بعد أن أحصى الشعب في ص١، نراه هنا يجمعهم في محبَّته حول نفسه ليمتِّع الجميع بقُربه بالتساوي. كان كل ثلاثة أسباط يحلون تحت راية في إحدى الجهات الأربع الأصلية. كل شيء كان بنظام وترتيب تام. فالله إله ترتيب ونظام، وليس إله تشويش (١كو١٤:٣٣).

بنفس الطريقة اليوم، يُحدِّد الله المكان لكل واحد من خاصته «وضع الله الأعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد» (١كو١٢:١٨). بل إنه ليس بالصُدفة أنَّك وُلدت في هذه العائلة بالذات، أو أنَّك تعيش في هذه المدينة دون غيرها. إنَّه هناك تمامًا سرّ الله أن

يضعك. فالاختيار ليس لك، لكن الله يعمل حسب مشروع علوي إلهي قد لا نفهمه.

كثيرون من المسيحيِّين وضعوا لأنفسهم شعارات ورايات من عندياتهم. اسم إنسان أو نظرية أو تعليم، ويصبح ذلك راية يقفون تحتها، وتعزلهم عن الآخرين. الله لا يعترف بهذه التسميات ولا بهذه الرايات الموضوعة بمعرفة الإنسان. إنه لا يعترف إلاَّ بالمركز الذي عيَّنه هو، وهو الربّ يسوع "المسكن الحقيقي"، الذي حوله يلتفّ أولاد الله الذين كانوا فيما سبق متفرقين، وهو الذي تسمّيه كلمة الله «المُعلَم بين ربوة» (أي المرفوع مثل العلم بين عشرة آلاف – نش ٥: ١٠).



رسم كروكي يوضح الخيمة وحولها الأسباط الاثنا عشر



اللاويون وخدمتهم

حســنُ أن يبدأ هذا الفصل بذكر الكهنة وخدمتهم، وذلك لأن الخدمة المقبولة عند الله هي التي تكون نتيجة معرفة قيمة شــخص المســيح. فالمسيح، وليست خدمته، ينبغي أن يأخذ مكان الاهتمام الأول (١بط ٢: ٥، ٩).

ولقد أفرز الله ســبط لاوي لخدمة المقادس. ولقــد ظــهرت نعمة الله نحو لاوي الذي كإنســان كان عنيفًا قاســيًا حاد الطبع (تك٤٩: ٥-٧)، ولكنه بعد ذلك أظــهر الأمانة من نحو الرب في حادثة العجــل الذهبي (خر٣٢: ٢٦-٢٩). وكمكافأة على ذلك دعا الرب بني لاوي ليقتربوا ويقفوا أمام رئيس الكهنة ليخدموه، وليخدموا خدمة المســكن (ع٦،٧). وهي صورة لكل مسيحي، فنحن مدعوون لخدمة الرب ولخدمة كنيسته، فلا واحدة دون الأخرى.

ونلاحظ أن الوحي اســتخدم هنا، عن خدمة بني لاوي، بعض التعبيرات العسكرية؛ فنقرأ في ع٧،٨ عن الحراســة. وهي تذكرنا بما ورد في إشعياء ٢١: ٨ «أنا قائم على المرصد دائمًا في النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالي». ليت الرب يحسن إلينا فنكون من ضمن هؤلاء الحراس الواقفين على المحرس كل الليالي. كما أن عبارة «كل داخل في الجند» (٤: ٣) تذكّرنا بالخدمة العســكرية الإلزاميــة، وتذكّرنا أنّه لكي نكون قادرين علــى خدمة الربّ خدمة مرضية، يجب أوّلاً أن نقف أمامه (ع٦). كيف يتم هذا عمليًا؟ أليس عن طريق الصلاة؟ ليتنا كمؤمنين نبدأ دائمًا العمل ونحن على ركبنا.

الآية ١٣ توضّح لنا متى، وكيف، قدّس الرب لنفســه سبط لاوي. فهو يعود إلى

ليلة الفصح، والتي هي بالنسبة لنا تتجاوب مع ليلة آلام المسيح. ونحن عندما نتذكَّر الصليب، نعلم أننا لم نعد لأنفسنا (٢كو ٥: ١٥). كما نلاحظ شيئًا آخر: «فتعطي اللاَّويِّين لهارون ولبنيه. إنَّهم موهوبون له هبة» (ع٩). والربّ يسوع في كلامه مع الآب عن تلاميذه، قال: «الذين أعطيتني» (يو ١٧: ٦). والحقيقة أنَّ كل خدمة تبدأ حسب رومية ١٢ بتقديم أجسادنا ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضيَّة عند الله، فهذه هي «عبادتنا العقليَّة» (المعقولة)، قبل أية أعمال صالحة أخرى.

"جرشون"، ومعنى اسمه "**غريب**"، كان يتعامل مع الخيمة والأغطية، وكل ما يذكِّر بالغربة! ثم "قهات" ومعنى اسمه "**محفل**"، كان يتعامل مع كل ما يرمز إلى المسيح في أمجاده ووظائفه المتنوعة. وأخيرًا "مراري"، ومعنى اسمه "**مُـرّ**"، كان يتعامل مع الأشياء الثقيلة، مثل أعمدة الدار وكل ما يُثبِّت هذه الأعمدة في البرية. وكما أنَّه لم يكن لأحد الحق في أن يختار المكان الذي يضع فيه خيمته، هكذا لم يكن لأي من اللاَّويِّين الحق في اختيار الخدمة التي يقوم بها. ما يجب أن نقوم به ليس بالضرورة ما نجد فيه لذة أو ما يبدو لنا ملائمًا لقدراتنا، ولا حتى ما يُقدَّم لنا أولاً. لكن يجب أن يكون هو ما يريدنا "الربّ" أن نفعله ولا شيء آخر. هو وحده رئيس رؤساء اللاويين (ع٣٢)، وهو وحده الذي يُحدِّد لكل واحد ما يفعله في خدمة الله ككل. تخيَّل ما يحدث إذا فكَّر موظفو السكك الحديدية في استبدال مراكزهم، فأخذ قاطع التذاكر مكان عامل الإشارة، وترك عامل الإشارة مكانه ليعمل بدل المهندس. أي ارتباك يحدث، وكم من الحوادث تنتج عن ذلك!

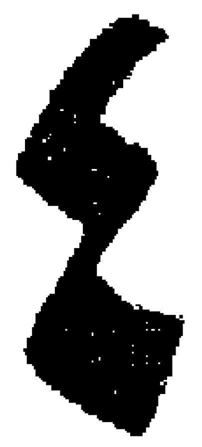
على أي حال، كيفما كانت خدمة عشائر اللاويين، فكان ينبغي وجودهم بجوار المسكن (ع٢٣، ٢٩، ٣٥). وهذا يذكّرنا بما قيل عن جماعة في أيام داود الملك «أقاموا هناك مع الملك لشغله» (١أخ ٤: ٢٣). قال رجل الله داربي: "الأقرب إلى المسيح هو الذي يمكنه أن يخدم المسيح أفضل، وبدون القرب منه يستحيل أن نخدمه".

من ع٤٠ نفهم أنه، بخلاف بني إسرائيل، كان يتم عدّ اللاويين من ابن شهر فصاعدًا.

ونتعلم من ذلك أن علامات الخدمة تبدأ مبكرًا جدًا. تذكر الصبي صموئيل (اصم٢: ١١)، وتذكّر إرميا (إر ١: ٥)، وتذكّر يوحنا المعمدان (لو ١: ١٥)، وشـاول الطرسوسي (غلا ١: ١٥)، وتذكّر تيموثاوس (اتي ١: ١٨). بل إننا نتذكر أيضًا التسالونيكيين الذين رجعوا إلى الله من الأوثان، ليعبدوا (ليخدموا) الله الحي الحقيقي (اتس ١: ٩).

ونلاحظ أن اللاويين حلّوا محل أبكار إسرائيل الذين كان مفروضًا أن يموتوا في مصر، لكن الله حفظـهم بنعمته، وعلى أسـاس دم الحمل؛ وبالتالي فإن له كل الحق عليهم. وكل مَنْ فُدي يجب أن يكون خادمًا للشـخص الذي فـداه، والذي أنقذه من براثن الشيطـان والعالم. تُرى هل نحن من ضمن هؤلاء الأبكار (عب ١٢: ٢٣)، ونحس بفضل الله علينا، وبالتالي نود أن نكرس حياتنا له (٢أخ ٢٩: ١١)؟

* في العهد الجديد يُوجد ثلاثة رسـل، يتجاوبون مع عشـائر اللاويين الثلاث: جرشـون (الغريب) الذي يتعامل مع أغطية المسكن، يُذكّرنا بالرسول بولس؛ وقهات الذي يتعامل مع القطـع التي تشـير إلى أمجاد المسـيح، يُذكّرنا بالرسول يوحنا؛ ومراري بخدمته الخاصة بالتثبيت يُذكّرنا بالرسول بطرس (لو٢٢: ٣٢؛ ابط٥: ١-٣، ٨-١٠، ١٢).



تحرك المحلة: التغطية والحمل

مـع أنَّ واجبات القهاتيين والجرشـونيين وبنـي مراري، كانـت مختلفة، لكنَّها كلها تتعلَّق "بخيمة الاجتماع". كان عليهم إنـزال الخيمة عند التحرك، وحملها كل الطريق، وإقامتها ثانية في المكان الجديد.

توجد كما رأينا أنواع خِدَم (اكو ١٢: ٥)، لكن كلها ترتبط **بيسوع المسيح ربنا.**

كل مؤمن عليه الواجب عينه، أن يُظـــهر المسيح للناس المحيطين به، ويعكس بعضًا من صفاتـــه الجميلة، في أثناء رحلتنا في هذا العالم. على خدام المســـيح أن يجعلوا شخص المسيح حيًّا وماثلاً أمام العيون في هذا العالم.

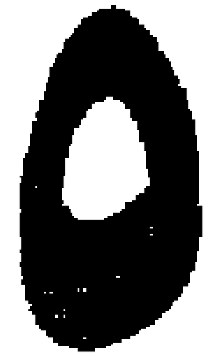
معظم أدوات الخيمة كانت تُغطـّـى - في أثناء ارتحال الشعب - بجلود التخس، صورة لنظرة العالم الوضيعة لشــعب الله، ولا سيما الخدام. ويقول الرسول بولس: «لنا هذا الكنــز في أوانٍ خزفية» (٢كو ٤: ٧). مع اســتثناء وحيــد هو التابوت، الذي فوق التخس كان يُوضع ثوب كله اســمانجوني (ع٦)، وهو يحدّثنا عن الطبيعة السمائية للإنسان الإلهي، في مسيرته هنا فوق الأرض.

وأما المنــارة فقد كانت تُحمل علـــى العتلة (ع١٠)، لتكون منــظورة من الجميع، وهي تصوِّر لنا الشهادة الواضحة للمســيح لَمَّا كان هنا، والذي قال: «أنا نور العالم». والمذبح النحاســي المُغطــى بثــوب الأرجوان (ع١٣)، يُذَكِّر المؤمن بالمســيح الذي قال لتلميذي عمــواس: «أما كان ينبغي أن المســيح يتألم بهــذا، ويدخل إلى مجده؟» (لو٢٤: ٢٦). وأما المرحضة فهي القطــعة الوحيدة التي لا يُذكر أنها كانت تُغطـــى، وربما يُصَوِّر هذا لنا احتياجنا الشديد للاغتسال، طــالما نحن في رحلة البرية.

وبينما كان القهاتيون يحملون "التَّابوت"، فقد يكون أحد بني مراري مســئولاً عن حمل وتد أو حبل. والذي يُحســب في نظر الله، ليس هو نوع العمل، بل الأمانة فيه (١كو ٤: ٢). كان العبد الذي أخذ وزنتين، والعبد الذي أخذ خمس وزنات، كلاهما أمينًا في القليل، وكلاهما أُدخل إلى فرح ســيده، وأُقيم علـــى الكثير (مت٢٥: ٢١-٢٣). ليتنا نكفّ عن حســد الآخرين في خدمتهم، أو نحــاول تقليدهم، ومن الجانب الآخر ليرحمنا الرب فلا نحتقر خدمة أحد.

وابتداء من ع٢١ نقرأ عن تعداد آخر للاويين، بخلاف الذي تم في ص٣. التعداد السابق كان من ابن شهر، وأما هنا فليس من ابن ثلاثين يومًا بل من ابن ثلاثين سنة،

إلى خمســين سنة. والرب هنا يفترض أن أفضل ســني عمرنا نكرّسها له. وطبعًا ليس المقصود هنا عمرنا بحسب الولادة الأولى، بل نضجنا الروحي، أو الخبرة التي اكتسبناها في علاقتنا مع المسيح شيئًا فشيئًا. والرب دائمًا عنده هذا المبدأ: أن الأمين في القليل، يستأمنه الرب على الكثير (لو ١٦: ١٠).



تعليمات بخصوص سكن الرب في وسط المحلة

نجد ثلاثة أفكار رئيســة في هذا الأصحاح، الفكرة الأولى ع١ -٤ قداســة المحلة نظرًا لقداســة الرب الساكن في وســطــهم (ع٣). فكان عليهم أن ينفوا من المحلة الأبرص وذي الســيل والمتنجّس لميت. والتدرج هنا واضــح، فالأبرص نرى فيه صورة ظــاهرة للدنس ومُعدِية، وذو الســيل يعطينا صــورة غير ظــاهرة للدنس، والمتنجس بميت يُمثل حالة عارضة وسط الشعب.

والفكــرة الثانية في ع٥-١٠ برّ الله. فالذي يخون عليه أن يُقِر بالذنب، وأن يرد المسلوب، ويزيد عليه الخمس.

والفكرة الثالثة في ع١١ -٣١، حيث نقرأ عن شريعة الغيرة. فالله ليس فقط الإله القدوس، ولا هو بار فحســب، بل هو أيضًا مُحب، ولهذا فإن غيرته من جهتنا قاسية كالهاوية (نش٨: ٦). وهذه الشريعة تستلزم منا أن نراجع عواطفنا من نحو عريسنا الوحيد ربنا يسوع المسيح (٢كو١١: ٢؛ ١كو١٠: ٢٢). وعلينا أن نعرف أن محبتنا للعالم تُعتَبر - من الوجهة الروحية - أنها زنى (يع٤: ٤).

ليتنا نقف أمام الرب كما كانت تقف المرأة هنا (ع١٦،١٨)! وليتنا نسـمح لكلمة الله (الماء المقدس – ع١٧)، بـأن تخترق ضمائرنا، وأن تُعلَن سـرائرنا أمام الله! وليتنا بصدق نقول للرب: «اختبرني يا الله واعرف قلبي، امتحني واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيَّ طريق باطل، واهدني طريقًا أبديًا» (مز ١٣٩: ٢٣، ٢٤)!

* الغيرة وردت في هذا الأصحاح ١٠ مرات؛ واللعنة ١٠ مرات.



شريعة النذير

بخلاف اللاَّويِّين، كان الإسرائيليون رجالاً ونساءً، يمكن أن يتقدَّسوا للربّ بوضع نذور "النذير" عليهم، أو بعبارة أخرى الإنفراز للرب. كان هذا الانتذار اختياري، لكن بمجرد أن يضع الشخص نفسه تحت النذر، لا تعود له الحرية لكي يتصرف كما كان يفعل قبلاً.

وكان على النذير أن يُتمِّم ثلاثة شروط:

أوَّلاً: يمتنع عن كل ما تنتجه الكرمة.

ثانيًا: يترك شعره يطول.

ثالثًا: يتجنَّب لمس الميت.

ونحن كمؤمنين، صرنا جميعًا منتذرين للربّ، ليست لنا المسرَّات العالمية، مُمثَّلة في الكرمة وثمرها، لكن لنا نصيب في أفراح السماء. والشعر الطويل، هو مظـهر الأنثى الخاضعة (١كو١١: ٥-١٥)؛ وهو ما ينبغـي *أن يُميِّز المفديِّين*. كما ينبغي

أن لا يكون للمؤمن صلة بالموت الذي هو علامــة وبرهان على الخطية. بل على العكس ينبغي على المؤمن أن يحسب نفســه ميّتًا عن العالم والذات والخطية. ولن يمكننا أن ننجح في انفرازنا للرب، ونتمّم تلك الشروط المخالفة للطبيعة البشرية، إلا متى وجدنا أفراحنا في الرب، وكنا متّصلين دائمًا بشخصه الكريم.

يذكــر لنا الوحي المقدس العديد مــن النذيرين لله، أمثال شمشــون وصموئيل ويوحنا المعمدان. لكن الربّ يســوع هو وحده النذير الكامل، القدوس من قبل ولادته، والمشغول فيما لأبيه، كما قال عندما كان عمره ١٢ سنة (لو ٢: ٤٩)، وتكريسه لله على الأرض كان كليًا وتامًــا، حتى موت الصليب. ومع أنه أتى إلى العالــم، لكنه لم ينسَ قطّ أنه ليس من العالم، وظل فيه غريبًا حتى عن أعياد الشــعب وأفراحه (يو ٧: ٨؛ ١٧: ١٤). ووضع العلاقات العائلية جانبًا عندما تداخلت في خدمته (لو ٨: ٢٠، ٢١). ونقرأ كثيرًا عن كمال اتّكاله على الله. ومع أنّه هو الذي خلق كل الأشــياء، لكنّه كان ينتظر باستمرار الإرشاد من الله. وكم نُعجب من قوله: «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا» (يو ٥: ١٩)!

يا له من مثال كامل لطريق التكريس! هي طريق ليســت سهلة، لكنّها تؤدّي في النهاية إلى الفرح، كما نرى صورة لذلك في نهاية ع٢٠ «وبعد ذلك يشــرب النذير خمرًا»؛ ذلك الفرح الذي ســوف يتقاسمه المســيح مع أحبائه الذين شاركوه طريق الرفض والآلام (عب ١٢: ٢؛ مت ٢٦: ٢٩؛ ٢٥: ٢١).

وعند نهاية أيــام الانتذار كان النذير يقدّم كل أنــواع الذبائح. ونحن عندما نأخذ وضع النذير بالحق، فهذا يعطينا الإمكانيــة لأن نتعمّق في إدراك كافة جوانب عمل المسيح فوق الصليب.

ثم تأتي الكلمــات الأخيرة في الفصل (ع٢٢ -٢٧) لتؤكّد لنــا أن طريق الانتذار للرب هو طريق البركة.

ع٣) **الجفنة:** هي شجرة العنب؛ و**العجم:** أي بذرة الثمرة.



تَقْدمات الرؤساء

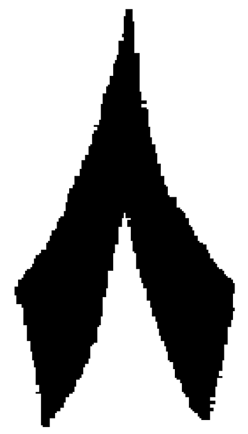
هذا الأصحاح الطويل، أطول أصحاحات هذا السفر، يتعلَّق بالتقدمات التي قدّمها رؤساء أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وهي أولاً: ست عجلات مغطّاة، واثنا عشر ثورًا. وهذه تمثل المساعدة التي يمكن لشعب الله أن يقدمها للخدام، وهي كثيرة إذ تشمل: فتح البيوت لإضافتهم، توصيلهم بالعربات من وإلى أماكن الخدمة،... إلخ. ولقد كانت هذه القرابين تُعطى للاويين «لكل واحد حسب خدمته» (ع٥). والله يعطينا أيضًا كل ما نحتاج إليه لإتمام أي عمل يأتمنا عليه. فهو يعلم ما يجب أن نفعله، وعلينا أن نعتمد عليه لأجل القوَّة اللازمة، ليس فقط العون المادي، لكن الحكمة والصبر والمحبة أيضًا.

وثانيًا: كانت هناك تقدمات لتدشين المذبح. ومن ذلك نفهم أن مساعدة الخدام في الأمور الزمنية ليس هو كل شيء؛ فإن نقدِّم طَبقًا ومنضحة كلتيهما مملوءتين دقيقًا ملتوتًا بزيت تقدمة، وصحنًا مملوءًا بخورًا، وباقي التقدمات، إنما تكلّمنا عن كمالات ربنا يسوع المسيح، وتحدّثنا روحيًا عن أهمية السجود الحقيقي الذي يميّزنا في العهد الجديد، أي أن نقدّم المسيح للآب.

وكان الرؤساء يُقدِّمون قرابينهم، رئيسًا بعد رئيس في كل يوم (ع١١). وقد نستغرب لماذا يجذب الله الالتفات لهذه القرابين بهذا الأسلوب، عوضًا عن إجمالها معًا في فقرة واحدة. إننا نفهم من ذلك أنَّ الله يُقدِّر كل التقدير كل ما يقرِّبه «كل واحد»، ولن يضيع عمل أي واحد في الزحمة، طالما أنه عُمل بدافع المحبة لشخصه.

والآية الأخيرة (ع٨٩) تُعطينا السرّ الذي جعل من موسى رجل الله. إنه الصلاة.

تأمل موسى بمسؤولياته الضخمة التي كانت مُلقاة على عاتقه، مضغوطـًا بتذمّرات، ولكنه يدخل إلى خيمة الاجتماع ليتحدّث مع الرب في سـكون المقادس. كان "يسمع الصوت يكلمه"، وعندئذ كان هو أيضًا "يتكلم مع الرب". ثم تأمل في الرب يسوع الذي عندما كان يرخي الظـلام سـدوله، بعد يوم مُضنٍ من التعب في الخدمة، كان يذهب إلى موضع خلاء لكي يصلي هناك (مر ١: ٣٥؛ ٦: ٤٦)!



ع١-٤ : المنارة الذهبية

لماذا تُذكـر المنارة ثانية فـي بداية هذا الأصحـاح، بين تقريـب القرابين في أصحاح٧ وتطـهير اللاّويّين فـي هذا الأصحاح؟ أليس ليُرينـا أنَّ النور يفحص ويقوّم "التقدمة"، وأيضًا "الشـخص"؟ فليست الخدمة فقط، بل والذي يقوم بها أيضًا. الله يعلم إلى أي مدى نحن مُكرَّسـون له. إنَّه ينظر إلـى قلوبنا، ليرى إذا كنا نقصد فعلاً الكلمات الجميلة التي نصلي ونرنم بها.

ع٥-٢٦ : تطهير اللاويين

كان هارون يردِّد اللاويين ترديدًا أمام الربّ، كأنَّـه يَدَع النور الإلهي يُنير على كل واحد منهم على حدة، غير تارك أحـدًا منهم في الظـلام. أقل بُقعة تُترك على ثيابهم، تظـهر في الحال. كم هو أمر مهم لنا أن نقف أمام الله ليفحصنا بنوره قبل أن نقوم بخدمته (١مل ١٧: ١).

قبل أن يُقدِّم اللاَّويِّـون، ويُردِّدوا أمام الربّ ترديـدًا، كان عليهم أن **يتطـهروا**، ونُقدِّم ذبائح عنهم. كانوا يُمرِّون موسـى على كل بشرهم، ويغسلون ثيابهم (ع٧). لقد مررنا على هـذه الأفعال ذات المعنى العميق عند قراءتنا عن تقديس الكهنة (خر ٢٩؛ لا ٨)؛ وتطـهير الأبـرص (لا ١٤). ليس الأمر هنا خاصًّـا بالتغيير الذي حدث في بداية تعرفنا على الرب، لكنَّه العمل الذي يتم فينا بواسـطـة الروح القدس عن طريق كلمة الله لحفظ المؤمنين طـاهرين. إن "**الموسـى**" رمز للقضاء الذي يجب أن ننفذه ضد أي شـيء يصدر من الجسـد. فالكبرياء، بصفة خاصة، سريعًا ما تظـهر في الخادم إذا لم يوجد "الموسـى" لإيقافها. وأيضًا، بعد أن غسلنا ثيابنا، لا يجب أن نلبس ثيابًا قذرة مرَّة أخرى. كذلك لكي نخدم الربّ، لا يكفي أن يكون لنا ضمير صالح، لكن يجب أن يكون لنا أيضًا سلوك بلا لوم.

لاحظ قوله في ع٢٢ «وبعد ذلك» - أي أنَّه قبل هذه الأمور، لا يسـتطيع اللاَّوي أن يُتمِّـم خدمته. يا له من درس هام! قبل أن **نبدأ** فـي أي عمل للربّ، ليتنا نَدَعه **يُتمِّم** الإعداد الذي يريد بنعمته أن نكون عليه.

* ع٤) مسحولة: أي مطروقة.

٩

ع١-١٤ : عمل الفصح في البرية

مرَّت سنة منذ أن خرج بنو إسـرائيل من أرض مصر، والرب أعطـى موسى التعليمات؛ كيف يحتفل بتلك الذكرى السـنويَّة العظيمة. كما رأينا سابقًا، كان عليهم

أن يحتفلوا بها سنة بعد سنة في كل تاريخ الشعب. إنَّك لَتجد في المسيحيَّة الآن أيَّام عُطلة سنوية مشهورة في ذكرى ميلاد المخلِّص وموته، وبعدها بالأسف لا يفكّر الكثيرون فيه حتى يأتي العام التالي. أما نحن «مفديو الربّ» (مز ١٠٧: ٢)، فلنا امتياز تَذكُّر آلامه وموته في كل أوّل أسبوع، عن طريق عشاء الرب. هذا هو **الاحتفال الوحيد** الذي عيّنه الربّ.

في إسرائيل أعدَّت النعمة لمن كان نجسًا لمَيْتٍ، أو في سفر بعيد، وتعذَّر عليه عمل الفصح في موعده في الرابع عشر من الشهر الأول، أن يعمله في الرابع عشر من الشهر الثاني بين العشاءين (ع١٢) وهذا يُرينا أنَّ الربّ يعلم ظروفنا ويعاملنا في نعمته، بدون أقل تغيير في متطلبات قداسته. كان يجب الاعتراف بالخطإ هنا، وهكذا يجب على المؤمن الآن أن يحكم على نفسه قبل الاشتراك في عشاء الرب (١كو ١١: ٢٨). وعلينا أن نعرف أن الاشتراك الآن في مائدة الرب ليس كما كان قديمًا في الفصح، تحت طائلة العقاب لمن يُقصِّر (ع١٣)، بل بدافع التقدير للمخلص المحب، الذي قال لتلاميذه: «اصنعوا هذا لذكري» (مت ٢٦: ٢٧).

«**ولا يكسروا عظمًا منه**»: هذا يرجع بأفكارنا إلى الصليب، حيث لم يكسر الجُند ساقي الربّ لكي يموت، كما فعلوا باللصين اللذين كانا معه (يو ١٩: ١٨، ٣٢، ٣٣) لأنَّه بالحق قال: «إنِّي **أضع نفسي** لآخذها أيضًا. ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي» (يو ١٠: ١٧، ١٨).

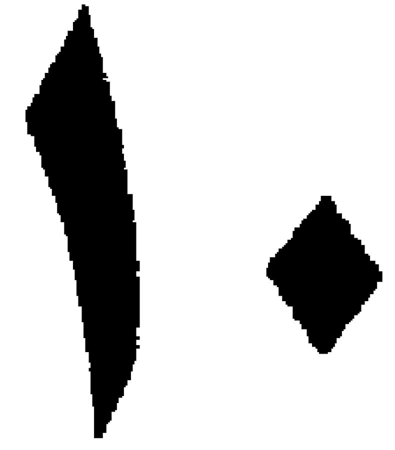
ع١٥ ـ ٢٣ : السحابة وتحرك الشعب

لم يكن على إسرائيل أن يفكِّر في المراحل المُتتابعة للرحلة في البريَّة. كل ارتحال وكل نزول كان «حسب قول الربّ» (ع١٨). إذا ارتفعت السحابة، كان على الشعب أن يرتحلوا، حتى ولو كانوا قد وصلوا توًّا، وحتى لو كان موقع المحلة

الحاضر حسـنًا. أمَّا إذا تمادت السحابة على المسكن، فكان على الشعب أن ينصبوا خيامهم دون أن يتقدَّمـوا خطوة أخرى. هل غضّوا النظر عن هـذه القيادة الإلهية "يومًا واحدًا أو أيامًا قليلة"؟ كلاَّ على الإطـلاق. كانوا مُنقادين بهذا الإرشاد الإلهي في البقاء، كما في الارتحال بالليل أو بالنهار. إنَّها صورة جميلة للاعتمادية الدائمة التي تليق بالمفديين. إن السـحابة كانت تشير إلى حضور الرب قديمًا مع إسرائيل، أما بالنسبة لنا فإن الله يسكن فينا. وإن كان شعب إسرائيل قديمًا كانوا يتحركون عن طريق السحابة، فنحن في العهد الجديد لنا قيادة روح الله الساكن فينا (رو ٨: ١٤).

ليت مشـيئة الله تكون المحرِّك الوحيد لكل خطوة نتَّخذها، ولكل شيء نعمله، كما كان يفعل ربّنا يسوع له المجد.

* في هذه الأعداد ١٥-٢٣ تتكرر عبارة "حسـب قول الرب" ٧ مرات؛ وكلمة "المسـكن" ٧ مرات؛ وكلمة "السـحابة" ١١مرة. فإذا أضفنا إليه أصحاح ١٠ فإن كلمة "السحابة" ترد في الفصلين ١٤ مرة.



ع١ ـ ١٠ : البوقان من فضة

عندما كان يُعلـن فكر الله، كان الكهنـة الضاربون بالأبواق يضربـون، لكي يعطوا الإشـارة بالتحركات المختلفة. فكان يُضرب بالأبواق لاجتمـاع الجماعة (ع٣، ٤)؛ أو لارتحال المحلات (ع٥، ٦)، وأيضًا في الحروب (ع٩)، وفي أيام الأعياد (ع١٠). وهذه الأبواق تحدِّثنا عن الشـهادة للرب في اجتماعات القديسـين، وفي تحركهم، وفي جهادهم وفي سجودهم. وفي وسط عالمٍ معادٍ، لنا الوصية: «لا تخجل بشهادة ربنا» (٢تي ١: ٨).

ع١١ -٢٨ : بداية الرحلة

بمجرد أن ارتفعت السحابة، ضُرِب بالأبواق الفضية، وتجمع الشعب ورؤساؤهم، وأنزل اللاّويون الخيمة، وأخذ كل واحد مكانه في الرحيل. ثم ضربت الأبواق هتافًا لبدء التحرك، وفي الحال بدأت الأسباط في الارتحال بحسب راياتهم (٢: ١٧).

والمؤمنون اليوم في كل أنحاء العالم ينتظرون إشـــارة الرحيـــل العظيم. فنحن ننتظر هتاف البوق، عندما الربّ نفســـه، بهتاف بصوت رئيـــس ملائكة وبوق الله، ســـوف ينزل من السماء (١تس ٤: ١٦)، ليدعو قدِّيســـيه الراقدين والأحياء لمُلاقاته في الهواء. فلا يكـــون ارتحال بعد ذلك، ولا فراق، ونكون قـــد وصلنا إلى الرَّاحة السماوية، لنكون كل حين مع الربّ. هل هذا رجاؤنا؟

ع٢٩ -٣٦ : موسى وحوباب، وتابوت عهد الرب

ونحن في غمرة الأفراح والشوق في انتظـــار مجيء العريس، لا يجب أن نغفل الذين سيُتركون على الأرض بعد الاختطـــاف. ولذلك فإننا ننادي لتلك النفوس بأن تسرع بالتوبة والإيمان قبل أن تفلت الفرصة منهم. والكنيسة مع الروح القدس تُخبر العالم «مَنْ يعطش فليأتِ» (رؤ ٢٢: ١٧).

هذا ما قاله موســـى لحوباب عندما كان على وشـــك أن يبدأ الرحلـــة في البريَّة «اذهب معنا» - تعال وتمتّع معنا بكل الخير الذي وعد الربّ أن يفعله لشعبه. أجاب حوباب «لا أذهب» مع أنَّه كان قد تمتع فعلاً ببعض صلاح الله.

يا للحســـرة! كثيرون في عائلاتنا، مثلما كان في عائلة موســـى، غير مستعدين لترك العالم. فدعنا نصلي لأجلهم.

لكن لماذا طلب موســـى مساعدة حوباب في قيادة الشـــعب في رحلة البريَّة؟ هل

نسي السـحابة التي تهديهم؟ وبدءًا من هذا الأصحاح سـيقابلنا الفشل تلو الفشل من جانب الشعب، لكن يا للأسـف أن يكون الفشل الأول في هذا السفر من جانب رجل الله العظيم موسى! على أي حال دعنا لا ندين موسى هكذا سريعًا، لأنَّنا نحن كثيرًا ما نصغي لنصائح أهل الخبرة، أكثر من الاعتماد على قيادة الربّ.

المسـيح لنا هو مثل ذلك «**التَّابوت المقدَّس**» الذي كان يذهب أمام الشعب. لقد ذهب أمامنا، وأخذ مسـيرة الثلاثة أيام: موته، ودفنه، وقيامتـه؛ ففتح «طريقًا حديثًا حيًّا» أمام شعب مولود ثانية، في طريقهم للمجد السماوي.

ع٢٥) **ساقة**: أي مؤخرة (يش٦: ٩).

حوباب هو الاسـم الشخصي لأخي صفورة زوجة موسى، وأبوه هو رعوئيل، وأما يثرون فهو الاسم الرسمي له باعتباره كاهن مديان.



ع١-٩ : **تبعيرة وشهوة اللفيف**

يبدأ الفصل بأن اشتكى الشعب. ولقد عاقبهم الرب على ذلك، واشتعلت فيهم "نار الربّ".

لكن يبدو أن هذا الدرس لم يكن كافيًا، فنقرأ أن "اللفيف" الذي في وسطـهم اشتهى شـهوة. واللفيف هو خليط من شعوب مختلفة خرجوا من مصر مع الشعب (خر١٢: ٣٨). ولقد نهت الشريعة عن خطية الشهوة بحسـب الوصية العاشرة. لكن اللفيف

اشتهى، فبكى الشعب، وطلبوا الطعام الذي كانوا يأكلونه مجانًا في مصر. لاحظ قولهم مجانًا! لقد نسي هذا الشعب التعس سياط المسخّرين التي كانت تلهبهم في معاجن الطين!

لاحظ أيضًا أنَّ هذه الأطعمة المُرتبطة بمصر: الثوم والبصل والكُرَّات... إلخ، تشترك في الخواص الآتية: لها طعم حارق وتنبّه الشهية، لكن غير مُغذيَّة، وأحيانًا كثيرة تصبح عسرة الهضم. والدرس الذي لنا في هذا الجزء واضح. فعلى أي شيء يحاول رجل العالم أن يغذّي نفسه؟ المجلات والروايات والأفلام... أشياء كثيرة جذَّابة للجسد، لكن غير نافعة للنفس، بل على العكس من ذلك، فهي مُضرّة.

لماذا تذكَّر إسرائيل طعام مصر؟ لأنَّ المن الذي طعمه مثل "رقاق بعسل" (خر١٦: ٣١)، فقد حلاوته في تقديرهم، وأصبح مجرد قطائف بزيت (ع٨). وبعد ذلك قالوا عنه "هذا الطعام السخيف" (٢١: ٥)! أيها القارئ العزيز: إذا كنت مُجرَّبًا بأطايب العالم، فاسأل نفسك هذا السؤال: أليس السبب أنك لم تعُد تتلذَّذ بكلمة الله الثمينة؟

وكما احتقر الشعب المن هنا، فإنه لما أتاهم المسيح في ملء الزمان (يو٦: ٣٣، ٤١) احتقروه ورفضوه، وفي النهاية صلبوه!

ع ١٠-٣٥ : فشل موسى في اكتشاف منابع الرب الغنية

يشير المُرَنِّم في مزمور ١٠٦: ١٣- ١٥ إلى هذه الحادثة فيقول: «أسرعوا فنسوا أعماله... بل اشتهوا شهوة في البريَّة... فأعطاهم سؤلهم وأرسل هُزالاً في أنفسهم». ونحن عندما نُصِرّ على الحصول على شيء لم يكن في قصد الله أن يعطيه لنا، ربَّما يعطيه لنا أخيرًا، لكن مع كل النتائج المُحزنة، مثل التي نجدها في الأعداد١٩، ٢٠، ٣٣. بالنسبة للشعب، الكلمة المُترجمة "هُزالاً" في المزمور، هي أكثر خطورة من المرض العادي. إنها تعني تدهورًا متواصلاً في الصحة. ليحفظنا

الربّ من حدوث هذه الحالة لنفوســنا! لذا ليتنا نتحذّر من «الشهوات الجسدية التي تحارب النفس» (١بط٢: ١١)، وليت الرب يجعلنــا مكتفين بما يعطيه لنا، وراضين بما يمنعه عنا.

ونحن نجد هنا موســى وقد ضعف بسبب تذمّر الشــعب وثِقْل حمله، بدأ يلوم الرب (ع١١)، مع أنَّه في نهاية الأصحاح الســابق، نسمعه يقول بانتصار: «ارجع يا ربّ إلى ربوات ألوف إسرائيل». إذًا فنحن هنا لا نجد فشل الشعب وحده، بل القائد أيضًا، وعبَّر عن فشــله هنا بأســئلة ســباعية دلّت على عدم الإيمان (ع١١، ١٢، ١٣، ٢٢). لقد فشل موسى في اكتشاف منابع الغنى الإلهي، في ذاك الذي لا تقصر يده عن أمر ما (ع٢٣).

بالتأكيد موســى "وحده" ما كان يقدِر أن يحمل كل هذا الشعب، لكن هل حقًّا كان وحده؟ كلاَّ، على الإطــلاق. الربّ نفســه حَمل إســرائيل «على أجنحة النسور» (خر١٩: ٤)، «كما يحمل الإنسان ابنه» (تث ١: ٣١).

بســبب حاجة موسى إلى إيمان أكثر، خسر موســى بركة: إذ أخذ الله من الروح الذي عليه، وأعطــاه لســبعين آخرين من شيوخ الشعب. وللسبب عينه أُعطــي له هارون ليكون فَمًا له (خــر ٤: ١٦). إنَّه لمُذّل لنا أنَّ حاجتنا للإيمان تضطر الله أن يُعطــي الآخرين جزءًا من عملنا. ولقد جمع موسى السبعين رجلاً الذين اختارهم، وأوقفهم حوالي الخيمة، لكن بقي اثنــان في المحلة، وهما ألداد وميداد (ع٢٦)، فحلّ عليهمــا الــروح فتنبــآ هناك. أراد يشــوع أن يمنعهمــا (قارن مع لوقا ٩: ٤٩)، لكن موســى على العكس، فرح بهذا الخبــر. وبالمثــل فلقد

اعتراضات ثلاثية في هذا الفصل

- الشعب يعترض على الأكل (ع٤-٩).
- موسى يعترض على تحمل المسئولية (ع١٠-٢٣).
- يشوع يعترض على الرجلين اللذين تنبآ (ع٢٤-٢٩).

فرح الرسول بولس بإذاعة أخبار الإنجيل، حتى وإن كان البعض يفعل ذلك عن حسد وخصام (في١: ١٥-١٨).

لقد أعلن الله في الكتاب المقدس ضرورة الخروج من "محلة" الاعتراف الديني، لكن دعنا لا ندين أولئـك الذين لم يتعلَّموا هذا الانفصال بعد، فقـد يكونون أتقى منَّا، وأكثر تكريسًا. وليتنا نتذكَّر أنَّ كل ما عندنا، هو مُعطـى لنا من الله من مجرَّد نعمته الغنية.

وبالنسـبة لما حدث في آخر الأصحاح، نحن نتخيَّل ماذا يمكن أن يحدث لأكوام السلوى الميتة تحت شـمس الصحراء الحارقة. وهو درس تحذيري لنا، «لأن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فسادًا» (غلا ٦: ٨).

ع٧) **المقل**: نوع من الصمغ العطري (تك٢: ١٢).

ع٨) **ملات**: مفردها ملة. أي كعك مشوي على حجارة حارة.

ع١٧) «آخـذ من الروح الذي عليك» (انظر أيضًـا ٢٥): ليس أن الروح القدس الذي كان على موسـى قلّ، بل إن النعمة والإمكانية المعطاة له بالروح القدس هي التي توزّعت على السبعين.

١٢

تكلُّم مريم وهارون على موسى

نتعلَّم من يعقـوب ٣: ٦، ٨ أنَّ اللسـان «عالم الإثم»، وهو عضو لا يسـتطيع أحد من الناس أن يُذلِّـله، وهو شـرٌّ لا يُضبط مملوء سُـمًّا مُميتًا. ليس فقط لسان الآخرين، لكن لساني ولسانك. وهاك عيِّنات من الأشياء التي تقولها ألسنتنا: الكذب

والحلف والهَــزَل والافتخار والهُزء والنميمة... إلــخ. إذا كان هذا يبدو في نظرك كثيرًا، فلاحظ لسانك وما يخرج منه في نصف يوم فقط.

يحدّثنا هذا الأصحاح عما حدث من موســى وهــارون ومريم. أخّان وأخت من عائلة واحدة، وليس ذلك فقط بل هم عائلة قيادة الشــعب، إن جاز لنا تسميتهم هكذا. لقد ظــهر الحســد في مريم وهارون، فتكلّما ضدّ موسى. والأرجح أن الكلام كان سرًّا، وفي أذن هارون (لو ١٢: ٣)، ولكن الرب سمعه (ع٢ قارن ١١: ١). ودعنا نتذكر أنه لا توجد همسة ننطق بها، أو حتى ما زالت في ألسنتنا، إلا والرب يعرفها تمامًا (مز ١٣٩: ٤).

الحجّة الظــاهرية في الانتقاد كانت الزوجة الكوشــية+ التي أخذها موسى، لكن الحقيقة أنّهما حسدا مركز موسى (ع٢). مع أنّ هارون كانت له واجبات فوق العادة كرئيس الكهنة، ومريم كانت نبية، وقادت الترنيم على شــاطــئ البحر الأحمر (خر ١٥: ٢١). ولقد ظــهرت وداعة موســى في هذه المناســبة. ونلاحظ أنه في كل مرة كان يُهان مجد الرب، كان يشــتعل غضب موسى بشــدة، وهو غضب مقدس، لكن عندما أســيء إليه هو شخصيًا فإنه لم يغضب، بل ولم يحاول تبرير نفسه! لكن الرب هو الذي دافع عن عبــده الأمين، فجمع ثلاثتهم إلى خيمــة الاجتماع، ثم دعا الاثنين المذنبين فتقدما وحدهما. ومن العقاب الذي أوقعه الرب على مريم++ يتضح لنا بشاعة الذنب في نظر الرب. لقد ضُربت مريم بالبرص. وكانت الكلمة الوحيدة التي خرجت من موسى هي كلمة التوسل لأجل أخته: "اللهم اشفها" (ع١٣)!

إنه أصحاح محزن في تاريخ الشــعب، يحدثنا عن مذمــة واغتياب يصدران من القــادة (ع١)، فتكون النتيجة مزدوجة: **يحمى غضب الرب (ع٩)، وتتعطل مســيرة الشعب (ع١٥)!**

ليتنا نتعلم أن نطرح "الحسد وكل مذمة" (١بط ٢: ١).

† ع١) الأرجح أنها هي بعينها صفورة، والتي كانت قد رجعت عن اتباع موسى وهو في طريقه إلى مصر (خر ٤: ٢٤-٢٦)، ثم أحضرها أبوها معه (خر١٨: ١-٦)، في بداية رحلة الشعب في البرية.

†† يتساءل البعض: لماذا ضُرِبَت مريم وحدها بالبرص، ولم يُضرب هارون أيضًا؟ والإجابة أن مريم - كما نفهم من ع١ - كانت هي القائدة في المذمّة، وهارون بشخصيته الضعيفة انقاد لها (قارن خروج ٣٢). والسبب الآخر أن هارون بحكم كونه رئيس الكهنة، ما كان يمكن أن يمثِّل الشعب وهو أبرص. فلمقتضيات وظيفته عُفيَ عنه من العقاب، ولو أنه أحس فورًا بالذنب، واعترف به (ع١١).

١٣

إرسال الجواسيس لتجسس أرض كنعان

اقترب الشعب من أرض الموعد، فأرسل موسى اثني عشر رجلاً، رجلاً من كل سبط، ليتجسَّسوا الأرض، ويعطوا تقريرًا، ويأتوا ببعض أثمارها. لم يكن هناك لزوم لهؤلاء الجواسيس فالرب بنفسه تجسّسها لهم (حز٢٠: ٦). ومن تثنية ١: ٢٢ نفهم أن الفكرة نبعت من الشعب، وأنها لاقت قبولاً من موسى، والرب صادق عليها.

صعد الرجال إلى حبرون، حيث اشترى إبراهيم مغارة المكفيلة (تك ٢٣: ٩)، ودُفن فيها مع عائلته. وأحضر الرجال عنقودًا ثقيلاً من العنب حمله اثنان، وبعض الأثمار الأخرى، ورجعوا من رحلة المُعاينة بعد أربعين يومًا.

وأرض الموعد بالنسبة لنا هي السماء. وكما كان الشعب، هكذا نحن في البريَّة

- أي في العالم. نحن لم نرَ بعد الميراث الـذي يريد الله أن يُدخلنا إليه، لكن يوجد مَنْ يعلم كل شيء عنه، ويستطيع أن يُخبرنا عنه، وهو "الروح القدس" الذي يتكلَّم إلينا عن السماويات. وكما كان عنقود العنب من "أشكول" علامة ظاهرة على غنى الأرض، هكذا الروح القدس يجعلنا نتذوق مُقدَّمًا شيئًا من فرح السماء، ويعرِّفنا الأشياء الموهوبة لنا من الله (١كو٢: ١٢)، كما يأخذ ممَّا للمسيح ويُخبرنا (يو ١٦: ١٤). وبذلك، رغم كوننا في البريَّة، نقدر أن ننشغل بذاك الذي قال عنه الرسول: «وإن لم تروه تحبونه» (١بط ١: ٨).

في البداية لم يكن هناك فارق بين هؤلاء "الكشافة"، لكن عند عودتهم بعد أربعين يومًا ظهر الفرق (الرقم ٤٠ في الكتاب المقدس هو رقم الامتحان). فكل واحد من هؤلاء الجواسيس أظهر ما في قلبه. عشرة منهم كانوا غير مؤمنين، واثنان فقط، هما يشوع بن نون وكالب بن يفنة، هما اللذان كان عندهما إيمان.

طالما أنَّ الله لم يُغيِّر قلب إنسان، فإنَّه يبقى كما هو غير مؤمن، حتى لو تشبَّه بالمؤمنين، ولا بد أن يظهر على حقيقته إن عاجلاً أو آجلاً «له قلب شرير بعدم إيمان» (عب ٣: ١٢).

الإيمان يتعامل مع الله، ويقيس الأشياء بمقياس الله الصحيح، ومن الناحية الأخرى، فإنَّ عدم الإيمان يقيس الأشياء بمقياس البشر. حقًّا كان الجبابرة بنو عناق هناك، والمدن كانت حصينة. لكن خطأ هؤلاء العشرة أنَّهم نظروا لأنفسهم، بدل أن ينظروا إلى الله وقدرته، وقالوا: «كنَّا في أعيننا كالجراد» (ع٣٣).

ع٢٢) **صوعن**: هي صان الحجر. مدينة في مصر في محافظة الشرقية حاليًا، ومعناها "تزعزع"، صورة لكل ما في العالم (عب١٢: ٢٧). لكن أسبق منها بسبع سنين بنيت مدينة **حبرون** (والتي معناها شركة). هذا هو نصيبنا المعيَّن لنا من قبل تأسيس العالم (أف ١: ٣، ٤).

ع٢٣) **أشكول**: معناها عنقود. **زرجونة**: أي غصن الكرمة. **دقرانة**: غصن كبير لرفع شجرة العنب.

١٤

الخطية القاسمة

يحدِّثنا هــذا الفصل عن الخطية الرهيبة، خطية عــدم الإيمان، التي جعلت الرب يقول: «أقســمت في غضبي لن يدخلوا راحتــي». فلقد انحاز الشــعب إلى الذين "أشاعوا مذمة الأرض" (١٣: ٣٢)، ورفعوا أصواتهم وبكوا الليل بطوله (ع١). بل وقرّر بعضهم العودة إلى مصر (ع٤)!

ولقد اعتبر الرب أن احتقارهم الأرض (ع٣١)، مع أن «الأرض جيدة جدًا جدًا» (ع٧ قارن مز ١٠٦: ٢٤)، إهانة شــخصية لــه (ع١١، ٢٣). ولقد كانوا بالحقيقة يهينون الله. تخيَّل أنَّ شــخصًا يحبك، أهداك هدية قيِّمة، ولتكن ســاعة ثمينة مثلاً، وبدلاً من أن تشــكره، قذفت بها إلى الأرض وكســرتها أمام عينيه. هل ممكن أن يحدث عدم شــكر وعدم تقدير مثل هذا؟ الواقع أنَّ أردأ من ذلك يحدث من كثيرين من الذين يحتقرون هبة ليست أقل من "السماء" والمُعطــي هو "الله نفسه"!!

في هذا الجو القاتم، لم يخشَ كل من يشــوع وكالب أن يُعلنا إيمانهما على مسمع من الجميع. ونحن نعرف أنه من الســهل أن يسير الشخص مع الأكثرية (قارن مع خروج ٢٣: ٢)، لكــن الأمين للرب قد يضطر أحيانًا كثيــرة أن يخالفهم. وهذا قد يعرّضه لمخاطر حقيقية. كان هذان الرجلان على وشك أن يُرجما (ع١٠)، لكن الله وقف بجانبهما.

تشفَّع موســى ثانية، كما سبق أن فعل عندما صنع الشــعب العجل الذهبي. من

الجانب الواحد لم يسمح موسى لنفسه أن ينجذب وراء هذا العرض المغري أن يبيدهم الرب ويُصيِّر منه شعبًا أكبر وأعظم منهم (ع١٢ مع خر ٣٢: ١٠). ولقد وضع أمام الرب حجة لا تُدفع، وهي اسم الرب الذي قد يهان أمام عيون الشعوب (ع١٥، ١٦)، وذكَّر الرب بما تعلمه منه سابقًا (خر ٣٤: ٦، ٧)، أن «الرب طويل الروح، كثير الإحسان، يغفر الذنب والسيئة» (ع١٨)، وأنَّه الوقت لإظهار صلاحه بالصفح عنهم. فحيث لا توجد خطية، لا حاجة للغفران. إن خطيتنا زوَّدت هذا الإله الصالح بفرصة لكي يظهر غفرانه وصلاحه. ونحن كأولاد الله نعرف هذا الإله الصافح عن الذنب والغافر الإثم، وهو أبونا، ولنا في حضرته شفيع، قلبه مملوء بالمحبة، هو ربّنا يسوع المسيح.

كالب ويشوع لم يخسرا جزاءهما. وكانا هما *الوحيدين في ذلك الجيل اللذين* دخلا الأرض، واضطرا أن يشاركا الشعب المُذنب في التيه في البريَّة لمدَّة أربعين سنة. لكنَّهما في أثناء الأربعين سنة، كانت الأرض التي رأياها، وثمرها الذي ذاقاه، سبب تشجيع لهما على الدوام. ألا ليتنا نكون من الفريق الذي يُقدِّر ميراث الله، لا مع الذين يذيبون قلب الشعب.

> **فكرة:**
> كان كل الشعب تائهًا في البريَّة؛ وأما يشوع وكالب فكانا مسافرين، قاصدين وطنًا أفضل. وهذا هو الفرق بين إنسان العالم، قايين، التائه في الأرض (تك ٤: ١٢)؛ وإنسان الله الغريب في هذا العالم، وسيرته هي في السماوات (في ٣: ٢٠).

ونتيجة شر الشعب وعدم إيمانه أصدر الله حكمه عليهم، فكيف تجاوب الشعب مع هذا الحكم؟ عندما قال كالب: نصعد ونمتلك الأرض، قال الشعب غير المؤمن:

لا نقدر أن نصعد، وفضّلوا الرجوع لمصر أو أن يموتوا في البريَّة (ص١٣: ٣١؛ ١٤: ٢). لكن لمَّا حكم الله عليهم أن يرجعوا تجاه البحر الأحمر (ع٢٥)، وأعلن أنَّهم سيهلكون في البريَّة (ع٢٩)، أجابوا «هوذا نحن! نصعد إلى الموضع» (ع٤٠).

ويا للأسف، إنَّ قلب الإنسان لا يتفق مع الله أبدًا، خصوصًا إذا كان الأمر يتضمَّن الاعتراف بالفشل وقبول نتائج الخطيَّة. فرغم تحذير موسى لهم قائلاً: «لا تصعدوا لأن الربّ ليس في وسطكم» (ع٤٢)، تجاسروا وصعدوا، ولقوا هزيمة قاسية!

«جرَّبوني... عشر مرات» (ع٢٢)

١- البحر الأحمر (خر١٤: ١١، ١٢).

٢- مارة (خر١٥: ٢٣، ٢٤).

٣- برية سين (خر١٦: ٢).

٤- إبقاء المن لليوم التالي (خر١٦: ٢٠).

٥- الخروج لالتقاط المن يوم السبت (خر١٦: ٢٧).

٦- رفيديم، والتذمر طلبًا للماء (خر١٧: ١-٣).

٧- حوريب والعجل الذهبي (خر ٣٢).

٨- تبعيرة (عد ١١: ١).

٩- قبروت هتأوة (عد١١: ٤-٣٥).

١٠- قادش (عد ١٤).

ع٩) زال عنهم ظلهم: الظل يمثِّل الحماية (مز٩٠: ١؛ ١٢١: ٥؛ إش٣٠: ٢).

عبارة "رعاة" في القفر (ع٣٣)، يترجمها داربي: تائهين.

قد تكون هناك صعوبة في التوفيق بين ع٢٠، ع٢٩. فكيف صفح الرب عنهم، رغم أن جثثهم طرحت في القفر؟ والرد ببساطة أن الرب صفح عن خطية الأمة كأمة، وأدخلها إلى أرض كنعان، أما عدم الإيمان فلا يمكن أن يتهاون الله معه. والمبدأ عينه معنا الآن، ففي رحمة الله وطول أناته صفح عن المسيحية المرتدة، ويتعامل معها إلى الآن بالنعمة، أما الأفراد غير المؤمنين فلا يمكن أن يقبلهم الله أو أن تُسَر نفسه بهم (عب ١٠: ٣٨).

١٥

ع١ ـ ٣١ : الذبائح والتقدمات المختلفة في الأرض

ما أجمـــل أن يَرِد هذا الفصل، الـــذي يؤكِّد أكثر من مرة علـــى إتيانهم للأرض (ع٢،١٨)، بعد الأصحاح السابق، أصحاح الفشل. فقد يظن الواحد أن أرض كنعان ضاعت من الشـــعب المتمرِّد، بســـبب عدم إيمانهم، لكن الوحي يؤكـــد «أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا، بل ليكن الله صادقًا وكل إنسان كاذبًا» (رو ٣: ٤).

ويحدِّثنا هذا الفصل عن التقدمات المختلفة التي كان على الشعب تقديمها. فيحدثنا عن المحرقة (ع٣)، وعن ذبيحة الســـلامة (ع٨)، وعن ذبيحة الخطية (ع٢٤)، مع التقدمة والســـكيب (ع٤، ٥،... إلخ). وكأنه يقول إنه عمل حســـابًا لكل ضعفاتهم، وعنده العلاج لكل حالة. وهو علاج واحد، لكن له أوجهًا كثيرة، أعني به عمل ربنا يسوع المسيح على الصليب. ولهذا فمن الشـــعب الفاشل نفسه تتكرر كثيرًا في هذا الفصل عبارة "رائحة سرور للرب" (ع٣،٧،١٠،١٣،١٤).

يقول فـــي مزمور ٤٠: ٦ «بذبيحة وتقدمة لم تُســـرّ»، وفـــي مزمور ٥١: ١٦ «لأنَّك لا تُســـرّ بذبيحة، وإلاَّ فكنت أقدمها». إنَّ الله لا يُســـرّ بهذه الأشـــياء التي تذكِّر بالخطيَّة، ولا تســـتطيع أن تنزعها، لكن الله سُـــرّ بابنه. «أنت ابني الحبيب، بك سُـــررت» (لو ٣: ٢٢). فتح الله الآب الســـماوات وأعلن هذا مرتين: مرة عند معموديته، ومرة عند التجلـــي (مت ١٧: ٥). والآن نحن أيضًا نجد مســـرَّتنا في شخص الربّ يسوع مخلِّصنا.

ونحن في هذه الأعداد نجـــد اهتمامًا خاصًا في قلب الرب مـــن جهة "الغريب"،

فتتكرر الكلمـة سـبع مـرات (ع١٤،١٥،١٥،١٦،١٦،٢٦،٢٩،٣٠). والله الآن، في المسيح، يريد أن يبارك كل الناس. وبالنسبة للغرباء الساكنين في وسط إسرائيل كان يمكنهم أن يُقدّموا تقدماتهم أيضًا مثل بني إسرائيل. كتب الرسول بولس للأفسسين: «كنتم... أجنبيِّين عن رعويَّة إسـرائيل، وغرباء عن عهـود الموعد»، لكن الآن، «صرتم قريبين بدم المسيح»، فأمكنه أن يضيف قائلاً: «فلستم إذًا بعد غرباء ونزلاً، بل رَعِيَّة مع القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٢، ١٣، ١٩).

الأعداد ١٧-٢١ تحدّثنا عن أوّل العجين الذي كان يجب أن يُقدَّم لله، وهو يذكرنا بأن الله له الأولوية المطلقة في كل شيء في حياتنا (مت ٦: ٣٣).

وفي الأعداد من ٢٢-٣١ يميّز الوحي بين الخطـايا السـهو، والخطـايا العمد. فإن "كلمة الله" التـي تميِّز أفكار القلب ونياته، ميَّزت بيـن خطـايا نبعها الجهل أو عدم الاحتراس، وخطـايا أخـرى نبعها العصيان والتمرد على إرادة الله، بسـبب رغبتنا في اتّباع إرادتنا الذاتية. هذا هو المقصود من القول: «**تعمل بيد رفيعة**» في عدد ٣٠. ونحن هنا نرى الكبرياء، إذ يريد الواحد أن يبين أنَّه سيِّد نفسه، ولا أحد له الحق أن يمنعه من أي شيء. هذه الخطية لم يكن لها علاج في العهد القديم. ولذلك فإن المرنم إذ أحسّ بضعفه قال للرب: «السـهوات من يشـعر بها؟ من الخطـايا المستترة أبرئني. أيضًا من **المتكبرين** (الخطـايا العمدية) احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليّ» (مز ١٩: ١٢،١٣).

ع٣٢-٤١: كسر السبت

كمثال للخطيـة العَمدية التي لم يكن لهـا علاج (ع٣٠،٣١)، يقـدِّم لنا الوحي هنا حادثة هـذا الرجل الذي لم يُقدِّس السـبت. فيذكر لنا خطيتـه وهول عقابها. وهذه الخطيـة، وإن كان الناموس لم يقدِّم لها علاجًا، لكنه قـدَّم وقاية. فكان على

الإســرائيليِّين أن يصنعوا لهم أهدابًا في أذيال ثيابهم، ويجعلــوا عليها عصابة من أســمانجوني، لكي تُذكِّر الشــعب بعلاقتهم مع الربّ، ولكي تحذِّرهم من تلويث تلك الثياب. هذه صورة جميلة لطــابعنا السماوي، نحن المؤمنين، الذي يجب ألا يغيب عن بالنا مطلقًا. علينا أن نذكر مركزنا في المســيح، وعلاقتنــا العجيبة به، فذلك يحفظنا من شــهوات **قلوبنا وعيوننا** (ع٣٩). قال الرسول: «اطلبوا ما فوق حيث المســيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد مُتم، وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو ٣: ١ - ٣).

١٦

تمرد قورح وجماعته

يضيف هــذا الأصحاح صفحة مُرعبة لخطــايا الشــعب المُحزنة في أثناء رحلة البريَّة. وتُسمِّي رسالة يهوذا قصة هذا الأصحاح «مشاجرة قورح» (يه١١)، وفيها نرى إلى أي مدى تقود الكبرياء، التي حذرنا منها الأصحاح الســابق؛ إنها تقود إلى العصيان على الله. كان قورح لاويًّا من عشــيرة قهات، وكانت له خدمة شــريفة. لكننا نقرأ في ع١٠ أنَّه طمع في الكهنوت الذي أعطــاه الله لهارون وبنيه. لم يكتفِ بأن يعمل خدمة المســكن ويقف قدام الجماعة لخدمتها (ع٩)، بل أراد الارتقاع عن هذا المستوى. وبالأســف نجد بعض المؤمنين لا يكتفون بالخدمة التي ائتمنهم عليها الربّ، ويريدون أن يكونوا ظــاهرين، وأن يكونوا فوق الآخرين، على العكس تمامًا من روح ذاك الذي لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدِم (ارجع إلى مرقس ١٠: ٤٥).

وإذ وضع الربّ يســوع نفســه، فقد رفَّعه الله (في ٢: ٩) وأيضًا العكس صحيح «مَنْ يرفع نفسه يتَّضع» (لو ١٤: ١١). ويؤكد سفر الأمثال هذا القانون الذي تَبَرهن صدقه في تاريخ البشريَّة، أنه: «قبل الكسر الكبرياء» (أم ١٦: ١٨).

وبالنســبة لداثــان وأبيرام فإنهما تجاسرا ووصفــا أرض مصر بالصفــات التي أطلقها الــرب علــى أرض كنعــان «أرض تفيض لبنًا وعسلاً» (ع١٣)، وضاقوا ذرعًــا بقيادة موسى للشعب. هؤلاء يمثلون تمرّدًا سياسيًا، كما يمثل قورح تمرّدًا دينيًا.

تمرد ثلاثي موجود في المسيحية اليوم

«ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين، وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة، وهلكوا في مشاجرة قورح» (يه ١١).

- في طريق قايين: نرى الرأي الشخصي، بدل الإعلان الإلهي (عب ١١: ٤) – الديانة الكاذبة.
- في ضلالة بلعام: نرى التزاوج الآثم بين المسيحية والعالم (رؤ ٢: ١٤؛ ٢بط ٢: ١٤-١٦)ـ الخدمة الكاذبة.
- في مشــاجرة قورح: نجـد التطاول الشـرير على المسيح «رسول اعترافنا ورئيس كهنته» (عب ٣: ١) – الاقتراب أو الكهنوت الكاذب.

قورح وزملاؤه، لم ينتــظروا طويلاً قبل أن يحلّ عليهم القضــاء. يا له من منظر مُرعب! فَتَحَــتْ الأرض التي تحتَ أقدامهم فَاها، ثم ابتلعتهــم أحياء، هم وكل ما لهم. وما حدث في إســرائيل قديمًا تكرَّر في المسيحية أيضًا، فكما تمرّدت تلك الجماعة على موسى وهارون، فقد حدث إنكار في المسيحية الرسمية لحقوق المسيح باعتباره رسول الاعتراف (موســى الحقيقي)، ورئيس كهنته (هــارون الحقيقي). ولا أمل في إصلاح المسيحية التي تحولت عن الحق الخاص بالمسيح، والمطلوب من الأمناء هو الانفصال. وهو ما طلبه موسى قائلاً: «اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البُغاة» (ع٢٦).

ولكن يخبرنا سفر العدد ٢٦: ١١ «أما بنو قورح فلم يموتوا»، ونراهم فيما بعد بوّابين للهيكل ومغنين، وكتبة للمزامير. ومن ضمن المزامير التي كتبوها، مزمور ٨٤ الذي يقولون فيه: «اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي، على السكن في خيام الأشرار» (ع١٠).

ما أعظم نعمة الله! ألم نكن نحن عُصاة، نسل جنس شرير؟ لكن آمنًا فخلُصنا من دينونة أكثر رُعبًا، بفضل محبّة الله العظيمة.

ويوضِّح لنا هذا الفصل أن هذه الجماعة الخائنة لم تتمرّد على موسى وهارون وحدهما (ع٣،٤)، ولا على الرب أيضًا (ع١١،س٣٠)، بل إنهم مخطئون كذلك ضد نفوسهم (ع٣٨). وهكذا الحال مع كل من يرفض المسيح (أم ٨: ٣٥،٣٦). ولقد فُتحت الأرض وابتلعت زعماء العصابة، كما اشتعلت نارٌ في جماعتهم «اللهيب أحرق الأشرار» (مز ١٠٦: ١٧،١٨). وكان ينبغي أن هذا القضاء يظل ماثلاً أمام العيون، لئلا يُنسى (ع٣٨).

رغم هذا القضاء الرهيب، نجد الشعب كله، في اليوم التالي بالذات، يتذمَّر على موسى وهارون. لقد أهلك الرب القادة الحمقى، ولكن ها الشعب الغبي يتعاطف معهم. كان مَنْ يقود العصيان في البداية: قورح مع داثان وأبيرام، ثم انضم إليهم المائتان والخمسون رجلاً، وأخيرًا اجتمعت الجماعة كلها (ع٤١). ولقد سبق أن رأينا كيف قاد الجواسيس العشرة الجماعة كلها إلى صفِّهم (ص١٣). حقًّا ما أسهل ميل القلب البشري عندما يغيب الله عن بصره!

وإذ كان الوبأ على وشك أن يبدأ، فإننا نجد موسى (انظر ع٤) مع هارون يسقطان على وجههما أمام الرب. ورغم الإهانة التي لحقت بهما من الشعب، واتهامهم لهما زورًا، فإنهما آثرا صالح الشعب عن صالحهما. ثم نجد هارون يركض إلى وسط

الجماعة لكي يكفِّر عنهم، فكان مرَّة أُخرى رمزًا جميلاً للمسيح الشفيع العظيم.

ع١٤) هل تقلع أعين هؤلاء القوم؟ بمعنى هل تخدعهم وتعميهم.

١٧

عصا هارون التي أفرخت

أظهـر الله، بإحراق المائتين والخمسين رجلاً، وبقبوله للتكفير الذي قام به هارون بمجمرته، أن اختياره قد وقع على هارون ليكون كاهنًا. ومع ذلك فإن هذا الأصحاح يقدِّم لنا برهانًا آخر على الموضوع ذاته، لكي يحسم به هذه القضية. لكن البرهان هذه المرة يحدِّثنا عن الحياة لا الموت. فعصا هارون وحدها من بين عصي رؤساء الأسباط الاثني عشر، أعطت دليلاً واضحًا على الحياة من بعد الموت. أمَّا العصي الأخرى، فكانت خشبًا ميتًا. لا بُدَّ أنَّك لاحظت في فصل الربيع، أنَّ فروع الأشجار تُخرج أوَّلاً فروخًا، ثم أزهارًا ثم ثمارًا. وهذا يأخذ وقتًا، لا سيَّما نضج الثمار. لكن هنا، في ليلة واحدة، أخرجت عصا هارون فروخًا وأزهارًا وأنضجت لوزًا.

وشجرة اللوز تسمَّى بالعبري "الساهر" (قارن إرميا ١:١١، ١٢)، وذلك لأنها أول الأشجار التي تُخرج الزهر والثمر بعد فصل الشتاء. ويا لها من صورة جميلة للقيامة؛ قيامة ربنا يسوع المسيح، "أول قيامة الأموات" (أع ٢٦: ٢٣). ولقد كانت قيامته برهانًا مقدَّمًا من الله للجميع (أع ١٧: ٣١). وحيث أن المسيح مات وقام «بقوَّة حياة لا

تزول»، فوحده هو الذي يستطيع أن يمثِّل شعبه أمام الله، ووحده الكفؤ لكي يقوم بعمل الكهنوت (عب ٧: ١٦)، والمسيح بعد موته وقيامته، (تلك القيامة التي برهنت على أنه مختار الله)، صعد إلى السماء ليمارس خدمته الكهنوتية لصالح شعبه.

ولقد وُضعت عصا هارون بعد ذلك في داخل التابوت (ع١٠؛ عب ٩: ٤)، لتذكِّر الشعب، ونحن معهم، أن أمننا مضمون - ونحن نجتاز مشهد الضعف والموت - في كهنوت ربنا يسوع المسيح.



ع١ـ٢٠: مسؤوليات الكهنة وامتيازاتهم

أكَّد الله، بواسطة العصا التي أفرخت، الكرامة الخاصة بعائلة هارون وكل سبط لاوي. ولهذا يأتي هذا الأصحاح ليؤكد مرَّة أخرى الامتيازات التي للكهنة واللاويِّين. ويذكر أولاً اقتران بني لاوي (لاوي يعني اقتران ‑ قارن ع٢، ٤) مع الكهنة، فهم قد أُعطوا لإخوتهم بني هارون كعطيَّة للربّ (ع٦). وهذه صورة لخدمة الكلمة، التي يقوم بها الخدام، إنما تدعم الساجدين وتبنيهم. وثانيًا: أن الخدمة نفسها تُعتبر عطية من الله، فلا يوجد واحد منا يخدم المسيح لأن أي منا يستحق ذلك في ذاته، بل هي من مجرد نعمة الله. دعنا نتأكد أن الرب إذا قرَّر استخدام أي واحد فينا، فليس ذلك لأنه يحتاج إلينا، بل لأنه يريد أن يشرِّفنا بأن نعمل معه.

وأخيرًا فإن في الأعداد ٨ -١٩ نجد "طعام الكهنة". وفي المعتاد نحن نجد في اجتماعات القديسين حول الرب طعامًا يُقَدَّم من أعلا إلى أسفل (مت٢٤: ٤٥؛

١بط٤: ١١)، وذلك باستخدام المواهب في الكنيسة؛ أما هنا فنجد شبعًا للكهنة عندما يُقدِّم شعب الله تقدماتهم. والمعنى الروحي لذلك أن سجود شعب الله من شأنه أن يُشبع الكهنة، لأن الله يُقدِّم للكهنة نصيبًا مما يُقَدَّم له؛ وهذا يُعتبر طعامًا من أسفل إلى أعلا. لكن تُرى هل في المسيحية الإسمية اليوم مثل هذا الطعام؟ إننا بالكاد قد نجد النوع الأول، من بعض الخدام الأتقياء، الذين يقدمون كلمة الله للنفوس، ولكن هل نجد في مثل هذه الأوساط، طعامًا وشبعًا إذ يقدِّم المؤمنون، تقدماتهم أو سجودهم؟ محال.

وهذه التقدمات المختلفة تحدِّثنا كلها عن ربنا يسوع المسيح، الذي نحن مدعوون لأن نتغذى عليه ونسعد. فنقرأ عن الدَّسم (ع١٢)، كما نقرأ عن الأبكار (ع١٢، ١٣)، وهي تذكِّرنا بقصد الله الذي عبَّر عنه الرسول بالقول: «ليكون هو (أي المسيح) متقدمًا في كل شيء» (كو ١: ١٨).

لكن يضيف الرب، على كل التقدمات الفاخرة السابقة، ما يمكن أن نعتبره أفضل شيء، إذ يقول لهارون في ع٢٠ «أنا قِسمُك ونصيبك في وسط بني إسرائيل». وهو عين ما عبَّر عنه المرنم إذ قال: «الرب نصيب قسمتي وكأسي، أنت قابض قرعتي» (مز ١٦: ٥؛ ٧٣: ٢٦). ألا يمكننا أن نقول إن أفضل ما أعطانا إياه الله أنه أعطانا ابنه الوحيد؟ «فشكرًا لله على عطيته التي لا يُعبَّر عنها» (٢كو ٩: ١٥).

ع٢١-٣٢: مسؤوليات اللاويين وامتيازاتهم

دعنا نعرف، مثل اللاويين، أنَّه ليس لنا ميراث، ولا امتلاك حقيقي لشيء هنا على الأرض، ومن الناحية الأخرى لنا كل شيء في السماء، طالما لنا الربّ يسوع مُعطى لنا من الله إلى الأبد.

ولقد كان على الإسرائيلي أن يدفع العُشر من دخله لخدمة الأقداس (لا ٢٧: ٣٠)، وكان هذا العشر يذهب لإعاشة اللاويين الذين لم يكن لهم بيدر ولا معصرة (ع٣٠)،

ولا حتى أرض. ومع ذلك كانوا يشاركون الشعب في جميع الخيرات (غل٦: ٦).

العطية ومترادفاتها تكرّرت في هذا الفصل حوالي ١٥ مرة.

ع١٩) ميثاق ملح: الملح كان يُستخدم للحفظ من الفساد والتلف، والمقصود: "ميثاق مستمر ودائم".

١٩

شريعة البقرة الحمراء

لم تَـرِد هذه الذبيحة مع الذبائـح الأخرى في بداية سـفر اللاّويِّين، لأنها تخصّ البريَّـة وأعوازها فقط. الله في نعمته العجيبة، في وسـط تقصيراتهـم التي لم تتم قائمتها بعد، يُزوّدهم بما يلزمهم لأجل ضعفاتهم ونجاسـاتهم. هذه الذبيحة، مثل كل الذبائح الأخرى أيضًا، رمز لشـخص المسيح وعمله من بعض الوجوه. فهذه البقرة الحمراء، الصحيحـة، والتي لا عيب فيها، والتي لم يَعلُ عليهـا نير، تذكِّرنا بالربّ يسوع الإنسـان الكامل، الخالي من أي دنس، والذي بلا لوم، والذي لم يحمل قَطّ نير الخطيَّة الذي نعرفه نحن جيّدًا.

كانـت تُذبح هذه الذبيحة "خـارج المحلة" ويُرَّش دمها أمـام خيمة الاجتماع، ثم تُحرق بتمامها. الشـحم لم يُقدَّم لله، والكاهن لا يأكل أي جـزء منها. ومن الناحية الأخرى، كان يُجمع كل الرماد ويُحفظ في مكان طـاهر، لكي يُسـتخدم عند حدوث الدنس.

ويُشـار إلى هذه الذبيحة في الرسـالة إلى العبرانيين عندما يقول: «لأنه إن كان دم

ثيران وتيوس (ذبائح يوم الكفارة - والتي هي أســاس العلاقة مــع الله)، ورماد عجلة مرشوش على المنجسين (ذبيحة البقرة الحمراء، لحفظ واستمرار هذه العلاقة) يُقدِّس إلى طــهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يُطَــهِّر ضمائركم من أعمال ميتة، لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٣، ١٤).

ولقد كان رماد البقرة، تُضاف إليه كمية كبيرة من ماء التطــهير، يكفي لغسل **كل** نجاسات الشعب **كله**، بطول رحلة البريَّة **كلها**.

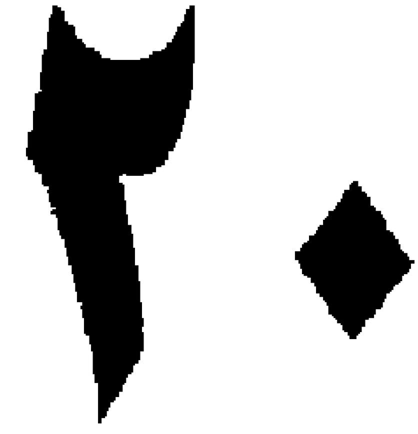
هذه الذبيحة لم تكن مصمَّمة لمواجهة حاجــة الخطــاة، بل حاجة المؤمنين عندما يزلُّون. بنفس الطريقة، فإن عمل الربّ يســوع الذي تمَّ مرة واحدة، يكفي لتطــهير أولاد الله من خطــاياهم، وحفظــهم في شركة معه، رغم تعرُّضهم للنجاسة هنا على الأرض. والطريقة أن الروح القدس، مســتخدمًا للكلمة (الماء)، مصوِّرًا أمامنا آلام المســيح (رماد البقرة)، يتعامل مع قلب المؤمن الذي تدنَّس، وضميره، فيردّه للشركة مع الله من جديد.

وإذا كانت **الأعداد من ١-١٠** تحدَّثنا عن تحضير ماء التطــهير "ماء النجاسة"، فإن **الأعداد من ١١-١٣** تحدِّثنا عن اســتخدام هذا الماء. كما تقدِّم لنا هذه الأعداد الأشــياء التي يمكنها أن تدنِّس الإسرائيلي. كان الإســرائيلي يتنجَّس إذا مسَّ ميتًا. وبالنســبة لنا، هذا يعني تعاملنا بأية صورة مع هذا العالم الذي يميِّزه الفساد والظلم. ثم إن التنجس قد يظــهر في دائرة البيت (الخيمة ع١٤). ويجب أن نعطــي عناية خاصة لأطفالنا الصغار (الإناء المفتــوح -ع١٥، قارن لو ١٧: ٢). والدنس أيضًا قد يأتي مــن الخارج، أي من أعمالنا (وجه الصحراء ع١٦). كل منَّا يقدر أن يذكر مثل هذه "العظــام الصغيرة": كذبة أو كلمة جاهلة، أو ســفاهة وهزل (أف ٤: ٥). نعم إن المؤمن يتنجَّس بهذه الأمور. قد لا تبدو لها أهمية عند الذين لا يعرفون الربّ يسوع، لكن نحن الذين نحب الرب يسوع نُدرك خطورتها، لأنَّنا نتذكَّر أنَّه تألَّم ومات

لكي يمحو كل خطيَّة، مهما كانت صغيرة.

النجاسة في هذا الأصحاح ترد ٢٤ مرة؛ والطـــهارة ١٢ مرة.

النير (ع٢) مصمَّم لكبح جماح الطبيعة الحيوانية المتمرِّدة، أما المسيح فلم يكن يعرف التمرد قطّ «جئت، بدرج الكتاب مكتوب عني، أن أفعل مشــيئتك يا إلهي ســررت، وشريعتك في وسط أحشائي» (مز ٤٠: ٧، ٨).



ع١ ـ ٥ : موت مريم وتذمر الشعب

ماتت مريم النبية، والتي سُــمع صوتها مرنِّمًا في بداية الرحلة. ولم يجد الشعب ماء مرَّة أخــرى، فأخذوا يتذمَّرون. واجتمع الشــعب كله على موســى وهارون، وخاصموا موســى كما فعلوا عند مريبة (خر١٧). وهذا يظـــهر لنا بالأســـف أن الجيل الجديد لا يفرق شيئًا عن الجيل القديم الذي مات في البرية (قارن مع ١٤:٣٢). وشعب إسرائيل لم يتعلَّموا شيئًا منذ بداية رحلتهم في البريَّة، رغم الاختبارات الكثيرة التي أظــهرت محبة الله لهم. كانت تملؤهم الشــكوك فقــط: «لماذا؟ ... ولماذا؟» (ع٤، ٥).

ع٦ـ١٣: فشل موسى وهارون

كان تذمر الشــعب بســب عدم وجود الماء. لكن أحقًّا لم يكن مـــاء؟ لقد كانت الصخرة موجودة هناك، وكان على الرب أن يذكِّر حتى موسى بها. كان المطلوب

أن "**يُكلِّم**" موسى الصخرة. أليس لنا هنا صورة جميلة لضرورة "**الصلاة**"؟ كان يمكن أن يعطينا الله كل ما نحتاج حتى قبل أن نشعر بأي عوز، لكنَّه يريدنا أن نطلب، لكي نتذكَّر دائمًا أنَّنا "**نعتمد**" عليه.

هنا كان لموسى اختبار مُحزن، فبدلاً من أن يكلِّم الصخرة، ضربها. كانت الصخرة قد سبق وضُرِبت في حوريب، وقد يبدو أن هذه الخطية ليست خطيرة، ولكن المعنى المتضمَّن في ضرب الصخرة مرة ثانية كان خطيرًا. فالربّ يسوع صخرتنا، ضُرب "مرة" على الصليب، ولا يمكن أنه يتألَّم أو يموت ثانية. ونتيجة لذلك أصدر الرب أمره في ع١٢؛ فلا الناموس (موسى) ولا الكهنوت المرتبط به (هارون) يمكن أن يوصلا شعب الله إلى الميراث المجيد.

ومن الجانب الآخر فإن عمل المسيح كافٍ لأن يعطي الماء الحي لخاصته جميعًا على طول طريقهم في البريَّة. لكن علينا أن **نتكلَّم** معه. ترى هل نحن نفعل ذلك؟

ع١٤ ـ ٢١: أدوم يرفض عبور الشعب في أرضه

كانت رحلة الشعب على وشك الانتهاء، وكان الشعب مُتعَبًا. بالمثل زمن الكنيسة على الأرض أوشك على نهايته، وتاقت نفوس المؤمنين إلى مجيء الربّ. فليت معرفتنا لهذه الحقيقة يجدِّد فينا القوة والعزم!

من الجانب الآخر فإننا إذا نظرنا في خريطة فلسطين، نلاحظ أنَّه للوصول إلى أرض كنعان في الشمال، من برية فاران، يلزم المرور في أرض أدوم. لم ينسَ بنو إسرائيل أنَّ أباهم يعقوب هو أخو عيسو (الذي هو أدوم)، فطلبوا من الأدوميين أن يسمحوا لهم بالمرور عبر أراضيهم، لكن أدوم رفض الطلب، وهدَّد وتوعَّد. يا لقساوة القلب! فسمعهم عن المشقة التي كان إخوتهم فيها، لم يحرك فيهم ساكنًا. وبنفس الطريقة،

يحاول العالم ورئيسه اليوم أن يعيقوا أولاد الله عن الوصول إلى وطنهم السماوي.

قدَّم بنو إسرائيل طلبهم بطريقة شريفة تمامًا. شـــهدوا كيف كانوا مُستعبدين في مصر، وما عمل الله لهم، ثم طلبوا أن يمرُّوا بأرجلهم فقط، وأكدوا أنهم لا يحتاجون شيئًا. لم يجذبهم شيء، لأنَّهم كانوا متَّجهين إلى وطنهم، لا **حقول** أدوم ولا **كرومهم** (صورة لأشغال العالم ومسراته) **ولا آبار** أدوم (صورة للانتعاش الذي يُقَدِّمه)؛ حيث كانت لهم الصخرة.

ع٢٢-٢٩ : موت هارون

مات هارون موتًا كريمًا ، وواجه الموت بكل ثبات، لأن الصديق "واثق عند موته" (أم ١٤: ٣٢). لقد صعد هارون لكي يموت، وهكذا فإن موت البار هو صعود وارتقاء.

ومن ع٢٦ نتعلم أن الكاهن مـــات، ولكن الكهنوت باقٍ. وأما بالنســـبة لنا، فإن المسيح لم يستلم كهنوته إلا بعد موته وقيامته (عب٧). ولقد خلف هارون ابنه **الثالث** ألعازار، صورة للمسيح المقام من الأموات في اليوم **الثالث**.

٢١

ع١-٣ : النصرة على ملك عراد

أعطـــى الربّ شعب إســـرائيل اختبار النُصرة على الكنعانيين في حرمة، حيث كانوا قـــد هُزموا منهم قبل ذلك بنحو أربعين ســـنة (ص ١٤: ٤٥)، عندما تجاوزوا قول الربّ. كانت كل هذه السنين ضرورية ليتغيَّر حال الشعب.

ع٤-٩ : تذمر آخر والحيات المحرقة

بالأسف، عقب هذا الانتصار مباشرة، ضاقت نفس الشعب، وتذمَّروا ثانية قائلين: «لا خبز ولا ماء» (ع٥). هل حقًا كانوا محتاجين إلى الطعام؟ كان عندهم المَن، لكنهم كرهوه. هل أعوزهم الماء؟ كانت عندهم الصخرة، لكنهم نسوا أن يتكلَّموا إليها. أليست هذه صورة حقيقيَّة لما يحدث معنا، عندما نهمل كلاً من "كلمة الله، والصلاة"؟ فنشعر أحيانًا باليأس، وتضيق أنفسنا، فيستغل العدو هذه الفرص، وتدخل الخطيَّة إلينا. إن لدغات الحيات أشعرت الشعب بخطيتهم، فاعترفوا بها. فتوسَّل موسى لأجلهم من جديد، وقدَّم الرب العلاج. وكان علاجًا عجيبًا، إذ طلب منه أن يصنع حية من نحاس، ويضعها على راية، ونظرة واحدة إليها تأتي معها بالشفاء! ولقد شرح الرب معنى هذا الرمز الجميل في حديثه مع نيقوديموس إذ قال له: «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان» (يو٣:١٤). إنه هو - تبارك اسمه - الذي جعله الله خطية لأجلنا (وهو لم يعرف خطية) لنصير نحن برَّ الله فيه (٢كو٥: ٢١). هل نظرت إليه بالإيمان لتحصل على الحياة الأبدية؟

والحية النحاسية تُعتبر رمزًا للمسيح المصلوب. ونحن نقرأ بالأسف أن شعب إسرائيل عبدها، ولذلك فإن الملك التقي حزقيا سحقها (٢مل١٨: ٤). والأمر عينه تكرّر في المسيحية، فما أكثر القصص الخرافية التي تَنسِب المعجزات لما يعتبرونها خشبة الصليب. وعلى التقي أن ينبذ تمامًا هذه الأفكار.

ع١٠-٢٠ : مواصلة الرحلة

تتميز هذه الفترة من تاريخ الشعب بالارتحال حيث تتكرر هذه الكلمة كثيرًا (ع٤،١٠،١١،١٢،١٣).

شيء آخر هو أن الشعب، وقد تخلَّص من الحيات، وشرب من مياه البئر، نراهم

هنا **يُرنِّمون**. وعلى قدر علمنا، فإنهم لـم يفعلوا ذلك منذ أن تركوا البحر الأحمر من أربعين سنة مضت، فيما عدا المرَّة التي غنوا فيها حول العجل الذهبي في خروج٣٢. وأخيرًا نجد الآن بدلاً من التذمّرات، يعلو النشـيد والهتاف، عندما تجمَّع إسرائيل **حول الآبار** التي حفرها الرؤساء والشـرفاء (ع١٨). وهذه الآبار صورة لحقائق كلمة الله العجيبة التي اكتشـفت ثانية، وحُفرت لنا بواسطـة خدَّام أمناء لله. حقائق كثيرة كانت قد نُسيت منذ قرون، واكتُشفت منذ أكثر من مائة وخمسـين سنة، وأصبحنا نتمتَّع بها ثانية. لا شـيء يُقارن بما أعطـاه الله لنا عن طريق كتاباتهم. وكان هؤلاء الرجال مثل "**أشراف الشـعب**" هنا، الذين حفروا الآبار بعصيهم، أو مثل **البيريين** الذين كانوا أشـرف من أهل تسـالونيكي، لأنَّهم كانوا يفحصون الكتب "كل يوم" (أع ١٧: ١١). العالم يُقدِّر الأشراف ويحسدهم. على أننا نحن يمكننا أن نكون أشرافًا في نظر الله، إن كنا نفتش الكتب ونفحصها بتدقيق (يو ٥: ٣٩).

ع٢١ - ٣٥ : النصرة على ملكي الأموريين سيحون وعوج

أتى بنو إسـرائيل إلى آخر خطواتهم في البريَّة، لكن أيضًـا إلى أولى حروبهم. وشـربهم من ماء الصخرة أعطـاهم لا الفرح فقط، بل القوة أيضًا «لأن فرح الرب هو قوتكم» (نح ٨: ١٠). ولهذا فإننا نرى الشعب هنا ينتصر في معركتين متتاليتين، على سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان.

ع١٤) "كتاب حروب الرب": الأرجح أنه كتاب أناشيد لتخليد انتصارات شعب الله. ويرى البعض أن "واهب" هو اسم مدينة؛ وأن "سوفة" اسم إقليم، أخضعهما الرب لشعبه.
ع٢٠) الجواء: أي الوادي.
ع٢٧ -٣٠) "يقول أصحاب الأمثال"، أو أصحاب المواويل الشـعبية. وهي مواويل كانت تحتفل بنصرة الأموريين على العمونيين، لكن هنا تمّت نصرة الإسرائيليين على الأموريين (قارن قض ١١: ١٢ -٢٣).

٢٢

ع١ – ٢١ : فزع بالاق من إسرائيل، واستئجاره لبلعام ليلعنهم

نترك الآن بني إســرائيل أيامًــا قليلة، لنرى ما يحدث في محلّــة أعدائهم. رأى موآب، وبالاق ملكهم، شعب إسرائيل آتيًا من البريَّة، وقد غشَّى وجه الأرض، وهو مُقيم مقابله، ففزع منهم وضجر جدًا (ع٣). العالم بالمثل يرتبك بسبب المؤمنين. لو أمكنك أن تقرأ ما في قلب الكثيرين من غير المؤمنين، لكنت تلاحظ بدون شك، شيئًا من الخوف من وجود أولاد الله، فهم يرون فيهم - أو على الأقل ينبغي أن يروا فيهم - شعبًا ليس مثلهم، والله في جانبهم، وهذا يدينهم.

أهل العالم لا يعرفون أي طــعام يلذّ للمؤمنين، ويخافون على حقولهم، كما خاف مــوآب، وفي الوقت ذاته يكرهون هذا "الجمهور" الــذي يمكن أن يلحس ما حولهم، كما يلحس الثور خضرة الحقل (ع٤). لم يفهموا أنَّه كان لإسرائيل طــعام آخر هو "المَن". لا داعٍ لأن يخاف العالم، فعندما يكون «خبز الحياة» مُقدَّرًا من شــعب الله، فإنَّ كل ما يُقدِّمه العالم لهم لا يجذبهم.

ولكي يتمكن بالاق من شعب إســرائيل، فكَّر في الاستعانة بقوة فائقة، ولذلك فإنه أرسل واســتدعى بلعام العرَّاف، الذي امتدت شــهرته جدًا (ع٦). كان بلعام عرَّافًا مثل أولئك الذين قاوموا موســى وهارون في مصر (خر ٧: ١١). وقد عرف بلعام الربَّ، لكن ليس بالإيمان؛ فاعترف بقوَّته، وعرف أن لا شــيء يمكن أن يُفعل بدون إرادته. يوجد أُناس كثيرون مثل بلعام، يؤمنون أنَّ الله كُلي القدرة، وأنَّه لا فائدة من معارضته، لكنَّهم "غير مؤمنين".

و"محبـــة المال" التي يقول عنها الرســـول إنها أصل لكل الشـــرور (اتي ٦: ١٠) واضحة جدًا في حياة ذلك الرجل التعـــس "بلعام". ونحن في هذا الجزء نجد كيف كان بلعام ممزَّقًا بين جشعه للهدايا التي وعده بها ملك بالاق إن هو لعن الشعب، وإدراكه أنه لا يقدر أن يتعدّى سلطـــان الله الكلي القدرة. فعندما دُعيَ بلعام من بالاق، أتى إليه الله وقال له: «لا تذهب معهم» (ع١٢). كان جـــواب الله واضحًا وجليًّا، لكن بلعام أغراه الغنى والإكرام الذي وُعِد به. لذلك عندما جاء إليه رُسل آخرون من بالاق، عوضًا عن أن يكتفي بالجواب الأوَّل من الربّ، فإن هـــذا البائس تمنى أن يحصل على رد مختلف من الله، ونســـي أن الله لا يتغيَّر (قارن ٢٣: ١٩). ولقد ســـمح له الله بأن يذهب وراء شهوة قلبه (ع٢٠)، مع التأكيد عليه بألا ينطق إلا بما يقوله له.

ع٢٢-٣٦: بلعام في الطريق إلى بالاق

شـــدّ بلعام علـــى أتانه وانطلق مع رســـل بـــالاق بقلـــب مبتهج «بأجـــرة الإثم» (٢بط٢:١٥)، لكن طريقه كانت "ورطـــه" أمام الـــرب، أي أنها تؤدي به إلى الهلاك (ع٣٢). كان بلعام يعمل كأنَّه مطيع لله، مع أنَّه في الحقيقة، كان يتبع طريقه الخاصة، مُنجذبًا ومنخدعًا بشهوته (يع ١: ١٤). هذا ما أراد الله أن يُفهِّمه إياه. ولهذا الغرض استخدم طريقة معجزية، فجعل الحمارة تُكلِّمه، دون جدوى. فتدخَّل ملاك الربّ نفسه وحذَّر بلعام. ولكن، ولا هذا أيضًا غيَّر غباوة النبي. أليس هذا مُذهلاً أنَّ الملاك وقف في الطريق، ورأته الحمارة، وأمَّا بلعام† فلم يعرفه (ع٣٤)؟!

أحيانًا يحدث معنا نحن أيضًا أن يعترض الله طريقنا ليوقفنا عن الشـــرّ والخطر. لكن بالأســـف قد نبدأ مشـــروعًا، ورغم أنَّنا لا ننجح، نحاول مرة أخرى وربَّما عدَّة مرَّات، بينما كان يجب أن نسأل أنفسنا إذا كان الله يعترض طريقنا ليمنعنا من عمل شيء مُخالف لإرادته، فنفهم مشيئته ونُطيعه.

ويشــير العهد الجديد إلى "بلعام" ثــلاث مرات، فهو يحدثنا عــن "**طريق بلعام**" (٢بط٢:١٥)، وعن "**ضلالة بلعام**" (يه١١)، وأخيرًا عن "**تعليم بلعام**" (رؤ ٢: ١٤). ويحذِّرنا من هذه كلها.

ع٣٦-٤١ : لقاء بالاق وبلعام

أخيرًا تم اللقاء بين بلعام وبالاق ليواصلا تنفيذ مشروعهما الشرير، وهما معًا صورة لأشرّ شخصيتين ســيظــهران في آخر الأيام، هما الرئيس السياســي الشرير، المدعو "الوحش"، والرئيس الديني الشرير المدعو "النبي الكذاب" أو "ضد المسيح"، المذكورين في سفر الرؤيا، واللذين سيكونان، في يوم قادم، آلات الشيطــان ضد الله وشعبه.

حلوان العرافة (ع٢٧) أي "الحلاوة" أو المكافأة التي سيحصل عليها في حالة لعنه للشعب.

† انظر سبعة قالوا أخطــأت. سفر الخروج ص ٩ صفحة ١٤٤.

٢٣

بلعام يبارك الشعب

نجح بلعام بالفعل أن يصل إلى حيث اشتهى أن يكون، وها هو يحاول أن يقنع الرب ليجعله يقول ما يحب بلعــام أن يقوله. ولكن رغمًا عن بلعــام، ولحمو غضب بالاق، تحوَّلت أمثاله الأربعة† إلى بركات عجيبة لإســرائيل. فهو بصورة خارقة مُنع من أن يلعن، وبصورة عجيبة بارك. حقًا لقد حوَّل الله اللعنة إلى بركة (تث٢٣:٥؛ نح١٣:٢). وبالمثل يوجد الآن واحد في الســماء يشــتكي على المفديين، هو الشــيطــان نفســه

(رؤ١٢: ١٠). لكن الله - كما نرى في سفر أيوب - يستخدم هجمات العدو ذاتها لخير خاصَّته. ومن المهم أن نلاحظ أن الشـــعب في الوادي لم يكن يدري شـــيئًا عما يحدث ضدهم من العدو فوق الجبل، ولا بما يعمله الله لصالحهم لإبطــال شكاية هذا العدو.

هذا الأصحاح يتضمن محاولتين من بالاق وبلعام للعن الشعب. في المرة الأولى تكلم "الله" على فم بلعام (ع١ -١٠)؛ وفي الثانية "الرب" هو الذي تكلم (ع١١ -٣٠).

«**هوذا شعبٌ يسكن وحده**» (ع٩) ـ هذه هي الصفة الأولى لإسرائيل، أن يكون شعبًا مقدَّسًا مُفرَزًا لله (١مل٨: ٥١ -٥٣). وهذه بالمثل صفة الكنيسة الحقيقية، وصفة كل مؤمن. المؤمن مُخصَّص لله، ومنفصل عن عالم محكوم عليه بالدينونة.

«**لتمُت نفســي موت الأبرار ولتكن آخرتي كآخرتهم**» (ع٩، ١٠). ولكن لكي يموت الإنســان موت الأبرار يجب عليه أولاً أن يحيا حياتهم. ولكن بلعام كان نظير الكثيرين "رجلاً ذا رأيين" (يع ١: ٨)، أراد أن يخدم سيدين. أراد أن يعبد الله ويقدِّم له المحرقات على سبع مذابح، وهو طوال الوقت كان يحرص على المال الذي اشتهاه قلبه!

«من سيشــتكي على مختاري الله؟ الله هــو الذي يبرر، من هــو الذي يدين؟» (رو٨: ٣٣، ٣٤). وكأن الله يســتهزي بالمشــتكي، فأمره أن يعلن من فوق رأس الفسجة قائلاً: «لم يُبصر إثمًا في يعقوب، ولا رأى تعبًا في إسرائيل» (ع٢١). وإننا لنســأل أنفسنا: كيف أمكن لله أن يقول ما لم يكن واقعيًا بالمرة؟ ألعله نسي تذمراتهم الكثيرة، وعدم إيمانهم وعدم أمانتهــم؟ يُعطينا الربّ الجواب في ع٢٣: «في الوقت يُقال عن يعقوب، وعن إسرائيل، **ما فعل الله**». وعلى ذلك، بينما من الجهة الواحدة، كان شعب إســرائيل يُضيف تعديات بعد تعديات في أثناء رحلته في البريَّة، كان الله من الجهة الأخرى "**يعمل عمله**" ليجعلهم أهــلاً تمامًا لدخول الأرض. لقد عمل ما يلزم لمواجهة خطــاياهم، فجعل لهم الذبائح والكهنوت، والحيَّة النحاسية، التي كانت

كلها تُشير إلى عمل الربّ يســـوع. فإن كان الله قد تكلَّم هكذا عن شعبه، فليس لأنَّه يمكن أن يتغاضى عن الشر، بل لأنَّه كان ينظر إلى ما فعله الرب يسوع، إذ كان أمام عينيه باستمرار العمل الكامل، عمل المسيح، وهو يرى كل الذين له في كمالات ابنه الحبيب، والفاعلية الأبديَّة لعمله على الصليب.

بدلاً من أن نشـــير بإصبعنا إلى الآخرين، ونقول: انظر ما فعل هذا أو ذاك، دعنا نتذكَّر هذه الآية العظيمة: «يُقال... عن إســـرائيل ما فعل الله»، فنرى أنَّ الشـــخص الذي كنَّا سنتكلَّم عنه بالسوء، هو «**الأخ الذي مات المسيح لأجله**» (١كو ٨: ١١).

† نـــطق بلعام بأربعة أمثال رئيســـية، ثم ثلاثة تالية، فيكـــون مجموع الأمثال التي نطق بها سبعة. انظر "ثم نطق بمثله" أصحاح ٢٤.

٢٤

بقية أقوال بلعام

بعد أن "وافى الله بلعام" (٢٣: ٤)؛ وبعد أن "وافى الرب بلعام" (٢٣: ١٦)؛ نقرأ هنا أنه «كان عليه روح الله» (ع٢). مما يدل على أن الله في ثالوث أقانيمه، الآب والابن والروح القدس، اشترك في بركة الشعب. لقد «حوَّل إلهنا اللعنة إلى بركة» (نح ١٣: ٢).

في هذه المرة الثالثة اســـتغنى بلعام عن أعمال العرافة الشـــيطـــانية التي يتقنها «لم ينطلق... ليوافي فألاً»، إذ اكتشـــف عدم نفعها، ومع ذلك فقد أجبره روح الله على النطق بالكلمات التي وضعها الله على فمه. وبقدر إصرار بلعام على لعنة الشـــعب، كان شعب الله في المقابـــل يحصل على بركة لا لعنة. والآية (٥) تبيـــن لا غياب الإثم في يعقوب

فقط (النعمة)، بل حُسن خيام إسرائيل أيضًا (المجد). ففي وسط خيام الشعب كانت تظل خيمة الرب نفسه، التي هي مستقرّ مجده، وبالتالي فإن المحلة كانت مقرّ مجد يهوه!

والكنيسة أيضًا ما زالت في البرية، ولكن الله نفسه يعتبرها في ضوء مجد علاقتها بابن محبته. إنها عروس المسيح، وهو يراها مكتسية بكمالات عريسها المبارك. ليتنا إذًا نتعلَّم أن ننظر للآخرين «من رأس الصخور» (٢٣: ٩)، أي كما يراهم الله من السماء، فسنرى منظرًا مختلفًا تمامًا، سنرى بريق «رداء البر» (إش٦١: ١٠) الذي كسا به الربّ قدّيسيه، وسنرى انعكاس مجد الربّ يسوع. وذات الأشياء المُحزنة التي لا نستطيع إغفالها، تصير فرصة لتعجبنا من مقدار **الغفران الإلهي**.

وبدءًا من ع١٥ نجد النبوة الرابعة التي نطق بها بلعام. وهي تتحدث عن بركات مستقبلة للشعب تحت مُلك المسيا. وهذه النبوة توضّح مقدار المسؤولية التي على بلعام. فلقد سمع أقوال الله، وعرف معرفة العلي، ورأى رؤيا القدير، وبرغم كل هذه الامتيازات التي لا تُقدَّر، انتهى نهاية مأساوية. كثيرون من المسيحيين سيقولون للمسيح في اليوم الأخير: يا رب يا رب، أليس باسمك تنبأنا...؟» (مت ٧: ٢٢)، ولكنهم سيشاركون بلعام في نهايته، لأنهم عرفوا الحق، ولكنهم لم يقبلوا محبة الحق (٢تس٢: ١٠). ليس المهم أن ترى المسيح، فكل عين ستراه (رؤ١:٧)، لكن المهم أين؟ وبأي حال؟

ولقد رأى بلعام المسيح في مجده. وسيظهر المسيح كملك المجد (ع١٧) لكي يدين ويقضي على الأمم. إنه هو

«ثم نطق بمثله»

أي أن بلعام تكلم نبويًا بلغة تصويرية. ولقد نطق بلعام في هذين الأصحاحين بسبعة أمثال خلت كلها تمامًا من لعنة الشعب، وتضمنت بصورة عجيبة البركة لهم. وهذا وذاك كان ضد إرادته ورغمًا عنه: وهذه الأمثال السبعة هي: ٢٣:٧؛ ٢٣:١٨؛ ٢٤:٣؛ ٢٤:١٥؛ ٢٤:٢٠؛ ٢٤:٢١؛ ٢٤:٢٣.

كوكب الصبح المنير (رؤ ٢: ٢٨؛ ٢٢: ١٦)، ومع أنه لم يُرَ بعد من العالم، ولكنه أشــرق بالفعل في قلوب المفديين (٢بط ١: ١٩).

ع٧) أجاج هو الاســم العام لملوك عماليق، الذي هو العدو الرئيســي لشــعب الله (ع٢٠). والكلام هنا صورة لنصرة الشعب النهائية على كل أعدائه.

ع٢٤) كتيم: إيطــاليا، صورة للإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة في آخر الأيام (دا ١١: ٣٠).

٢٥

الشعب يزنى مع بنات موآب

ليمكننا أن نفهم ما حــدث بعد ذلك، نحتاج أن نرجع إلى ما ورد في ص٣١: ١٦. فإنه لما وجد بلعام أنه سيخسر مكافأة ملك موآب التي كان يشتهيها ويحن إليها، فإنه فكَّر في طريقــة جهنمية. كان قد قال في أحد أمثاله: «لــم يُبصر إثمًا في يعقوب» (ص٢٣: ٢١). وهــذا معناه أن الله لا يطيق أن يبصر الشــر، فليحاول أن يجعلهم يعملون الشر! وكان قد قال: «هوذا شــعب يسكن وحده» (٢٣: ٩)، وهذا معناه أن الله يريد شعبه منفصلاً؛ فليحاول أن يجعله يختلط بالشعوب الوثنية. ولهذا فإن بلعام، كما يخبرنا آخر أسفار الكتاب المقدس، علَّم بالاق أن يضع معثرة أمام بني إسرائيل، ليأكلوا ما ذُبــح للأوثان ويزنــوا (رؤ٢: ١٤). وكانت النتيجــة، حادثة بعل فغور المُحزنة والمُذلة، عندما وقع بنو إســرائيل في الفخ الــذي نصبه لهم موآب ومديان. ومن هذا نتعلم أنه علينا أن نخشى ولائم العالم أكثر من لعناته.

لكن في أحلك الســاعات، يمكن للإيمان أن يلمع، فلقــد أظــهر فينحاس† غيرته

للرب، فقال عنه «فينحاس بن ألعازار... قد ردّ سخطي عن بني إسرائيل» (ع١١). وكوفئ من الرب على الفور. ومن هذا نتعلم كم هو مُسِرّ في عيني الرب أن يرى شابًا أوشابة محاطين بوسط فاجر، ومع ذلك يعيش الواحد منهما حياة تقوية وطاهرة، ويعرف كيف يقف بشجاعة في صف الرب!

† يرد فينحاس في العديد من الفصول الكتابية، كلها تحدثنا عن غيرته المقدسة للرب (قارن يش٢٢: ١٣؛ قض٢٠: ٢٨؛ ١أخ٩: ١٨-٢١).

٢٦

التعداد الثاني

لقد مرَّت حوالي أربعين سنة من وقت عدّ الشعب في أصحاح١. لذلك يأمر الربّ هنا بعَدّ كل الجماعة مرة ثانية. كان التعداد الأول في برية سيناء، والتعداد الثاني في عربات موآب. التعداد الأول بعد الخروج من أرض العبودية، والتعداد الثاني قبل دخول أرض الموعد.

كان عليهم أن يعدّوا كل واحد من ابن عشرين سنة فصاعدًا (ع ٢). ربَّما لم يصل عمرك إلى هذه السن، لكن يمكنك أن تكون من ضمن شعب الله، أي الكنيسة. إذا لم تكن متأكدًا من ذلك، فمن المهم جدًّا أن تحسم ذلك الآن، ولا تنتظر حتى تتقدم في السن.

في إسرائيل كان المعدودون هم القادرون على الذهاب إلى الحرب (ع٢). لكن شعب الله السماوي يشمل الرجال والنساء، الكبار والصغار، والمريض والضعيف لا يُستبعدان.

جدول بالتعدادين اللذين في سفر العدد

	التعداد الأول (عد١)	التعداد الثاني (عد٢٦)	الفرق بين التعدادين
سبط رأوبين	٤٦٥٠٠	٤٣٧٣٠	نقص
سبط شمعون	٥٩٣٠٠	٢٢٢٠٠	النقص الأكبر في الأسباط
سبط جاد	٤٥٦٥٠	٤٠٥٠٠	نقص
سبط يهوذا	٧٤٦٠٠	٧٦٥٠٠	زاد
سبط يساكر	٥٤٤٠٠	٦٤٣٠٠	زاد
سبط زبولون	٥٧٤٠٠	٦٠٥٠٠	زاد
سبط أفرايم	٤٠٥٠٠	٣٢٥٠٠	نقص
سبط منسى	٣٢٢٠٠	٥٢٧٠٠	أكبر نسبة زيادة
سبط بنيامين	٣٥٤٠٠	٤٥٦٠٠	زاد
سبط دان	٦٢٧٠٠	٦٤٤٠٠	زاد
سبط أشير	٤١٥٠٠	٥٣٤٠٠	زاد
سبط نفتالي	٥٣٤٠٠	٤٥٤٠٠	نقص
المجموع الكلي	٦٠٣٥٥٠	٦٠١٧٠٠	نقص

ملاحظـــات على الجدول السابق:

- العدد الإجمالي للشـــعب في التعدادين يكاد يكون هو نفسه (ما يقرب من ستمائة ألف - ع٥١ مـــع ١: ٤٦)، وهذا يذكِّرنا بقوة نعمة الله على حفظ شـــعبه خلال رحلة مضنية وشاقة.

- سبعة من الأسباط زاد عددهم وهم: يهوذا ويســاكر وزبولون ومنسى وبنيامين

وهم: رأوبين وشمعون وجاد وأفرايم ونفتالي. ودان وأشير، وخمسة نقصوا

- أكبر خســارة كانت في سبط شــمعون (قلَّ عددهم من ٥٩٣٠٠ إلى ٢٢٢٠٠)، وهي خسارة هائلة. ولعل أحد أهم الأســباب لذلك يرجع إلى الخطية التي كان هذا السبط ضالعًا فيها، وأعني بها خطية بعل فغور (ص٢٥).
- أكبر نسبة زيادة كانت في سبط منسى، وسنكتشف من بقية أصحاحات هذا السفر أن هذا الســبط تميَّز، سواء بفتياته أو شيوخه بتقديرهم لميراث الله الثمين (راجع ص٢٧؛ ٣٦).

وعندما نتذكر أن هذا التعداد أثر على نصيب الأسباط† في أرض كنعان «الكثير تكثر له نصيبه، والقليل تقلل له نصيبه» (ع٥٤)، ندرك شــيئًا عن حماقة الوقوع في الخطية، وعدم الاكتراث بميراث الله.

† موقع كل سبط تحدَّد بالقرعة، أما مساحة الأرض المعطــاة لهم فكانت بحسب عددهم.

٢٧

ع١-١١ : بنات صلفحاد

لاحظنا في الفصل السابق أن العدد شمل "الرجال" فقط، لكن هذه الفقرة من السفر مخصَّصة للحديث عن نساء، هن بنات صلفحاد الخمسة. وبعد ذلك سيخصِّص السفر لهن أصحاحًا بأكمله للحديث عنهن (ص٣٦). ربما تفكِّر أنَّها جسارة في غير محلها أن يقفن أمام موسى وألعازار الكاهن والرؤساء وكل الجماعة، ليطــالبن بنصيب في

الميراث. هل كنّ متذمرات ضد الربّ كما فعل الشـــعب في مناســبات كثيرة سابقة؟ كلا البتة. إن بني إســرائيل في تذمّراتهم كانوا آســفين على مـــا تركوه وراءهم في مصر، لكن هؤلاء الفتيات كن يُعَبِّرن عن أشـــواقهن للميراث العتيد في أرض كنعان. ولذلك صادق الله نفســـه على طلبهن. وفي إجابته على موســـى، الذي قدّم دعواهن أمـــام الرب، قال: «بحق تكلّمت بنات صلفحـــاد» (ع٧). يا له من مثال لجميع أولاد المؤمنين! دعنا نضع قلوبنا على الميراث المجيد السماوي، لا على ممتلكات أرضية. وليتنا جميعًا نهيم اشتياقًا للوطن السماوي!

ع١٢-٢٣: إعلام موسى بموته، وتعيين يشوع

أخبر الربّ موسى بأنّه أتى إلى نهاية حياته. وبسبب خطيته عند ماء مريبة، لن يُسمح له بقيادة الشعب إلى أرض كنعان. ومن هذا نتعلم درسين:

الدرس الأول، وهو درس أدبـــي: أن غلطـــة الكبير كبيرة. عند البشـــر كثيرًا ما يحدث تجاوز عن أخطـــاء الكبار، لكن هذا ليس عند الله، فلنتحذر!

والـــدرس الثاني، تعليمي: أن الناموس لا يمكنه أن يُدخِل - ولو مُشَـــرِّعَه - إلى أرض الموعد، فكم يســـتحيل أكثر أن يُدخِل أحدًا إلى الســـماء. إن دخولنا هناك هو بالنعمة وحدها.

وموسى العملاق، بدلاً من التفكير في نفسه، والشعور بالأسى، كان أول ما فكر فيه هو الشعب الذي سيتركه بدون قائد، فتشفّع مرة أخرى لصالح إسرائيل، فيقول في ع١٧: «لكيلا تكون جماعة الربّ كالغنم التي لا راعي لها». هذا ما شعر به الربّ يسوع نفسه في قلبه، فنقرأ في متى٩: ٣٦ «ولما رأى الجموع، تحنّن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنمٍ لا راعي لها». ومع أنه هو نفسه الراعي الصالح، وكان في وسطـــهم، لكنهم لم يريدوه.

وجوابًا على طلب موســـى، عيَّن الربّ يشـــوع «رجلاً فيـــه روح» (ع١٨)، أي "روح الرب" (ترجمة داربي). كان يشـــوع قد تعلَّم، وهو غلام، أن "يعرف الربّ" عندما كان لا يبرح من داخل الخيمة (خر ٣٣: ١١). وعندما أُرســـل كجاســـوس ليتجسّـــس الأرض، تمَّم بأمانة ما اؤتمن عليه. وأخيرًا مثل موسى، تدرَّب لمدة ٤٠ ســـنة في البريَّة، حتى تعلَّم أن ينتظر الرب بصبـــر. والآن دعاه الربّ للخدمة التي عيَّنها له، أن يقود الشعب إلى أرض الموعد.

٢٨

التقدمات المختلفة وأوقاتها

في أصحـــاح٢٨، ٢٩ نقرأ ثانيـــة عن القرابيـــن المختلفة، لكنها هنـــا لا تُذكر بالارتباط مع ما تعنيه تلك القرابين، بل بالارتباط بمناسبات تقديمها. وليتنا كأولاد الله الأعزاء نحرص على أن نستخدم كل فرصة يتيحها الرب لنا لكي نُقَدِّم شكرنا له (اتس ٥: ١٨).

وهذان الفصلان (عد٢٨؛ ٢٩) يذكِّراننا بسفر اللاويين ٢٣، مع هذين الفارقين:

أولاً: أن التعليمات هنا أُعطيت في ختام رحلة الشـــعب فـــي البرية، قبيل دخول الأرض، بخلاف لاوييـــن ٢٣ الذي أُعطـــي في بداية رحلة الشـــعب. والمفروض أن الشعب، وهم على مشـــارف الأرض، يكون قد ازداد تقديرهم للرب. ولهذا فإن الذبائح هنا أكثر مما وردت في لاويين ٢٣.

ثانيًا: نقــرأ في لاويين ٢٣ قــول الرب "مواســمي"، أي المناســبات التي فيها يجتمع الشــعب حول إلهه؛ بينما هنا يتحدث عن "قرابيني"، أي طــعام الرب نفسه. وما أجمل هذا التعبير، فمهما تغيرت قلوبنا، يظل قلب الله شــبعان تمامًا وإلى الأبد بشخص الربّ يسوع وعمله: هو قربان الله، وطــعام الله، ورائحة سرور دائمة له.

ويشــتمل هذا الأصحاح على التقدمات اليومية (ع١ -٨)، وتقدمات "يوم السبت" (ع٩، ١٠)؛ وتقدمات رؤوس الشــهور (ع١١-١٥)؛ وتقدمــات "الفصح"، الذي هو أول مواســم الرب المذكورة في لاويين ٢٣، ويرتبط به "عيد الفطير" (ع١٦-٢٥)؛ وتقدمات "يوم الباكورة"، الذي هو "عيد الخمسين" (ع٢٦-٣٢).

وتتكرر بصورة لافتة عبــارة "**دائمــة**" (ع٣،٦،١٠،١٥،٢٣،٢٤،٣١). وهي تعني بصورة منتظمــة. ونتعلم منها شــيئين: أولاً ضرورة تقديم الســجود للرب دائمًا (مز ٣٤: ١؛ عب١٣: ١٥)؛ وثانيًا أن المســيح، بعمله الواحد من فوق الصليب، استطــاع أن يُدخل السرور، وإلى الأبد، إلى قلب الله، وعمله لا يحتاج إلى تكرار.

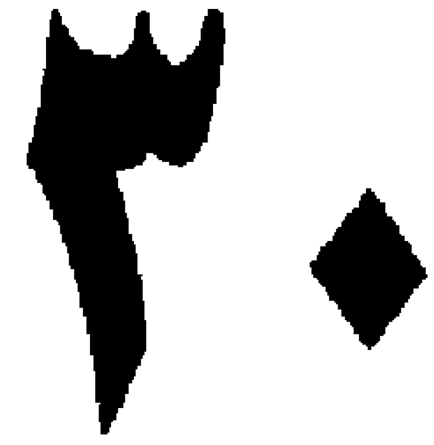
٢٩

تتمة التقدمات ومواقيتها

يُعتبر هذا الأصحاح استطرادًا للأصحاح السابق، وفيه يذكر الرب التقدمات التي تُقدَّم له "يوم هتاف البوق"، في أول الشــهر الســابع (ع١ -٦)؛ وفي يوم "الكفارة" (ع٧ -١١)؛ وفي "عيد المظــال" (ع١٢-١٦)؛ وفي اليوم الثاني من العيد (ع١٧ -١٩)؛ وفي اليوم الثالث (ع٢٠-٢٢)؛ وفي اليوم الرابــع (ع٢٣-٢٥)؛ وفي اليوم

الخامس (ع٢٦-٢٨)؛ وفي اليوم السادس (ع٢٩-٣١)؛ وفي اليوم السابع (ع٣٢-٣٤)؛ وفي اليوم الثامن (ع٣٥-٤٠).

ونلاحظ من ع١٢ أنَّ عدد الثيران التي تُقدَّم، ينقص واحدًا كل يوم، وهذا يشـــير إلى أنَّه في بعض أوقات حياتنا، إن لم نكن ســـاهرين على حالتنا الروحية، يقلّ فيها تقديرنا لشـــخص الربّ يسوع، وذلك بســـبب عدم محافظتنا على مركز القُرب منه والشـــركة معه. ومن الناحية النبوية، ســـوف تتم تعليمات هذا الأصحاح في الملك الألفـــي. ونحن نعرف أنه في ذلك المُلك ســـيكون الولاء والخضوع للمســـيح من البعض ظـــاهريًا فقط بسبب عظم قوته (مز٦٦: ٣؛ ١٨: ٤٤). وعليه فإن التقدير الحقيقي للملك ســـوف يقلّ سنة بعد الأخرى، حتى أنه في نهاية المُلك الألفي، عندما يُحَل الشيطـــان من سجنه زمانًا يسيرًا، سيجمع أُممًا كرمل البحر، لكي يتمردوا من جديد على الملك (رؤ ٢٠: ٧-٩)!



النذور وإتمامها

بعد الحديث عن الالتزام بالتقدمات المختلفة فـــي ص٢٨؛ ٢٩، يتحدّث الآن عن النذور والالتزام بها، حيث كان الإنسان يضع نفسه، باختياره، تحت التزام معيَّن من جهة إلهه. ومن هنا تبرز خطورتهـــا الكبرى، كقول الحكيم: «أن لا تنذر، خير من أن تنذر ولا تفي» (جا ٥: ٥).

هذا يجعلنا نفكِّر يقينًا في شعب إســـرائيل عندما وضع نفسه تحت التزام بأن ينفذ

كل الناموس (خر ١٩: ٨)، ونحن نعرف كيف فشل هذا الشعب فشلاً ذريعًا في تتميم الناموس. لكن من الجانــب الآخر كم يعزينا أن نعــرف أن "الرجل" الكامل، ربنا يسوع المسيح، أوفى كل نذوره كما يُخبرنا مزمور ٢٢:٢٥ ومزمور ١١٦:١٤، ١٨. فهو في تلك الليلة الحزينة، في بستان جثسيماني، وافق أن يسدِّد كل الدين الذي كان علينا قِبَل الله، ثم مضى إلى الجلجثــة، وبالثمن الغالي، آلام الصليب غير المحدودة، سدَّد الحساب.

يخبرنا هذا الفصل أنه إذا نذر "رجل" نذرًا، فهو مُلزَم بإتمامه، أمَّا المرأة فليست على مســتوى المسـئولية ذاته -إذا كانت تعيش مع أبيها أو زوجها - إذ كان من حقهما أن يفسخا نذرها. وهذا يذكِّرنا بأننا يجب أن نأخذ مركز الخضوع لأبينا السماوي، الله الآب؛ ولعريسنا السماوي، ربنا يسوع المسيح. ومن الناحية العملية، لا يجب أن نتخذ مطلقًا أي موقف، إلا ونحن نقول: «إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك» (يع ٤: ١٥).

٣١

الحرب ضد مديان

بناء على مشــورة بلعام، أغرت نســاء موآب ومديان رجال إسرائيل على عبادة الأوثان. والآن جاء وقت القضاء. وكان انتقام إســرائيل من المديانيين رهيبًا، فقد أفنوهم تمامًا. أليس هذا مثالاً لنا كي نحكم ســريعًا على أي شــيء يمكن أن يقودنا إلى التجربة؟ علَّمنا المســيح أن العين اليمنى يجب أن نقلعها، واليد اليمنى يجب أن نقطــعها، ونلقهما عَنّــا، إذا وجدنا أنَّه يوجد منهما خطر حقيقي على حياتنا الروحية

وعلاقتنا بالله (مت٥: ٢٧ -٣٠). فمثلاً لو أن علاقة ما ستُعرِّض علاقتنا بالرب للخطر، فدعنا لا نتردد مطلقًا في أن نقضي عليها تمامًا.

قُتل بلعام بالسيف مع الآخرين (ع٨). لم يختبر موت الأبرار الذي تمناه (٢٣: ١٠)، ولم تكن له فرصة ليتمتع بالمكافأة التي من أجلها باع نفسه. وهذا ما يحدث دائمًا؛ فنهاية طريق الانحراف هي الهلاك. أليس هذا خطيرًا؟!

الآيات من ٢٥ إلى نهاية الفصل تضع أمامنا النتائج المباركة لما يمكن أن نحصل عليه، لو أننا تجنّبنا كل الفخاخ التي تعترض طريقنا لتصيد نفوسنا، فمن الجانب الواحد إننا لن نخسر شيئًا «لم يُفقَد منا إنسان» (ع٤٩)، ومن الجانب الآخر فإن أسلاب الحرب تحدِّثنا عن الغنائم الروحية التي يمكن أن تستفيد منها كل الجماعة (ع٢٧)، كما أن الرب نال منها نصيبه (ع٢٨)، مما يجعل قلوب القديسين يتصاعد منها الشكر والعرفان.

ع٣) **جرّدوا**: أي أعدوا للحرب.

ع٢٣) **ماء النجاسة**: انظر أصحاح ١٩

ع٥٠) **حُجُول**: خلخال.

٣٢

نصيب الرأوبينيين والجاديين

عندما وصل الشعب إلى حدود أرض كنعان، جاء بنو رأوبين وبنو جاد بطلب مُؤسف إلى موسى والرؤساء قائلين: «لا تعبِّرنا الأردن» (ع٥). وهنا تذكَّر موسى

ما حدث منذ أربعين ســـنة عند قادش برنيع، فغضب غضبًا مقدسًـــا. هل كان هذا الطلب من جانب السبطين، بسبب عدم الإيمان والخوف من جبابرة الأرض والمُدن الحصينة؟ لا، بل أتوا بســبب غيــر مُنتظر، فقالوا: «هنا أرض مــواشٍ، ولعبيدك مواشٍ» (ع٤). فالشــعب - بانتصارهم على المديانييــن (ص٣١) - حصلوا على غنيمة كبيرة جدًّا، وهذان الســبطــان أخذا نصيبيهما، فكان لهما مواشٍ كثيرة ووافرة جـــدًّا (ع١). وبالنظر حواليهم، رأوا المراعي الغنيـــة في أرض جلعاد، حيث كانوا متغرِّبين، فــأرادوا أن يبقوا هناك، فكانت مصلحة مواشــيهم أهم عندهم من امتلاك الأرض التي وعدهم بها الربّ.

وكثيرون من المؤمنين اليوم يعملون بطريقة مشـــابهة. هم مُخلَّصون بلا شك، لكن أشـــياء هذه الأرض تهمّهم أكثر من الأمور الأبدية، والســماء لا تهمهم كثيرًا الآن، وقلوبهـــم موزَّعـــة، ولا يـــرون أن مثل هـــذا الطريق يؤدي بهـــم إلى حُفر وأخطـــار كثيرة.

أيها الإخوة الأعزاء: إن كنتم قد قُمتم مع المســيح فاطلبوا ما فوق حيث المســيح جالس عن يميــن الله. اهتموا بما فـــوق (الجانب الآخر مــن الأردن) لا بما على الأرض (حيث مراعي البهائم)!

ولقد عرض بنـــو رأوبين وجاد أن يتقدّموا لمســاعدة إخوتهـــم في حرب أرض كنعان، فحاولوا بذلك أن يُظـــهِروا أنَّهم غيورون وشـــجعان وغير أنانيين، لكن كل هذا لم يكن يُعـــوِّض، في نظر الرب، نقص محبتهم له وللأرض التي أعطـــاها لهم. كان رجال الحرب من رأوبين وجاد ســيعبرون الأردن، ليســاعدوا إخوتهم، وبذلك يعرفون شـــيئًا عن أرض الموعد. لكن ماذا عن **نسائهم وأطفالهم**؟ إنهم لن يروها قَطّ. وبغلطـــة الآباء كان الأولاد ســيحرمون من وعـــد الرب (عد١٤: ٣١). هذا

يذكِّرنـــا بما اقترحه فرعون على موســى عندما حاول أن يُبقــي الأطفال في مصر (خر ١٠: ١٠، ١١)، والآن آباؤهم هم الذيــن يمنعوهم من دخول الأرض. والرب يسوع ما زال يقول: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ، ولا تمنعوهم» (مر ١٠: ١٤). وهذا لا ينطبق فقط على الآباء، بل أيضًا على الإخوة والأخوات الكبار.

في مراعي جلعاد الغنية، كانت المواشي ستجد ما تحتاج إليه، لكن ماذا عن عائلات† هذين الســبطين؟ التاريخ يُبين أنَّ البقاء هناك، كان معناه ســقوطــهم. فأيهما أهم لنا؟ النجاح في أشغالنا الزمنية، أم نجاح نفوسنا؟ فمن النادر أن يسير الاثنان معًا.

---

† انظر تعليقنا على تكوين ٣٤ صفحة ٨٩.

ع٣٨) "مُغيِّرَتي الاســم": أعطـــاهما الإسرائيليون أســماء جديدة، لأنهما كانا اسمين لآلهة وثنية (قارن خروج ٢٣: ١٣؛ يشوع ٢٣: ٧ انظر أيضًا مزمور١٦: ٤).

٣٣

ع ١ـ٤٩ : رحلات بني إسرائيل في البرية

إذ وصل موسى وبنو إســرائيل إلى حدود أرض الموعد، ألقوا نظرة إلى الوراء على مسيرة البريَّة التي قادهم الربّ فيها، بدءًا من تلك الليلة التذكارية، **ليلة الفصح**. مُتذكرين الأماكن التي كان لها ذكرى حســنة عندهم، مثل "فــم الحيروث، وعبور البحر الأحمر". وأماكن أخرى تذكّرهم برحمــة الربّ، مثل "مارة" و "إيليم". كما توجد أماكن أيضًا تركت ذكرى مؤلمة: مثل "برية ســين" حيث تذمروا، و"رفيديم"

رحلتان

هذا الأصحاح الطويل يسجل لنا ٤٢ رحلة قطعها الشـعب، معظمها في عدم إيمان، إذ بأكثرهم لم يُسر الله وجثثهم طُرحت في القفر (١كـو ١٠: ١-١٢؛ عـب ٣: ٩-١٨). لكـن هناك قصـة أحلـى يُفتتح بهـا العهد الجديد، وتشـتمل أيضًا على ٤٢ محطـة، أو بالحري ٤٢ جيلاً مـن إبراهيم أبي المؤمنين، إلى المسيح "رئيس الإيمان ومكمله".

أيضًـا حيـث تذمروا مـرة أخرى، و"سـيناء" حيـث صنعـوا العجـل الذهبـي. و"قبروت هتـأوه" عندما اشتهوا، وأرسل الرب إليهم السلوى. كل شيء مُسجَّل. لا شك أنَّ الشعب كان يتمنَّى حذف بعض الأشياء، حتى موسى وما حدث منه عند ماء مريبة، لكن ذلك كان مستحيلاً. هكذا الأمر معنـا، لا نسـتطيع أن نمحو زلاَّت السـنين الماضيـة، أو نرجع الزمن إلى الوراء ونبدأ مـن جديد. كل ما نسـتطيع أن نفعله هو أن نتذكَّر الدروس المُذلة التي تعلمناها، لنعرف حقيقة فسـاد قلوبنا، ونعرف أيضًا رحمة الله التي سامحتنا بكل شيء.

ويمكن القول إن آثار أقدام بني إسرائيل في البريَّة مَحَتها الرياح من زمن طويل، لكنَّها كلها مُسجلة في سفر الله. هنا نقرأ ببساطـة أنَّهم: «ارتحلوا... وساروا... ثم ارتحلوا... ونزلوا...». إنها أعداد قليلة لكنها تلخص رحلة طويلة على مدى أربعين سنة، أماكن نزلوا فيها لا نقرأ عنها سـوى اسمها هنا. ومع أننا لا نعرف أي شيء عنها، لكن الله سُرَّ أن يسجِّلها في كتابه، لتكون شاهدًا صادقًا لقول أيوب: «أليس هو ينظر طرقي، ويحصي جميع خطواتي؟» (أي ٣١: ٤).

وكذلك طريق كل مؤمن في هـذا العالم. إن كل يوم من عمرنا أضاف يومًا إلى "زمان الحياة الذي مضـى"، واقتطـع يومًا من "الزمـان الباقي" (١بط ٤: ٢، ٣).

ربما مسح الزمن الجزء الأكبر من تاريخ حياتنا، وربما نكاد بصعوبة نتذكر ما فعلناه بالأمس، لكن الربّ سجّل عنده كل شيء، كما لو كان قد أخذ فيلمًا لحياتنا كلها، بدون حذف أي شيء منها، وسنراه في نور الله أمام "كرسي المسيح" (٢كو٥: ١٠). أليس هذا خطيرًا؟

لو حدث ذلك الآن، أفلا نخجل من أن تُكشف حياتنا؟ لكن هناك، قرب الربّ يسوع، سوف لا يكون خوف من دينونة، بل بالحري شعور بعُظم أناة الله وصفحه، وهذا سيقودنا إلى سجود أبدي.

ع٥-٥٦: الأمر بإبادة الكنعانيين

الله القدوس أراد، عندما يمتلك شعبه الأرض التي اختارها لنفسه، أن يقوموا بتطهيرها تمامًا من كل آثار الوثنية، ولا يبقون بها واحدًا من تلك الشعوب. وإذا ظننا أن هذه قسوة مبالغ فيها، فدعونا نتذكر أن الرب صبر على هذه الشعوب أكثر من أربعمائة سنة، من أيام إبراهيم، عندما قال له: «ذنب الأموريين (سكان الأرض) ليس إلى الآن كاملاً» (تك١٥: ١٦). وتمهّل الله عليهم كل هذه القرون. وعلينا أن نيقن أن الرب يُمهل ولا يُهمل.

٣٤

تقسيم الأرض للشعب

بعد أن تأمّل الشعب - في الأصحاح السابق - في ماضيهم، دعاهم الربّ للنظر

إلى الأمام، إلى نهاية رحلتهم الطويلة. يفكّر بعض الناس دائمًا في الماضي، فإمَّا يتأسَّفون على شيء أو آخر، وإمَّا يفتخرون بما عملوه. لكن أولاد الله لا يجب أن ينسوا قط **"ما فعل الله"** (ص٢٣: ٢٣)، وفي الوقت نفسه ينظرون إلى الأمام إلى وطنهم السماوي.

الربّ الذي قاد كل خطواتهم في البريَّة، هو نفسه الذي عيَّن حدود ميراث إسرائيل. بالنسبة لنا نحن الذين آمنا بالرب يسوع المسيح، ما هي نهاية رحلتنا؟ أليس هو المكان الذي دعاه الربّ نفسه "بيت أبي"، وهو الذي قال عنه: «في بيت أبي منازل كثيرة، وإلاَّ فإنِّي كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعد لكم مكانًا» (يو١٤: ٢).

في هذا الأصحاح أعطى الرب حدود الأرض فقط. وكذلك المؤمن اليوم يعلم القليل عن وطنه السماوي. فالكتاب لا يصف لنا السماء وصفًا كاملاً، لكن الذي نعرفه عنها كافٍ، فهي بيت الآب "أبينا"، والرب يسوع معنا هناك، ومحبته موضوع تمتّعنا إلى الأبد.

٣٥

ع١ ـ٨ : مدن اللاويين

تحدّث الأصحاح السابق عن حدود أرض الموعد، وداخل هذه الحدود كان لكل سبط نصيب في الأرض، ما عدا سبط لاوي. كان يعقوب قد تنبَّأ أنَّ لاوي سيكون متفرِّقًا في كل الأرض بسبب ظلمهم (تك ٤٩: ٧)، لكن نعمة الله حوَّلت التأديب إلى

بركـــة. وقال الــربّ أن يُعطوا ٤٨ مدينة من كل إســرائيل للاويين، كل سبط حسب قياس ميراثه. اللاويون الذيــن أُفرزوا لخدمة الــربّ، كانوا مسؤولين أن يعلّموا الشريعة للشعب. وكان هــذا يعنــي امتيــازًا وبركة لكل ســبط، أن يوجــد اللاويون في وســطــهم. فكانوا يعطونهم بعض مُدنهم ويُشــركونهم فــي ممتلكاتهم، لكي يتباركوا أكثر من الربّ.

ع٩-٣٤: مدن الملجأ

الناموس يقــول: «عيــن بعين، وســن بســن» (خر ٢١: ٢٤) وقبل ذلك قال الله لنوح: «سافك دم الإنسان بالإنسان يُســفك دمه» (تك ٩: ٦)، وكان ذلك يتضمن القاتل سهوًا. لكن الآن رحمة الله تُعدّ مُــدن ملجأ لمثل هذا القاتل سهوًا. كان الرب قد سبق وأعلن شيئًا عن هذه النعمة (خر ٢١: ١٢، ١٣)، وهــا هــو الآن يعطــي مزيدًا مــن التعليمــات بخصوصها.

المسيح مدينة الملجأ

الحقيقة أن كل الجنس البشــري مسؤول عــن موت المسـيح ابـن الله. لكن الله، في رحمته غــير المحدودة، جهّز للإنســان ملجأ يحتمي فيــه من غضبه، وهذا الملجأ هو شــخص الربّ يســوع، الذي وضع للموت نفســه. إنــه منقذنا من الغضب الآتي (١تس ١: ١٠).

ومع ذلك فهناك عدة مفارقات:

فأولاً كانت توجد مــدن ملجأ كثيرة، بينمــا ابن الله هــو الملجــأ "الوحيد" من الغضب الآتي.

ثانيًــا: أن مدن الملجــأ كان يحتمي فيها فقط القاتل ســهوًا، لكن الربّ يســوع يُفتّش عن الجميع حتى المُذنبين في جرائم ارتُكبت عمدًا.

ثالثًا: الذيــن احتموا في مدينــة الملجأ، كانوا يُخاطرون بحياتهم إذا خرجوا منها. أمّــا الآن، فبالعكــس، لا أحــد يقدر أن يديــن الذين برّرهم الله «مَن سيشــتكي على مختاري الله»؟ (رو ٨: ٣٣).

وهي صورة ضعيفة لِما تقدّمه نعمة الله للخاطئ الأثيم، الذي يمكنه، مع شاول الطرسوسي، أن يعترف بأنه أول الخطاة، ولكن يمكنه أن يقول أيضًا: «ولكني رُحمت، لأني فعلت بجهل في عدم إيمان» (اتي ١: ١٣، ١٥).

من الجانب النبوي تمثّل مدن الملجأ تلك الحماية العجيبة التي جهّزها الله لشعبه المذنب في جريمة قتل ابنه. نحن لا ننسى أن المسيح من فوق الصليب صلى قائلاً: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤). ومن وقتها وهم محفوظون بالعناية الإلهية بعيدًا عن ميراثهم. وسيظلون كذلك حتى نهاية هذا التدبير، وبعبارة أخرى طالما أن المسيح يمارس كهنوته من نوع كهنوت هارون، وحتى يستبدله بالكهنوت الملكي صادقي.

إذًا فنحن في هذا الفصل نرى المسيح في صورة القتيل (أع ٢: ٢٣؛ ٣: ١٥)، وأيضًا في رمز مدن الملجأ، ثم نرى رمزًا ثالثًا وهو "الكاهن العظيم"، والذي يعطي موته الإشارة بعودة القاتل إلى ميراثه مرة أخرى (ع٢٨). وأخيرًا هو بنفسه ولي الدم، الذي سينتقم لدمه من كل الذين رفضوه (إش ٦٣: ١-٤؛ رؤ ١٩: ١٣).

ولقد جعل الرب الطريق إلى مدن الملجأ سهلاً خاليًا من العقبات والعثرات (تث١٩: ١-٣). وهكذا الطريق للخلاص بالمسيح ما أسهله! ولكن ينبغي على من يحملون اسمه أن لا يُعثروا النفوس ويُعطّلوها عن الإتيان للمسيح.

ع٣١ يوضح أنه لا فدية - مهما عظمت - تُقبل من القاتل. وهو يذكرنا بكلمات المرنم: «كريمة هي فدية نفوسهم فغلقت إلى الدهر» (مز ٤٩: ٨). ونحن نعلم أن فديتنا نحن لم تتم بفضة أو ذهب (ابط ١: ١٨)، وليس من أعمال (أف ٢: ٩). ليس سوى المسيح، الذي أعلن بطرس بكل صراحة أن: «ليس بأحد غيره الخلاص» (أع ٤: ١٢).

ع٢) **مسارح**: أي مراع للغنم.

٣٦

بنات صلفحاد مرة أخرى

تُذكــر بنات صلفحاد الخمس، مرَّة أخرى في هذا الأصحاح، وقد ســبق أن قرأنا عنهن في أصحاح٢٧. هنا تكلّم رؤساء الآباء من سبط منسى إلى موسى والرؤساء عن موضوع الميراث.

ما هي المشــكلة في الحقيقة؟ كان كل سبط يمتلك ميراثًا محدَّدًا له من الله. لكن كانت توجد مخاوف في حالة زواج امرأة لها نصيب في الميراث، بشخص من سبط آخر، أن يُنقل نصيبها إلى هذا السبط الآخر.

ولقد كان جواب موسى بحسب كلمة الربّ واضحًا. مثل هؤلاء النسوة يمكن أن يتزوجن فقط من داخل سبطــهن. أليس في هذا تعليم للشباب المؤمن؟ **الزواج من شخص، ولو كان من شعب الله، ولكنه لا يُشارك في ذات الامتيازات الروحيَّة، يعني خسارة التمتّع بتلك البركات الروحيَّة.** ليت الربّ يحفظ شبابنا من مثل هذه الحالة.

أليس أمرًا ملحوظــًا أن تُذكر هذه المســألة المتعلِّقة بالميراث، في الســفر الذي يُقدِّم لنا شعب إســرائيل في ارتحاله في البريَّة؟ فالله لا ينتظر حتَّى يعبروا الأردن، حتَّى يتمتَّعوا بميراثهم، بل قصد أن يختبروا التمتّع به في أثناء ســيرهم في البريَّة، وهو يريدنا أن نكون مشغولين من الآن بوطننا الســماوي، بينما نحن نسير في هذا العالم الذي هو برية بالنسبة لنا.

* * * *

وبوصولنا إلى نهاية هذا السـفر، فقد كانت نظرتنا فيه إلى الشـعب ورحلته في البرية. وهي رحلة طالت لسـنين كثيرة لعدم الإيمان، وميّزتها، طوال السنين، عدم الأمانة. لكن من خلال سـرد تاريخ فشل الشعب، سُرّ روح الله أن يحدِّثنا عن أشياء كثيرة تذكِّرنا بالمسيح، تعزّينا وابتهجنا بها.

فلقد رأينا صورة لموت المسـيح في الفصح، وفي البقـرة الحمراء، وفي الحية النحاسـية؛ كما انشـغلنا بالعصا التي أفرخت، فذكّرتنا بقيامة المسـيح من الأموات كأسـاس لكهنوته. ورأينا جانبًا من كمالات المسـيح ونحن نتأمله كالنذير الحقيقي، وبركاته لنا ونحن نتأمله كمدينة الملجأ. واستمعنا إلى نبوات صريحة عنه كالقضيب وكوكب الصبح. فما أسعدنا به، وبما لنا فيه، خلال رحلتنا عبر برية الآلام، صوب ميراث البركة والمجد!

سفر التثنية

مقدمة

الكاتب: هو موسى، فهو أمر معروف منذ القديم ومعترف به أن موسى هو صاحب الأسفار الخمسة المعروفة باسمه.

ويرد اسم موسى في أول آية في السفر، ويرد في كل السفر نحو ٣٦ مرة. والكلام الذي يُنسب لموسى يرد في صيغة المتكلم، مما يؤيد أنه هو الكاتب.

هذا بالإضافة إلى أن العهد القديم أشار في العديد من المرات إلى أن موسى هو صاحب هذا السفر (٢أخبار٢٥: ٤ مع تثنية ٢٤: ١٦؛ كما أن المسيح نفسه أشار إلى أن كاتب السفر هو موسى (متى ١٩: ٧-٩؛ مع تثنية ٢٤: ١ -٤؛ يوحنا ٥: ٤٥-٤٧؛ تثنية ١٨: ١٥).

طابع السفر: هو سفر وعظي ونبوي وانتقالي.

فهو سفر وعظي، يهتم بالتحريض على الطاعة والتقوى؛ كما أنه نبوي، يتحدث كثيرًا عن المستقبل، ولهذا فإن موسى في هذا السفر يسمّى نبيًا (١٨: ١٥؛ ٣٤: ١٠)؛ وأخيرًا هو سفر انتقالي، فكل شيء كان على وشك التغيير؛ الظروف: من البرية إلى الأرض البهية؛ والقيادة: من موسى إلى يشوع.

ونلاحظ أن كل الأسفار السابقة لهذا السفر بعد سفر التكوين تبدأ بحرف العطف (واو)، أما هنا فنجد بداية جديدة. ثم يلي هذا السفر سفرا يشوع والقضاة، ويبدأ كل

منهما بحرف الواو. فسفر التثنية نجد الشعب على مشارف الأرض البهية، ثم سفر يشوع نجد امتلاك الأرض، وسفر القضاة العبودية في الأرض.

وهو آخر أسفار موسى، ونجد فيه حوادث وتعاليم كثيرة من الأسفار السابقة. وهذا يفسّر اسم السفر "تثنية" الذي يعني "تُروى للمرَّة الثانية". وفيه يحدِّث موسى الجيل الثاني، الذي وُلد في البرية، ولم يعرف الكثير من معاملات الله العجيبة الماضية مع شعبه.

تواريخ السفر:

يغطي تقريبًا مدة شهرين (١: ٣؛ ٣٤: ٥، ٨؛ يش ٤: ١٩). وباعتبار أن موسى كاتبه فإنه كُتب نحو عام ١٤٠٠ ق.م.

موضوع السفر:

يتضمن هذا السفر الكلمات الوداعية لقائد إسرائيل العظيم، وقد بلغ من العمر ١٢٠ عامًا.

أخيرًا فإن الشعب المختار (التكوين)، المفدي (الخروج)، الذي تعلم السجود (اللاويين)، والذي تعلم قيادة الرب له في الطريق (العدد)، ها هو يقف على مشارف الأرض البهية.

وموضوع هذا السفر العظيم هو "الطاعة"، فلا عجب أن يقتبس المسيح كل ردوده على الشيطان في التجربة في البرية من هذا السفر العظيم. فإن كان هذا سفر الطاعة، فإن المسيح أتى لكي يطيع حتى الموت (في ٢: ٨).

وكلمات موسى هذه، قُرب نهاية حياته، موجَّهة إلى جيل جديد. فالجيل الذي كان قد خرج من مصر، هلك كله بسبب عدم إيمانهم. وموسى يُحذِّر ويُعلِّم الشباب من اختبارات البريَّة ودروسها. لهذا فإن اسمه بالعبري "هاديبوريم"، بمعنى "الكلام".

تقسيم السفر:

يمكن تقسيم هذا السفر تقسيمًا ثلاثيًا كالآتي:

القسم الأول: **ص١-١١:** الطــاعة؛ وهــي درس الماضي، وواجب الحاضر، وأمل المستقبل

ويتكون هذا القسم من حديثين لموسى مع الشعب:

الأول من ص١ إلى ص٤؛

والثاني من ص٥ إلى ١١

القسم الثاني: **ص١٢-٢٦:** قوانين الحياة في الأرض

القسم الثالث: **ص٢٧-٣٤:** نظرة نبوية للشعب

القسم الأول تاريخي، والثاني طقسي، والثالث نبوي.

كلمات مفتاحية:

لأنه يهتم بالطــاعة والتقوى كما ذكرنا فإننا نجد فيه هذه الكلمات:

"اذكر"، "لا تنس" ١٤ مرة

"اسمع": حوالي ٥٠ مرة

اعمل، احفظ، ١٧٧ مرة

أحب ٢١ مرة = ٣× ٧

الأرض: ١٩٠ مرة

القلب: ٥٣ مرة

المحبة: ٢٥ مرة

١

ع١ ـ١٨ : بداية الرحلة

يا لها من مُفارقــة بين ع٢، ع٣. فبينما الرحلة مــن حوريب إلى أرض كنعان تستغرق ١١ يومًا فقط، فإنها احتاجت ٤٠ ســنة من شعب إسرائيل ليصلوا إلى هذه النقطــة. وبحكمة يبدأ موســى الســفر بهذه المباينة، ليحرِّض الشعب على أهمية افتــداء الوقت، ويُحذِّرهم من إضاعته (قــارن ع٦). وعلينا نحن أيضًا أن نفكِّر في السنين التي أكلها الجراد (يؤ ٢: ٢٥).

لا يجب أن نفتكر، أنَّــه يلزم أن نكون أكبر ممَّا نحن عليــه الآن لكي نمتلك كل البركات الروحية «في الســماويات» (أف ١: ٣). والســماء بالنسبة لنا ليست فقط مكانًا مســتقبلاً، بل إنَّها لنا الآن. نحن بالطبع لســنا هناك بعد، لكن إن كانت قلوبنا ممتلئة بالربّ يسوع، فإنَّها تكون موضوعة على الأشياء السماوية.

الأعداد ٣ ١-١٨ تُذكِّرنا كيف أن شــعب الله عُرضة لأن يتغاضبوا في الطريق (تك ٤٥: ٢٤)، ولكن الرب في رحمته واجه هذه الحالة.

ع١٩ ـ٤٦ : من حوريب إلى قادش

ترك شعب إسرائيل حوريب؛ وفي طريقهم إلى كنعان ساروا في ذلك "**القفر العظيم المخوف**"، وجاءوا إلى "قــادش برنيع" التي تُذكِّرنا بما حدث هناك، حيث تم إرســال الجواسيس (سفر العدد١٣). لكن هنا نتعلَّم أنَّ هذا كان بناء على طلب الشعب (ع٢٢)، الأمر الذي أظــهر عدم إيمانهم. فقد أرادوا أن يتحقَّقوا بأنفسهم، مع أنَّ الإيمان يكتفي

بما يعطيه الله من مواعيد ويثق فيه. ونحن عندما نستبدل سلوك الإيمان بسلوك العيان، فإن العدو سيضع أمامنا العقبات، التي تجعلنا نرجع القهقرى (ع٢٨).

ونعرف من سفر العدد أنه نتيجة عدم إيمانهم، مات كل ذلك الجيل في البريَّة، ولم يدخل أحد منهم أرض الموعد، إلاَّ كالب ويشوع. هذا المثال المُحزن يستخدمه الرسول في الرسالة إلى العبرانيين كتحذير للذين يُقسُّون قلوبهم اليوم إزاء صوت الله الحي، فيقول: «لم تنفعَ كلمة الخبر أولئك، إذ لم تكن مُمتزجة بالإيمان في الذين سمعوا» (عب ٤: ٢).

كان أسوأ ما خرج من فم الشعب قولهم: «الربّ بسبب بُغضته لنا، قد أخرجنا من أرض مصر» (ع٢٧). أليس أسوأ ما في عدم الإيمان هو أن يوجِّه الشك إلى محبة الله، بل وأن يعتبرها بُغضة، مع أنَّ محبة الله هي التي قادته ليبذل ابنه الوحيد عنا (رو٨: ٣١، ٣٢)؟

ولقد أجاب الربّ، في طول أناته، على تذمّرهم هذا على لسان عبده موسى: «**حملك الربّ إلهك، كما يحمل الإنسان ابنه**». عندما يحمل أب ابنه على ذراعيه، أليست هذه علامة من علامات محبته؟ وكم يكون الابن في أمان؟ إنَّه يثق تمامًا في قوَّة أبيه، ويعرف أنَّه لا يَدَعه يسقط. لكن ماذا عن محبَّة الله؟ لا وجه للمقارنة. يقول المرنم: «إنَّ أبي وأمي قد تركاني، والربّ يضمني» (مز ٢٧: ١٠). مَنْ يعتني أكثر من **أب مُحب**؟ ومَنْ تهتم أكثر من أم رقيقة؟ لكن محبَّة الله أعظم من محبة الأب، ومن حنان الأم، ومن محبتهما معًا. وماذا يطلب الله منَّا مقابل هذه المحبَّة؟ لا شيء، سوى "**الثقة**" التامة فيه، كالطفل الواثق والمطمئن المحمول على ذراعي أبيه.

ولقد أعقب مخاوف عدم الإيمان، رغبة عارمة في الصعود للحرب بدون الرب (ع٤٢)، الأمر الذي لا يمكن أن ينتج عنه سوى الكسرة والبكاء المر (ع٤٥).



ع١ ـ٢٥ : من قادش إلى أرض الأموريين

جاء الوقت حين سُـمع الصوت الإلهي يقول للشعب: «كفاكم دوران بهذا الجبل، تحوّلوا نحو الشمال» (ع٣). وهكذا معنا، لا بد أن يأتي الوقت سريعًا، نسمع صوت السماء مُعلنًا نهاية سيرنا في هذه الأرض، داعيًا إيانا لمُلاقاة الرب في الهواء.

ولكن حتى يأتي ذلك الوقت السـعيد المرتقَب، فإنّ الرب يسوع، الذي هو موسى الحقيقي، قائدنا في مسيرتنا إلى السماء، يريد أن يذكِّرنا بالبرية، ليس فقط باعتبارها مجال ظـهور فشـلنا (١: ٢٦-٤٦)، بل أيضًا باعتبارهـا مجال ظـهور أمانة الله وجوده. «لأنَّ الربّ إلهك... عارفًا مسيرك في هذا القفر العظيم. الآن أربعون سنة للربّ إلهك معك، لم يَنقُص عنك شـيءٌ» (ع٧). ويذكّرنا هـذا التعبير بوعد الربّ يسـوع الذي قال: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهـر» (مت ٢٨: ٢٠). ولقد أردف موسى قائلاً: «لم ينقص عنك شـيء». وهكذا عندما سأل الرب تلاميذه في يومهم: «هل أعوزكم شـيء؟ فقالوا لا» (لو ٢٢: ٣٥). لقـد عرف الله أنَّ البريَّة عظيمة، فعمل حسـاب ذلك. وهكـذا أيضًا معنا، فقد وعد بأن يمـلأ كل احتياجنا، بحسب غناه في المجد (في ٤: ١٩).

ولقد ظل الشعب في البرية زمنًا طويلاً، قصاصًا لهم من الله، حتى فني كل الجيل غير المؤمن في البريَّة. لكن يوجد سـبب آخر أيضًا نفهمه من ع١٤، فطـالما بقي رجال الحرب بينهـم، كان يمكن لهم أن يفتخروا ويدّعوا أنهم دخلوا الأرض بقوَّتهم. ولكي يفني جيل رجال الحرب أولئك، استغرق ذلك ٣٨ سنة. ونقرأ في إنجيل يوحنا

عن إنسان كان عليه أن يبقى بجوار بركة بيت حسدا مُقعَدًا ٣٨ سنة، حتَّى فقد كل أمل في مساعدة إنسان، ولمَّا قال: «ليس لي إنسان يُلقيني في البِركَة متى تحرك الماء» (يو ٥: ٧)، كان الرب يسوع هناك، وتحنَّن عليه وشفاه بكلمة.

الآن وقد مات رجال الحرب، بقِيَ أولادهم الذين قال عنهم الشعب «يكونون غنيمة». وهؤلاء هم الذين دخلوا الأرض (١: ٣٩). ولأنهم كانوا محمولين على أذرع الربّ، كانوا أقوى من كل رجال الحرب. حالما يصل الإنسان إلى نهاية نفسه، يبدأ الله في العمل (٣٢: ٣٦). ولقد أعدّ الرب انتصارات عظيمة لشعبه، وقال لهم: «قوموا، ارتحلوا واعبروا وادي أرنون. انظر قد دفعت إلى يدك سيحون ملك حشبون الأموري وأرضه. ابتدئ تملَّك» (ع٢٤). كان الله متكفِّلاً بكل شيء.

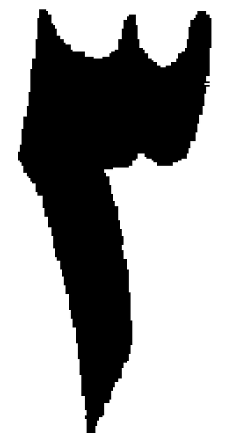
ع٣٦-٣٧ : النصرة على سيحون

ذكر الربّ الأموريين لإبراهيم عندما تكلَّم عن إثم سكان كنعان، وقال الله في ذلك الوقت إنَّ ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً (تك١٥:١٦؛ انظر أيضًا تثنية٩:٥). إنَّ أناة الله عظيمة، وهو لا يعاقب حتَّى يصير الذنب كاملاً، ولذا فقد انتظر عليهم ٤٠٠ سنة. وأما في تدبير النعمة الحاضر، فلقد انتظر الرب نحو ألفي عام على العالم الشرير الجاحد!

كانت الأمم الساكنة على جانبي الأردن قد سمعت بكل ما فعل الله لإسرائيل، لكنَّهم لم يتوبوا، فلم يبقَ سوى القضاء، وكان هلاكًا تامًا، كما كان في وقت الطوفان الذي لم يترك أحدًا، حتى الأطفال أيضًا قُتلوا. لكنَّنا نعلم أنَّه عندما يموت الطفل يذهب إلى السماء (مت ١٨: ١٤). لو بقِيَ هؤلاء الأطفال أحياء، لساروا في خطايا آبائهم، وانتهت حياتهم إلى الجحيم مثل آبائهم، فقد سمح الله بموتهم صغارًا ليذهبوا إلى السماء.

كان هؤلاء الأمم أعداء للربّ، وكان على بني إسـرائيل أن يحرّموهم لمجد الله. أما بالنسـبة لنا، نحن المسيحيين، فلسـنا مدعوين لأن نقاتل مثل إسرائيل، بل على العكس، يجب أن نُظـهر روح الوداعة التي نقرأ عنها في الأعداد ٢٧-٢٩.

«وأخذنا كل مدنه» (ع٣٤). هذه المدن العظيمة والمُحصَّنة إلى السـماء، والتي بَدَت منيعة أمام إسـرائيل عندما كانوا في عدم إيمان (١: ٢٨)، يقول عنها موسـى هنا: «لم تكن قرية قد امتنعت علينا» (ع٣٦).



ع١ ـ ١٧ : امتلاك شرقي الأردن

لقد انهارت المدن المحصَّنة إلى السـماء، فماذا عن العمالقة الذين سـبق أن فزعوا منهم (١: ٢٨)؟ كانت الإجابة من فم الرب هنا: «لا تخف منه» (ع٢). فكانت النتيجة: «فضربناه حتى لم يبقَ له شارد. وأخذنا كل مدنه» (ع٣، ٤). والربّ بعد ذلك بسنوات يذكِّر شـعبه بما صار لهم: «وأنـا قد أبدت من أمامهم الأموري، الـذي قامته مثل قامة الأرز، وهو قوي كالبلوط. أبَدت ثمره من فوق، وأصوله من تحت» (عا ٢: ٩).

عوُج ملك باشـان وكل قومه، سُلِّموا ليد إسرائيل كما سُـلِّم سيحون من قبله. وبذلك أظـهر الله قوتـه. لا يوجد فرق أمـام الله بين العمالقـة والأقزام، كما لا يوجـد فرق في عيوننا بين نملة كبيرة ونملة صغيـرة. دعنا نفكّر في قوة الله عندما تُرعبنا قوة العالم. ويُخبرنا الكتـاب أن المولود من الله يغلب العالم، وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم "إيماننا" (١يـو ٥: ٤). إيماننا، أي ثقتنا الكاملة في

الله القدير والأمين. والمســيح هو مثالنا الأعظم، الذي قال لتلاميذه «ثقوا. أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣).

ع١٨-٢٩ : الاستعداد لامتلاك غربي الأردن

أتى الوقت ليتسلَّم بنو رأوبيـن وبنو جاد نصيبهم في الميــراث. وحذا حذوهم نصف سـبط منســى (بنو ماكير) ورغبوا في البقاء فيما وراء الأردن. أليس هذا تحذيرًا لنا، لكي نلاحظ المثال الذي نعطيه لإخوتنا وأخواتنا، إذا كنَّا أكبر العائلة، كما كان رأوبين؟ ففي تقليد إخوتنا الأصاغر لنا، قد يخسرون أثمن البركات.

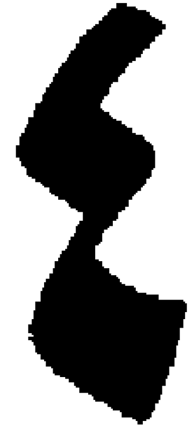
كان السـبطـان ونصف، أول مَـنْ امتلكوا ميراثهم، وليس ذلـك دليلاً على أنَّ نصيبهم كان الأحســن، بل العكس هو الصحيح. ففي عبــر الأردن توجد الأرض الجيدة، والجبل الجيد (ع٢٥). لقد قدَّر موسى تلك الأرض. وما أعظم المباينة بين موســى، الذي لم يُســمح له بدخول أرض الموعد، مع أن قلبه كان يشتاق إلى ذلك؛ وبين السـبطين ونصف، الذين كانوا يقدرون أن يدخلوا كنعــان، ولكن لم تكن لهم رغبة في ذلك!

والسؤال الذي نوجِّهه لأنفسنا: أين قلوبنا؟ هل هي في السماء مع الربّ يسوع، أم على الأرض في أمور الحياة الحاضرة؟

مع أنَّ موســى حُرم من دخول أرض الموعد، لكن لم يخسر مُجازاته الأبدية، إذ سـبق الله فنظر له، ولنا، شـيئًا أفضل من أرض كنعان (عب ١١: ٤٠). كان عدم السماح لموسى بدخول الأرض بسبب عدم الطــاعة، وهذا يُرينا أهمية **الطــاعة**.

ع٥) **مزاليج**: جمع مزلاج، وهو ما يغلق به الباب من الخلف.

ع٢٩) **الجواء**: أي الوادي.



ع١ ـ ٤٠ : تحريض على الطاعة

من خلفية أهمية الطـاعة، التي رأيناها في ختام الأصحاح السـابق، نجد موسى يوصي الشـعب قائلاً: «فالآن يا إسرائيل اسـمع الفرائض... لتعملوها، لكي تحيوا **وتدخلوا وتمتلكوا الأرض**» (ع١). وكأنه يقول لهم: "لا تَدَعوا ما حدث لي، يحدث لكم. فاسمعوا وأطيعوا وصايا الربّ".

ثم يتحدّث موسى عن التمسـك بكلمة الله كما هي فيقول: «لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تُنقصوا منه» (ع٢). وللأسف، كم من المدعوين مسيحيين يزيدون على كلمة الله بتقاليدهم وخرافاتهم وأفكارهم البشرية. وآخرون يحذفون من الكتب المقدسـة الصفحات التي تحيّرهم، أو بالحري التي لا يفهمونها، وكلا الأمرين هو تعدٍّ خطير يدينه الله (انظر رؤيا ٢٢: ١٨، ١٩).

ثم يحدّثنا عن بركات حفظ كلمة الله فيقول: «فاحفظوا واعملوا، لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم» (ع٦). ونحن بطـاعتنا لوصايا الرب، فإننا نضع حكمتنا البشرية جانبًا، ونُخضع أنفسـنا للحكمة النازلة من فوق (يع ٣: ١٧). وبهذا فإننا نحفظ أنفسنا جدًا (ع٩). وكان يجب أن يمتاز بنو إسرائيل، ويُعرَفوا بين الشعوب المحيطـة بتمتعهم بالحكمـة والفطنة، التي تتضمن معرفة الله الحقيقي وحـده (إر ٩: ٢٤)، وأيضًا في الاستماع إليه وطـاعته. إن الطفل الذي يعرف الربّ ويطيعه، عنده فطنة أكثر من أعظم عقل في هذا العالم.

وفي الأعداد من ١٥-٢٨، يُحذِّر الرب شـعبه تحذيرًا مشـدَّدًا من خطية **عبادة**

الأوثان. وكان شــعوب الأمم المجاورة لإسرائيل غارقين في عبادة الأوثان، ولذلك «أظلم قلبهم الغبي، وبينمــا هم يزعمون أنَّهم حكماء صــاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى، بشبه صورة الإنســان الذي يفنى، والطيور والدواب والزحافات» (رو١: ٢١-٢٣). واليوم، توجد أشــياء كثيرة مغروســة في القلب البشري، وإن كانــت لا تُرى وثنيتها قدّام النــاس، لكنَّها في نظر الله عبادة أوثــان، لأنَّها تُعطــي الأفضلية للمخلوق دون الخالق. لذلك يكِّرر العهد الجديد التحذير، فيقول الرســول بولــس: «فلا تكونوا عَبَدة أوثان كمــا كان أُناس منهم»، وأيضًــا: «لذلك يا أحبائي اهربوا من عبادة الأوثان» (١كو١٠: ٧، ١٤)، ويقول الرســول يوحنا: «**أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام**» (١يو ٥: ٢١).

في ع٢١ نرى المرة الثالثة في هذا الســفر، التي يُعيد فيها موســى ذكر عقوبته وغضب الله عليه (قــارن ١: ٣٧؛ ٣: ٢٦)، وهذا لا بُدَّ يعطــــي وزنًا لتحذيرات موسى التي خاطب بها الشعب.

وبينما حذَّر الله شــعبه، فإنه كان يعرف مُقدَّمًا ما ســيحدث، وأشار إلى ذلك في الأعداد ٢٥-٢٨. وممَّا يدعو للأسف، أنَّ المســيحية، مع ما لها من نور أكثر من إسرائيل، فإنها أيضًا لم تستجب لمطــالب الله، أكثر مما فعل بنو إسرائيل. سبق الله فرأى ذلك، وأخبر أنَّ وقت خراب ســيأتي. والله في حكمته ســمح أن يبدأ انحراف الكنيســة في أيام الرســل لكي يعطونا فكر الله عن ذلك. لو لم يفعل الله هكذا، لكنَّا يئســنا بمقارنة حالة الكنيســة الحاضرة، بحالتها في البداية في العصر الأوَّل. لكن لا يجب أن نفشــل، فالله في رحمته، كشــف عن طريق يدعونــا أن نتبعه في أيام الخراب التـــي نعيش فيها، وهو طريــق **الطــاعة الفردية**. يجــب أن نلاحظ، أنَّه لمَّا كان الــكلام عن **الانحراف**، يقول لهم: «فســدتم، صنعتم، فعلتــم، ...» **بصيغة الجمع** (ع٢٥ - ٢٨)، لأنَّ هذا ما ســيفعلونه كجماعة مســؤولة. أمَّــا عندما يتكلَّم

عن **الرجوع**، يقول لهم: "طلبت، التمست، ترجع، تسمع ..." **بصيغة المفرد،** لأنَّ المسؤولية فردية (ع٢٩ - ٣١). فكل واحد مدعو شخصيًا أن يصغي للصوت الذي يتكلَّم إليه. وبنفس الطريقة، خاطب بولس تيموثاوس في أيام تحول الكنيسة إلى بيت كبير، ووصف الحالة التي تردّت فيها المسيحية، ثم أضاف: «**وأمَّا أنت** فاثبت على ما تعلّمت» (٢تي ٣: ١٤).

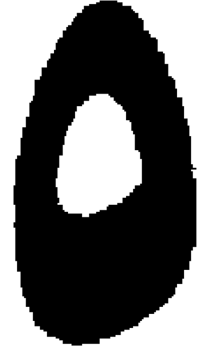
كان الرسول بطرس على وشك أن «يخلع مسكنه» عندما كتب رسالته الثانية (٢بط ١: ١٤). كان سيترك هذا العالم سريعًا، تمامًا مثل موسى عندما تكلَّم بالكلمات المدوّنة هنا. كان بطرس قد كلَّمهم مرَّات كثيرة عن هذه الحقائق، وقبيل رحيله يشدِّد ثانية عليها في نهاية خدمته "كراعٍ" (ص١: ١٢، ١٣؛ ٣: ١، ٢). وهذا ما كان يعمله موسى كراعٍ حقيقي لإسرائيل. لا نستغرب أن نجد تكرارًا كثيرًا في سفر التثنية، فنحن نعرف بالاختبار، كيف يُكَرِّر الآباء نفس الشيء لأولادهم حتَّى يلتفتوا لما يقولونه لهم. نفعل حسنًا إن أصغينا وحفظنا هذه الكلمات الثمينة الموجّهة لكل منَّا، كما إلى إسرائيل (انظر ع٣٩، ٤٠).

ع ٤١-٤٣ : ثلاث مدن للملجأ

يذكر كيف خصَّص موسى ثلاث مدن للملجأ في شرق الأردن. وهناك ثلاث مدن أخرى في أرض كنعان سيخصصها يشوع بعد امتلاك الأرض (يش ٢٠).

ع٤٤-٤٩ : كلمات تمهيدية للناموس

«هذه هي الشريعة... هذه هي الشهادات والفرائض والأحكام». ثم يكرِّر على مسامعهم نصراتهم السابقة، ليؤكّد على أمانة الرب، لكي يشجِّعهم بدورهم على الأمانة من نحوه.



ع١ – ٣٢ : الوصايا العشر

كانت هناك ثلاثة واجبات لشعب الله قديمًا بالنسبة للوصايا: أن يسمعوا فرائض الربّ وأحكامــه، وأن يتعلّموها وأن يعملوها (ع١ قارن يه٢٢-٢٥). وكذلك من المهم جدًا لنا أن نســمع، ونتعلّم، ونحفظ، ونعمل بكل كلمة الله. كانت الوصايا العشر في رأس قائمة الفرائض والأحكام بالطبع. الوصايا الأربع الأولى تتعلّق بعلاقة الإنســان مع الله، إنّها مُذكِّر ثمين لنا، كما لإسرائيل، بما فعله لأجلنا في الماضي كمخلّصنا (ع٦، ١٥).

الوصايا العشــر تحدّثنا أولاً عن كمال المسيح الذي عمل بكل الناموس، وشريعة الله كانــت في وســط أحشــائه، ومن الجانب الآخر تُرينا فشل الإنسان الذي لم يستطــع أن يتمّم الناموس.

ونلاحــظ أن الناموس فــي مجمله سلبي، فالنغمة البارزة ليست "افعل"، بل "لا تفعل". راجع (ع٧، ٨، ٩، ١١، ١٤، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١). والمســيحية مع أنها تتضمن بعض الأمور الســلبية المطلوب الامتناع عنهــا (١بط١: ١٤؛ ٢: ١، ١١)، إلا أن النغمة الســائدة فيها هي الإيجابيات لا السلبيات.

الوصايا العشر

سـبق أن ذُكرت هذه الوصايا العشــر في خروج ٢٠، وموســى هنا يذكّرهم بها. ولكي نتذكر هذه الوصايا جيّدًا، نرتبها هكذا:

(١) أربع وصايا عن العلاقة بالله.

(٢) وصية عن العلاقة بالوالدين.

(٣) أربع وصايا عن العلاقة بالآخرين.

(٤) وصية عن العلاقة مع ضميرنا.

ع٣٣-٣٢: موسى الوسيط

الله تكلَّم وأعطـــى الناموس الذي كان صالحًا وكاملاً تمامًا (ع٢٢). والآن على الإنســان أن يُظـــهر تجاوبه معه. كان جوابه الأوَّل حســـنًا، كما قال الله لموسى: «سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذي كلَّموك به. **قد أحسنوا في كل ما تكلَّموا**» (ع٢٨)، ثم قال: «يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم، حتَّى يتَّقوني ويحفظوا جميع وصاياي كل الأيـــام!» (ع٢٩). ولقد قدَّر الله تلك المحبَّة الأولى، لكن بعد ذلك في أيام إرميا، قال بحزن شـــديد: «قد ذكرت لـــك غيرة صباك، محبة خطبتـــك، ذهابك ورائي في البريَّة ...» ويضيف: «هل تنســـى عذراء زينتها، أو عروس مناطقها؟ أمَّا شعبي، فقد نســـيني أيَّامًا **بلا عـــدد**» (إر٢: ٢، ٣٢). تذكَّر الله تلك المحبَّـــة الضعيفة، بينما نسيَ إسرائيل المحبَّة الإلهية غير المحدودة. في كل تاريخ شعب إسرائيل، لم يوجَد سوى الأنين والتذمّر وكلمات العصيان، وكلمتهم الأخيرة إزاء خالقهم، كانت «اصلبه اصلبه» (يو ١٩: ٦)!

ومع أن الشعب أحســـن في ما قال، لكن الرب يريد شيئًا أكثر من مجرد الكلام، إنه يريد العمل (ع٣١، ٣٢). ليتنا نسأل الرب أن يعطينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرَّة (في ٢: ١٣).

يحذِّر الله الشـــعب في ع٣٢ من الزيغان يمينًا أو يســـارًا. فليتنا نحذر من ذلك، وليتنا نتبع مثال يوشـــيا، الملك الشاب، الذي ظـــهر تكريسه وسط ظلمة الوثنية التي ميَّزت زمانه. قيل عنه: «ســـار فـــي طريق داود أبيه، ولم يحِد يمينًا ولا شـــمالاً» (٢أخ٣٤: ٢). بمعنـــى أنه لا يضيف ولا يحذف. لا يضيف شـــيئًا من الخرافات، ولا يحذف منها شيئًا بسبب الإهمال.

٦

تحذير من عدم الطاعة

محبة الله محبة "شاملة" تتطلَّب تسليمًا كُليًّا لكل كياننا وقلبنا ونفسنا وقوَّتنا وفكرنا: لا يخرج جزء من كل كياننا عن نطاق قوَّتها، ولا دقيقة من حياتنا لا تكون تحت تأثيرها. في البيت، على المائدة، عندما نستيقظ، عندما ننام، عندما نكون في الخارج، بالاختصار في كل لحظة من أيَّامنا تكون كلمة الله ومخلِّصنا المبارك موضوع مُحادثاتنا وأفكارنا.

ما أبعد حالتنا عن ذلك! مع ذلك تُقدِّم لنا الأناجيل النموذج الكامل للشخص الذي كان كل ما فيه لله. عندما اقتبس الربّ يسوع هذه الأقوال: «اسمع يا إسرائيل... تحبّ الربّ إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك» (مر ١٢: ٢٩، ٣٠) كان هو متمِّمها. ونحن يمكن أن نفهم هذه العبارة هكذا: أن تكون محبتنا للرب حقيقية، وكلِّية، وذكية، وقوية. ولقد كانت كلمة الله مربوطة على قلب المسيح دائمًا (أم ٦: ٢١)، حتَّى إنَّ العدو عندما جاء ليجرِّبه في البريَّة (مت ٤: ١ -١١)، استخدمها الرب في كل أجوبته عليه كسيف لا يخيب في يده. ونجد في أصحاحنا هنا "المكتوب" الذي به أمكن للربّ يسوع أن يهزم الشيطان في تجربتين من تجاربه، وأبكمه (ع١٣، ١٦). ومن المهم جدًّا أن نحفظ عن ظهر قلب آيات من الكتاب المقدَّس، فالشيطان لا يقدر أن يفعل شيئًا ضدَّ كلمة الله عندما نقتبسها لمقاومته.

«لا تُجرِّبوا الربّ إلهكم» (ع١٦). الذي يُجــرِّب الربّ، كأنَّه يمتحنه ليرى ما إذا كان كلامه صادقًا بالحقيقة، أم لا. وفي الواقع هذا "عدم إيمان". الإيمان لا يحتاج إلى برهان. عند مسَّــة أراد الشــعب أن يعرف: «أفي وسطنا الربّ أم لا؟» (خــر١٧: ٧). لكن بالمُباينة مع ذلك، فإنَّ الربّ يســوع، عندما أخذه الشــيطــان على جناح الهيكل، لم يكن محتاجًا أن يلقي بنفســه إلى أسفل، لكي يعرف إذا كانت الأوامر قــد أُعطيت للملائكة أن تحفظــه، أم لا. فالله قد قال، وهذا كافٍ (مت ٤: ٦).

في ع٧ يقول "للآباء": «قُصَّها على أولادك»، وفي ع٢٠ «إذا ســألك ابنك غدًا قائلاً: ما هي الشهادات والفرائض والأحكام التي أوصاكم بها الربّ إلهنا، تقول لابنك...». ولقد جاءت مثل هذه الأســئلة في عدة مناسبات، في مناسبة عيد الفصح، الذي يحدِّثنــا عن خلاصنا (خر ١٢: ٢٦). وفي مناســبة عيد الفطير، الذي يحدِّثنا عن الانفصال عن شرّ العالم (خر ١٣: ٨)، وفي مناسبة تقديس الأبكار الذي يحدِّثنا عن تكريســنا للرب (خر ١٣: ١٤)، وفي مناسبة الأحجار التي أقيمــت في أرض كنعان، التي تحدِّثنا عن امتيازاتنا الســماوية (يش ٤: ٦).

هل الصغار منَّا يســألون الكبار؟ فأحســن طريقة للتعليم والفهم هي أن نسأل أســئلة. نحن لا نُتعِب الذين نســألهم، بــل بالعكس، نعطيهم فرصــة أن يتمِّموا المكتوب في ع٧.

لاحظ الإجابة الجميلة التي كان يُجيب بها الإسرائيلي على ابنه (ع٢١-٢٥)، ومع ذلك فهي قليلة بالمقارنة مع ما نقدر نحن أن نُجيب به اليوم.



ع١-١١ : الأمر بإبادة الشعوب الكنعانية وأصنامهم

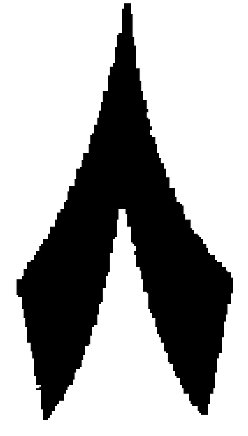
طلب الرب من الشعب ألا يستبقي أيَّ شيء من تلك الشعوب الكنعانية الشريرة (انظر تعليقنا على عدد٣٣: ٥٠-٥٦)، ولا من آلهتهم (ع٢٥،٢٦). وهذا في المعتاد لا يناسب الفكر البشري الذي يحب الاحتفاظ بهذه الأمور لتُذكِّرهم بنصرتهم على تلك الشعوب، وكان السر في ذلك هو أنهم شعب مقدَّس للرب (ع٦ – انظر أفسس١: ٣،٤).

نحن عادة نحب الذين يحبوننا، أو الذين لهم صفات محبوبة (لو ٦: ٣٢). لكن محبة الله من طبيعة أخرى مختلفة تمامًا، أُظهرت لإسرائيل عندما كانوا في مصر أُمَّة ضعيفة بائسة، ولم تكن تعبد الله (ع٧،٨). وهكذا معنا فقد اتجهت محبَّة الله لنا، بينما كنَّا ضعفاء وفجارًا وخطاة وأعداء (رو٥: ٦،٨،١٠). الإنسان يحبّ فقط عندما يكتشف سببًا في الطرف الآخر، يستدرّ محبَّته. لكن الله يُحب فضلاً، وسبب المحبَّة في قلبه هو، وليس خارجًا عنه. عندما طلب الله من شعبه أن يحبوه (ص٦: ٥) كان فقط يطلب تجاوبهم مع محبته. الدافع لأن يحبوه هو محبته لهم. والآن أيضًا «نحن نحبه، لأنَّه هو أحبنا أولاً» (١يو ٤: ١٩).

ع١٢-٢٦ : الوعد ببركة الرب لشعبه

توضِّح هذه الآيات أن نتيجة مثل هذه المحبَّة هي "الطاعة". كما نتعلَّم من ع١٣، أنَّه حيثما توجد **طاعة**، فالمحبة الإلهية تظهر بشكل خاص. والأمر كذلك الآن مع المؤمنين، كقول المسيح: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي»

(يو ١٤:٢٣؛ ١يو٥: ٣). وتذخر هذه الآيات بالبركات التي ستتصل إلى هذه الأمة، ليس على سبيل الاستحقاق، فلقد اتضح فشلهم خلال كل العصور السابقة، بل على أساس أمانة الرب حيث إن «هبات الله ودعوته هي بلا ندامة» (رو ١١: ٢٩).



تحذير من النسيان

«وتتذكَّر... احترز من أن تنسى» (ع٢،١١). هذا هو الموضوع الرئيسي لسفر التثنية. كان قلب إسرائيل، مثل قلوبنا، يميل لأن ينسى الله وخلاصه، ومواعيده، ووصاياه. هل كان ممكنًا أن ينسى شعب إسرائيل مصر والأربعين سنة في البريَّة؟ هل ينسى المَن والماء الخارج من الصخرة، والمعجزة التي لم نسمع عنها من قبل، "ثيابهم لم تبلَ عليهم" (ع4)؟

الإنسان هو الإنسان دائمًا. اضطر الربّ يسوع أن يسأل تلاميذه بعد معجزة إشباع الجموع: «لماذا تُفكِّرون أن ليس عندكم خبز؟ ... أحتَّى الآن قلوبكم غليظة. ألكم أعين ولا تُبصرون... **ولا تذكرون؟**» (مر ٨: ١٧، ١٨). ألا نفعل نحن هكذا، ونجعل الربّ يسألنا هذا السؤال المؤسف: "ألا تتذكرون"؟

ماذا كان غرض الله في السماح لشعبه باجتياز اختبارات البريَّة؟ مذكور ثلاث مرات في هذا الأصحاح «**لكي يذلّك**» (ع٢، ٣، ١٦). عندما يُدرك الإنسان احتياجه، ويتخلَّى عن الثقة في ذاته، يكون أكثر استعدادًا للتحوّل إلى خالقه. هذا ما كان ينتظره الله، لأنَّ الذي قصده، ليس التجربة في ذاتها، بل «لكي يحسن إليك في آخرتك» (ع١٦).

فكرة:

«فأذلك... لكي يحسن إليك في آخرتك» (ع٢،١٦): الذل هنا بمعنى أنه يعلمنا التواضع. فعندما نختبر النجاح بعد الفشل، وندرك أن الفشل كان من جانبنا، وأن النجاح كان عطية منه، فإننا نعمل مثل بطرس في لوقا ٥: ٨، أو مثل يعقوب في تكوين ٣٢: ١٠. عندئذ سنتعلم التواضع. تذكر أنه يذلك لكي يجعل منك أميرًا لا أسيرًا!

لقد حمل الربّ شعب إسرائيل كما يحمل الإنسان ابنه (١: ٣١)، والآن نقرأ «كما يؤدب الإنسان ابنه» (ع٥). الحمل والتأديب، امتيازان لكل ابن لله. والثاني ضروري كالأوّل تمامًا. وفي عبرانيين ١٢: ٥-١٠ يشرح لنا كيف يستخدم الله التأديب لنمو نفوسنا وبركتها.

ما أعظم الفرق بين القفر العظيم المخوف، الذي فيه الحيات المُحرقة والعقارب والعطش، الذي أُقتيد إليه إسرائيل (ع١٥)، وبين الأرض الجيِّدة: أرض أنهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال، التي كان سيُدخلهم إليها الربّ (ع٧)!

وما أعظم الفرق بين طعام مصر: الكرّاث والبصل والثوم التي لها الطعم الحارق، والقليلة التغذية (عد ١١: ٥)؛ وبين محاصيل أرض كنعان الغنيَّة: القمح والشعير والكروم والتين والرّمان والزيت والزيتون والعسل (ع٨)، التي تُعطي قوة وفرحًا وصحة وحلاوة، وهي تذكِّرنا بثمر الروح الذي هو: «محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» (غلا ٥: ٢٢،٢٣).

ونحن إذ كنا قد تعوَّدنا على تقديم الشكر لله من أجل الطعام، قبل تناوله، فهذا حسن، كما نتعلم من نموذج المسيح وكذلك الرسل. إلا أن أقوال الرب هنا تُعلِّمنا أن نشكر أيضًا بعد تناولنا الطعام (ع١٠)، وهذا كثيرًا ما أغفلناه.

٩

تحذير من الفشل السابق

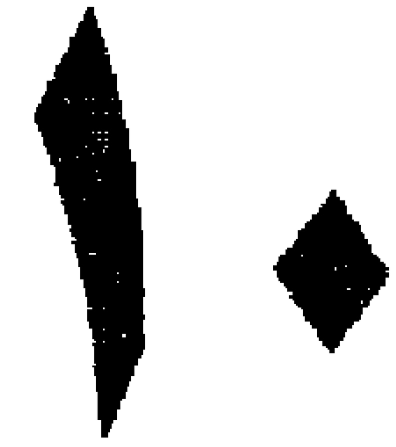
قد يبدو غريبًا أن نسمع موسى يصف قوَّة أعداء إسرائيل، ويستعمل ذات التعبيرات التي ذكرها الجواسيس العشرة غير المؤمنين، الذين أذابوا قلوب الشعب (١: ٢٨). لقد كان العدو قويًا حقًّا، فهذا أمر لا يُنكر، لكن كان على إسرائيل أن يضعوا ثقتهم في "**قوَّة أعظم**". كان الربّ سيسير أمامهم ويهزم، بل ويهلك، كل قوَّة العدو. كانت تبدو مُدنهم «**مُحصَّنة إلى السماء**» (ع١). لكن الربّ فوقهم في السماء، كان يُمكنه - بنفخة واحدة - أن يُحطِّم كل أسوارهم. واليوم، الربّ لا يُخفي عن خاصته التجارب التي تنتظرهم، كما يقول: «ها أنا قد سبقت وأخبرتكم» (مت ٢٤: ٢٥).

يُذكِّر موسى الشعب: «فاعلم أنَّه ليس لأجل برِّك يُعطيك الربّ إلهك هذه الأرض الجيدة» (ع٦). والآن، فكل مؤمن من أولاد الله مثل الإسرائيلي، لا يقدر أن يدَّعي أي بر في ذاته «لا بأعمال في برٍ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا... حتَّى إذا تبرَّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية» (تي ٣: ٥ - ٧). ليس فقط لم يوجد برّ في الشعب، بل وُجد فيهم إثم عظيم، وهو ما يذكِّرهم موسى به في حادثة العجل الذهبي (ع١١-١٣). لذا فبينما نحن نذكر دائمًا أمانة الرب من نحونا (ص٨)، دعنا لا ننسى عدم أمانتنا (ع٧ قارن مع حزقيال ١٦: ٣٠).

وبالارتباط بخطية الشعب، فإن موسى يذكر خدمته كالشفيع للشعب. وفي مزمور ٩٩: ٦، من بين الذين دعوا باسم الربّ والتجأوا إليه، يُذكَر «موسى» بصفة خاصة. لقد تشفَّع لأجل الشعب (ع١٨)، وتشفَّع لأجل أخيه هارون بالمثل (ع٢٠).

هنا موضوعــان للصلاة، يجب ألاّ ننســاهما: الأوّل؛ الجماعة، أي كنيســة الله، والثاني؛ أفــراد عائلتنا. وما أجمل ما نقرأه بعد ذلك في مزمور ٩٩: ٨ «أيها الربّ إلهنا، أنت اســتجبت لهم. إلهًا غفورًا كنت لهم». ويُذكــر أيضًا هارون بين الذين دعوا باســم الربّ، فليس فقط غُفرت خطيته، اســتجابة لصلاة موسى، بل صار هو نفسه شفيعًا (انظر عدد ١٦: ٤٧). ونحن عندما نتعلّم درسًا قاسيًا، نكون في وضع الاستعداد لمســاعدة الآخرين. قال الربّ يسوع لبطرس: «وأنت متى رجعت، ثبِّت إخوتك» وفي نفس الآية، يعلن له: «طلبت من أجلك» (لو ٢٢: ٣٢).

جميل أن نتذكّر نحن الذين نؤمن بالرب يســوع، أنَّ إسرائيل كان له موسى على الجبل يتشفّع من أجله، أما نحن فلنا الربّ يسوع في السماء، يطلب من الآب لأجل كل واحد منّا.



١٠

ع١-٩ : **نتيجة شفاعة موسى**

نتيجة شفاعة موسى في الأصحاح الســابق أُعطــي الناموس مرة ثانية للشعب. في المرة الأولى، عندما تسلّم موسى لوحي الحجارة في يديه، تم كسرهما في الحال. فلو دخل موسى بالناموس إلى المحلة، لكان الله قضى به على الشعب الوثني. وفي المرة الثانية، كان من الممكن أن يتكرّر كســر اللوحين، لو لم يأمر الله موســى بأن يضع اللوحين مباشرة في التابوت. وهذا التابوت يتكلّم عن الربّ يسوع الذي أكمل الناموس الإلهي، الذي لم يستطــع إنسان أن يحفظـــه.

يفارق الرسول في ٢كورنثوس٣ بين الوصايا العشر المكتوبة على **ألواح حجرية**،

ورسالة المسيح المكتوبة على **ألواح القلب اللحمية** ــ وهذه الأخيرة يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي: "يسوع"، الذي يحاول الروح القدس كتابته على قلوب المفديين، ليس لكي يكون مختفيًا هناك، فالرسالة تُكتب لكي تُقرأ. وينبغي على رسالة المسيح هذه أن تُقرَأ بواسطـــة كل من يعرفنا. كثيرون من المحيطين بنا لا يقرأون الكتاب المقدّس، وربما لا يمتلكونه أساسًـــا، لكنهم عن طريقنـــا يمكنهم أن يعرفوا محتويات رسالة المسيح هذه (قارن مع ١بطرس ٣: ١،٢).

ع١٢ ـ ٢٢ : الرب يطلب التقوى من الشعب

في عددي١٢،١٣ تُوضع أمام الشـــعب خطـــة جميلة للحيـــاة، وهكذا الحال معنا إذ يُطلب منَّا أن نتَّقي الربّ ونســـلك في طُرقه، ونحبه ونعبده ونطيعه. ويذكر النبي ميخا (٦: ٨) شـــيئًا مشـــابهًا، فيقول: «ماذا يطلبه منك الـــرب إلا أن تصنع الحق، وتحب الرحمة، وتســـلك متواضعًا مع إلهك». ويُوضِّح ع١٣ أنَّ هذا **لخيرهم**، كما أنه ردّ الفعل المناسب للمحبَّة الإلهية. فبما أن الربّ سُرّ بأن يلتصق بآبائهم (ع١٥)، فالشعب دُعيَ لأن يلتصق بالرب (ع٢٠).

فـــي ع١٦ أراد الله أن تُختتن قلوبهـــم. العلامة الظـــاهرية التـــي تدل على أن الشخص متدين لا تنفع. يجب أن يكون في القلب ما يدل على أن الشخص قد انتهى من الذات، وأصبح ملكًا لله.

الله يعتني بالكل، ولا ســـيما الذين ليس لهم ســـند: اليتيم والأرملـــة والغريب. ومع أنَّه "العظيم الجبار المهيب" (ع١٧)، "الذي صنع... تلـــك العظـــائم والمخاوف" (ع٢١)، لكنه في الوقت نفســـه، المملوء رحمة وحنانًا. هو «أبو اليتامى وقاضي الأرامل» (مز ٦٨: ٥). يوجد تعبير جميل أيضًا في ع٢١ «هو فخرك»، ليس فقط **ما فعله الله، لكن ما هو في ذاته**، هو موضوع الفرح والفخر والتسبيح المستمرّ في القلب وعلى الشفاه، لكل الذين فداهم.



مسئولية الطاعة والتقوى ومكافأتهما

بدأ موسى هذا الفصل بالقول: «فأحبب الرب إلهك واحفظ حقوقه...». ويشجِّعهم على ذلك بنظرتين، الأولى إلى الماضي، والثانية إلى المستقبل. من جهة الماضي فإن الرب أخرجهم من أرض مصر (ع٣،٤)؛ وسار بهم في البرية (ع٥،٦)؛ ثم من جهة المستقبل هو آتٍ بهم إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً (ع٩).

ما أكبر الفرق بين "**مصر**"، حيث ينزل قليل من المطر، ويحتاج الأمر إلى جهد لتوصيل المياه إلى قنوات الري (ع١٠)، وبين "**كنعان**" التي تشرب الماء من مطر السماء (ع١١). وبالمثل، ما أكبر الفرق بين "العالم" ومجهودات الإنسان الشاقة المستمرّة للحصول على السعادة، وبين الوضع الذي يتمتع فيه المؤمن بكل عطايا الله الصالحة من مجرد النعمة.

ثم يقول: «فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم» (ع١٨). وهذا يذكِّرنا بما قاله الربّ يسوع، عندما كان على وشك أن يترك تلاميذه «إن ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم ...» (يو ١٥: ٧).

إن كان هذا هو اختبارنا، وكلامه يملأ قلوبنا، نكون قادرين أن نتكلَّم عنه، لأنَّه «من فضلة القلب يتكلَّم الفم» (مت ١٢: ٣٤)، وفي هذه الحالة، لا نخجل أن نتكلَّم. وأيضًا تكون المشغولية بهذا الكلام، وبالشخص المجيد الذي تكلَّم به، مُمكنة ومتيسرة في أية لحظة من النهار أو الليل، سواء داخل بيوتنا أو خارجها.

وفي الأعداد ١٨-٢٠ تتكرَّر الكلمات الواردة في أصحاح٦: ٦-٩.

وفي آخر الأصحـــاح نجد الخُلاصة الهامـــة لتلك التحريضات عـــن الطـــاعة، «انظر، أنا واضـــع أمامكم اليوم بركة ولعنة» (ع٢٦). والاختيار متروك لنا فرديًا. ويُقدِّم الوحي لنا طريقيـــن: الأول، الطريق الضيق، طريـــق الطـــاعة لله؛ والثاني، الطريق الواسع، طريق الإرادة الذاتية. عند تقاطـــع الطرق، توجد إشارات، وكأن صوتًا يُسمَع قائلاً: "قف وانظر واصغِ: طريق الطـــاعة يؤدي إلى البركة؛ وطريق الإرادة الذاتية يؤدي إلى اللعنة". **فأي الطريقين تختار؟**

ع١٠) **تســـقيه برجلك**: كانت الحقول تُروى، لا بواســـطـــة أمطـــار السماء - نظرًا لندرة الأمطار في مصر - بل بواسطـــة قنوات تُفتح وتُغلق بالقدم.

١٢

ع١-١٩ : تعليمات عن العبادة ومكانها

من هذا الأصحاح نبدأ قســـمًا جديدًا من ســـفر التثنية. فحتَّى الأصحاح الســـابق كان الشـــعب مدعوًا لأن يلقي نظرة إلى الوراء، كما قدَّم موســـى لقلوبهم تحريضًا على ضرورة الطـــاعة لله. والآن نأتي إلى القسم الثاني من هذا السفر، وفيه يتلقَّى الشعب التعليمات للوقت الذي ســـيكونون فيه في الأرض. وأهم تلك التعليمات كان يختصّ باختيار مكان، يمكنهم فيه عبادة الربّ.

وبادئ ذي بدء كان يجب على الشعب إبادة كل أرجاس الكنعانيين وأصنامهم. ثم بعد ذلك يســـألون عن المكان. لم يكن لهم أن يختاروا المكان الذي يعبدون فيه، فهذا الاختيار لله.

أليس الأمر كذلك الآن؟ ليس للمؤمن أي حق أن يُقـــرِّر أين وكيف يعبد الربّ. عليه فقط أن يبحث باعتناء في كلمة الله، عن المكان الذي اختاره الربّ، والذي وعد بأن يحضر فيه. وإذا لم يعرف أين، عليه أن يعمل مثل التلميذين ويسأل الرب: «أين تريد أن نعد؟» (لو ٢٢: ٩).

إنه إلى هذا المكان الذي اختاره الرب (ع١٤)، كان عليهم إحضار الذبائح، وهناك كانت تؤكل، وهناك كانت كل عائلة الإســرائيلي تفــرح (ع٧، ١٢). وهذه صورة واضحة وثمينة لِما نفعله ونتمتع به في حضرة الربّ يسوع، عندما نجتمع من حوله (مت ١٨: ٢٠).

ع٠ ٢-٣٢ : تحذير من الوثنية وممارساتها

يُســرّ الرب أن يتداخل في ظروف شــعبه اليومية، ماذا يأكل وكيف وأين (راجع لاويين ١٧). وفي العهد الجديد قال الرسول: «إذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شــيئًا فافعلوا كل شــيء لمجد الله» (١كو ١٠: ٣١). كما أن العهد الجديد أيضًا منع المؤمنين مــن أكل الدم، وطلب الامتنــاع عما ذُبح للأوثــان (أع ١٥: ٢٠). وهذا التحريم أو المنع هو لكي لا نُصاد بشــرَك هؤلاء الأشــرار (ع٣٠). وهذا يدل على أن الســقوط في الخطــايا الوثنية البشــعة كثيرًا ما كان بدافــع الفضول، لذلك يقول الوحي: «احترز... من أن تســأل عن آلهتهم قائلاً كيف عبــد هؤلاء الأمم آلهتهم». وعندما نكون شغوفين بالشر، ونبحث عنه، فهذا دليل على أن ثمة عيب في ضمائرنا، وبدخولنا الاختياري إلى منطقة عمل الشيطــان ونفوذه، فإننا حتمًا سنسقط.

فــي هذا الفصل تَرِد، لأول مرة، عبارة "المكان الذي يختاره الرب" (قارن ع٤، ١١). ولقد تكرّرت هذه العبارة في السفر ٢١ مرة (٣× ٧). ولقد لاحظ أحد المفسرين أن سفر التثنية لم يُشــر مطلقًا إلى "أورشليم" باعتبارها هذا المكان، مما يدل على أن نظرية النقد الأعلى، بأن هذا السفر كُتب بعد الرجوع من السبي، هي ملفّقة وعارية من الصحة.

١٣

تحذير من الأنبياء الكذبة والانحراف وراءهم

خطورة الأنبياء الكذبة أنهم من بين شـعب الله وليسـوا من خارجه. ولقد حذَّر الرسـل من المعلمين الكذبة الذين، بالكلام الطيب والأقوال الحسنة، يخدعون قلوب السُلماء (رو ١٦: ١٨؛ ٢بط ٢: ١٨؛ ايو ٢: ١٩؛ يه ٤).

والآيات الأولى في هـذا الفصل تنبِّهنا إلى أن عمل المعجـزات ليس دليلاً على أن ما يُقال بعده صواب، فنحن نتذكر أن الشـيطـان أيضًا يقدر أن يعمل الخوارق (قارن خروج ٧: ١١، ٢٢،... ؛ متى ٢٤: ٢٤؛ ٢تسالونيكي ٢: ٩-١١). ولقد أكّد المسيح أن كلمة الله في فعلها أقوى من أعظم الآيات (لو ١٦: ٣١).

ونجد في أصحاحنا التحذير: «فلا تسـمع لكلام ذلك النبي» (ع٣)، وبالعكس نجد أيضًـا التحريض: «وراء الربّ إلهكم تسـيرون، وإياه تتقـون»: (ع٤). يجب ألاَّ ننسـى، أن ما يحفظنا هو أن نعرف صوت الراعي الصالح فنتبعه (يو ١٠: ٤، ٥)، فلا تكون مشكلة من معرفة صوت الغرباء لكي نهرب بعيدًا عنهم.

وقد يأتي التأثير السـيء من أقرب الناس إلينا (ع٦). تحت الناموس كان مثل هؤلاء يُقتلون قتلاً، لكن الآن، ونحن تحـت النعمة، يجب أن نتحوّل عنهم ونهرب بعيدًا «لا تضلوا. فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة» (اكو ١٥: ٣٣). ليت تكون لدينا الشـجاعة لفصم كل علاقة من شأنها أن تجعلنا ننحرف عن الرب (لو ١٤: ٢٦).

وأخيرًا فإن الشـر قد يأخذ طـابعًا جماعيًا، "إحدى مدنك". والمؤمن الأمين

عليه الانفصال عن كل الدوائر الكنسية التي لا تسير بحسب تعليمات كلمة الله الصريحة (٢تي ٢: ١٩).

١٤

ع١ـ٢١: ما يؤكل وما لا يؤكل

بُنيت تعليمات هذا الفصل على أمرين، الأول: «أنتم أولاد للرب إلهكم» (ع١)؛ والثاني: «لأنك شعب مقدس للرب إلهك» (ع٢). ولهذا يجب أن يكون هناك سلوك مقدّس يتناسب مع هذا المقام السامي. والكتاب المقدس هو الذي يعرِّفنا الفرق بين الطاهر وغير الطاهر (ارجع إلى لاويين ١١).

وهناك شرطان لتكون البهائم طاهرة: هما شق الظلف والاجترار. والمعنى الروحي لذلك هو الاهتمام بسلوكنا وعاداتنا (الظلف المشقوق)، والعناية بما نأكله (الاجترار). وأما الجمل وما على شاكلته، فمع أنه يجتر، لكنه لا يشق ظلفًا، فهو نجس. وهو يمثِّل الشخص الذي عنده المعرفة الصحيحة (يجتر)، ولكن ليس له السلوك الصحيح المنفصل (لا يشق الظلف). والعكس أيضًا صحيح، فالخنزير يشق الظلف ولكنه لا يجتر، فهو نجس، ومثال ذلك نراه في الفريسيين، فهم خارجيًا منفصلون عن الآخرين، ولكنهم داخليًا لا يطبقون كلمة الله على أنفسهم بأسلوب صحيح. وأما إرميا فهو مثال للشخص الذي يجمع الأمرين معًا. فيقول في إرميا ١٥: ١٦، ١٧: «وُجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي»، هذا هو الاجترار الصحيح؛ وفي العدد التالي يقول: «لم أجلس في محفل المازحين مبتهجًا» وهنا نرى شق الظلف.

وبالنسـبة للحيوانات البحرية: ما له زعانف وحرشـف هو طـاهر. والمدلول الروحي لذلـك هو ضرورة توفر القوة الأدبية للسـلوك عكس التيـار (الزعانف)؛ والانفصال الأدبي عن الأوساط الملوثة من حولنا (الحراشف).

بالنسـبة للطيور المذكور أنَّها نجسة هي الطيور "الرمَّامة"، التي تأكل كل شيء، مثل الغراب، ونتذكر أنَّه عندما أرسـل نوح الغراب من الفلـك، لم يرجع إليه، لأنَّه وجد في العالم - المحكوم عليه من الله - الطـعام الذي يُريده.

«كل دبيـب الطير نجس لكـم» (ع١٩). فالله لا يحب المبـادئ المختلَطـة، ما هو سماوي (له أجنحة) وما هو أرضي (يدب على الأرض). أولاد الله "سماويون" بطبيعتهم الجديدة ودعوتهم السماوية، وهم مقترنون بالذي «نزل من السماء» الربّ يسوع المسيح.

ع٢٢-٢٩: العشور

هذه الشريعة لم تَرِد إلا في سفر التثنية، وهي بالإضافة إلى العشور السنوية التي كان يدفعها الشعب للاويين (لا ٢٧: ٣٠؛ عد١٨: ٢١-٣٢، قارن نح١٠: ٣٧، ٣٨).

مكتوب: «الديانة الطـاهرة النقية عند الله الآب هي هذه، افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يع ١: ٢٧). فالديانة الطـاهرة لها جانبان: في القسـم الأول من الأصحاح رأينا الجانب الشخصي منها، وهو حفظ الإنسان نفسـه بلا دنس؛ أي طـاهرًا. وهنا نرى الجانب الآخر، وهو **المحبَّة** تجاه الذين هم في ضيقة واحتياج: اليتيم والأرملة (ع٢٩)، وأيضًا اللاوي والغريب والفقير.

قال الرب يسوع: «أعطوا صدقة»، ثم أردف قائلاً: «اعملوا لكم أكياسًا لا تفنى، وكنزًا لا ينفد في السماوات» (لو ١٢: ٣٣).

ويجب أن نتذكَّر دائمًا أن الله لا يحتاج إلى شيء، فهو يعرف كيف يُشبع المساكين خبزًا (مز١٣٢: ١٥). لكنَّه يُريد أن يعلِّمنا شيئًا، وهو أن نعطـي العطـاء المرضي

الذي يتضمن إنكار الذات، وهذا ما يُقدِّره الربّ أكثر من الشيء الذي نعطيه.

والعطـــاء بســـخاء تعبير عن المحبَّة للقريب، وبممارسته نكون أكثر تشبّهًا بابنه الحبيب. هذا ما يريده الله في أولاده. يحب أن يرى فينا مُشابهة لابنه المبارك الذي في محبته أعطـــى الكل لنا (٢كو ٨: ٩).

ع١) **لا تخمشوا أجسادكم:** عادة تقطيع الأجساد، وهي عادة وثنية.

أسماء الحيوانات انظر حاشية لاويين ١١. **اليحمور:** حيوان من عائلة الأيائل، وكان يُقَدم على مائدة سـليمان الملك (١مل٤: ٢٣). **الثيتل:** من فصيلة بقر الوحش. **المهاة:** كبش الجبل. **الشاهين:** طـــائر جارح من فصيلة الصقور. **السأف:** النورس.

١٥

ع١ ـ ١١ : سنة الإبراء

وكانت تحدث كل ســبع ســنين، حيث يتنازل المُقرض للمقتــرض عما اقترضه منه. كما يشجِّع الرب شــعبه على إقراض الفقير بغضّ النظر عن قرب سنة الإبراء (ع٩،١٠). وبذلـــك فإن الـــرب يريد من شـــعبه أن يميِّزهم حب العطـــــاء. فهذا العطـــاء هو مصــــدر فرح كثير، ليس فقط لمن يأخذ، لكـــن بصفة خاصة للمعطـــي (انظر أعمال٢٠:٣٥). ونلاحـــظ أن هذا الفصل تتكرّر فيه كلمـــة "يباركك" خمس مرات (ع٤،٦،١٠،١٤،١٨). والله نفســـه يعـــرف ذلك الفرح، كيـــف لا وهو أبو الأنوار، مصدر «كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة» (يع ١: ١٧). ولكي يشاركه قديسوه في هذا الفرح، يُعطيهم فرصًا للعطـــاء. يا له من تناقض إذا فعلوا ذلك بحزن (ع١٠)! دعنا لا ننسى قط أن «المعطـــي المسرور يحبه الله» (٢كو ٩: ٧).

«لأنَّه لا تُفقَـد الفقراء من الأرض» (ع١١). والربّ يســوع قال: «لأنَّ الفقراء معكم فــي كل حين» (يو١٢: ٨)؛ فبالرغم من كل التقــدّم الاجتماعي، لا يزال يوجد فقراء كثيــرون اليوم، وفرص اختبار فرح العطـــاء كتعبيــر عن الرأفة الحقيقية لا تزال موجودة. قد يحــدث أن تكون هذه الفرص موجودة أمــام أبواب بيوتنا، مثل لعازر المسكين (لو١٦: ٢٠)، لكن تعوزنا الفطنة لأن نراهم، والتكريس لأن نعطيهم. قال الحكيم: «الصالح العين هو يُبارَك، لأنه يعطــي من خبزه للفقير» (أم٢٢: ٩).

ع١٢-١٨ : العبد العبراني

العبد العبراني المذكور هنا، يتكلَّم إلينا عن المســيح العبــد الكامل (انظر تعليقنا على خروج ٢١: ١-١١). ذلك العبد كان يمكنه أن يترك ســيده، والشريعة ضمنت إمداده بما يلزمه. لكن كان عنده اعتبار أعظم من أي شــيء آخر، هو المحبة (ع١٦). والواقع أن نعمل شيئًا "من أجل المحبة"، فهذا أسمى دافع (فل٩). ويذكّرنا الجزء الأخير أن ما نعمله من أجل محبَّة الذين هم أقل حظـًا منا، إنما نعمله في الحقيقة للربّ.

ع١٩-٢٣ : تكريس أبكار البهائم

هذه الشريعة تابعة لما ورد في خروج ١٣: ٢، ١٢؛ عدد١٨.

١٦

ع١-١٧ : الأعياد الرئيسية الثلاثة

نقرأ في لاويين٢٣ عن ســبعة أعياد، لكننا نجد هنا الأعياد الثلاثة الرئيسة فقط:

"الفصح" (وترد تفصيلات كثيرة عنه)؛ ثم عيد **"الأســابيع"** (أو الخمســين)؛ وأخيرًا **"عيد المظــال"**.

كان كل إســرائيلي يصعد في هذه المناسـبات الثلاث العظيمة إلى المكان الذي اختاره الرب ليحل اسـمه فيه. وعلى ذلك نقرأ، في لوقا ٢، أنَّ يوسف ومريم ذهبا إلى أورشليم في عيد الفصح مع الصبي يسوع.

والجدول الآتي يصوِّر لنا المعنى الروحي والرمزي لكل عيد من هذه الأعياد

الأعياد الثلاثة	**الفصح**	**الخمسين**	**المظــال**
ترتيب الأعياد	الأول	الأوسط	الأخير
الإتمامالزمني	ما تم في الماضي	ما هو حادث الآن	ما سيتم في المستقبل
الأقنوم المعني	الابن	الروح القدس	الآب
آية تلخص الفكرة	«ابن الله الذي أحبني، وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)	«أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله إني سأسكن فيهم» (٢كو ٦: ١٦).	«هوذا مسكن الله مع الناس» (رؤ ٢١: ٣).
المدلول في كلمات	صليب المسيح كأساس كل البركات	حضور الروح القدس، وتكوين الكنيسة	وصول الله الآب إلى هدفه النهائي
البركة المتضمَّنة	الفداء	الشركة	المجد
الفكرة في كلمة	الله لنا	الله فينا	الله معنا

كان الفصح يُعمل مرة في السنة ليتذكر الشعب خلاصهم من بيت العبودية، ونحنَ الآن نمارس ذكرى موت الرب أسبوعيًا، لنذكر المخلِّص نفسه.

في كل من عيد الخمسين وعيد المظـــال، كانت التقدمات اختيارية، ونغمة السخاء والفـــرح واضحة ومتزايدة. في عيد المظـــال، كان يملأ الله شـــعبه بفرحه وهباته، «فلا تكون إلاَّ فَرِحًا» (ع١٥). وأما بالنســـبة لنا فنحن لا ننتـــظر يومًا قادمًا لنكون فرحين، لكنَّنا نســـتطيع أن نفرح من الآن. يقول الرســـول: «افرحوا في الربّ كل حين، وأقول أيضًا افرحوا» (في ٤: ٤). أيّة مصادر أخرى للفرح، لا تدوم طويلاً، لكن هو وحده مصدر الفرح المستمر الأبدي.

ع١٨ ـ ٢٢ : القضاة والتعليمات الخاصة بهم

حتى نهاية أصحاح١٨ يُقدِّم الوحي لمحة من فِكره بخصوص الحكم الثيوقراطـــي (حكم الله) وبالتالي فإنه يذكر لنا طبقات مختلفة من الشـــعب في مركز المســـؤولية. يذكـــر لنا: قضاة وملـــوكًا وكهنة ولاويين وأنبياء في إســـرائيل. علـــى أن القضاة والعُرفاء يُذكرون أوَّلاً.

ماذا كان يُطلب منهم؟ «يقضون للشـــعب قضاءً عادلاً». كان عليهم ألا ينظروا إلى الوجوه، وألا يأخذوا رشـــوة (ع١٨، ١٩ انظر أمثال١٧: ٢٣؛ ١٨: ٥؛ ٢٤: ٢٣). كان عليهم اتِّباع «العدل العدل» (ع٢٠). ويحرِّضنا الرسول يعقوب في العهد الجديد أنه لا يليق أن يجتمع الإيمان بالمسيح مع المحاباة.

مع الأسف الشـــديد، لم يفشـــل إســـرائيل فقط في إتباع هذه التعليمات، لكن عندما أتى "الصدِّيق الكامـــل" ضحكوا عليه وازدروا بـــه (أي١٢: ٤). يقول

في مزمور ٩٤: ٢١ «يزدحمون على نفس الصدِّيق، ويحكمون على دم ذكي»، وأيضًا «باعوا البار بالفضة» (عا ٢: ٦)، وأيضًا «حكمتم على البار. قتلتموه» (يع٥: ٦).

١٧

ع١-٧ : عمل القضاة

هذه الفقرة تابعة للأعداد التي خُتم بها الأصحاح السابق. ونلاحظ أنه توسَّط الحديث عن القضاة حديث قد يبدو بعيدًا عن الموضوع - وهو ما ورد في آخر ص١٦، وأول هذا الأصحاح - وهو حديث عن قداسة العبادة. مما يدل على أن من أهم واجبات القضاة ليس فقط حل المشكلات بين الأفراد، بل الحرص على سلامة عبادة الرب، بعدم عمل نَصَب ما بجانب مذبح الرب (١٦: ٢١،٢٢)، وأيضًا بعدم تقديم ذبيحة للرب بها عيب (ع١ قارن ملا ١: ٨،١٣،١٤).

ولقد ذكرنا في حديثنا عن ص١٦ الفشل الذريع الذي تميَّز به الشعب، والمأساة الكبرى عندما صلبوا ابن الله. وعندما فعل اليهود كل ذلك بالربّ يسوع، كانوا يعملون ذلك تحت ستار الناموس (مت٢٦: ٥٩)، فدعوا شاهدين ليشهدا زورًا ضد الذي أرادوا أن يقتلوه، ليكونوا متمّمين للناموس في الظاهر (ع٦). يا لها من جريمة! بدلاً من نزع الشر (الشهادة الزور) من وسطهم (ع٧)، استخدموا (الشهادة الزور) لنزع الخير في شخص لبن الله.

ع٨-١٣ : المجلس الأعلى للقضاة

القضاء هنا ليس في "أحد أبوابك" (١٦: ١٨)، بل في "المكان الذي يختاره الرب إلهك" (ع٨). وهو مختصّ بالمسائل المستعصية. ويا للأسف أن القضاة والكهنة الذين كان المفروض فيهم أن يقضوا على الشرّ في وسط الشعب، صاروا هم مصدر الشر الرهيب في الشعب. وفي نهاية زمن القضاة في إسرائيل، في أيام صموئيل، كان لعالي، الذي كان رئيسًا للكهنة، وفي الوقت نفسه كان قاضيًا، نهاية مُحزنة (اصم ٢: ٣١). وأما قمة الفشل في إسرائيل في هذه النقطة، فنجده ممثَّلاً في حنَّان وقيافا (يو١٨: ١٣، ١٤).

ع١٤-٢٠ : اختيار الملك

أُعطيت للملوك أربعة تعليمات بارزة: ألاَّ يُكثِروا لأنفسهم الخيل (تعظم المعيشة)، وألا يأخذوا زوجات كثيرات (شهوة الجسد)، وألاَّ يُكثِروا الفضة والذهب (شهوة العيون)، وأن يكتبوا لأنفسهم نسخة من الشريعة، لكي يتّقوا الرب ولكي لا ترتفع قلوبهم على الشعب، فهُم إخوتهم لا عبيدهم.

تأمَّل الملك سليمان، ألمع ملوك إسرائيل، الذي باركه الله من كل ناحية، بدلاً من اتباع الربّ، تحوّل

من إخوتك

* ملك ع١٥
* كاهن ع١٨
* نبي ١٨: ١٥

وهذه الوظائف الثلاث تحقّقت في المسيح، الذي في نعمة غنية قَبِل أن يتجسد، وبذلك أشبه إخوته في كل شيء (عب٢: ١٧). ونتذكر أنه عند ولادته قدَّم له المجوس: ذهبًا (الملك)، ولبانًا (الكاهن)، ومُرًّا (النبي). بالإضافة إلى أنه هو أيضًا العبد بحسب ١٥: ٢ (قارن فيلبي٢: ٦-٨).

عن كل هذه التعليمات، فنقرأ عنه أنَّه كان له خيل أحضرها من مصر، وأن نساءه حوّلن قلبه، وأنَّه كان له فضة وذهب بكثرة (انظر ١ملوك١٠: ١٤، ٢٦ - ٢٨؛ ١١: ١-٤). كما نقرأ أنه قسّى النير على الشعب (١مل ١٢: ٤).

بعده جاء ملوك قليلون أمناء في يهوذا، أحدهم يوشيا الذي وجد سفر الشريعة الذي كان مفقودًا ومنسيًا لسنين كثيرة (٢مل٢٢: ٨-١١). وممَّا لا شك فيه، أنَّه لا يوجد أحد من الملوك قد أطاع تمامًا الوصايا التي في ع١٨، ١٩.

وماذا بالنسبة لنا؟ هل نتَّبع كلمة الله تمامًا؟

١٨

ع١-٨ : حق الكهنة واللاويين

هذه الأعداد تحدِّثنا عن حق الذين كانوا يخدمون الأمور المقدسة، ولم يكن لهم نصيب في الأرض، بل كان الرب نصيبهم. هؤلاء لهم نصيب في المقدَّسات، ويجب على الشعب أن يعتني بهم.

ع٩-١٤ : قائمة بالممنوعات

إن الرب يكره بصفة خاصة تلك الممارسات البغيضة المرتبطة بعبادة الشيطان، من عرافة وسحر وسؤال الجان واستشارة الموتى، الأمور التي تهوَّرت فيها الأمم سكان كنعان. ولذلك فقد حذَّر الرب الشعب من ممارستها، وأوصاهم ألا يسمحوا لأحد بممارستها في أرض يهوه.

ع١٥ـ٢٢: نبوة عن مجيء المسيح النبي العظيم

بعد أن وصل شعب إســرائيل إلى أرض الموعد، مرّوا بثلاث فترات متميزة: القضاة والملــوك والأنبياء. وبصفة عامـــة أثبت الجميع أنهم رُعــاة غير أمناء. أخيرًا، أرسل الله ذاك الذي من ضمن ألقابه "القاضـــي" العـــادل، "ملك" الملوك، وأيضًا "النبي" الذي يُشـــار إليه في ع١٥ والذي انتـــظره إســـرائيل. وهذا الشخص المجيد فـــوق كل الآخرين، يتكلّــم إلينا بلســـان الله، وهـــو «الكلمة» (يـــو ١:١)، ويجب أن نســـمع له في كل الأمور.

> «نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم»
>
> (ع١٥ انظر أيضًا أعمال ٣: ٢٢؛ ٧: ٣٧).
>
> المشـــابهات بين موســـى والمســـيح كثيرة، ولكـــن أهمها ما يلي:
>
> - ❑ كلاهما شغل الوظـائف الثلاث الكبرى في الشعب: ملك ونبي وكاهن.
> - ❑ كلاهمـــا أيّـــده الله بالمعجزات: موســـى كان أول من أجرى المعجزات، والمسيح عمل أعظم المعجزات.
> - ❑ كلاهما كان وســـيط عهد، موسى كان وسيط العهد القديم، والمسيح هو وسيط العهد الجديد.

وبعد الحديث عن هذا النبي الأعظم، فإنه يحدثنا عن النبي الذي يطـــغى، وهو بلا شك صورة للنبي الكذاب (رؤ ١٦: ١٣؛ ١٩: ٢٠؛ ٢٠: ١٠)، الذي سيظـــهر بعد اختطـــاف الكنيسة، والذي سيقبله شعب إسرائيل للأسف (يو ٥: ٤٣).

١٩

ع١-١٣ : مدن الملجأ

قال الرب عن نفســه: «إله بار ومخلص ليس سواي» (إش ٤٥: ٢١). هو "إله بار"، لا يدع القاتل يفلت؛ "ومخلِّص"، عنده طريقة لينقذ القاتل سهوًا! (راجع تعليقنا على سفر العدد ٣٥).

في البداية تمَّ تخصيص ثلاث مُدن في شــرق الأردن لتكون ملجأ للشخص الذي قتل آخــر بدون عمد (٤: ٤١-٤٣)، وهنا يطلب الــرب تحديد ثلاث مدن في أرض كنعان للغرض عينه. وهذه المدن تحدِّثنا عما وجدناه في المسيح، بالمقابلة مع الإله الغاضب بسبب خطــايانا.

انظر كيف يهتم الله "**بالدم البريء**" (ع١٠-١٣). فكم بالحري إذًا تكون قيمة دم ابنه الحبيب الذي سُفِك على الصليب. ومع ذلك فإن الرب أعدَّ للتائب المؤمن مدينة ملجأ يحتمي فيها من غضب الله. ولعلّ بولــس كان في فكره هذا الرمز عندما قال إنه يسعى (يركض) ليربح المسيح، وليوجد فيه، وليس له برّه الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح (في ٣: ٨، ٩؛ انظر أيضًا عبرانيين ٦: ١٨).

ع١٤ : عدم نقل التُخم

توجد طرق كثيرة للخطــإ ضد الذين حولنا، بخــلاف ضربهم. وواحدة من هذه الطرق هــو «لا تنقل تُخم صاحبك» (ع١٤). والتُخم هــي العلامات التي تحدِّد ملك الآخريــن. هذه أحيانًا يتم نقلها مــن مكانها القديم، لكي يحصــل المتعدي على ملك

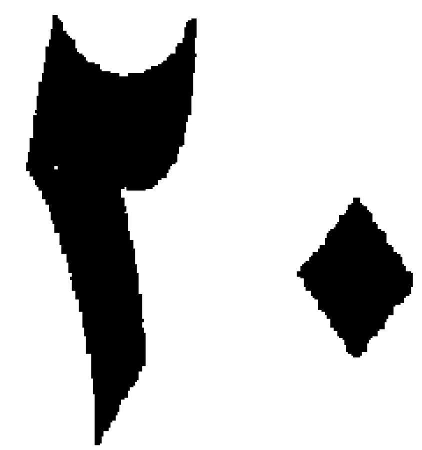
أفضل مما له. والمعنى الأدبي لذلك هو ألا نتعدى على حقوق الآخرين في شــغلهم، أو تســلياتهم، أو نومهم... إلخ. والمســيحي تعلّم من الله أن يكــون مكتفيًا بما عنده (عب١٣: ٥). كما يُطلب منه أن يكون حلمه معروفًا عند الآخرين (في٤: ٥).

ع١٥ ـ ٢١ : الشهادة المعتمدة

الشــاهد الواحد، ليس كافيًا لإثبات أي شــيء. يجب أن يكون هناك شاهدان أو ثلاثــة (ع١٥). ذكر الربّ يســوع ذلك في متى ١٨: ١٦، وفــي الفصل ذاته يبين أهمية اتفاق اثنين في أي شيء يطلبانه، كما حدَّد عدد المجتمعين إلى اسمه "اثنان أو ثلاثة" (مت ١٨: ٢٠).

ما أعظم ذنب الشــهود الزور! هؤلاء كان يجب أن يحكم عليهم القضاة بلا شفقة (ع١٨، ١٩). لكن من الجانب الآخر يوجد شهود غير أكفاء لا يتمّمون مسؤولياتهم، ولا يؤدّون شهادة، لا بكلامهم، ولا بحياتهم.

ترى هل نحن منهم؟



إرشادات بخصوص الحرب

عندما نقرأ سفر يشــوع، يحلو لنا التأمل في حرب المسيحي، فهي ليست مع دم ولحــم (أف ٦: ١٢). ومع ذلك فكما رأينا أنه يوجد شــهود غير أكفاء، هكذا أيضًا يوجد جنود غير أكفاء للحرب مثل المذكورين في ع٨.

والذين كانوا مســؤولين عن التجهيز للحرب وتســريح الجنود، ليســوا هم القادة العســكريين، أو الجنرالات، بل كان هذا واجب الكهنــة والعُرفاء، لأنَّه لم تكن قوَّة الجنود وأسلحتهم هي الأمر المهم، بل تكريسهم ومحبَّتهم لله.

ونلاحظ أنَّه في ع٥-٧ يُســتبعد الذي لا يصلح للحرب، كمـــا يقول أحد الجنود الأبطـــال للرب يسوع المســيح في ٢تيموثاوس٢: ٤ «ليس أحد وهو يتجنَّد، يرتبك بأعمال الحياة، لكي يُرضي مَنْ جنَّده».

هل هذه هـــي أُمنيتنا، أن نُرضي قائدنا الربّ يســوع، وأن نكون جنودًا صالحين ليسوع المسيح؟

كان على بني إسرائيل أن يصنعوا صُلحًا مع بعض المُدن، وأن يهلكوا أخرى تمامًا. المُدن البعيدة، إن قبلت الصُلح، يمكن اســتبقاؤها، ويكونون لهم للتسخير (ع١٠-١٥). لكن لا توجد شــفقة إطــلاقًا على المــدن القريبة، التي تمنع شــعب الله من امتلاكهم الأرض (ع١٦-١٨). وهكذا معنا كمســيحيين، يجب أن نُميِّز بين أشــياء هذا العالم. توجد أشياء يمكن استعمالها: كالمعاملات والتعليم والتوظف مثلاً، لكن توجد أشياء يجب نبذها بدون تردد، لأنَّها قد تتسبب في أن نخسر التمتُّع بنصيبنا السماوي.

في عددي١٩، ٢٠ نجــد الغيرة التي في غير محلها، من أولئـــك الذين لهم غيرة ولكن ليس حســب المعرفة. هؤلاء أحيانًا يُفســدون أشــياء يمكن أن تكون ســبب نفع لشــعب الله، تغذيهم أو تنعشــهم. ونحن يجب أن نميِّز بين العالم كنظـــام فاسد ومرفوض تمامًا، وبين خليقة الله الجيدة. وفي الوقت نفســه تحذِّرنا هذه الأقوال من الإتلاف. لنتذكَّر أنَّ الرب بعد إشباع الخمسة آلاف، أمر بجمع الكِسَر الفاضلة «لكي لا يضيع شيء» (يو ٦: ١٢).

ع٦) **لم يبتكره:** أي لم يأخذ باكورة ثمره.

٢١

ع ١ -٩ : شريعة القتيل

هنا نجد القضاة يواجهون قضية صعبة. لنتصوَّر إسرائيل في أرض الموعد مستقرًا في مُدنه، وفي أحد الأيام، وُجدت جثة إنسان مطروحة في حقل. مَنْ المسئول عن القتل؟ لا أحد يعلم. وبالتالي فإن المسألة هنا ليست الانتقام للدم، ولا الهروب من "ولي الدم" إلى مدينة ملجأ. ومع ذلك يجب تحديد المسؤولية، لأنَّ كل دم مسفوك يجب أن تكون له كفارة.

لذلك كان يخرج الشيوخ والقضاة، ويقيسون لتحديد أقرب المدن لمكان القتيل. فتُعتبر هذه المدينة هي المسؤولة. هل تهلك؟ لا. لقد أعدّت نعمة الله ذبيحة على أساسها يُمكن بالبر الصفح عن هذه المدينة.

ويا لها من نعمة عجيبة! فلقد كان موت ابن الله، هو الوسيلة ذاتها التي بها أمكن لله، بالبرِّ، أن يُقدِّم غفرانًا لأفظع الشرور والآثام. وفي الذبيحة المُقدَّمة هنا "العِجلة"، التي لم يُحرَث عليها، ولم تُجَّر بالنير، نجد رمزًا للربِّ يسوع، الذي لم يعرف نير الخطية، ونزل إلى وادي الموت، من حيث تفيض لنا الآن نعمة مخلِّصنا الله الأبدية، المشبَّهة هنا بالنهر "الدائم السيلان" (ع٤).

وهنا نحن لنا رمز جميل. فأيَّة مدينة أكثر مذنوبية من أورشليم، «قاتلة الأنبياء وراجمة المُرسلين إليها» (مت ٢٣: ٣٧)؟ أورشليم التي ارتُكبت فيها أعظم جريمة، جريمة قتل ابن الله. لكن في يوم قادم، وعلى أساس التواضع والندم (النزول إلى

الوادي ع٤ قارن زكريا ١٢: ١٠-١٤) سـيكون ينبوع مفتوحًا... لسـكان أورشليم للخطية وللنجاسة (زك ١٣: ١).

ع١٠-١٤ : المرأة مسبية الحرب

ما كانت تصلح المـرأة الكنعانية لتكون تلك الزوجة، فهـن يجب إبادتهن جميعًا (قارن مع تكوين ٢٤: ٣؛ ٢٦: ٣٤،٣٥؛ ٢٧: ٤٦). لكن هذا الكلام ينطبق على أية امرأة من بقية الشعوب. وكان ينبغي معاملتها باللطف.

هذه الشـريعة من الجانب الواحد كانت تضمن كرامة المرأة، ومن الجانب الآخر كانت لحفظ الشـعب من خطية الاغتصاب البشعة. ونحن نعلم أن الناموس لم يُكَمِّل شـيئًا (عب ٧: ١٩)، وأن كل تلك الفرائض كانـت موضوعة فقط لوقت الإصلاح (عب ٩: ١٠)، بمجيء الرب يسوع المسيح.

ع١٥-١٧ : امتيازات "البِكر"

نلاحظ أن الرب هنا لا يبيح تعدّد الزوجات، بل فقط يضمن حقوق البكر. ولقد كانت امتيازات "البكر" في إسـرائيل عظيمة حقًا (ع١٧)، لكـن امتيازاتنا نحن أعظم. وعن الكنيسة يقول الرسول إنها "**كنيسة أبكار** مكتوبين في السماوات" (عب ١٢: ٢٣).

ع١٨-٢١ : الابن المتمرد

أليس أمرًا مُحزنًا، أن نرى، رغم هذه الامتيازات، أن كثيرين من الشباب سلكوا طريق الابن المُعاند والمـارد (قارن عد٢٠: ١٠)؟ كان مثـل هذا الطريق، للابن الإسرائيلي، يؤدي إلى الموت الرهيب. كان يُرجم بشهادة والديه.

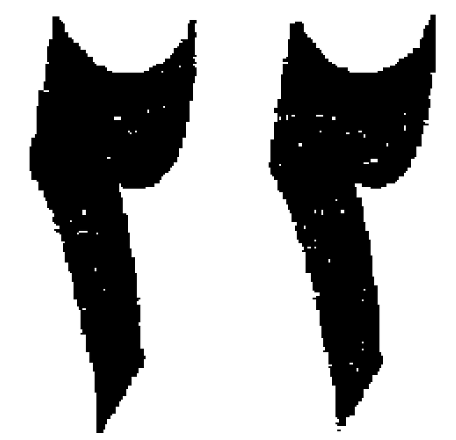
لكن العهد الجديد في لوقا ١٥ يحدّثنا عن قصة مُشـابهة لابن ضال، كان مُسرفًا

وسكيرًا، لكن تنتهي قصته نهاية مختلفة تمامًا. لم يكن الابن الضال أفضل من الابن المارد في أصحاحنا. لكن النعمة، عملت في قلبه، وقادته إلى التوبة، فوجد أذرعًا مفتوحة، مُرحِّبة، بدلاً من شكوى الوالدين؛ وصفحًا تامًا، بدلاً من الإدانة؛ ووليمة وفرحًا في بيت أبيه، بدلاً من الموت!

ع٢٢، ٢٣: دفن المعلَّق

نقرأ هنا عن موت رهيب آخر. اجتازه بدلاً عنا، الابن الحبيب، الابن المُطيع. ويقتبس الرسول في غلاطية ٣: ١٣ هذا الكلام فيقول: «ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة». الصليب سرّ لا يُدرَك كنهه. المسيح جُعل **لعنة**، لكي تصل إلينا **البركة** التي وُعد بها الإيمان.

والإنسان العتيق أيضًا صُلب مع المسيح. ونحن دفناه عندما قبلنا المعمودية (رو٦: ٤). وظهوره على الأرض ينجسها.



وصايا مختلفة

تدور هذه الوصايا المختلفة حول المفقودات: الممتلكات المفقودة (ع١-٤)؛ والتمييز المفقود (ع٥-١٢)؛ والسمعة المفقودة (ع١٣-٣٠). ونجمل بعض الأفكار عنها فيما يلي:

(ع ١-٤) **الاهتمام بمصالح الإخوة:** الرب لا يدين الشرِّ فقط، كما في الأصحاح السابق، بل يدين الإهمال أيضًا. إنَّ فقْد الثور أو الحمار، إنما هو دليل على الإهمال ونقص العناية والحراسة. لكن الله يستخدم هذا ليعلِّمنا أن نهتم نحن بما يخص أقرباءنا، ويذكِّرنا بأنَّهم "إخوتنا" ويطلب منَّا أن نعتني بمتعلقاتهم بالمحبة الأخويَّة، كأنَّها متعلقاتنا. كيف يمكن للإسرائيلي أن يعبد الله بدون غنم للذبائح، وثيران للحرث، وحمير للحمل؟ بل وكيف يعيش؟

ليتنا لا نكون مثل المؤمنين الذين وصفهم الرسول بولس بالقول: «إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم» (في ٢: ٢١. انظر أيضًا ١كورنثوس ١٠: ٢٤).

(ع٥) تطبيق هذا العدد علينا، هو أن المرأة في المدنية الحديثة، تريد أن تكون مساوية في كل شيء للرجل، وهذا قلب للترتيب الإلهي في الخليقة (١كورنثوس١١: ١-١٦). يجب علينا أن نخضع لترتيب الله، بدون أية مناقشة. الله ميَّز بين الجنسين، وهو يريدنا أن نُعبِّر عن ذلك بالملبس المتميز، وأيضًا بغطاء الرأس بالنسبة للمرأة في اجتماعات الكنيسة.

(ع٦،٧) نرى هنا عناية الله بخليقته، وعلى شعبه أن يعتبر ذلك ويُقدِّره.

(ع٨) رب البيت هنا مسؤول عما يحدث في بيته. ولو سقط أحد يجلب على بيته دمًا.

(ع٩، ١١) يذكِّرنا الروح القدس أن الله، لا يقبل في حياة أو شهادة أولاده، أي **خلط** بين ما هو إلهي، وبين الأمور العالمية.

(ع١٢) سبب هذه الجدائل (أو الأهداب) واضح في سفر العدد ١٥: ٣٧.

(ع١٣-٣٠) بعض الشرائع التي تحضّ على ضرورة الطهارة في الحياة، لا سيما الحياة الزوجية، مع الحرص على عدم تشويه سمعة الآخرين. وهي تُحدِّثنا عن تعفف السلوك، وتعفف اللسان.

٢٣

شرائع مختلفة

جماعة إســرائيل تُسمّى هنا جماعة الرب، ويتكرر هذا التعبير، في الآيات من ١ إلى ٨، ست مرات. ولذا ينبغي أن تكون مقدسة، وخالية من كل ما يعيب. والمبدأ عينه نجده بالنسبة لكنيسة الله في العهد الجديد.

وتكون القداســة مطلبًا أعزّ فـــي ظروف الحرب (ع٩ -١٤)، فبــدون الرب لن ننتصر، وبدون القداســة لن يكون الرب معنـــا. لذا تتكرر في هــذه الأعداد كلمة "المحلة" ٦ مرات، ويوضّح الفرق بين داخل المحلة وخارج المحلة.

ومن ع١٥ إلى الآخر يتضمن بعض القوانين الدينية والاجتماعية. ودعنا نتأمّل، كيف علّم الربّ يســوع تلاميذه وأيضًا الجموع. لقد اســتخدم ناموس موسى (الذي تمسّك به الفريسيون حرفيًا) ليبين لهم فكر الله وحكمته ومحبته. فعل ذلك عندما أكل تلاميذه السنابل في يوم سبت (مت١٢: ١ -٨؛ مع ع٢٥)، وعندما سأله الشعب أسئلة كانت موضع خلاف بخصوص الطــلاق (مت١٩: ٣ -٩)، وفي مناســبات أخرى كثيرة.

وعندما نقرأ هذه القوانين، نكتشف فيها أيضًا ذات الحكمة والمحبّة الإلهية. فنجد أن العدل التام، والرحمة التامة يلمعان معًا جنبًــا إلى جنب. «الحقوق» محفوظــة لأصحابها، وفي الوقت نفسه واجبات المحبّة الأخوية غير مُهمَلة. الله وحده يستطيع أن يعمل هــذا التوازن، ومن المهم جدًا أن نُدرك ذلك. ففي عالمنا من الســهل جدًا

الميـل إلى جانب أو إلـى آخر. وأولاد الله ليـس لهم أن يختاروا بين الرأسـمالية والشيوعية، بل عليهم أن يسـلكوا في كافة النواحي الاجتماعية والسياسية في ضوء الخضوع لفكر الله. وهذا الفكر ليس موجودًا في الصحف أو كتب البشـر، لكن في كلمة الله الحية والثابتة إلى الأبد (ابط ١: ٢٣).

ع١) **الرض**: أي الضرب، فهو مخصي نتيجة ضربة. **مجبوب**: بترت أعضاؤه التناسلية.

ع١٥) **أبق إليك**: هرب إليك.

ع١٧) **مأبون**: شاذ جنسيًا.

ع١٨) **ثمن كلب**: الأرجح أن المقصود هو المأبون المذكور في ع١٧.

٢٤

قوانين وشرائع مختلفة

يبدأ هـذا الفصل بالحديث عن الطـلاق وإعادة الـزواج. ومن متى ١٩: ١-٩ نفهم أن موسى لم يوصِ بالطـلاق، بل أذن به لأجل قساوة قلوب الشعب. وأما الآن فلا يوجد طـلاق إلا لعلة الزنا. وإذا حدث أن كانت زوجة بالنسبة لرجلها تجربة، عوض أن تكون معينًا له، فالأفضل أن يتحمَّل تجربته بصبر، وسـيكون الرب بدون شك معينًا له؛ عن أن يحاول بطرق شريرة حل مشكلته، فيجلب غضب الله عليه.

ومن دراسـتنا لهذا الفصل نتذكـر الإعلان الأوضح في العهـد الجديد عن الله الذي يقدِّمه لنا الرسول يوحنا: «الله نور»، «الله محبة» (ايو ١: ٥؛ ٤: ٨). وفي هذا الفصل يعلن الله نفسـه بهذه الصفة المزدوجة في كل من وصاياه، مهمـا كانت صغيرة. فهو

باعتباره "نور" يدين السارق (ع٧)، ويلاحظ بدقة أي مظـــهر للبرص (ع٨،٩)، وينتظر العدل من جانب المُقــرض (ع١٠-١٣)، ومن جانب صاحب العمل (ع١٤،١٥)، ويُقدّر مسؤولية كل خاطـئ (ع١٦). وباعتباره "محبة" يلاحظ كل المظلومين: من المقترِض (ع٨، ١٠-١٣)، والفقير، والغريب (ع١٤)، والأرملة واليتيم والعبد (ع١٧)، وصراخهم يصـــل إلى أذنيه. هذا ما تُعلنه رســـالة يعقوب بخصوص الأغنياء الذين بخســـوا أجرة الحصادين الذين حصدوا حقولهم (يع ٥: ٤).

نحن نعيـــش في عالم يتملّق فيه الناس الأغنيـــاء والأقوياء، ومن الجهة الأخرى، لا يهتمون بالضعفـــاء والمتواضعين. ولكننـــا كأولاد الله ينبغي أن نكون في وضع مخالف لهذا. نحن لنا "ســـيد" جاز في هذا العالم كعبد، وغريب، وفقير. «يســـوع الناصري» لم يجذب الأنظـــار إلى شـــخصه، لكن قيل عنـــه «مُحتقر ومخذول من الناس... فلم نعتد به» (إش ٥٣: ٣).

يقول يعقوب في رسالته: «أما أنتم فأهنتم الفقير» (يع ٢: ٦). لنحذر من هذا، ولنكن ممَّن يشير إليهم المُرنم بالقول: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين» (مز ٤١: ١).

ع٦) مرداتها: الجزء العلوي من الرحى، حيث يتم طحن الحبوب.

٢٥

شرائع مختلفة ومسؤوليات

يحدِّثنا هذا الأصحاح عن الاحترام: احترام الإنســـان (ع١-٣)، والحيوان (ع٤)، والعلاقات العائلية (ع٥-١٠)، وأجســـادنا (ع١١،١٢)، وحقـــوق الآخرين (ع١٣-

١٦)؛ ومطـــالـــب الرب (ع١٧-١٩ قارن خـــر١٧: ١٤، ١٦؛ اصم ١٥: ١-٣). وهاك بعض الأفكار عن هذا الفصل:

(ع١-٣) كانت توجد حالات في إســـرائيل تكون فيها العقوبة البدنية ضرورية. لكنَّ الله في حكمته وعلمه برداءة قلب الإنســـان، وضع لها حدودًا، فالمُذنب لا يُجلد أكثر من ٤٠ جلدة. وللتأكد من ذلك، كانت عادة اليهود أن يجلدوا «أربعين جلدة إلاَّ واحدة». ويُخبرنا الرسول بولس أنَّ اليهود في كراهيتهم للإنجيل، أوقعوا عليه هذه العقوبة الصارمة خمس مرات (٢كو ١١: ٢٤).

والله أبونا المحب قد يضطر أحيانا في تعامله معنا لتوقيع مثل هذا القصاص علينا بطريقة إلهية. فيقول الوحـــي عن الله: «**يجلد** كل ابن يقبله» (عب ١٢: ٦). وخير لنا أن نؤدَّب منه الآن، عن أن ندان مع العالم (١كو ١١: ٣٢).

(ع٤)، يذكِّرنا بكلام الرســـول بولس في ١كورنثـــوس ٩: ٧-١١ «إن كنَّا نحن قـــد زرعنا لكم الروحيـــات، أفعظيم إن حصدنـــا منكم الجســـديات؟». انظر أيضًا ١تيموثاوس ٥: ١٧، ١٨.

(ع٥-١٠) واجبـــات "أخي الزوج" التي اســـتخدمها الصدوقيون لتجربة الربّ بسؤالهم بخصوص القيامة، والرب أجابهم بالقول: «تضلون إذ لا تعرفون الكتب» (مت٢٢: ٢٩). وبالنســـبة لنا، فإنَّنا لا نضل إطـــلاقًـــا طـــالما أننا نعرف الكتاب جيِّدًا، ونعتمد عليه.

وكم هـــو مذلّ أن نتذكـــر أن ذلك العظيم، الذي جاء لشـــعبه، وقَبِـــل بالنعمة أن يكون أخًا لهم، أنه وهو يقوم بعمـــل الفداء العجيب، بصقوا عليه (ع٩ قارن مع متى ٢٦: ٦٧؛ ٢٧: ٣٠)!

(ع١١، ١٢) يحذِّرنا الوحي هنا من التصرفات الطـائشة عند الغضب.

(ع ١٣-١٦) الله الأمين يحبّ الأمانة ويُحرِّض شـعبه عليها. انظر أيضًا أمثال ١١:١؛ ٢٠:١٠؛ ٢١:٦.

(ع١٧-١٩) بين كل الاختبـارات المُذلّة في البريَّة، توجـد واحدة كان على إسـرائيل أن يتذكَّرها. وعلينـا نحن أيضًـا أن نفعل بالمثل. عماليق اسـتغل تعب الشـعب عند خروجه من مصر، وضرب مؤخَّـره؛ كالجبان - ضرب كل المُستضعفين الذين يسيرون في المؤخرة. لنتذكَّر أن الحرب مع عماليق تتطلب رجالاً (خر١٧:٩)، أما المستضعفين فإنهم يكونون لقمة سائغة لعماليق (الجسد). وبالمثل أيضًا فإنَّ الشـيطـان نادرًا ما يتجاسـر على مُهاجمة المؤمنين السالكين بإيمان وثابتين، لكن من الناحية الأخرى، فإن الذين يسـيرون بخطوات بطيئة في المؤخرة، يكونون فريسته. نحن نعلم ما حدث لبطرس عندما تبع الربّ يسوع من بعيد (لو ٢٢: ٥٤).

٢٦

ع١-١١ : سلة أول الثمار

يأتي بنا هذا الأصحاح إلى الأرض، ومع ذلك فالماضي لا يُنسـى. فعندما يصل الإسرائيلي إلى الأرض ويمتلكها، ويباركه الربّ بمحصول وفير، كان عليه أن يأتي إلـى المكان الذي يختاره الربّ، ويذكر كلاً من وضاعـة أصله، والقوَّة الإلهية التي خلَّصته، وأتت به إلى هذه الأرض الجيدة. وكعلامة على صلاح الله نحوه، كان يُقدِّم

"ســلة أول الثمار" ويسجد بقلب مملوء بالفرح والشــكر. هذه صورة جميلة لسجود المفدييــن، فهم يذكرون "خلاصهم" المجيد، ويُقدِّمون لله ثمر شــفاه معترفة باســمه (عــب١٣: ١٥). وفي تعبُّد قلبـــي يقولون للربّ: «كل النفائس مــن جديدة وقديمة، ذخرتها لك يا حبيبي» (نش٧: ١٣).

ع١٢-١٥ : نزع المقدس

العدد الذي اقتُبس من عبرانيين ١٣: ١٥ الذي يدعونا لتقديم «ذبائح التســبيح»، يتبعه مباشرة هذا التحريض «ولكن لا تنســوا فعل الخير والتوزيع، لأنَّه بذبائح مثل هذه يُســرّ الله». وبنفس الطريقة تضع هذه الأعداد من أصحاحنا **العطــاء** مباشرة بعد الذبائح لله. كانت العشور جزءًا من عبادة الإسرائيلي، والسبب يوضِّحه ع١١. فاللاوي والغريب كانا يشتركان في الفرح مع الإسرائيلي، ويقدِّمان الشكر لله.

ليتنا كمســيحيين نتذكَّر هذا، فيشــترك الآخرون في بركاتنا، لا لكي نتقبَّل نحن الشــكر، بل ليقدِر الآخرون أن يشــكروا الله (٢كو٩: ١٢). وفي الســماء سوف لا يكون عطـــاء، فكل واحد سيكون ممتلئًا تمامًا، ولكن هنا على الأرض، يقرن الله خدمة العطـــاء هذه مع ذبيحة التسبيح. إنَّ أعظم كلمات التعبّد الجميلة، هي بلا قيمة أمامه، إذا لم نقدِّم الدليل على محبتنا عمليًا. إن عبارة الرســول: «لأنَّه بذبائح مثل هذه يُسرّ الله» يجب أن تكون حافزًا كافيًا لنا لنحرص على خدمة العطـــاء.

ع١٦-١٩ : الإقرار على العهد

وهو عهد تبادلي، أن يحفظ الشـــعب فرائض الرب وأحكامه، وفي المقابل يجعلهم الرب خاصته، مع ما في ذلك من رفعة وسمو. وما زالت حتى اليوم: الطـــاعة هي الطريق للبركة والرفعة.

٢٧

اللعنة والبركة

هــذه التعليمات المذكورة هنا نُفِّذت كما نقرأ في يشــوع ٨: ٣٠-٣٥. ولقد كان الناموس منقوشًــا "نقشًــا جيدًا" (ع٨) على حجارة كبيرة برَّاقة، مشيَّدة بالشيد، أي مغطــاة بالكلس الأبيض (ع٢)، وذلك ليمكن لكل إسرائيلي أن يقرأه بوضوح، ويكون مسؤولاً تمامًا. لا أحد يستطيع أن يدَّعي أنَّه لم يعرف الناموس.

هل نحن الذين بين أيدينا الكتاب المقدس الكامل، أقل مسؤولية؟

هذا النصب العظيم الذي عُمل لتعظيم الشريعة يُذَكِّرنا بمزمور ١١٩، المكوَّن من ١٧٦ آية، كلها تقريبًا تعظِّم كلمة الله، وتؤكِّد على فوائدها الكثيرة لشعب الله.

ولقد أُعطــي الأمر فــي أصحاح ١١: ٢٩: «اجعل البركــة على جبل جرزيم، واللعنة على جبل عيبال». وهنا في أصحاحنا، أعطــى موسى تعليمات دقيقة؛ كيف يُعمل هذا. يقف ستة أسباط على كل من هذين الجبلين. ويا للأسف، فنحن لا نسمع ولا نجد في الســفر بركات جبل جرزيم. كان الشــعب "تحت الناموس"، و«جميع الذين هم من أعمال الناموس، هم تحت لعنة» (غلا ٣: ١٠).

"ملعون... ملعون... ملعون". هكذا كان الحُكم الذي ســمعه إســرائيل ١٢ مرة (ع١٥-٢٦). لكن نقرأ في رســالة غلاطية، أنَّ «المسيح افتدانا من لعنة الناموس» (غل٣:١٣). نحن لســنا بعد "تحت الناموس" لكن «تحــت النعمة» (رو ٦: ١٤). والنعمة تُعطينا أكثر ممَّا يعطيه جبل جرزيــم بما لا يُقاس، حيث إننا قد بوركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح (أف١: ٣).

٢٨

بركات الطاعة ولعنات العصيان

هـذا الأصحـاح، ببركاته ولعناتـه، يذكِّرنا بسـفر اللاويين ٢٦. فـكل منهما يحمل تأكيدًا مزدوجًا، فيعـد بالبركة عندما نطيع، وينـذر باللعنة إن عصينا (قارن إشعياء ١: ١٩، ٢٠).

قرأنا عدة مرات في هذا السـفر القول: «اسـمع يـا إسـرائيل». وهنا يقول: «وإن سمعت سـمعًا لصوت الربّ إلهك، لتحرص أن تعمل...» (ع١). دعنا نحن أيضًا نصغي إلـى الكتاب المقدس، ونصغـي إلى التعليم الإلهي الـذي يُقدَّم لنا في الاجتماعات، أو نحصل عليـه في الانفراد، ودعنا نتذكر أن أسـاس البركة هو أن نسمع لصوته (قارن رؤيا ١: ٣).

قال صموئيل في صباه: «تكلَّم يا رب لأنَّ عبدك **سامع**»، وحتَّى عن الربّ يسوع كالإنسان، مكتوب: «يوقظ لي أُذنًا لأسمع كالمتعلِّمين» (إش٥٠: ٤). في هذه الأيام، يبدو أنَّ الناس يسمعون بصعوبة، وذلك لسببين رئيسيين: الأول، أننا قد نكون مُشتتي الفكر، لأنَّه توجد أصوات كثيرة وضوضاء، وربَّما حتَّى موسيقى كثيرة. فالأذن تفقد حساسيتها. والسبب الثاني، هو أنَّنا قد نظن أنَّنا نعرف كل شيء. لا شك أنَّ الشباب اليوم يعرفون كثيرًا، عن الإلكترونيات والكومبيوتـر، وما إلى ذلك. لكن ماذا عن الأهم؛ أي الكتاب المقدس، واختبارات الحياة؟ لا شـك أنه يوجد الكثير أمام الشباب ليتعلَّموه.

والنتيجة المجيدة لذلك: «تأتي عليك جميع هـذه البركات وتدركك» (ع٢). كأن البركة هي التي تبحث عن الطائع وتسعى إليه. وهي بركة تشمل كل نواحي الحياة: «مباركًا تكون في المدينة ومباركًا تكون في الحقل... يأمر لك الرب بالبركة... في كل ما تمتد إليه يدك» (ع٣،٨). وتتقدم من نصرة إلى نصرة (ع٧)، وبهذا يتمجد اسم الرب الذي دُعي على شعبه (ع١٠).

الأعداد من ١٥-٦٨ مُحزنة، لا يوجد شعاع من النور يُضيء فيها، فبقية الأصحاح الطويل، لا تحتوي على شيء سوى اللعنات التي تنتظر إسرائيل. «إن لم تسمع لصوت الربّ... تأتي عليك جميع هذه اللعنات» (ع١٥). وبالأسف يُخبرنا الكتاب وتاريخ إسرائيل، أنَّهم «بآذانهم سمعوا ثقيلاً» (أع ٢٨: ٢٧). ونتيجة ذلك، أتت عليهم كل هذه اللعنات، بما فيها الأشياء المُرعبة الموجودة في ع٥٣ -٥٥ (انظر سفر مراثي إرميا). ونلاحظ أن ع٣٦ يحدِّثنا عن مجيء **نبوخذنصر** وسبيه الشعب إلى أمة لم يعرفوها؛ بينما ع٤٩ يشير إلى حصار **تيطس الروماني**، إذ يقول الوحي: «يجلب عليك أمة من بعيد، من أقصاء الأرض، كما يطير النسر (وكان الرومان يتخذون من النسر شعارًا لجيوشهم)».

إن هذه الآيات المحزنة ينطبق عليها قول المرنم: «تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر» (مز ١٦: ٤). ونحن نعرف أن هذا المزمور هو لغة المسيح، الذي على العكس من إسرائيل لم يكفّ لحظة عن الاتكال على الله والاستماع لصوته.

بالنسبة لنا، نحن الذين تحت النعمة، مسؤوليتنا أكبر جدًّا. لذلك يقول الرسول «انظروا أن لا تستعفوا من المتكلِّم، لأنَّه إن كان أولئك (إسرائيل) لم ينجوا إذ استعفوا... فبالأولى جدًّا لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء» (عب١٢: ٢٥). ونحن نقرأ في الرسالة نفسها أنَّ الله كلَّمنا في ابنه الربّ يسوع، الذي هو الكلمة. لذلك، يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلاَّ نفوته (عب١:٢؛ ٢:١). نعم الله كلَّمنا «من السماء» موجِّهًا انتباهنا إلى

شخص ابنه المبارك قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب، **له اسمعوا**» (مر ٩: ٧).

ع٢٢) **البُرداء**: الحمى مع برودة شديدة. **اللفح**: هبة ريح حارة محرقة.

ع٤٢) **الصرصر**: نوع من الجراد.

٢٩

العهد في موآب

دعى موسى كل شعب إســرائيل ليســمعوا كلام العهد، فإن قدرة الرب ومحبته عملت لشــعبه أعمالاً عظيمه، هم شــاهدوها (ع٢)، لكن المطلوب الآن أن يتأملوها بعيون قلوبهم (قارن أفسس١:١٨). وكل العجائب التي عملها الرب لهم ومعهم، لم تؤثِّر على ضمائرهــم التأثير الحقيقي. ولقد تكرَّر الأمر عينه بصورة أردأ في أثناء وجود الرب يسوع معهم بالجسد، فيقول البشير: «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به» (يو١٢:٣٧). ونحن عرضة لهذا الخطــإ عينه لو تعاملنا مع الحق الإلهي بالذهن فقط دون القلب.

وفي ع٤ نقرأ: «ولكن لم يُعطِكم الربّ... آذانًا لتســمعوا إلى هذا اليوم». فهل هم مُذنبون لأنَّهم لم يســمعوا؟ نعم، بدون شك. لأنَّنا نفهم من كلام الرسول بولس لليهود في رومية، أنَّهم بإرادتهم أغلقوا آذانهم «لئلاَّ... يسمعوا بآذانهم... ويرجعوا... فليكن معلومًا عندكم أنَّ خلاص الله قد أُرسل إلى الأمم وهم سيسمعون» (أع ٢٨:٢٧،٢٨).

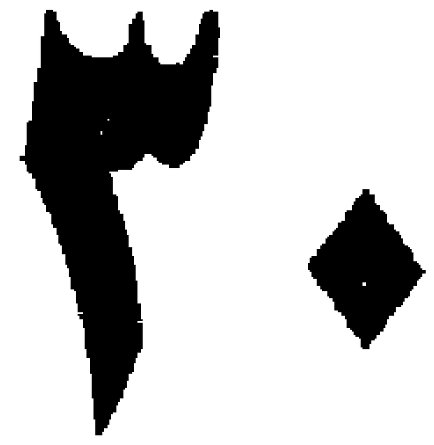
وهنا يُعلَن فكــر الله بالمحبَّة نحونا نحن الأمم. إذا كان الربّ قد ترك إســرائيل

ليذهبوا في طريق الضلال وعدم الإيمان حتَّى الآن، إنَّما ليسمح "للأمم" أن يسمعوا إنجيل النعمة. فاليوم إذًا هو يوم أخبار سارة لنا نحن الأمم «الغرباء عن عهود الموعد» (أف٢:١٢). ليت كل الذين يسمعون، لا يتشبّهون بإسرائيل، بل «**اليوم إن سمعتم صوته، فلا تُقسوا قلوبكم**». هذا التحريض الذي يذكره الروح القدس في رسالة العبرانيين ثلاث مرات (عب٣: ٧،٨،١٥؛ ٤:٧).

اليوم: لاحظ، كم مرة تتكرر هذه الكلمة في أصحاحنا والأصحاحات التالية.

الأعداد ١٨-٢١ تنطبق على الأفراد وليس على المجموع كما في أول الأصحاح. والأفسنتين الوارد في ع١٨ هو نبات مُرّ، له عصارة سامة، ينبت من تلقاء نفسه. وهكذا لو تُركت قلوبنا بدون فِلاحة، فليس عجيبًا أن يطلع فيها أصل المرارة، تفسد أرواحنا وتسمِّمها. والعلاج لهذه الحالة، بحسب عبرانيين ١٢:١٥، هو أن نعيش متمتعين عمليًا بنعمة الله.

ويختم الفصل بآية تدعو للتعزية: «السرائر للرب إلهنا، والمُعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد». فحياتنا، مثل تاريخ إسرائيل، تحتوي على مُعلنات، وهي جانب المسؤولية فيها؛ والسرائر، وهي ما يخص نعمة الله، والله وحده يعلم ما تحويه. بعض اللوحات المشغولة، تُعمل من الخلف. والمرء إذا شاهد الصانع لهذه اللوحات، لا يرى في عمله شيئًا يشدّ النظر، بل يرى خيوطًا وعقدًا قبيحة. على أن الصانع يعرف جيدًا ما هو فاعله. وعندما ينتهي من عمله، سيظهر حقًّا كم اللوحة رائعة! وهكذا فإن المُعلنات، تحدّثنا عما نراه نحن من نسيج حياتنا: آلام ومصاعب وضيقات، كل ما من شأنه - بحسب المنظور - إعاقة عمل الله فينا. لكن عن قريب جدًا، عندما نظهر أمام كرسي المسيح، سنُعجب من الحكمة السرمدية التي تعاملت معنا، نعم سنعجب عندما نرى الجانب الآخر الحقيقي للصورة التي يرسمها الفنان الإلهي في سنوات التعب والضنك هنا على الأرض!



رد الشعب التائب في النهاية

خُتم الفصل السـابق بأن «السـرائر للرب إلهنا، والمُعلنات لنـا». ولقد حفظت النعمة لهذا الشعب في قلب الله "السرائر" التي يتكلّم عنها هذا الأصحاح، حيث - في يوم قادم - سـيعمل الله في قلب هذا الشعب المسكين، للتوبة والرجوع، وينشئ فيهم الطـاعة والمحبة نحوه (عب ٨: ١٠). لقد دعاهم من قديم: «إن **رجعت** يا إسرائيل يقول الربّ، إن رجعت إليّ...» (إر ٤: ١؛ قارن مع هوشع ١٤: ١، ٢). هذا النداء الإلهي الموجّـه إليهم، وانتظـاره الطويل بالمحبّة لهم، لـن يكون عبثًا. ولهذا ترد الكلمات العجيبة هنا: «وأمّا أنت **فتعود** تسمع لصوت الربّ» (تث٣٠: ٨).

رومية ١٠ يقتبس الآيات ١٢-١٤ ويطبقها على "كل من يؤمن". فالمسيح، الذي هو الكلمة الحي، أتى إلينا من السـماء، حيث لا يقدر الإنسان أن يصعد، وذلك لكي يعلن لنا قلب الله.

هذه الوصية، التي نزلت من السماء، والتي أعلنها المسيح: إرادة الله هذه، هي أن «جميع الناس يخلصون» (اتي ٢: ٤).

دعنا نقارن (ع١٢) هنا بما ورد في يوحنا ٣:١٣، ٣١.

هذه «الكلمة قريبة منك جدًا» (ع١٤)، فلا تقُل إن الخلاص شيء بعيد المنال على شخص بائس نظيري (ع١١). فمهما كنت بعيدًا، فإن الرب يسوع قريب جدًا إليك. فافتح قلبك له الآن! لكن سـيأتي وقت مُرعب لغير المؤمنيـن «فيجولون من بحر

إلى بحر... ليطلبوا كلمة الربّ، **فلا يجدونها**» (عا ٨: ١٢). وأما بالنسبة لنا نحن المؤمنين، فإن كانت الكلمة حقًّا في فمنا وفي قلبنا، فهي ليست هناك لتبقى بلا ثمر، بل علينا أن نعمل بها (ع١٤؛ قارن يوحنا ١٣: ١٧).

ثم في ع١٥-٢٠ نجد أمامنا الطريقين المذكورين في تثنية ١١: ٢٦، طريق البركة وطريق اللعنة. طريقان فقط: وُضعا أمام إسرائيل، وهما أمامنا اليوم. أحدهما يؤدي للحياة والخير، والآخر، رغم المظاهر الخادعة، يؤدي حتمًا إلى الموت والويل الأبدي. والاختيار لنا، وليس لأحد غيرنا.

كان موسى، وقت النطق بهذه الأقوال، ابن مئة وعشرين سنة (٣١: ٢)، وقبل ذلك بثمانين سنة، كان عليه أن يختار، فرفض غنى ومسرَّات بلاط فرعون، مُفضِّلاً بالأحرى شرف الذُلّ مع شعب الله، و"عار المسيح"، على تمتع الخطية الوقتي وخزائن مصر (عب١١: ٢٥، ٢٦). وكان متأكدًا أنَّه اختار الاختيار الصحيح، لذلك أمكنه أن يقول لإسرائيل ولنا أيضًا "اختَرِ الحياة" (ع١٩)، الذي هو الربّ يسوع نفسه، الذي هو «الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦).

٣١

تسليم القيادة ليشوع، وتسليم الناموس للاويين

كان يمكن أن تنتهي حياة موسى في فشل ويأس، لكنه على العكس قال لإسرائيل «تشددوا وتشجعوا... لأنَّ الربّ إلهك سائر معك. لا يهملك ولا يتركك» (ع٦). ثم قال الكلمات ذاتها ليشوع (ع٧، ٨، ٢٣) - هذه الكلمات بعينها هي لكل فرد منا. وكم

من مسيحيين في وقت الخطر، تشجَّعوا بهذه الكلمات المُدهشة!

بقيت وصية واحدة "لمُعطـــي الناموس" لكي يوصي بها الشـــعب، أبقاها للآخر لأهميتها بدون شك، وهي المتعلقة بقراءة الناموس أمام جماعة إسرائيل كلها: الرجال والنساء والأطفال. والغرض لكي **يسمعوا، ويتعلَّموا** أن **يتقوا** الربّ، ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة (ع١٢). هذا هو الســـبب في أنَّه بجانب اجتماعات العبادة والصلاة لنـــا أيضًا اجتماعات لقراءة الكتاب المقدَّس ودراســـته والتأمل فيه. ويجب أن يحضر هذه الاجتماعـــات الأولاد مع آبائهم. وليتنا لا نترك اجتماعنا كما لقوم عادة (عب١٠: ٢٥)، فنحن في حاجة شديدة إليها.

لكن لماذا، بعد أن أعطـــى الرب شعبه وعدًا بأنه لن يهملهم ولن يتركهم (ع٦)، يقول في ع١٧ إنه ســـوف يتركه، ويحجب وجهه عنه؟ الســـبب لأن الرب عارف أن شعبه بالأســـف ســـوف يتركه وينكث عهده (ع١٦). ولكن على أية حال، فإن وعده لهم في النهاية، كما جاء على فم نبيه هوشع: «أنا أشفي ارتدادهم، أحبهم فضلاً» (هو ١٤: ٤).

أما الآن فكان الرب يعرف أن شعبه سيتحوّل عنه ليلتفت إلى آلهة أخرى ويعبدها، وفي مواجهة هذا تحدّث عن مصائب وشـــرور ستصيب هذا الشعب. ومن هنا لزم أن يعيد الله ثانية على يشـــوع قوله: «**تشدّد وتشـــجع**» (ع٢٣). فليس من الشعب سيستمد يشوع قوّته، بل من الرب.

وكما كان الأمـــر قديمًا، كذلـــك الآن، فعندما نتطلَّع إلـــى المؤمنين في ذواتهم، ونلاحظ ضعفاتهم وسقطـــاتهم، ربَّما نتعرَّض لليأس، ولا سيَّما حين ننظر إلى بعض المؤمنين الذين كنَّا ننتظر أن يكونوا قـــدوة. واجتماعاتنا التي نحضرها أحيانًا تبدو ضعيفة جدًا، إمَّا بسبب قلّة المجتمعين معًا، أو بسبب ندرة المواهب، أو بسبب الحالة الروحية الضعيفة. ربما نيأس ونفشل إذ ننظر للأشخاص، لكن إذا نظرنا إلى الربّ يسوع، فلن نفشل مُطلقًا.

موسى ويشـــوع وبولس؛ عرفوا ماذا سيكون بعد نهاية خدمتهم هنا، ورحيلهم عن الأرض. فلقد قال موسى: «لأنِّي عارف أنَّكم بعد موتي تفسدون...» (ع٢٩)، كما قال الرســول بولس: «لأنِّــي أعلم هذا، أنَّــه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة...» (أع ٢٠: ٢٩). لكنَّه هو علم، وعلموا هم أيضًا بمَنْ آمنوا، ووضعوا كل ثقتهم في قدرته (٢تي١: ١٢).

الأصحاحات الختامية في سفر التثنية

- ص٣١ كلمات موسى الأخيرة
- ص٣٢ ترنيمة موسى الأخيرة
- ص٣٣ بركة موسى الأخيرة
- ص٣٤ لحظات موسى الأخيرة

٣٢

نشيد موسى

أمر الله موسى أن يُعلِّم بني إســرائيل نشيدًا (٣١: ١٩، ٣٠). ولقد أشهد السماء والأرض لتسمع كلماته هذه، ويعظِّم كلمة الله التي تهطل كالطل على الكلأ (الشباب)، وكالوابل على العشب (الشعب).

يبدأ موسى بتعظيم الله وتعظيم عمله. فالله أمين وبار وعادل، كما أنه الصخر†، الذي يضمن الحماية لشــعبه ولأحميائه. والصخر له ظِلّ يســتظل به المسافر في الأرض المُعيية (انظر مزمور٣١: ٢؛ ٧١: ٣؛ إشعياء٣٢: ٢). كما أنه يخرج منه العسل والزيت (ع١٣).

ثم يمتدح النشيد صنيع الرب. فهو الكامل صنيعه (ع٤). والتوضيح الكامل لهذا العمل لصالح إسرائيل، نجده في الأعداد من ٨ إلى ١٤. وهو صورة لما عمله الله لكل واحد من الذين لـه. فهو اختاره (ع٨)، ووجده وأحاط به ولاحظه وصانه (ع١٠)، وحمله (ع١١)، واقتاده (ع١٢)، وأركبه على مرتفعات (ع١٣).

قال الله قديمًا: «ماذا يُصنع أيضًا لكرمي (إسرائيل) وأنا لم أصنعه» (إش ٥: ٤)، وماذا لم يعمله لنا نحن الذين سبق فعرفنا. فعيَّننا، فدعانا، فبرَّرنا، فمجدنا أيضًا (رو ٨: ٣٠)؟

حقًّا صنيع "صخر" يعقوب "كامل" وأيضًا «جلالٌ وبهاءٌ عمله» (مز ١١١:٣).

على أن هذا النشيد يشمل - للأسف - جزءًا آخر. الجزء الأول (فيما عدا ع٥) يضع أمامنا "الله" مَنْ هو، "وعمله" الذي عمله لشعبه. لكن الجزء الثاني يختصّ بالإنسان؛ شعبه وما فعله.

يذكر ع١٤ عطايا الله الغنية لشعبه، خيرات الأرض، المواشي والحنطة والخمر (ع١٤)، كلها أدّت إلى أن يسمن شعبه†† (ع١٥). وبدلاً من أن يلتصقوا بالله "صخرة خلاصهم"، ويُعبِّروا عن شكرهم له عن طريق شحم كباشهم وتقدماتهم وسكائبهم؛ تركوه وأهانوه، وأغاظوه، وأخيرًا نسوه (ع١٥،١٦،١٨). يا له من نُكران للجميل والإحسان!

وكم نتصرَّف نحن أيضًا هكذا مثل هذا الشعب البائس! نسمح لأنفسنا بأن نسمن على بركات أبينا الغنية التي يغدقها علينا، ونحن في حالة البلادة والتكاسل. نكتفي بأن تكون أشغالنا ناجحة، وننسى أن نُعطي الربَّ المركز الأول في حياتنا. نتقبَّل الهبات، لكن لا نُقدِّر الواهب وكل متطلبات محبَّته.

لو كان إسرائيل أكثر حكمة لكان فَطِنَ بهذه وتأمل آخرته (ع٢٩). ليت الرب

يمنحنا نحن الحكمة، فنعرف كيف نستخدم عطاياه وبركاته، كأننا سوف نقدم عن ذلك حسابًا عندما يأتي المسيح.

ومع ذلك فإن هذا النشيد يكشف عن القليل ممَّا يشعر به قلب الله عندما رأى إسرائيل يُفضّل الآلهة الكاذبة والأباطيل، وحتَّى الشياطين (ع١٧، ٢١). فكانت النتيجة المُرّة ما نراه في الأعداد ٢٢-٣٣. لقد جلبوا على أنفسهم ما نجده في مزمور ١٦: ٤ «تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر». لكن نجد أيضًا قلب الله - في النهاية - يُشفق، وينظر إلى تعاستهم، ويُقرِّر خلاصهم ورجوعهم. عندما ينتقم من أعدائه ويصفح عن أرضه وشعبه، فيكونون سبب فرح لكل الأمم في زمان مُلك المسيح.

بالنسبة لنا نحن أولاد الله، يبدأ تسبيحنا عندما ننال غفران خطايانا. بالطبع قد نجتاز اختبارات مُرّة في الحياة حتَّى تنتهي كل القوة البشرية، ويكون اتكالنا عليه وحده (ع٣٦). والرب من خلال كل ذلك يكشف لنا عن عدم أمانتنا، ولكنه هو يبقى كما هو (ع٣٩). نعم «يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد... له المجد إلى أبد الآبدين آمين» (عب١٣: ٨، ٢١).

آية عسرة (ع٣٦)

«حين يرى أن اليد (كناية عن القوة) قد مضت (أي أن قوتهم اضمحلت)، ولم يبق محجز ولا مطلق (وهو اصطلاح عبري يفيد الشمول، بمعنى لا عبد ولا حر) يقول (أي الرب): أين آلهتهم، الصخرة التي التجأوا إليها، التي كانت تأكل شحم ذبائحهم. لتقم وتساعدكم (وهو أسلوب تهكمي - قارن قض١٠: ١٤)».

ثم يختم موسى تعليمه بتحريض أخير على الطاعة: «وجِّهوا قلوبكم إلى

جميع... كلمات هذه التـوراة... هي حياتكم» (ع٤٦، ٤٧؛ مع إشـعياء ٥٥: ٣؛ أمثال ٤: ١٣؛ ٧: ٢). قد يظنّ الشاب أنه لكي يستمتع بحياته، يجب ألا يستمع إلى نصيحة أحد، ولا سـيما وصايا الله، لكن الآيات السـابقة تُقرِّر، واختبارنا يؤكِّد، أن الحياة الحقيقية هي في القُرب من الله، وطـاعة وصاياه.

كان موسى وسـيطـًا أمينًا، ولقد تكلَّم إلى الله عن الشعب، وتكلَّم إلى الشعب عن الله. لكن خدمته هذه كالوسـيط وصلت إلى نهايتها، وكان هو على وشـك أن يتركهم، وسـوف لا يكون معهم بعد ليعلِّمهم. وهكـذا معنا. فالذين يتكلَّمون إلينا نيابة عن الـربّ، لا يكونون معنا هنا دائمًا. بينما هـم معنا، يجب أن نُقدِّر ما يقولونه لنا؛ وعندما يغيبون علينا أن نعرف أن المسـيح بـاقٍ معنا ولا يغيب (عب١٣: ٧، ٨).

---

† يشار إلى الرب باعتباره الصخر في هذا الأصحاح ٦ مرات (ع٤،١٥،١٨،٣٠،٣١،٣٧).

†† ع١٥) يشورون: يعني المستقيم، وهو اسم شعري لإسرائيل (قارن٣٣: ٥،٢٦).

٣٣

بركة موسى للأسباط

يبدأ هذا الفصل بالإشـارة إلى أن موسـى هو "رجـل الله". وهنا نجد أول ذكر لهذا اللقـب المجيد، وقد ورد عن موسـى في الوحي ٦ مـرات (ع١؛ يش١٤: ٦؛ ١أخ٢٣: ١٤؛ ٢أخ٣٠: ١٦؛ عـز٣: ٢؛ مـز ٩٠ عنـوان)؛ وهـو أول قائمـة من

١٤ شخصًا في الكتاب المقدس دعوا بهذا اللقب السامي.

وموسى هذا إذ كان مزمعًا أن يترك الشعب، فإننا نجده يتكلَّم إليهم من قلبه. ليس المجـال الآن للتحريض، بل إذ كان عتيدًا أن يترك الشـعب الذي أحبه، فإن كلمات رجل الله الأخيرة لهم هي بركة (قارن مع لوقا٢٤:٥٠). ومع أن الناموس لا يجلب على الإنسان سوى اللعنة، لكن موسى هنا يباركهم، إذ يحدِّثهم عن محبة الرب لهم، وأنهم جميعًا في يـده (ع٣). ونحن أيضًا نتذكر كلام راعينـا الصالح، عن خرافه العزيزة عليه عندما قال عنهم: «لا يخطفها أحد من يدي... ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي» (يو١٠: ٢٨، ٢٩).

وبمقارنة هذا الأصحاح مع تكوين٤٩، حيث بارك يعقوب أولاده الاثني عشـر، نلاحظ بعض الفروق المُلذَّة جدًّا. فلاوي، بحسب بركة أبيه، كان رجلاً قاسيًا عنيفًا، جعله الله "رَجُلَـه الصديق"، وائتمنه على خدمة القُدس الثمينة. بنيامين، وصفه يعقوب بأنـه "ذئب يفترس" (تك٤٩:٢٧)، صار بالنعمة "حبيب الـربّ"، وهـذا الذئب أخـذ مكان الخـروف الـذي وجـده الراعي، ووضعـه علـى منكبيـه، حيث إن بنيامين يسـكن بين منكبـي الرب (ع١٢؛ لوقـا١٥:٥). هذا هو نوع التغيير الـذي يُحدثه الإنجيل في أي واحد يؤمن به. تمامًا كما حدث مع

آيةُ عسرة (ع٢١)

«كلبوة سـكن وافترس الـذراع مع قمة الرأس»: بمعنى أنه شل قـوة العدو عن العمل (الذراع)، وعن التفكير (الرأس). «ورأى الأول لنفسه»: بمعنـى أنه اختار لنفسه النصيب الأفضل في شرق الأردن، حيث الأراضي خصبة وصالحة للمرعى. ثم يقـول: «لأن هناك قسـم للشـارع محفوظًا»، الشـارع أو المشرع هو موسى، فلقد دُفن موسى في نصيب سبط جاد.

شاول الطرسوسي المضطـــهد والمفتري، وهو من سبط بنيامين، إذ أصبح الرسول بولس، بعد أن التقاه الرب في الطريق إلى دمشق.

ولكن هل لاحظت أي اســم محذوف في القائمة الثانية لأبنـــاء يعقوب؟ لقد كان شـــمعون ولاوي أخوين، وأخوين في القســوة أيضًا (تــك ٤٩: ٥). الآن في بركة موسى انفصلا. لاوي بالنعمة بورك بغنى، لكن شمعون، أين هو؟

هذا سؤال خطير. هل اسمك في سفر الحياة؟

أمَّا بالنســبة "ليوســف" لم يكن هناك نفس التغيير الذي لاحظنــاه في بعض من إخوته. لم يكن ممكنًــا أن يحدث ذلك، لأنَّه رمز للربّ يســوع «نذير إخوته» (تك ٤٩: ٢٦). كان كذلك، وبقي كذلك (ع١٦). لقد فُرز يوسف من إخوته، أوَّلاً بسبب آلامه في البئر وفي الســجن، ثم بســبب رفعته، وهكذا الربّ يســوع كان فريدًا في طريق الجلجثة الرهيب الذي لم يشاركه فيه أحد، ثم عندما رُفع فوق الصليب، والآن هو فريد في المجد، حيث قد رفَّعه الله أيضًا، وأعطـــاه اسمًا فوق كل اسم (في٢: ٩)، وله البركة الفائقة كالممســوح بدهن الابتهاج أكثر من رفقائه (مز٤٥: ٧). تُرى هل هو يشغل مكانًا خاصًا في قلبك؟

ثم يلي ذلك بركات الأســباط الأخرى، وأخيرًا بركة لكل إســرائيل (ع٢٩) مُنبئة بوقت قادم، وشــعب الله الأرضي ســيأتي أخيرًا إلى راحته محمــولاً على الأذرع الأبدية، متمتّعين بالخير الجزيل والرفعة تحت حكم المسيًا.

ع٨) **"تميمك وأوريمك"**: الأوريم والتميم كانا في صُدرة قضاء رئيس الكهنة، ومعناهما الأنوار والكمالات (خر٢٨: ٣٠).

ع١٤) **مغلات الشمس**: الغلة التي تنضج بالشمس؛ **منبتات الأقمار**: البذور التي تنبت برطوبة الليل.

ع٢٥) **مزاليج**: قضبان لإحكام غلق الأبواب.

٣٤

موت موسى

جاءت نهاية ذلك العمـــلاق. وذاك الذي اعتاد أن يرتقي الجبـــال ليقابل الله، ها هو يرتقي الجبل لآخــر مرة في حياته، حيــث كان مزمعًا أن يمــوت في الإيمان "موت الأبرار". ولقد قضى موســى ٤٠ سنة في بيت فرعون، ثم ٤٠ سنة في بيت يثرون في مدرســة الله، وأخيرًا ٤٠ سنة في البريَّة يقود الشــعب. في البداية رأى "المنظر العظيــم" للعليقة (خر٣: ٣)، ثم "بالإيمان" ظلّ ثابتًا "كأنه يرى مَنْ لا يُرى" (عب١١: ٢٧). والآن، في نهاية رحلته، وبعينٍ لم تكل، رأى أرض عمانوئيل!

إنه عملاق من بداية حياته إلـــى نهايتها. والآن جاءت اللحظـــة التي فيها تتم كلمات موسى نفســـه في المزمور: «تُرجع الإنســـان إلى الغبار» (مز٩٠: ٣). لكن الله أكرم خادمه العزيز، وحظـــي بشرف لم يتمتع به في الدنيا سواه، وقام الرب بدفنه بنفسه!

وعلى جبل آخر، هو جبل التجلِّـــي، رآه التلاميذ الثلاثة في مجد، في رفقة الربّ الذي كان يتكلَّم معه وجهًا لوجه، والذي كان هو نفسه «المُجازاة» له (عب١١: ٢٦). ما هي أيّة خسارة في الأرض، إذا قورنت بهذا الربح؟

والأرجح أن هذا الأصحاح كتبه يشوع بأمر من الرب، بعد موت موسى، وأضافه إلى ســـفر التثنية. وفيه يمدح الوحي موسى، ويشهد عنه أنه لم يقُم في إسرائيل نبي نظير موســـى (ع١٠). وما أجمل أن الشخص الذي، في آخر أنفاسه، يُقِرّ بأنه ليس مثل الله، وليس مثل شعبه (٣٣: ٢٦، ٢٩)، يقرِّر الرب أنه ليس نبي مثله!

وإذ نصل إلى نهاية هذا الجزء من الكتاب المقدس المُسـمّى "أسفار موسى الخمسة"، ليتنا نكون قد ربحنا ونمونا في معرفة ربنا يسـوع المسيح، من خلال ذاك الذي قال عنه المسيح نفسه: «لأنه هو كتب عني» (يو٥: ٤٦). فحقًا كم هي متنوعة وكثيرة الدروس التي تعلمناها من الرموز العديدة التي تضمّنتها هذه الأسفار الغنية والمباركة!

هذا الكتاب:

هو المجلد الأول لشرح الكتاب من "التكوين إلى الرؤيا"، ويتضمن شرح **أسفار موسى الخمسة**.

تجد في هذه السلسلة مقدّمة لكل سفر، ثم شرحًا لكل أصحاح، يتضمن الأفكار التعليمية الرئيسية فيه، وبعض الأفكار التأملية التي تُثري القارئ، وتزيد من حصيلته الروحية.

تم إعطاء عنوان لكل أصحاح عن الفكرة العامة له. وفي حالة وجود أكثر من فكرة واحدة في الأصحاح فقد تم تقسيمه إلى فقرات، ولكل فقرة عنوان يوضح فكرتها.

تجد فيها حلاً لبعض المعضلات التي تستشكل على القارئ العادي، وتفسيراً لبعض الآيات عسرة الفهم، ولبعض الكلمات غير المألوفة، كما تجد فيها بعض التجميعات التي تبيّن جمال وكمال كلمة الله. كما يتضمن بعض الجداول والرسومات التوضيحية لتسهيل فهم المحتوى.

أسفار موسى الخمسة:

تُقدّم لنا هذه الأسفار مجملاً للحقائق التي سنجدها بعد ذل في "كل الكتاب"، بصورة تفصيلية. وكل صور و وطقوس هذه الأسفار، تتجاوب مع الشخص المحوري للكت الرب يسوع المسيح، بصورة لا يمكن أن تكون من صنع إنس كائنًا من كان.

ولهذه الأسفار أهمية كبرى لنا كمسيحيين، فإن «هذه الأ جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أو الدهور». ولا غنى لمن يريد أن يفهم الكتاب المقدس أن يدرس هذه الأسفار الغنية بالحديث عن المسيح.